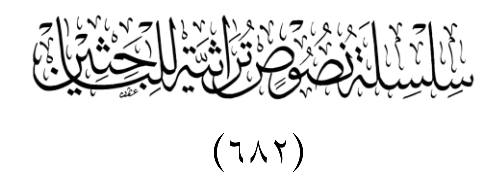


(٦٨٢)

الزكام
في الأحاديث والآثار
و كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة
ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

"أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم ، وعطس الرجل عنده فقال له: يرحمك الله ، ثم عطس اخرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الرجل مزكوم.

أخرجه أحمد ٤٦/٤ (١٦٦١٥) قال: حدثنا بهز. وفي ٥٠/٤ (١٦٦٤٤) قال: حدثنا يحي بن سعيد. و"الدارمي" ٢٦٦١ قال: أخبرنا أبو الوليد. و"البخاري" في (الأدب المفرد) ٩٣٥ قال: حدثنا عاصم بن علي. وفي (٩٣٨) قال: حدثنا أبو الوليد. و"مسلم" ٢٢٥/٨ (٧٥٩٨) قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا وكيع (ح) وحدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم. و"أبو داود" ٥٠٣٧ قال: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابن أبي زائدة. والترمذي" ٢٧٤٣ قال: حدثنا سويد بن نصر، أخبرنا عبد الله (ح) وحذثنا محمد بن بشار، حدثنا يحي بن سعيد (ح) وحدثنا أحمد بن الحكم البصري، حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة (ح) وحدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي. و"النسائي" في "عمل اليوم والليلة" ٢٢٣ قال: أخبرنا حميد بن مسعدة، عن سليم، وهو ابن أخضر.." [١]

"عشرتهم (بهز، ويحي بن سعيد، وأبو الوليد، وعاصم، ووكيع، وأبو النضر، وابن أبي زائدة ، وعبد الله بن المبارك، وشعبة، وسليم) عن عكرمة بن عمار، قال: حدثني إياس بن سلمة، فذكره.

* * *

٤٨٩٤- عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يشمت العاطس ثلاثا ، فما زاد ، فهو مزكوم.

أخرجه ابن ماجة (٣٧١٤) قال: حدثنا علي بن محمد ، حدثنا وكيع ، عن عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع، فذكره.

* * *

٤٨٩٥- عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين ، فيصيبه ما أصابهم.

أخرجه الترمزي (٢٠٠٠) قال: حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو معاوية ، عن عمر بن راشد ، عن إياس بن سلمة.

* * *

الذكر الدعاء

٤٨٩٦- عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال:." [٢]

---

(١) المسند الجامع محمود محمد خليل ٩٧/٧

(٢) المسند الجامع محمود محمد خليل ٩٨/٧

"وحدثني أبو بكر بن خلاد الباهلي، حدثنا يحيى، حدثنا سفيان. و"الترمذي" ٣٢٤٨ قال: حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان. و"النسائي" في "الكبرى" ١١٤٠٤ قال: أخبرنا محمد بن بشار، قال: حدثنا يحيى، قال: حدثنا سفيان (ح) وأخبرنا محمد بن منصور، قال: حدثنا سفيان.

ثلاثتهم (سفيان الثوري، وروح بن القاسم، وسفيان بن عيينة) عن منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر، فذكره.

- أخرجه الحميدي (٨٧) قال: حدثنا سفيان، حدثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبدالله بن مسعود، فذكره.

وكان سفيان أولا يقول في هذا الحديث: حدثنا منصور، أو ابن أبي نجيح، أو حميد الأعرج، أحدهم، أو اثنان منهم، ثم ثبت على منصور في هذا الحديث.

* * *

٩٢٨١- عن مسروق، قال: كنا عند عبدالله جلوسا، وهو مضطجع بيننا، فأتاه رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمان، إن قاصا عند أبواب كندة يقص، ويزعم؛ أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة **الزكام؟** فقال عبدالله، وجلس وهو غضبان: يا أيها الناس، اتقوا الله، من علم منكم شيئا، فليقل بما يعلم، ومن لم يعلم، فليقل: الله أعلم، فإنه أعلم لأحدكم أن يقول، لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله، عز وجل، قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: " قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) ؛

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس إدبارا، فقال: اللهم سبع كسبع يوسف، قال: فأخذتهم سنة حصت كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع، وينظر إلى السماء أحدهم، فيرى كهيئة الدخان،." (١)

"١٤٢٧٥- عن سعيد المقبرى، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال:

((إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه ولا يعوى فإن الشيطان يضحك منه.

أخرجه

ثلاثتهم (عبد الله بن سعيد، ومحمد بن عجلان، وعبد الرحمن) عن سعيد المقبري، فذكره.

* * *

١٤٢٧٦- عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال:

شمته واحدة، وثنتين، وثلاثا، فما كان بعد هذا فهو **زكام**.

موقوف.

- لفظ يحيى: شمت أخاك ثلاثا، فما زاد فهو **زكام**." (٢)

---

(١) المسند الجامع محمود محمد خليل ١١٦/١٢

(٢) المسند الجامع محمود محمد خليل ٦٥٢/١٧

"١٥٨ – حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثني سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: ذكر أيوب يوما شيئا، فرق، فالتفت كأنه يتمخط. ثم أقبل علينا فقال: « إن **الزكام** شديد على الشيخ»." [1]

"١٦١ – حدثني محمد، قال: حدثنا سعيد بن عامر، قال: حدثنا بسطام بن حريث، قال: كان أيوب « يرق، فيستدمع، فيحب أن يخفي ذلك على أصحابه، فيمسك على أنفه كأنه رجل **مزكوم**. فإذا خشي أن تظبه عبرته، قام»." [2]

"لاقبلها، ولو بعد الجلوس على المنبر، ولا بعدها، ولا بين الخطبتين، ولا حال الدعاء للمملوك، ولا لداخل مسجد، إلا إن اتخذ له مكانا واستقر فيه.

ويكره للداخل السلام، وإن لم يأخذ لنفسه مكانا، لاشتغال المسلم عليهم، فإن سلم لزمهم الرد، ويسن تشميت العاطس، والرد عليه، ورفع الصوت – من غير مبالغة – بالصلاة والسلام عليه (ص) عند ذكر الخطيب اسمه أو وصفه (ص).

قال شيخنا: ولا يبعد ندب الترضي عن الصحابة، بلا

لا قبلها الخ) أي لا يكره الكلام قبل الخطبة.

قال في النهاية: لأنه قبل ذلك يحتاج إلى الكلام غالبا.

(قوله: ولو بعد الجلوس على المنبر) غاية في عدم الكراهة قبلها.

قال البجيرمي: وهذا بخلاف الصلاة، فإنها تحرم بمجرد جلوسه على المنبر، وإن لم يشرع في الخطبة، وإن علم أنه يفرغ من الصلاة ويدرك أول الخطبة.

كما اعتمده م ر.

اه.

والفرق أن قطع الكلام هين، بخلاف الصلاة.

(قوله: ولا بعدها) أي ولا يكره الكلام بعدها، أي بعد تمام الخطبة.

(قوله: ولا بين الخطبتين) أي ولا يكره بين الخطبتين.

---

(١) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٣٣

(٢) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٣٤

(قوله: ولا حال الدعاء للملوك) أي ولا يكره حال الدعاء للملوك، أي لأنه ليس
من الأركان.
ومثل الدعاء لهم: الترضي عن الصحابة.
(قوله: ولا لداخل مسجد الخ) أي ولا يكره الكلام لداخل المسجد في أثناء الخطبة إلا إن اتخذ له مكانا واستقر فيه جلس
أولا فإنه يكره.
وعبارة الروض وشرحه: ويباح الكلام للداخل في أثنائها ما لم يجلس، يعني ما لم يتخذ له مكانا ويستقر فيه، والتقييد بالجلوس
جري على الغالب.
اه.
(قوله: ويكره للداخل السلام) أي على المستمع.
قال ع ش: ومثله الخطيب.
وينبغي أن لا يعد نسيانه لما هو فيه عذرا في وجوب الرد عليه.
اه.
ويستثنى الخطيب، فلا يكره له السلام.
(قوله: وإن لم يأخذ لنفسه مكانا) غاية في الكراهة.
(قوله: لاشتغال إلخ) علة للكراهة، والاشتغال يكون بالاستماع للخطبة إن كان المسلم عليه من السامعين، وبقراءة الخطبة
إن كان هو الخطيب.
(وقوله: المسلم عليهم) يقرأ بصيغة المبني للمفعول، والجار والمجرور نائب فاعله.
(قوله: فإن سلم) أي الداخل.
(قوله: لزمهم الرد) أي وإن كره السلام، لأن كراهته ليست ذاتية، بخلافه على نحو قاضي الحاجة، فإن الكراهة فيه ذاتية.
ولذلك لا يلزمه الرد.
وعبارة النهاية: وإنما لم يجب الرد على نحو قاضي الحاجة، لأن الخطاب منه ومعه سفه وقلة مروءة، فلا يلائمه الرد، بخلافه
هنا، فإنه يلائمة، لأن عدم مشروعيته لعارض، لا لذاته، بخلافه ثم، فلا إشكال.
اه.
وخالف الغزالي في وجوب الرد، وعبارته: ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب، فإن سلم لم يستحق جوابا.
اه.
(قوله: ويسن تشميت العاطس) أي إذا عطس حال الخطبة.
ولسنية التشميت شروط، أن يحمد الله تعالى العاطس، وأن لا يزيد على الثلاث، وأن لا يكون بسبب.
ففي صحيح مسلم: عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول:
إذا عطس أحدكم فحمد الله تعالى فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه.

وروي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه، وإن زاد على ثلاث فهو مزكوم، ولا يشمت بعد ثلاث.

قال النووي في الأذكار: واختلف العلماء فيه، فقال ابن العربي المالكي: قيل يقال له في الثالثة إنك مزكوم.

قال: والمعنى فيه أنك لست ممن يشمت بعد هذا، لأن هذا الذي بك زكام ومرض، لا خفة العطاس.

اه.

وإنما لم يكره التشميت – كسائر الكلام – لأن سببه قهري.

(قوله: والرد عليه) الضمير يعود على المشمت بصيغة اسم الفاعل المفهوم من تشميت، وإن كان ظاهر صنيعه أنه يعود على العاطس، أي ويسن الرد من العاطس على المشمت بأن يقول العاطس للمشمت – بعد قوله له يرحمك الله –، يهديكم الله ويصلح بالكم.

قال النووي في الأذكار: وروينا في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال: إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم.

أي شأنكم.

اه.

(قوله: ورفع الصوت) أي ويسن رفع الصوت حال الخطبة.

(وقوله: من غير مبالغة) أما معها فيكره.

(قوله: بالصلاة إلخ) متعلق برفع الصوت.

(قوله: عند ذكر إلخ) متعلق بيسن المقدر.

(وقوله: اسمه) أي النبي – صلى الله عليه وسلم –.

(وسئل) ابن حجر: هل يجوز للحاضرين والمؤذنين إذا سمعوا اسم النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يصلوا عليه جهرا أو لا؟ (فأجاب) بقوله: أما حكم الصلاة عليه – صلى الله عليه وسلم –، عند سماع ذكره برفع الصوت من غير مبالغة، فهو أنه جائز بلا كراهة، بل هو." (١)

"بينهما فوق سكتة تنفس أوعى فإنه يسن له أن يقول عقبه الحمد لله وأفضل منه الحمد لله رب العالمين، وأفضل منه الحمد لله على كل حال.

وخرج بقولي حمد الله من لم يحمده عقبه فلا يسن التشميت له.

فإن شك قال يرحم الله من حمده.

ويسن تذكيره الحمد وعند توالي العطاس يشمته لثلاث ثم يدعو له بالشفاء ويسر به

---

(١) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين البكري الدمياطي ٢/١٠٠

محذوف.
فإذا شمت واحد سقط الطلب عن الباقين، لكم الافضل أن يشمته كل واحد منهم، للحديث المتقدم.
(قوله: وسنة عين إن سمع واحد) قال في الأذكار.
فإن كانوا جماعة فسمعه بعضهم دون بعض، فالمختار أنه يشمته من سمعه دون غيره.
وحكى ابن العربي خلافا في تشميت الذي لم يسمع الحمد، إذا سمع تشميت صاحبه، فقيل يشمته لانه عرف عطاسه وحمده بتشميت غيره، وقيل لا لانه لم يسمعه.
اه.
(قوله: إذا حمد الله الخ) أعاده لاجل بيان إشتراط العقبية، وبيان أن الحمد سنة عين للعاطس.
ولو قال أولا حمد الله عقب عطاسه بأن إلخ، ثم قال بعد قوله فإنه سنة عين كالحمد للعاطس، فإنه يسن إلخ لكان أخصر وأسبك.
(وقوله: عقب عطاسه) لم يقيد به في التحفة والنهاية وشرح الروض والاذكار فليراجع.
(قوله: بأن لم الخ) تصوير للعقبية.
(وقوله: بينهما) أي العطاس والحمد.
(وقوله: فوق الخ) أي مقدار فوق الخ.
فلفظ فوق صفة لموصوف محذوف هو الفاعل، أو لفظ فوق هي الفاعل لانها من الظروف المتصرفة.
(قوله: فإنه يسن له) أي للعاطس عينا (وقوله: أن يقول عقبه) أي العطاس وذلك لحديث: إذا عطس أحدكم فليحمد الله تعالى.
(قوله: وأفضل منه) أي من الحمد لله، الحمد لله رب العالمين.
(وقوله: وأفضل منه) أي من الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على كل حال، وذلك لحديث: من عطس أو تجشى فقال: الحمد لله على كل حال، رفع الله عنه سبعين داء، أهونها الجذام.
فائدة: من قال بعد العطاس عقب حمدا لله: اللهم ارزقني مالا يكفيني، وبيتا يأويني، واحفظ علي عقلي وديني، واكفني شر من يؤذيني: أعطاه الله سؤاله.
اه.
بجيرمي.
(قوله: من لم يحمده) أي أو قال لفظا آخر غير الحمد.
(وقوله: عقبه) الاولى إسقاطه لانه ليس داخلا في المخرج بالحمد، أو يقول وخرج بقولي عقبه ما إذا لم يحمده عقبه.
(قوله: فلا يسن التشميت له) أي للعاطس الذي لم يحمد الله تعالى عقبه.
(قوله: فإن شك) أي شخص في أن العاطس حمد أو لا.

(قوله: قال) أي الشاك.

(وقوله: يرحم الله من

حمده) أي ولا يقول رحمك الله بالخطاب.

(قوله: ويسن تذكيره الحمد) أي ويسن تذكير من عطس، ولم يحمد الله تعالى الحمد، لأنه إعانة على معروف، ولما روي من سبق العاطس بالحمد أمن من الشوص - أي وجع الضرس - واللوص - أي وجع الاذن - والعلوص - وهو وجع البطن - ونظمها بعضهم فقال: من يبتدي عاطسا بالحمد يأمن من شوس ولوص وعلوص، كذا وردا (قوله: وعند توالي العطاس يشمته لثلاث) أي لما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه، وإن زاد على ثلاث فهو مزكوم، ولا يشمت بعد ثلاث.

قال النووي في الأذكار: واختلف العلماء فيه - أي في المزكوم - فقال ابن العربي المالكي قيل يقال له في الثانية إنك مزكوم، وقيل يقال له في الثالثة، وقيل في الرابعة، والاصح أنه في الثالثة.

قال والمعنى فيه، أنك لست ممن يشمت بعد هذا، لأن هذا الذي بك زكام ومرض لا خفة العطاس.

فإن قيل: فإذا كان مرضا فكان ينبغي أن يدعى له ويشمت، لانه أحق بالدعاء من غيره.

فالجواب: أنه يستحب أن يدعى له، لكن غير دعاء العطاس المشروع، بل دعاء المسلم للمسلم بالعافية والسلامة ونحو ذلك، ولا يكون من باب التشميت.

اه.." (١)

"لا يلزمه

ووفق الزاهد السرخسي بينهما بحمل الأولى على ما إذا أعادها بعد الكلام وحمل الثاني على ما إذا كان قبله فلو لم يسجدها في الصلاة حتى سجدها الآن قال في الأصل أجزأه هاهنا، وهو محمول على ما إذا أعادها بعد السلام قبل الكلام؛ لأنه لم يخرج عن حرمة الصلاة فكأنه كررها في الصلاة وسجد إذ لا يستقيم هذا الجواب فيما إذا أعادها بعد الكلام؛ لأن الصلاتية قد سقطت عنه بالكلام كذا في البدائع وصحح التوفيق في المحيط وهذا يفيد أن الصلاتية تقضى بعد السلام قبل أن يتكلم وإن لم يأت بمناف لحرمتها فينبغي أن يقيد قولهم الصلاتية لا تقضى خارجها بهذا وأن يراد بالخارج الخارج عن حرمتها (قوله كمن كررها في مجلس لا في مجلسين) فإنه يكفيه واحدة في الأول دون الثاني والأصل فيه ما روي أن «أن جبريل - عليه السلام - كان ينزل بالوحي فيقرأ آية السجدة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورسول الله كان يسمع ويتلقن ثم يقرأ على أصحابه وكان لا يسجد إلا مرة واحدة» ، وهو مروي عن عدة من الصحابة ولأن المجلس جامع المتفرقات ولأن في إيجاب السجدة لكل تلاوة حرجا خصوصا للمعلمين والمتعلمين، وهو منفي بالنص قيد بسجدة التلاوة؛ لأن الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن سمعه أو ذكره في مجلس واحد مرارا فيها اختلاف فبعضهم قاسها عليها وبعضهم منعه وأوجبها لكل مرة؛ لأنه من حقوق العباد، ولا تداخل فيها، وهو جفاء له كما ورد في الحديث وقدمنا ترجيحه وأما

---

(١) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين البكري الدمياطي ٤/٢٢٠

تشميت من عطس في مجلس واحد مرارا فأوجبه بعضهم كل مرة والصحيح أنه إن زاد على الثلاث لا يشمته لما روي عن عمر – رضي الله عنه – أنه قال للعاطس في مجلسه بعد الثلاث قم فانتثر فإنك مزكوم

وفي المجتبى ولا خلاف في وجوب تعظيم اسمه تعالى عند ذكره في كل مرة وأطلقه فشمل ما إذا تلا مرارا ثم سجدوا ما إذا تلا وسجد ثم تلا بعده مرارا في مجلس واحد، وهو تداخل في السبب دون الحكم ومعناه أن يجعل التلاوة المتعددة كتلاوة واحدة تكون الواحدة منها سببا والباقي تبع لها وهو أليق بالعبادات إذ السبب متى تحقق لا يجوز ترك حكمه؛ ولهذا يحكم بوجوبها في موضع الاحتياط حتى تبرأ ذمته بيقين والتداخل في الحكم أليق في العقوبات؛ لأنها شرعت للزجر فهو ينزجر بواحدة فيحصل المقصود فلا حاجة إلى الثانية، والفرق بينهما أن التداخل في السبب ينوب فيه الواحدة عما قبلها وعما بعدها، وفي التداخل في الحكم لا تنوب إلا عما قبلها حتى لو زنى ثم زنى في المجلس يحد ثانيا بخلاف حد القذف إذا أقيم مرة ثم قذفه مرارا لم يحد؛ لأن العار قد اندفع بالأول لظهور كذبه وقيد بكون الآية واحدة؛ لأن من قرأ القرآن كله في مجلس واحد لزمه أربع عشرة سجدة؛ لأن المجلس لا يجعل الكلمات المختلفة الجنس بمنزلة كلام واحد كمن أقر لإنسان بألف درهم ولآخر بمائة دينار ولعبده بالعتق لا يجعل المجلس الواحد الكل إقرارا واحدا، وكذا الحرج منتف وأطلق في المجلس فشمل ما إذا طال فإنه لا يتبدل به حتى لو تلاها في الجامع في زاوية ثم تلاها في زاوية أخرى لا يجب عليه إلا سجدة واحدة وكذلك حكم السماع وكذلك البيت والمحمل والسفينة في حكم التلاوة والسماع سواء كانت السفينة واقفة أو جارية وكذلك لا يختلف بمجرد القيام ولا بخطوة وخطوتين وكلمة أو كلمتين، ولا بلقمة أو لقمتين بخلاف ما إذا كان كثيرا وبخلاف ما إذا نام مضطجعا أو باع ونحوه فإنه يتبدل المجلس

وكذا لو أرضعت صبيا وكل عمل يعلم أنه قطع للمجلس بخلاف التسبيح ونحوه فإنه ليس بقاطع كالنوم قاعدا وفي الدوس وتسدية الثوب ورحا الطحن والانتقال من غصن إلى غصن والسبح في نهر أو حوض يتكرر على الأصح، ولو كررها راكبا على الدابة وهي تسير يتكرر إلا إذا كان في الصلاة؛ لأن الصلاة جامعة

ـــــــQنظر بل الكلام فيما إذا سجد لها فيها كما يرشد إليه التعليل وعبارة الزيلعي والنهر صريحة في أنه سجد لها فيها (قوله وهذا يفيد إلخ) الإشارة إلى قوله فلو لم يسجدها في الصلاة إلخ وقوله: وإن لم يأت بمناف حق التعبير أن يقال: ولم يأت بحذف إن وقوله وأن يراد بالخارج من حرمتها الظاهر عطفه بأو بدل الواو أي إن قولهم: الصلاتية لا تقضى خارجها إما أن يقيد بهذه الصورة أي تخصيص منه هذه الصورة وإما أن يراد بخارجها خارج حرمتها (قوله وكذلك البيت) قال في النهر إلا إذا كان كبيرا كدار السلطان." (١)

"في التواء من الرسغين. وقيل الصدف ميل في الحافر إلى الشق الوحشي وقيل أن يميل خف البعير من اليد أو الرجل إلى الجانب الوحشي فإن مال إلى الإنسي فهو لا يعد منه أيضا

والشدق بفتح الشين وكسر الدال سعة الشدق وهو جانب الفم منه أيضا وفي فتح القدير ومن العيوب العثار في الدواب إن كان كثيرا فاحشا وأكل العذار وعدم الختان في الغلام والجارية المولدين البالغين بخلافهما في الصغيرين وفي الجليب من

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري ابن نجيم ١٣٥/٢

دار الحرب لا يكون عيبا مطلقا وفي فتاوى قاضي خان وهذا عندهم يعني عدم الختان في الجارية المولدة أما عندنا عدم الخفض في الجوار لا يكون عيبا. اهـ.

وفي السراج الوهاج الزكام ليس بعيب والجنون عيب وكذا العمى والعور والشلل والصمم والخرس والإصبع الزائدة والناقصة والقروح والشجاج والأمراض كلها والأدر عيب وهو انتفاخ الأنثيين والعشا عيب وهو الذي لا يبصر بالليل وكذا العمش والعنين والخصي ولو اشتراه على أنه خصي فوجده فحلا لا خيار له والكذب والنميمة عيب فيهما وقلة الأكل في الدواب لا في بني آدم والنكاح في الجارية والغلام وإن طلقها زوجها رجعيا فله الرد وإن كان بائنا سقط وإذا وجدها محرمة عليه برضاع أو صهرية كأخته أو أم امرأته فليس بعيب لأنه يقدر على الانتفاع بتزويجها وأخذ العوض وإذا وجدها لا تحسن الطبخ والخبز فليس بعيب وإذا وجد في المصحف سقطا أو خطأ فهو عيب وإن كانت معتدة من طلاق بائن فليس بعيب لأنه لا سبيل للزوج عليها والحرمة عارضة كتحريم الحائض. اهـ.

وفي الخانية لو اشترى جارية وقبضها ثم ادعى أن لها زوجا وأراد أن يردها فقال البائع كان لها زوج أبانها أو مات عنها قبل البيع كان القول قول البائع ولا ترد عليه ولو أقام المشتري البينة على قيام النكاح لا تقبل بينته ولو أقام البينة على إقرار البائع بذلك قبلت بينته.

ولو قال البائع كان زوجها عبدي فلان أبانها قبل البيع والمشتري ينكر الطلاق كان القول قول البائع فإن حضر المقر له بالنكاح وأنكر الطلاق كان للمشتري أن يردها ولو قال البائع كان لها زوج عبدي يوم البيع فأبانها أو مات عنها قبل القبض أو بعده والمشتري ينكر الطلاق كان للمشتري أن يرد الجارية ولو كان لها زوج عند المشتري فقال البائع كان لها زوج عندي غير هذا الرجل أبانها أو مات عنها قبل البيع كان القول قول البائع اهـ.

وفي البزازية التخنث نوعان أحدهما بمعنى الرديء من الأفعال وهو عيب الثاني الرعونة واللين في الصوت والتكسر في المشي فإن قل لا يرد وإن كثر رده ولو اشترى غلاما أمرد فوجده محلوق اللحية يرد وعدم استمساك البول عيب ولو اشترى حبلى فولدت عند المشتري لا خصومة له مع البائع فإن ماتت في نفاسها رجع بنقصان الحبل إن لم يعلم به عند الشراء اشتراها على أنها صغيرة فإذا هي بالغة لا يردها والثقب في الأذنين إن واسعا فهو عيب في التركية إن عدوه عيبا لا في الهندية وإن وجد الحنطة مسوسة يرد لا رديئة وجع الضرس مرة بعد مرة عيب وإذا كانت إحدى العينين زرقاء والأخرى غير زرقاء أو إحداهما كحلاء والأخرى بيضاء فهو عيب وإذا كانت البقرة لا تحلب إن كان مثلها يشترى للحلب ردها وإن للحم لا وإن كانت تمص إحدى ثدييها له الرد.

وإن كانت الدابة بطيئة السير لا ترد إلا إذا شرط أنها عجول وكونها وكون العبد أكولا فليس بعيب وفي الجارية عيب لأنها تفسد الفراش اشترى عبدا فأصابه حمى في يده وكان في يد البائع أيضا إن اتحد الوقتان يرد وإن اختلف لا والثقب الكبير في الجدار عيب وكذا في بيوت النمل في الكرم إن فاحشا عيب وكذا لو كان فيه ممر الغير أو ميل الغير ولو وجد في المسك رصاصا ميزه ورده بحصته قل أو كثر ولو وجد في الشحم ملحا كثيرا أو وجد في الدهن ودكا كثيرا فكالحنطة أقر البائع بعد بيع

ــــــــQقوله وأكل العذار) في نسخة الرملي وأكل العذرة وكتب عليها فقال وفي نسخة العذار (قوله وكونها وكون العبد أكولا إلخ) عبارة الفتح وقلة الأكل في البقرة ونحوها وكثرته في الإنسان وقيل في الجارية عيب لا الغلام ولا شك أنه لا فرق إذا أفرط." (١)

"والكتاب مجمل فالتحق بيانا به

ــــــــQحدثنا عبد الله بن معاذ قال: حدثنا شعبة عن أبي بكر يعني ابن حفص بن عمر بن سعد سمع أبا عبيد الله عن أبيه عبد الرحمن السلمي أنه شهد «عبد الرحمن بن عوف سأل بلالا عن وضوء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: كان يخرج فيقضي حاجته فآتيه بالماء فيتوضأ فيمسح على عمامته وموقيه» .

فالجواب عنه أن المراد به مسح ما تحته من قبيل إطلاق اسم الحال على المحل، وأوله بعض أصحابنا أن بلالا كان بعيدا عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، فمسح النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يضع العمامة من رأسه فظن بلال أنه مسح على العمامة، وفي " الغاية " وبذكر المسح على العمامة تأويلان:

أحدهما: أن المسح عليها لم يكن عن قصد بل تبع بمسح البعض كما نشاهد ذلك إذا مسح على البعض وعلى الرأس عمامة.

الثاني: أنه يحتمل أن يكون به زكام فمسح على عمامته تكميلا للسنة بعد مسح الواجب منه يدل على ذلك اقتصاره على مقدم رأسه. وذكر المسح على عمامته في حديث رواه أبو داود عن أنس - رضي الله عنه - «أنه - عليه السلام - توضأ وعليه عمامة قطرية فأدخل يده تحت العمامة ومسح مقدم رأسه ولم ينقض العمامة» والقطرية بكسر القاف وسكون الطاء المهملة وكسر الراء ثياب حمر بها أعلام ينسب إلى قطر موضع بين عمان وسي البحر بكسر السين وسكون الياء آخر الحروف وهو ساحله، وقال الأزهري وقع في بعض الأحاديث الاقتصار على ذكر العمامة والخمار وفي بعضها على عمامته وخفيه أخرجه البخاري، وفي حديث المغيرة معهم الناصية، قال الخطابي والبيهقي في الجواب ما تحصيله أن المحتمل يحمل على الحكم وإنما حذف الراوي الناصية في بعضها لأن بعضها معلوم مقدمة فحذفه؛ لأن الله تعالى فرض مسح الرأس والعمامة ليست من الرأس فلا يترك اليقين بالمحتمل وقياسها على الخف بعيد؛ لأنه يشق نزعه.

م: (والكتاب مجمل فالتحق بيانا به) ش: هذا جواب عن سؤال مقدر تقديره أن يقال حديث المغيرة من أخبار الآحاد فلا يزاد به الكتاب، وتقرير الجواب أن هذا ليس من باب الزيادة على الكتاب بل الكتاب مجمل " فالتحق الخبر بيانا به " أي بالكتاب إذ التقدير التحق فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - بيانا به، والمجمل ما ازدحمت فيه المعاني وأشبه المراد به اشتباها لا يدرك نفس العبارة بل الرجوع في الاستفسار ثم الطلب ثم التأمل.

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري ابن نجيم ٦/٥٠

فإن قلت: نسلم أن الكتاب مجمل؛ لأن المجمل ما لا يمكن العمل به، الإتيان من المجمل والعمل بهذا النص ممكن بحمله على الأقل لتيقنه، قلت لا نسلم أن العمل به قبل التبيان في." [1]

"٨٦ – والمجدور (١) والمحصوب (٢) إذا خافا على أنفسهما [من] مس الماء تيمما للجنابة لكل صلاة أحدثا أم لا، ويغسل الجريح [في الجنابة] ما صح من بدنه، ويمسح على جراحه بالماء إن قدر، وإلا فعلى عصائبها، والذي أتت الجراح على أكثر جسده ولا يستطيع مسه بالماء، والذي غمرت الجراح جسده ورأسه فلم يبق له لا يد أو رجل، والصحيح الذي يخاف على نفسه الموت من الثلج أو البرد يتيممون كلهم للجنابة.

٨٧ – ويتيمم على الجبل والحصباء والثلج من لم يجد ترابا، وعلى طين

---

(١) الجدري: مرض فيروسي معد، يتميز بطفح جلدي حليمي يتقيح، ويعقبه قشر، يخلف ندوبا، الوسيط (١/١١٥) .

(٢) الحصبة: حمى حادة طفحية معدية تصحبها زكام وسعال وغير ذلك، تصيب الصغار أكثر من الكبار، حيث تأتي مرة واحدة في العمر، الوسيط (١/١٨٤) .." [2]

"عند المشتري في صغره يرده؛ لأنه عين ذلك العيب، وإن حدث عند المشتري بعد بلوغه لم يرده؛ لأنه غيره؛ لأن البول في الفراش من الصغير لضعف المثانة وبعد الكبر لداء في الباطن، والإباق في الصغر لحب اللعب وفي الكبر لخبث في القلب والسرقة لقلة المبالاة وهما بعد البلوغ لخبث في الباطن فكان الثاني غير الأول وسواء في ذلك الجارية، والغلام بيانه إذا وجد ذلك منهما في حال الصغر عند البائع، ثم وجد منهما في حال الكبر عند المشتري فله ردهما، وإن وجد عند المشتري بعد البلوغ ليس له أن يردهما؛ لأن الذي كان عند البائع في حالة الصغر زال بالبلوغ وما وجد عند المشتري بعد البلوغ عيب حادث، وإن وجد ذلك منهما عند الإدراك عند البائع ثم وجد ذلك عند المشتري فله ردهما فإن لم يوجد ذلك عند المشتري فليس له أن يرده بالعيب الموجود عند البائع وقوله: حتى يعاوده بعد البلوغ معناه إذا بال وهو بالغ في يد البائع، ثم باعه وعاوده في يد المشتري فله رده؛ لأن العيب واحد، والجنون في الصغر عيب أبدا فإذا جن في الصغر في يد البائع ثم عاوده في يد المشتري في الصغر، أو الكبر يرده؛ لأنه عين الأول؛ إذ السبب في الحالين متحد.

قوله: (والبخر والدفر عيب في الجارية وليس بعيب في الغلام) ؛ لأن المقصود من الجارية الافتراش وهما يخلان بها، والمقصود من العبد الاستخدام فلا يخلان به. قوله: (إلا أن يكون من داء) لأن الداء عيب وهو أن يكون بحيث يمنعه من قربان سيده، ثم البخر في الجارية عيب سواء كان فاحشا، أو غير فاحش من داء، أو غير داء، وفي الغلام إن كان من داء فكذلك، وإن لم يكن من داء إن كان فاحشا فهو عيب، وإلا فلا، والفاحش ما لم يكن في الناس مثله.

قوله: (والزنا وولد الزنا عيب في الجارية) ؛ لأنه يخل بالمقصود منها وهو الافتراش والاستيلاد. قوله: (وليس بعيب في الغلام)

---

(١) البناية شرح الهداية بدر الدين العيني ١/١٧٣

(٢) التهذيب في اختصار المدونة أبو سعيد ابن البراذعي ١/٢١١

لأنه لا يخل بالمقصود منه وهو الاستخدام إلا أن يكون الزنا عادة له بأن زنى أكثر من اثنين؛ لأن اتباع النساء مخل بالخدمة ولأن كون الجارية من الزنا يعير به ولده منها، والحبل عيب في بنات آدم وليس بعيب في البهائم؛ لأن الجارية تراد للوطء، أو للتزويج، والحبل يمنع من ذلك، وأما البهائم فهو زيادة فيها وليس بعيب وارتفاع الحيض في الجارية البالغة عيب وهي التي بلغت سبع عشرة سنة؛ لأنها لا تلد معه وكذا إذا كانت مستحاضة فهو عيب؛ لأن ارتفاع الدم واستمراره علامة الداء والسعال القديم عيب؛ لأنه مرض بخلاف **الزكام** فإنه ليس بعيب، والجنون، والجذام والبرص عيب وكذلك العمى، والعور والحول؛ لأنها تنقص الثمن، والصمم، والخرس، والأصبع الزائدة والناقصة، والقروح، والأمراض عيوب، والآدر وهو انتفاخ الأنثيين، والعنين، والخصي عيوب، وإذا اشترى عبدا على أنه خصي فوجده فحلا فلا خيار له وترك الصلاة والنميمة، والكذب عيب في العبيد، والإماء وقلة الأكل عيب في البهائم وليس بعيب في بني آدم والتخنيث في الغلام عيب.

قوله: (وإذا حدث عند المشتري عيب، ثم اطلع على عيب كان عند البائع فله أن يرجع بالنقصان ولا يرد المبيع) لأن في الرد إضرارا بالبائع؛ لأنه خرج من ملكه سالما ويعود معيبا وصورة الرجوع بالنقصان أن يقوم المبيع وليس به العيب القديم ويقوم وبه ذلك العيب فينظر إلى ما نقص من قيمته لأجل العيب وينسب من القيمة السليمة فإن كانت النسبة العشر رجع بعشر الثمن، وإن كانت النصف فبنصفه بيانه إذا اشترى ثوبا بعشرة دراهم وقيمته مائة درهم واطلع على عيب ينقصه عشرة دراهم وقد حدث به عيب آخر فإنه يرجع على البائع بعشر الثمن وذلك درهم، وإن كان ينقص من قيمته لأجل العيب عشرين رجع بخمس الثمن وهو درهمان ولو اشتراه بمائتين وقيمته مائة وينقص من قيمته لأجل العيب عشرة فإنه يرجع بعشر الثمن وذلك عشرون ولو كان العيب ينقصه عشرين رجع بخمس الثمن وذلك أربعون. قوله: (إلا أن يرضى البائع أن يأخذه منه بعيبه فله ذلك) لأنه رضي بإسقاط حقه، والتزام الضرر فإن رضي البائع بذلك وأراد المشتري حبس المبيع والرجوع بحصة العيب ليس له ذلك بل إن شاء المشتري أمسكه ولا يرجع بحصة العيب، وإن شاء رده.

قوله: (وإن قطع المشتري الثوب، أو خاطه قميصا، أو صبغه، أو لت السويق بسمن، ثم اطلع على عيب رجع بنقصانه وليس للبائع." (١)

"عظيمة فربما انصبت مادة خلطته لبعض الحواس أو بعض الأعضاء فحصلت لقوة أو فساد فيشمت به أعداؤه لتغير سمته فإذا دعي له بالرحمة اندفعت الشماتة من الأعداء ويحفظ السمت بفضل الله تعالى وكانت الجاهلية تتطير بالعطاس إلى ثلاث مرات وتجعلها شؤما فأعلم صاحب الشرع أنها رحمة من الله تعالى واقتصر بقولنا يرحمك الله على الثلاثة التي كانت الجاهلية تتشاءم بها إثباتا للضد ولهذا السر قيل له في الرابعة إنه مضنوك أي **مزكوم** ورد تفسره في الحديث بذلك وخصص الأفعال بمكان التطير إذ هو موضع الحاجة للمضادة وإبطال التطير قال الباجي وحق التحميد إنما يثبت لمن حمد الله تعالى قال مالك إذا لم يسمعه حمد الله تعالى فلا يشمته إلا أن يكون في حلقة كبيرة ورأي الذين يلونه يشمتونه فيشمته وفي

---

(١) الجوهرة النيرة على مختصر القدوري الحدادي ١٩٨/١

الصحيح عطس رجلان عند رسول الله لله فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر فقيل له قال هذا أحمد الله وهذا لم يحمده وينبغي للعاطس أن يسمع من يليه التحميد وإن عطس في الصلاة فلا يحمد الله إلا في نفسه لشغله بصلاته عن الذكر ولا يشمت أيضا غيره وعن سحنون ولا في نفسه وعن مالك يحمد الله ويصلي على محمد – صلى الله عليه وسلم – إذا رأى من يعجبه ويجزئ في التشميت واحد من الجماعة كالسلام وقال ابن مزين هو بخلاف السلام ويشمت الجميع لقوله – صلى الله عليه وسلم – إذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته ولأنه دعاء والاستكثار منه حسن والسلام إظهار لشعائر الإسلام كالأذان يكفي واحد منهم والتشميت على ظاهر مذهب مالك واجب على الكفاية وقال القاضي أبو محمد مندوب كابتداء السالم ووجه الأول الأول أن ظاهر أمره – صلى الله عليه وسلم –." (١)

"من يموت، كما بدأهم يعودون.

، وأن الله سبحانه ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات.

، وصفح لهم بالتوبة عن كبار

ـــــــوأما حديث الوفاة من قوله للنبي – صلى الله عليه وسلم –: هذا آخر وطأتي في الأرض فضعيف، ونقل بعض المحدثين أن عيسى نزل إلى الأرض بعد الرفع في حياة أمه وخالته فسكن ألمهما بإخبارهما بحاله ثم رفع حتى ينزل آخر الزمان. وسئلت عن حاله في السماء هل كان مكلفا أم لا؟ فأجبت بعدم تكليفه أخذا من قول السيوطي: هو ملازم للتسبيح كالملائكة، وحرر المسألة والحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه فبين الله كذبهم، وقيل لأجل أن يدفن في الأرض؛ لأن ما خلق من الأرض لا يدفن في السماء.

– ١

الفائدة الرابعة: في خروج يأجوج ومأجوج بالهمز ودونه فيهما وهما قبيلتان من ولد يافث بن نوح – عليه السلام –، فهما من ذرية آدم – عليه السلام – من غير خلاف. روى مسلم من حديث النواس بن سمعان: «أن الله تعالى يوحي إلى عيسى – عليه السلام – بعد قتله الدجال أني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد يقاتلهم فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون أي من كل نشر يمشون مسرعين، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ماءها وهي بالشام طولها عشرة أميال، ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه أثر ماء، ويحصرون عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم، فيرغب نبي الله وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأته زهمتهم، فيرغب إلى الله نبي الله وأصحابه فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله تعالى مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك. . .»

---

(١) الذخيرة للقرافي القرافي ٣٠١/١٣

الحديث. وقوله: لا يدان لأحد تثنية يده ومعناه لا قدرة ولا طاقة، ومعنى حرزهم إلى الطور ضمهم إليه واجعل لهم حرزا.
وقوله: النغف هو بتحريك الغين المعجمة الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم، وقوله: فرسى كقتلى وزنا ومعنى وواحده فريس.
وفي الثعلبي من حديث حذيفة «قلت: يا رسول الله ما يأجوج ومأجوج؟ قال: أمم كل أمة أربعمائة ألف لا يموت الرجل حتى يرى ألف عين تطوف بين يديه من صلبه وهم من ولد آدم، فيسيرون إلى خراب الدنيا فيشربون الفرات والدجلة وبحيرة طبرية وبيت المقدس فيقولون: قد قتلنا أهل الدنيا فقاتلوا من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم محمرا دما» . وقد روي «أن الدجال يقتله عيسى ابن مريم فيخرج بعده يأجوج ومأجوج فيقتلون من اتبع الدجال الذي قتله عيسى ويتحصن عيسى ومن معه في رءوس الجبال فيسلط الله عليهم داء في أعناقهم فيموتون كموت رجل واحد» .
١ -
الفائدة الخامسة: في الدخان والريح التي تقبض أرواح المؤمنين، وأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس قال الله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ [الدخان: ١٠] الآية، وقال ابن عباس وغيره: هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في أسماع الكفار والمنافقين ويعتري المؤمنين كهيئة **الزكام** وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص.
وفي مسلم: «أن الله يبعث ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة» .
وفيه أيضا: «تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة فلا يصل الإناء إلى فيه، والرجلان يتبايعان الثوب فلا يتبايعانه حتى تقوم الساعة، والرجل يليط حوضه فلا يصدر حتى تقوم الساعة» .

ولما قدم أن الساعة بمعنى القيامة وانقراض الدنيا وفنائها حق وكان يتوهم أن الذي يموت لا يعود قال: (وأن الله) سبحانه وتعالى لتمام قدرته (يبعث) أي يحيي كل (من يموت) ولو حرق وذري في الهواء؛ لأن البعث إعادة ما عدم بعد وجوده مثل ما كان، فيجب على كل مكلف اعتقاد حقيقة إعادة جميع العباد بعد إحيائهم بأجزائهم الأصلية التي من شأنها." (١)
"وأفضل له أن يتوضأ بعد أن يبدأ بغسل ما بفرجه أو جسده من الأذى، ثم يتوضأ وضوء الصلاة، فإن شاء غسل رجليه وإن شاء أخرهما إلى آخر غسله، ثم يغمس يديه في الإناء ويرفعهما غير قابض بهما شيئا فيخلل بهما أصول شعر رأسه، ثم يغرف بهما على رأسه ثلاث غرفات غاسلا له بهن

[باب في بيان صفة الغسل]
وتفعل ذلك المرأة وتضغث شعر رأسها وليس عليها
ــــــQوإن تبين عدم جنابته، وقيدنا الطهر بكونه من بعض المذكورات للاحتراز عما لو اغتسل لنحو الإحرام أو الجمعة

---
(١) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني النفراوي ٧١/١

فإنه لا يجزئه عن الوضوء.

(تنبيه) : وقع الاضطراب في تلك السنن في كونها للغسل أو الوضوء، والذي قاله الأجهوري في شرح خليل بعد قوله وسننه غسل يديه: أن السنة فيهما تتوقف على التثليث والمطلق والنية وكون الغسل قبل الإدخال في الإناء، وأن غسلهما للكوعين قبل غسل الأذى من سنة الغسل قطعا، وإن لم يكن هناك أذى يكون غسلهما من سنة الوضوء أيضا كالمضمضة والاستنشاق حيث توضأ بنية الغسل، وأما لو توضأ ناسيا للجنابة ثم بعد تمام وضوئه تذكر الجنابة وكمل غسل جسده فورا فإن السنن تكون للوضوء، وتلك الصورة أشار إليها خليل بقوله: وغسل الوضوء عن غسل محله ولو ناسيا لجنابته، وإنما أجزأت نية الوضوء عن نية الغسل لأنه من باب قيام واجب مقام جزء واجب لاشتراكهما في الوجوب، وأشار إلى الصفة الفاضلة بقوله: (وأفضل له أن يتوضأ) ولو بنية الأصغر لأنها تقوم مقام نية الأكبر في مواضع الوضوء. (بعد أن يبدأ بغسل ما بفرجه أو جسده من الأذى) بنية رفع الأكبر ليستغني عن الوضوء بعد تمام غسله.

وقوله: (ثم يتوضأ وضوء الصلاة) مكرر مع ما قبله أو الأول الوضوء اللغوي وهو غسل اليدين للكوعين، وحاصل المعنى بإيضاح: أنه يغسل يديه أولا لكوعيه بنية السنية قبل إدخالهما في الإناء ثم يزيل الأذى عن جسده بنية رفع الحدث الأكبر ثم يتوضأ وضوء الصلاة، وحديث ميمونة يقتضي أنه بعد إزالة الأذى لا يعيد غسل يديه لكوعيه، وغالب شراح خليل قائل بإعادة غسلهما، وقوله: وضوء الصلاة يوهم أنه يكرر غسل الأعضاء وليس كذلك بل مرة مرة.

قال خليل: ثم أعضاء وضوئه كاملة مرة مرة حتى مسح رأسه وأذنيه وغسل رجليه وهو المفهوم من قول خليل كاملة مرة.

قال شارحه التتائي: مسحا وغسلا فلا يؤخر غسل رجليه لفراغ غسله كان الموضع نظيفا أو وسخا وهو كذلك على المشهور، وإنما كان مرة فقط لأنه غسل حقيقة وصورة وضوء، وقال سيدي يوسف بن عمر بترك مسح رأسه وأذنيه لأنهما يغسلان فلا فائدة في مسحهما، وما قاله يوسف بن عمر يقويه حديث ميمونة وهو: «توضأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وضوء الجنابة وأكفى بيمينه على يساره مرتين أو ثلاثا ثم غسل فرجه ثم ضرب يده في الأرض أو الحائط مرتين أو ثلاثا ثم تمضمض واستنشق وغسل وجهه وذراعيه ثم أفاض على رأسه الماء ثم غسل جسده ثم تنحى فغسل رجليه» الحديث، فهذا صريح في أنه لا يمسح رأسه ولا أذنيه في هذا الوضوء ولم يغسل فيه رجليه أيضا، ولكن خليلا اعتمد على ما في الموطإ وغيره من حديث عائشة – رضي الله تعالى عنها –: «أنه – عليه السلام – كان إذا اغتسل من الجنابة توضأ وضوءه للصلاة ثم اغتسل ثم يخلل شعره بيديه» فظاهر قولها توضأ وضوءه للصلاة أنه يكمله ولكن في بعض طرقه غير رجليه، ولكن المشهور التكميل فيقدم غسل رجليه سواء كانتا طاهرتين أو متنجستين، هذا هو المشهور خلافا لمن فصل وخلافا لمن خير المشار إليه بقوله: (وإن شاء غسل رجليه) في أثناء وضوئه (وإن شاء أخرهما إلى آخر غسله) وهذا الخلاف في الغسل الواجب، وأما في غير الواجب فلا يجوز تأخير غسلهما لإخلاله بالفورية قاله ابن عمر وهو واضح

(تنبيه) : اختلف الشيوخ إذا أخر غسل رجليه هل يغسلهما بنية الوضوء أو الغسل؟ والذي قاله المصنف: ينوي بغسلهما الوضوء والغسل، وقال القابسي: لا يحتاج إلى نية الوضوء، واتفق الجميع على أنه لا ينوي به إتمام وضوئه. (ثم) بعد تمام ذلك الوضوء يغسل رجليه على المعتمد كما ذكرنا (يغمس يديه في الإناء) أو يفرغه عليهما إن لم يكن مفتوحا (ويرفعهما غير قابض بهما شيئا) من الماء لأن القصد البلل (فيخلل بهما أصول شعر رأسه) استحبابا لأن فيه فائدتين: طبية وفقهية،

فالطبية انسداد المسام التي في الرأس فيحصل الأمن من الزكام ومن قشعريرة الجسد عند صب الماء، والفقهية إيصال الماء إلى البشرة وإلى أصول الشعر بسهولة (ثم) بعد تخليل أصول شعر رأسه بيديه (يغرف بهما) الماء ويصبه (على رأسه) ثلاث مرات ب (ثلاث غرفات) جمع غرفة بالفتح ملء اليدين جميعا حالة كونه (غاسلا له) أي دالكا للرأس (بهن) قال العلامة ابن حبيب: ولا أحب أن ينقص من الثلاث شيئا ولو عم بواحدة لأنه فعل النبي – صلى الله عليه وسلم –، والمتبادر من كلام المصنف أنه يعم الرأس بكل واحدة من الثلاث، وقال ابن ناجي: إنه ظاهر كلام أهل المذهب وبه الفتوى خلافا لمن قال: كل واحدة على جانب والثالثة في الوسط لأنه لم يحصل بها." (١)

"يرحمك الله

ويرد العاطس عليه يغفر الله لنا ولكم أو يقول يهديكم الله ويصلح بالكم

ولا يجوز اللعب بالنرد

ولا

ــــــــالشيطان.

(تنبيه) ذكر المصنف ما ينبغي قوله عند رؤيته المكروه ولم يذكر ما يقوله عند رؤيته الشيء الحسن، وتعرض له في رواية مسلم ولفظه: «الرؤيا الصالحة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلا من يحب» وظاهره ولو لم يكن من أهل التعبير، وفي رواية النسائي: «فليعرضه على ذي رأي ناصح عالم بتعبير الرؤيا» لأنه الذي يجوز له الخوض في التعبير، بخلاف من لا معرفة له بعلم التأويل لا يجوز له التعبير اعتمادا على مجرد ما يراه في كتب التفسير، كما لا يجوز الإفتاء بالاعتماد على المسطر في الكتب من غير أخذ عن شيوخ العلم، لاحتمال خفاء قيد والاحتياط لمن رأى ما يحب كتم ما رآه إلا عن حبيب عالم بتأويل الرؤيا، بخلاف من رأى المكروه فإن المطلوب منه بعد قيامه الصلاة والسكوت عن التحديث بما رأى كما في رواية مسلم.

ولما فرغ من الكلام على الرؤيا شرع في أحكام التثاؤب بقوله: (ومن) بفتح الميم شرطية وشرطها (تثاءب) بمثناة ومثلثة وبالواو مصدرها التثاؤب.

قاله عياض، وقال الجوهري: تثاءب بالمد والهمز على وزن تفاعل، ولا يقال تثاوب بالواو ومعناه أصابه الكسل وانفتح فاه لدفع البخارات المحتقنة في عضلات الفك، وإنما يكون ذلك من امتلاء المعدة ومن الشيطان، وكما يورث الكسل يورث ثقل البدن وسوء الفهم والغفلة، وجواب الشرط (فليضع) ندبا (يده) اليمنى أو ظاهر اليسرى (على فيه) ولا يضع باطن اليسرى لأنها معدة لمباشرة الأقذار، على أن اليد ليست شرطا بل المقصود سد الفم لأن الشيطان يدخل فيه، وإذا فرغ منه

(١) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني النفراوي ١٤٨/١

وأزال يده نفث ثلاثا إن كان في غير صلاة، وإن كان في صلاة يستأنف القراءة من غير نفث، كما أنه لا ينفث في حال التثاؤب، ولما كان التثاؤب من الشيطان لم يتثاءب نبي لأن الشيطان لا يقرب الأنبياء.

(ومن) شرطية شرطها (عطس) بفتحات الماضي وبفتح أو ضم العين من المضارع وجواب الشرط (فليقل) ندبا (الحمد لله) مسمعا لمن يقرب منه لكي يشمته، لا إن كان في صلاة فلا يحمد لا جهرا ولا سرا، لأن ما هو فيه أهم بالاشتغال به كما نص عليه شراح خليل، وأفهم قوله فليقل الحمد لله أنه يأتي بخصوص الحمد.

وروي زيادة رب العالمين على كل حال حمدا كثيرا طيبا.

(فائدة) ورد في الحديث: «إذا تجشأ أحدكم أو عطس فلا يرفع بهما الصوت فإن الشيطان يحب أن يرفع بهما الصوت» وذكره في الجامع الصغير، وزاد بعض الشيوخ أن مثلهما رفع الصوت بالتثاؤب.

(و) يجب (على) جهة الكفاية على المشهور على كل (من سمعه يحمد) بفتح الميم (الله) بخصوص من لفظ الحمد لله ولم يكن في صلاة (أن يقول له يرحمك الله) ومثل سماعه العاطس سماع تشميت الله له فقد قال مالك: إذا لم يسمع حمد العاطس فلا يشمته إلا أن يرى تشميت الناس له فيشمته، ومن باب أولى في عدم تشميته لو ترك لفظ الحمد لله، ولو أتى بغيره من نحو قول العوام: أشهد أن الله حق، وينبغي لمن كان قريبا منه أن ينبهه عليه إذا تركه لكي يشمته كما جاء عن الأوزاعي أنه عطس عنده رجل ولم يقل الحمد لله فقال له بعبارة لطيفة: ما يقول العاطس؟ فقال: يقول الحمد لله، فقال له الأوزاعي: يرحمك الله، ونص علماؤنا على ندب تنبيه الإمام عند نسيانه التكبير خلف المفروضة في أيام النحر، ويرجح ما ذكرنا من ندب تنبيه العاطس على الحمد ما ورد من أن يسبق العاطس بالحمد يأمن من الشوص واللصوص والعلوص، أي وجع الضرس والأذن والبطن، الأول للأول، والثاني للثاني، وهكذا على الترتيب، وقولي: ولم يكن في صلاة لأن من في صلاة لا يجوز له تشميت العاطس، بل لو قال المصلي للعاطس: يرحمك الله عمدا أو جهلا بطلت صلاته، كما لا يرد المصلي على من سلم عليه باللفظ، فإن رد عمدا أو جهلا بطلت لا سهوا فيسجد الفذ والإمام إلا أن يكثر منه ذلك فتبطل صلاته ككثير كل سهو.

١ –

(تنبيهات) الأول: ما ذكره المصنف إنما هو في حق العاطس الرجل المسلم والمرأة المحرم أو الأجنبية المتجالة أو ما في معناها مما لا تميل إليها النفوس، وأما الشابة التي يخشى منها الفتنة إذا سمعها الرجل الأجنبي تعطس وسمع حمدها فلا يشمتها كما لا يرد سلامها، وأما الكافر فيقال له: هداك الله لما ورد من: «أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقول لليهود الذين يعطسون بحضرته: يهديكم الله ويصلح بالكم» ولا يجوز لأحد أن يقول للكافر يرحمك الله لأن الكافر لا يرحم إلا أن يؤمن.

١ –

الثاني: ظاهر كلام المصنف أنه يجب على السامع تشميت العاطس، ولو تكرر حمده لتكرر عطاسه وهو كذلك إلا أن يزيد على الثلاث لما ورد من الحديث: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم فحمد الله كان حقا على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله إلا أن يزيد على ثلاث فلا يشمته ويقول له: إنك مضنوك» أي مزكوم، وظاهر كلام

المصنف أيضا وجوب تشميته ولو سمعه في حال قضاء حاجته، وربما يدل لهذا الظاهر قول الذخيرة: لم يكره ابن القاسم للعاطس أن يحمد الله." (١)

"بالشطرنج

ولا بأس أن يسلم على من يلعب بها

ويكره الجلوس إلى من يلعب بها والنظر إليهم

ولا بأس بالسبق

ــــــــQوهو يبول وكرهه ابن عباس في الخلاء والجماع، فإن الأجهوري قال عقبه: وإذا لم يكره للعاطس الحمد في حال البول مع أنه مستحب أو سنة فلا يكره التشميت في هذه الحالة الأولى لأنه فرض كفاية على أرجح الأقوال، ولكن ذكر العلامة بهرام في شامله أن قاضي الحاجة لا يلتفت ولا يرد سلاما ولا يحمد إن عطس ولا يشمت غيره، ويظهر لي أنه يمكن الجمع بينهما بحمل ما في الذخيرة على فرضية التشميت، وما في الشامل على عدم فرضيته لأن الخلاء يطلب فيه السكوت إلا لمهم، وغير الفرض ليس من المهم والله أعلم.

الثالث: ما ذكرناه من فرضية التشميت على الكفاية على أحد أقوال أربعة وهو أرجحها وهو المتبادر من قوله – صلى الله عليه وسلم –: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقا على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله» وأما التثاؤب فهو من الشيطان، وكان – صلى الله عليه وسلم – إذا عطس يضع يده أو ثوبه على فيه حتى لا يرفع صوته وقال: «إذا عطس أحدكم أو تجشأ فلا يرفعن بهما صوته فإن الشيطان يحب أن يرفع بهما الصوت» .

الرابع: إنما طلب من العاطس الحمد لما في العطاس من الرحمة والمنفعة للعاطس لأنه يخفف الدماغ ويسهل بعض العبادات. وفي الحديث: «أنه يقطع عرق الفالج، والسعال يقطع عرق البرص، **والزكام** يقطع عرق الجذام، والرمد يقطع عرق العمر» . وورد: «من سعادة المرء العطاس عند الدعاء وأول من عطس آدم» وإنما طلب من سامعه تشميته بيرحمك الله لأنه عند عطاسه تتزلزل أعضاؤه فيطلب الدعاء له بالرحمة كما طلب منه الحمد على نعمة عودها كما كانت، ولذلك قال بعض العلماء: معنى التشميت بالشين المعجمة أبعد الله عنك الشماتة وجنبك ما يشمت بك، ويقال فيه تسميت أيضا بالسين المهملة ومعناه: جعلك الله على سمت حسن، لأن عند العطاس يشبه حال الأموات مع فتح فيه مع التكشر.

(و) يندب أن (يرد العاطس عليه) أي على من شمته بيرحمك الله بأن يقول له جواب يرحمك الله. (يغفر الله لنا ولكم أو يقول) له (يهديكم الله ويصلح بالكم) أي حالكم وقيل قلبكم فهو مخير بين اللفظين كما قاله مالك – رضي الله عنه –

---

(١) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني النفراوي ٢/٣٤٨

فإنه قال أي ذلك قاله فحسن، فمقتضاه أنه لا مزية لأحدهما على الآخر وهو كذلك لورود كل من اللفظين في السنة خلافا لمن ادعى المفاضلة، وقال العلامة ابن رشد ومثله لابن شاس: الجمع بينهما حسن.

(تنبيه) إنما كان المشمت يقول يرحمك الله بالإفراد والعاطس يرد عليه بيغفر الله لنا ولكم بالجمع لأن الملائكة تشمت العاطس أيضا، فلذلك طلب الجمع لأنهم مع المشمت جمع هكذا قاله الأجهوري، وتقدم أن سامع الحمد من العاطس يجب عليه تشميته ولو اقتصر على لفظ الحمد لله ولم يزد رب العالمين.

[اللعب بالنرد]

ثم شرع في حكم اللعب بالملاهي بقوله: (ولا يجوز) بمعنى يحرم على ما في الجواهر على كل مكلف (اللعب بالنرد) ولو مجانا لقوله – صلى الله عليه وسلم –: «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه» .

وقال – عليه الصلاة والسلام –: «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله» والنردشير هو النرد

[اللعب بالشطرنج]

(ولا) يجوز أيضا اللعب (بالشطرنج) بفتح الشين المعجمة والقياس كسرها ويقال بالسين المهملة أيضا، وما ذكرناه من عدم جواز اللعب بالشطرنج هو الذي ارتضاه الحطاب فإنه حمل الكراهة الواقعة في كلام بعض على التحريم وهو قول أحمد بن حنبل والشافعي أيضا، حتى قال إمامنا مالك – رضي الله عنه –: الشطرنج ألهى من النرد وأشر، ومقتضى اشتراط الإدمان في اللعب به لرد شهادة من يلعب به إبقاء الكراهة على بابها، إلا أن يراد بالإدمان اللعب به أكثر من مرة في السنة كما قالوا في رد الشهادة بالكذب الكثير فإنهم فسروا الكثير بأن يزيد في السنة على مرة وإلا لم يقدح مع أن الكذب حرام، ولعل هذا هو المتعين في فهم كلام الشيوخ، ولا يشكل على اشتراط ما ذكر في رد الشهادة مع حرمة ردها بفعل المباح المزري، فإن مقتضى الإباحة عدم رد الشهادة به وإن أدامه وأكثر منه، لأنا نقول: إدامة المزري مخلة بالعدالة المشترطة في الشهادة، فالإكثار من المزري كالإكثار من المحرم في رد الشهادة، ومحصل الجواب أنه لا يلزم من الحرمة الإزراء بدليل تفرقتهم في الصغيرة بين صغيرة الخسة فترد الشهادة مطلقا مثل النظرة للأجنبية وسرقة لقمة ونحو ذلك لدلالة ما ذكر على دناءة الهمة، وأما صغائر غير الخسة فلا تقدح إلا بشرط الإدمان عليها مع حرمة كل صغيرة.

(تنبيه) وقع الخلاف في اللعب الطاب وهو معروف عند العامة، وكذا في المنقلة، والذي ذكره بهرام في شرح خليل الحرمة في الطاب وجعله مثل النرد، وأما المنقلة فاستظهر بعض الشيوخ الكراهة فيها، وكل هذا حيث لا قمار وإلا فالحرمة فيهما من غير نزاع.

ولما كان يتوهم من عصيان أصحاب الملاهي عدم السلام عليهم قال: (ولا بأس) أن يؤذن في (أن يسلم) بالبناء للمجهول ونائب الفاعل (على من) شأنه أن (يلعب بها) أي الملاهي وإنما قلنا شأنه لأن المتلبس باللعب لا يجوز السلام عليه.

قال الأجهوري: لأنه متلبس بمعصية.

ولما فرغ من حكم." [1]

"مضنوك أو مزكوم ومن حسن الأدب أن يخفي المتجشي صوته ويكره ان يتناجى رجلان دون ثالث معهما وكذلك يكره أن يتناجى جماعة أكثر من ثلاثة دون واحد وذلك في السفر أو كدن ويكره للمسافرين اتخاذ الأجراس والأوتار في اعناق الخيل ولا بأس بالتداوي من كل علة بما يرجى به برؤها ما لم يكن حراما ولا بأس بالكي وقطع العرق والحجامة ولا بأس بالرقية من العين وغيرها وإذا رقى الذمي المسلم بكلمات الله وأسمائه جاز ومن عان رجلا توضأ له على ما جاء في غسل العائن وقد أوضحناه في كتاب التمهيد والحمد لله وعيادة المريض سنة مؤكدة وأفضل العيادة أخفها ولا يطيل العائد الجلوس عند العليل إلا أن يكون صديقا يأنس به ويره ذلك منه ومن عاد مريضا أو زار صحيحا فليجلس حيث يأمره فالمرء أعلم بعورة منزله ومن ملكه الله عبدا فلا يكلفه من العمل فوق طاقته وعليه نفقته وكسوته بالمعروف لمثله غير مضر به ولا يضيق عليه وإن كانت له خاصة من مطعمة فلينله منها بما يرد شهوته ولا يستخدمه ليلا إلا عند الضرورة والحاجة إلا من اليسير والأمة كالعبد في كل ما ذكرنا ولا يكلف العبد غير ذي الصنعة الكسب فيسرق." [2]

"لا يشمته وفي حديث عمر – رضي الله تعالى عنه – قال للعاطس بعد الثلاث: قم فانتثر فإنك مزكوم إلا أن يكون ذهب من ذلك المكان ثم رجع فقرأها فعليه سجدة أخرى لأنه تجدد له بالرجوع مجلس آخر ويتجدد المجلس بتجدد السبب للتلاوة حكما. وعن محمد – رحمه الله – قال: هذا إذا بعد عن ذلك المكان فأما إذا كان قريبا منه لم يلزمه سجدة أخرى فكأنه تلاها في مكانه لحديث أبي موسى الأشعري – رضي الله تعالى عنه – إنه كان يعلم الناس بالبصرة وكان يزحف إلى هذا تارة وإلى هذه تارة فيعلمهم آية السجدة ولا يسجد إلا مرة واحدة وإن قرأ آية أخرى وهو في مجلسه فعليه سجدة أخرى لأن السبب قد تجدد فإن السجدة الثانية غير الأولى

[عدد سجود القرآن]

ثم ذكر عدد سجود القرآن وهي أربع عشرة سجدة عندنا وكان ابن عباس – رضي الله تعالى عنه – يقول: عدد سجود القرآن إحدى عشرة سجدة وليس في المفصل عنده سجدة وكان يعد الأعراف والرعد والنحل وبني إسرائيل ومريم والحج الأولى منها والفرقان والنمل والم تنزيل وص وحم السجدة قال سعيد بن جبير: وسألت ابن عمر – رضي الله عنهم – فعدهن كما عدهن ابن عباس – رضي الله تعالى عنه – إحدى عشرة سجدة وقال: ليس في المفصل شيء منها وهكذا ذكر الكرخي – رضي الله عنه – في الجامع الصغير له وليس في المفصل عنده سجدة. والذي في سورة (ص) عنده سجدة شكر والاختلاف بين العلماء في مواضع منها في الحج عندنا سجدة التلاوة الأولى منهما وعند الشافعي – رضي الله عنه – سجدتان الأولى والثانية لحديث مسرع بن ماهان عن عقبة بن عامر قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «في الحج سجدتان» أو قال «فضلت الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأهما» وهو مروي عن عمر ومذهبنا مروي عن ابن

---

(١) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني النفراوي ٢/٣٤٩

(٢) الكافي في فقه أهل المدينة ابن عبد البر ٢/١١٤٢

عباس وابن عمر – رضي الله عنهم – قال: سجدة التلاوة هي الأولى والثانية سجدة الصلاة وهو الظاهر فقد قرنها بالركوع فقال ﴿: اركعوا واسجدوا﴾ [الحج: ٧٧] والسجدة المقرونة بالركوع سجدة الصلاة وتأويل الحديث فضلت الحج بسجدتين إحداهما سجدة التلاوة والأخرى سجدة الصلاة ويختلفون في التي في سورة (ص) عندنا وهي سجدة التلاوة وعند الشافعي – رضي الله عنه – سجدة الشكر وفائدة الاختلاف إذا تلاها في الصلاة عندنا يسجدها وعند الشافعي لا يسجدها واستدل بما روي «عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه تلا في خطبته سورة ص فنشز الناس للسجود فقال: علام نشزتم إنها توبة نبي».

(ولنا) ما روي «أن رجلا من الصحابة قال: يا رسول الله رأيت فيما يرى النائم كأني أكتب سورة ص فلما انتهيت إلى." (١)

"فيه النص يتمسك بالأصل، وهو لزوم الإحرام إلى أن يؤدي الأفعال إلا أن يشترط ذلك عند الإحرام فحينئذ يصير التحلل له حقا بالشرط لما روي «أن ضباعة عمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ورضي الله عنها كانت شاكية فقال لها أهلي بالحج واشترطي أن تحلي حيث حبست» فلو كان لها أن تتحلل من غير شرط لما أمرها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالشرط، والمعنى فيه أن ما ابتلي به لا يزول بالتحلل فلا يكون له أن يتحلل كالذي ضل الطريق أو أخطأ العدد أو سرقت نفقته بخلاف المحصر بالعدو فإن ما ابتلي به هناك يزول بالتحلل لأنه يرجع إلى أهله فيندفع شر العدو عنه، وحجتنا في ذلك قوله تعالى ﴿فإن أحصرتم﴾ [البقرة: ١٩٦] فإن أهل اللغة يقولون إن الإحصار لا يكون إلا في المرض، ففي العدو يقال حصر فهو محصر، وفي المرض يقال أحصر فهو محصر، وقال الفراء – رحمه الله تعالى – يقال في العدو والمرض جميعا أحصر، وحصر في العدو خاصة فقد اتفقوا على أن لفظة الإحصار تتناول المريض، وقوله ﴿فإذا أمنتم﴾ [البقرة: ١٩٦] لا يمنع من حمله على المرض، ومعناه إذا برئتم قال – صلى الله عليه وسلم – «**الزكام** أمان من الجذام، والدمامل أمان من الطاعون» فعرفنا أن لفظة الأمن تطلق في المرض.

وفي الحديث عن الحجاج بن عمر – رحمه الله تعالى – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال «من كسر أو عرج فعليه الحج من قابل» فذكر لابن عباس، وأبي هريرة – رضي الله تعالى عنهما – فقالا صدق، وعن الأسود بن يزيد قال خرجنا من البصرة عمارا أي معتمرين فلدغ صاحب لنا فأعرضنا الطريق لنسأل من نجده فإذا نحن بركب فيهم ابن مسعود – رضي الله تعالى عنه – فسألناه عن ذلك فقال ليبعث صاحبكم بدم ويواعد المبعوث على يديه أي يوم شاء فإذا ذبح عنه حل، والمعنى فيه أن المعنى الذي لأجله ثبت حق التحلل للمحصر بالعدو موجود هنا، وهو زيادة مدة الإحرام عليه لأنه إنما التزم أن يؤدي أعمال الحج، وبتعذر الأداء تزداد مدة الإحرام عليه، ويلحقه في ذلك ضرب مشقة فأثبت له الشرع حق التحلل، وهذا المعنى موجود هنا فقد يزداد عليه مدة الإحرام بسبب المرض والمشقة عليه في المكث محرما مع المرض أكثر فيثبت له حق التحلل بطريق الأولى، والدليل على أن المعنى هذا لا ما قال إن العدو إذا أحاطوا به من الجوانب الأربعة أو حبسوه في موضع لا يزول ما به بالتحلل بأن إن كان لا يمكنه الرجوع إلى أهله مع ذلك يثبت له حق التحلل عرفنا أن المعنى ما قلنا

(١) المبسوط للسرخسي السرخسي ٦/٢

فأما الذي ضل الطريق عندنا فليس محصرا لأنه إن وجد من يبعث بالهدي على يده فذلك الرجل يهديه إلى الطريق فلا حاجة به إلى." (١)

"على فيه وخفض أو غض بها صوته " رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وإذا تكرر العطاس من إنسان متتابعا فالسنة أن يشمته لكل مرة إلى أن يبلغ ثلاث مرات فإن زاد وظهر أنه **مزكوم** دعا له بالشفاء ولو عطس يهودي فالسنة أن يقول ما ثبت عن أبي موسى قال "كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجون أن يقول لهم يرحمكم الله فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم " رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح *." (٢)

"المذكور يفعل ذلك سبع مرات ثم يدقه ويكتحل في كل يوم مرتين أو ثلاثا إن قدر ففعل فلما كان بعد فراغه من سابع مرة جاء ليدقه فلم يقدر لكثرة رطوبته ونعومته فعمل منه مثل الميل الذي يكتحل به وجعل يكتحل به كل يوم كما تقدم فبرئ وزاد بصره حسنا وقوة.

[صفة دواء لضعف المعدة]

مرض بعض الناس بمعدته فرأى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو يشير بهذا الدواء وهو أن يأخذ كل يوم على الريق وزن درهم من الورد المربى ويكون ملتوتا بالمصطكى بعد دقها ويجعل فيه سبع حبات من الشونيز يفعل ذلك سبعة أيام ففعله فبرئ.

[صفة دواء للنزلة]

مرض بها بعض الناس واشتد عليه **الزكام** فرأى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو يشير بهذا الدواء وهو أن يأخذ القرفة والفلية وبزر قطونا والكثيراء والأنيسون والشونيز وأن يدق الشونيز ويخلط الجميع ويشمه فأخذ هذا الجميع ودقه وجعله في خرقة وشمه فبرئ.

[صفة دواء لقطع الدم إذا جرى عقيب السقط كثيرا]

وقع ذلك لزوجة بعض الناس وكان قد جرى لها دم كثير حتى أضعفها فشكا ذلك للشيخ – رحمه الله – فرأى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو يشير بهذا الدواء وهو أن يأخذ كل يوم على الريق عسل النحل بعد لته بالشونيز يفعل ذلك أسبوعين ويزيد على ذلك في الأسبوع الأول في كل يوم منه سبع تمرات عجوة يأكلها بعد ما يرقيها برقية الزيت المتقدم ذكرها ويزيد على ذلك قراءة آية السحر من البقرة وهي من قوله ﴿يعلمون الناس السحر﴾ [البقرة: ١٠٢]." (٣)

---

(١) المبسوط للسرخسي السرخسي ١٠٨/٤

(٢) المجموع شرح المهذب النووي ٦٣٢/٤

(٣) المدخل لابن الحاج ابن الحاج ١٢٧/٤

"(وإنما قلنا إن للرد لفظين لأن الرواية جاءت بهما) (١) وإنما قلنا إن قوله: يهديكم الله أفضل لقوله – صلى الله عليه وسلم –: "وليقل يهديكم الله ويصلح بالكم" (٢) ولأن الهداية أفضل من المغفرة لأنها قد تعرى من الذنوب، والمغفرة لا تكون إلا لذنب، وإنما قلنا إن التشميت يسقط مع الموالاة لقوله – صلى الله عليه وسلم – "إن عطس فشمته ثم إن عطس فشمته ثم إن عطس فقال إنك مضنوك" (٣) يريد مزكوم.

فصل [٢٠ – في خصال الفطرة]:

وعشر من الفطرة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد، فالتي في الرأس المضمضة والاستنشاق والسواك وقص إطار الشارب، وإعفاء اللحية، والتي في الجسد: حلق العانة ونتف الإبط وتقليم الأظفار والاستنجاء والختان (٤)، وإنما قلنا ذلك لورود الروايات بذلك، فأما المضمضة والاستنشاق والسواك والختان فقد ذكرنا حكم جميعها.

فصل [٢١ – في قص الشارب]:

فأما قص إطار (٥) الشارب فلقوله – صلى الله عليه وسلم – "أحفوا الشوارب" (٦) (ومعنى ذلك قص ما زاد من أطرافه (٧)، وروي أنه – صلى الله عليه وسلم – كان يأمر بقص شاربه (٨)

---

(١) ما بين قوسين من م.

(٢) سبق تخريج الحديث قريبا.

(٣) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق باب تشميت العاطس: ٤/ ٢٢٩٣.

(٤) انظر الموطأ: ٢/ ٩٢١، الرسالة: ٢٧٢، الكافي: ٦١٢.

(٥) إطار: سقطت من م، والإطار: طرف الشعر المستدير على الشفه (الرسالة: ٢٧٢).

(٦) أخرجه مسلم في الطهارة باب خصال الفطرة: ١/ ٢٢٢.

(٧) أطرفه مطموسة في ق.

(٨) أخرجه الترمذي في الأدب باب ما جاء في قص الشارب: ٥/ ٨٦، وقال هذا حديث حسن غريب.." [١]

"وحمل الشارح كلام أحمد في الرواية الأولى على أن الساعي لا يأخذها فأما رب المال فيخرج إذا بلغ ماله نصابا واستدل له (١).

والقمح والشعير والقطاني (٢) ... تضم (٣) في النصاب كالأثمان

وعنه لا والشيخ هذا الثاني ... فعنده الأصح يا معاني (٤)

يعني: أن سائر الحبوب من القمح والشعير والعدس والحمص والأرز والجلبان (٥) والسمسم والدخن واللوبيا والفول والماش (٦) ونحوها كلها تضم (٧) بعضها إلى بعض في تكميل النصاب اختارها أبو بكر، وهذا (٨) قول عكرمة وحكاه ابن المنذر عن طاووس؛ لقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "لا زكاة في حب ولا ثمر حتى يبلغ خمسة أوسق" (٩). فمفهومه

---

[١] المعونة على مذهب عالم المدينة القاضي عبد الوهاب ص/١٧٠٤

(١٠) وجوب الزكاة فيه إذا بلغ خمسة أوسق، ولأنها تتفق في النصاب وقدر المخرج فوجب ضم بعضها إلى بعض كأنواع الجنس كالذهب (١١) والفضة، وهذا معنى قوله كالأثمان.

---

(١) بأنه قد روى الميموني وحنبل عنه رحمه الله: أنه لا يأخذ المتصدق منها شيئا؛ لأن لا يجمع بين متفرق وصاحبها إذا ضبط ذلك وعرفه أخرجها بنفسه ووضعها في الفقراء. الشرح الكبير ٢/ ٥٤٦.

(٢) في نظ القطان.

(٣) في د يضم للنصاب، وفي س يضم النصاب.

(٤) في أ، جـ، طط بالمعاني.

(٥) الجلبان: قال في القاموس ١/ ٤٨: نبت. وفي المنجد ص ٩٦: نبات عشبي من فصيلة القطانيات الفراشية، فيه أنواع تزرع لحبها ولكلئها، وأنواع تزرع لزهرها المختلف الألوان.

(٦) الماش: حب يؤكل مطبوخا وهو معتدل وخلطه محمود نافع للمحموم والمزكوم ملين، وإذا طبخ بالخل نفع الجرب المتقرح وضماده يقوي الأعضاء الراهية القاموس ٢/ ٢٨٨ والمنجد ٧٨٠.

(٧) في ط يضم.

(٨) سقطت الواو من النجديات، هـ ط.

(٩) رواه مسلم ٩٧٩.

(١٠) في د، س مفهومه وفي ط مفهوم.

(١١) في د، وهو الذهب.." (١)

"ولا جهاد على صبي، ومجنون،

ويتكرر التشميت بتكرر العطاس ثلاثا، فإذا علمه مزكوما .. دعا له بالشفاء.

ويستحب للعاطس أن يجيبه فيقول: يهديكم الله، أو يغفر الله لك، إلا الكافر فيقال: يهديك الله، ولا يجب ذلك، بخلاف جواب السلام.

ويستحب أن يجاب المنادي بلبيك، وأن يقال لمن ورد: مرحبا، ولمن أحسن إليه: جزاك الله خيرا، أو حفظك الله، ونحو ذلك، وإعلام من أحبه في الله بمحبته.

قال: (ولا جهاد على صبي، ومجنون) لما فرغ من بيان فرضية الجهاد وما يتعلق به .. أخذ في بيان ما يسقطه وهو نوعان: حسي وشرعي، وبدأ بالأول، وهو سبعة، ترك منها واحدا، وهو العمى؛ لوضوحه فالصبي والمجنون لا جهاد عليهما؛ لعدم تكليفهما، ولقوله تعالى: ﴿ليس على الضعفاء﴾ الآية، قيل: هم الصبيان؛ لضعف أبدانهم، وقيل: المجانين؛ لضعف عقولهم،

---

(١) المنح الشافيات بشرح مفردات الإمام أحمد البهوتي ٢٩٢/١

ولأن النبي صلى الله عليه وسلم رد زيد بن أرقم ورافع بن خديج والبراء بن عازب وأبا سعيد الخدري وزيد بن حارثة الأنصاري وابن عمر يوم بدر لما استصغرهم)، ورد ابن عمر يوم أحد، وأجازه في الخندق، رواه الشيخان [خ ٢٦٦٤٠ – م١٨٦٨].
وكذلك اتفق لسعد بن حبتة الأنصاري جد أبي يوسف القاضي، ولما رآه النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق يقاتل قتالا شديدا وهو حديث السن .. قال: (أسعد الله جدك، اقترب مني) فاقترب منه فمسح رأسه ودعا له بالبركة في ولده ونسله، فكان عما لأربعين، وخالا لأربعين، وجدا لعشرين، كذا ذكره ابن دحيحة وغيره).
وممن استصغر يوم أحد عرابة بن أوس، وكان من سادات قومه، يقاس في الجود بعبد الله بن جعفر، لقي الشماخ الشاعر وهو يريد المدينة، فسأله عما أقدمه؟ فقال:." (١)

"بين ما إذا تلا السجدة بالعربية أو بالفارسية في قول أبي حنيفة – رحمه الله تعالى – حتى قال أبو حنيفة: يلزمه السجود في الحالين.
وأما في حق السامع فإن سمعها ممن يقرأ بالعربية فقالوا: يلزمه بالإجماع فهم أو لم يفهم؛ لأن السبب قد وجد فيثبت حكمه ولا يقف على العلم اعتبارا بسائر الأسباب، وإن سمعها ممن يقرأ بالفارسية فكذلك عند أبي حنيفة بناء على أصله أن القراءة بالفارسية جائزة، وقال أبو يوسف في الأمالي: إن كان السامع يعلم أنه يقرأ القرآن فعليه السجدة وإلا فلا وهذا ليس بسديد؛ لأنه إن جعل الفارسية قرآنا ينبغي أن يجب سواء فهم أو لم يفهم كما لو سمعها ممن يقرأ بالعربية، وإن لم يجعله قرآنا ينبغي أن لا يجب وإن فهم.

اجتمع سببا الوجوب وهما: التلاوة، والسماع بأن تلا السجدة ثم سمعها، أو سمعها ثم تلاها أو تكرر أحدهما فنقول: الأصل أن السجدة لا يتكرر وجوبها إلا بأحد أمور ثلاثة: إما اختلاف المجلس، أو التلاوة، أو السماع حتى أن من تلا آية واحدة مرارا في مجلس واحد تكفيه سجدة واحدة، والأصل فيه ما روي أن جبريل – عليه السلام – كان ينزل بالوحي فيقرأ آية السجدة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يسمع ويتلقن ثم يقرأ على أصحابه وكان لا يسجد إلا مرة واحدة وروي عن أبي عبد الرحمن السلمي معلم الحسن والحسين – رضي الله عنهم – أنه كان يعلم الآية مرارا وكان لا يزيد على سجدة واحدة والظاهر أن عليا – رضي الله عنه – كان عالما بذلك ولم ينكر عليه. وروي عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – أنه كان يكرر آية السجدة حين كان يعلم الصبيان وكان لا يسجد إلا مرة واحدة ولأن المجلس الواحد جامع للكلمات المتفرقة كما في الإيجاب والقبول ولأن في إيجاب السجدة في كل مرة إيقاع في الحرج لكون المعلمين مبتلين بتكرار الآية لتعليم الصبيان والحرج منفي بنص الكتاب ولأن السجدة متعلقة بالتلاوة والمرة الأولى هي الحاصلة للتلاوة فأما التكرار فلم يكن لحق التلاوة بل للتحفظ أو للتدبر والتأمل في ذلك، وكل ذلك من عمل القلب ولا تعلق لوجوب السجدة به فجعل الإجراء على اللسان الذي هو من ضرورة ما هو فعل القلب أو وسيلة إليه من أفعاله فالتحق بما هو فعل القلب وذلك ليس بسبب، كذا علل الشيخ أبو منصور.

(١) النجم الوهاج في شرح المنهاج الدَّمِيري ٣٠٥/٩

(وأما) الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – بأن ذكره أو سمع ذكره في مجلس واحد مرارا فلم يذكر في الكتب وذهب المتقدمون من أصحابنا إلى أنه يكفيه مرة واحدة قياسا على السجدة وقال بعض المتأخرين يصلى عليه في كل مرة لقوله – صلى الله عليه وسلم – «لا تجفوني بعد موتي فقيل له: وكيف نجفوك يا رسول الله؟ فقال: أن أذكر في موضع فلا يصلى علي» وبه تبين أنه حق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وحقوق العباد لا تتداخل، وعلى هذا اختلفوا في تشميت العاطس إن من عطس وحمد الله تعالى في مجلس واحد مرارا فقال بعضهم: ينبغي للسامع أن يشمت في كل مرة؛ لأنه حق العاطس والأصح أنه إذا زاد على الثلاث لا يشمته لما روي عن عمر – رضي الله عنه – أنه قال للعاطس في مجلسه بعد الثلاث: قم فانتثر فإنك مزكوم.

(ثم) لا فرق ههنا بين ما إذا تلا مرارا ثم سجد وبين ما إذا تلا وسجد ثم تلا بعد ذلك مرارا في مجلس واحد حتى لا يلزمه سجدة أخرى فرق بين هذا وبين ما إذا زنى مرارا أنه لا يحد إلا مرة واحدة ولو زنى مرة ثم حد ثم زنى مرة أخرى يحد ثانيا وكذا ثالثا ورابعا، والفرق أن هناك تكرر السبب لمساواة كل فعل الأول في المأثم، والقبح وفساد الفراش، وكل معنى صار به الأول سببا إلا أنه لما أقيم عليه الحد جعل ذلك حكما لكل سبب فجعل بكماله حكما لهذا وحكما لذاك وجعل كأن كل سبب ليس معه غيره في حق نفسه لحصول ما شرع له الحد وهو الزجر عن المعاودة في المستقبل، فإذا وجد الزنا بعد ذلك انعقد سببا كالذي تقدم فلا بد من وجود حكمه بخلاف ما نحن فيه؛ لأن ههنا السبب هو التلاوة والمرة الأولى هي الحاصلة بحق التلاوة على ما مر فلم يتكرر السبب وهذا المعنى لا يتبدل بتخلل السجدة بينهما وعدم التخلل لحصول الثانية بحق التأمل والتحفظ في الحالين.

وكذا السامع لتلك التلاوات المتكررة لا يلزمه إلا بالمرة الأولى؛ لأن ما وراءها في حقه جعل غير سبب بل تبعا للتأمل والحفظ؛ لأنه في حقه يفيد المعنيين جميعا أعني الإعانة على الحفظ والتدبر بخلاف ما إذا سمع إنسان آخر المرة الثانية أو الثالثة أو الرابعة وذلك في حقه أول ما سمع حيث تلزمه السجدة؛ لأن ذلك في حقه سماع التلاوة؛ لأن كل مرة تلاوة حقيقة إلا أن الحقيقة جعلت ساقطة." (١)

"وجابر وأنس – رضي الله عنهم –.

وروي عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «أتاني آت من ربي، وأنا بالعقيق، فقال: قم فصل في هذا الوادي المبارك ركعتين، وقل: لبيك بعمرة في حجة» حتى روي عن أنس – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يصرخ بها صراخا، ويقول: لبيك بعمرة في حجة فدل أنه – صلى الله عليه وسلم – كان قارنا.

وروي عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «تابعوا بين الحج والعمرة فإن المتابعة بينهما تزيد في العمر، وتنفي الفقر» ، ولأن القران، والتمتع جمع بين عبادتين بإحرامين، فكان أفضل من إتيان عبادة واحدة بإحرام واحد، وإنما كان القران أفضل من التمتع؛ لأن القارن، حجته وعمرته آفاقيتان؛ لأنه يحرم بكل واحدة منهما من الآفاق، والمتمتع عمرته آفاقية، وحجته مكية؛ لأنه يحرم بالعمرة من الآفاق، وبالحجة من مكة.

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع الكاساني ١/١٨١

والحجة الآفاقية أفضل من الحجة المكية لقوله تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ [البقرة: ١٩٦] ، وروينا عن علي، وابن مسعود – رضي الله عنهما – أنهما قالا: إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك، وما كان أتم فهو أفضل.

وأما ما رواه الشافعي فالمشهور ما روينا، والعمل بالمشهور أولى مع ما أن فيما روينا زيادة ليست في روايته.

والزيادة برواية العدل مقبولة على أنا نجمع بين الروايتين على ما هو الأصل عند تعارض الدليلين أنه يعمل بهما بالقدر الممكن، فنقول: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قارنا لكنه كان يسمي العمرة والحجة في التلبية بهما مرة، وكان – صلى الله عليه وسلم – يلبي بهما لكنه كان يسمي بإحداهما مرة، إذ تسمية ما يحرم به في التلبية ليس بشرط لصحة التلبية فراوي الإفراد سمعه يسمي الحجة في التلبية فبنى الأمر على الظاهر، فظنه مفردا فروى الإفراد، وراوي القران وقف على حقيقة الحال فروى القران.

[فصل بيان حكم المحرم إذا منع عن المضي في الإحرام]

(فصل) :

وأما بيان حكم المحرم إذا منع عن المضي في الإحرام، وهو المسمى بالمحصر في عرف الشرع فالكلام في الإحصار في الأصل في ثلاث مواضع: في تفسير الإحصار أنه ما هو، ومم يكون، وفي بيان حكم الإحصار، وفي بيان حكم زوال الإحصار.

أما الأول فالمحصر في اللغة هو الممنوع، والإحصار هو المنع، وفي عرف الشرع هو اسم لمن أحرم ثم منع عن المضي في موجب الإحرام، سواء كان المنع من العدو أو المرض أو الحبس أو الكسر أو العرج، وغيرها من الموانع من إتمام ما أحرم به حقيقة أو شرعا، وهذا قول أصحابنا.

وقال الشافعي: لا إحصار إلا من العدو، ووجه قوله أن آية الإحصار، وهي قوله تعالى: ﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي﴾ [البقرة: ١٩٦] نزلت في أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين أحصروا من العدو، وفي آخر الآية الشريفة دليل عليه، وهو قوله عز وجل: ﴿فإذا أمنتم﴾ [البقرة: ١٩٦] والأمان من العدو يكون.

وروي عن ابن عباس، وابن عمر – رضي الله عنهما – أنهما قالا لا حصر إلا من عدو، ولنا عموم قوله تعالى: ﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي﴾ [البقرة: ١٩٦] ، والإحصار هو المنع، والمنع كما يكون من العدو يكون من المرض وغيره، والعبرة بعموم اللفظ عندنا لا بخصوص السبب؛ إذ الحكم يتبع اللفظ لا السبب، وعن الكسائي، وأبي معاذ أن الإحصار من المرض، والحصر من العدو.

فعلى هذا كانت الآية خاصة في الممنوع بسبب المرض.

وأما قوله عز وجل ﴿فإذا أمنتم﴾ [البقرة: ١٩٦] فالجواب عن التعلق به من وجهين: أحدهما – أن الأمن كما يكون من العدو يكون من زوال المرض؛ لأنه إذا زال مرض الإنسان أمن الموت منه أو أمن زيادة المرض.

وكذا بعض الأمراض قد تكون أمانا من البعض كما قال النبي: – صلى الله عليه وسلم – «الزكام أمان من الجذام» ، والثاني – أن هذا يدل على أن المحصر من العدو مراد من الآية الشريفة، وهذا لا ينفي كون المحصر من المرض مرادا منها، وما روي عن ابن عباس، وابن عمر – رضي الله عنهما – أنه إن ثبت فلا يجوز أن ينسخ به مطلق الكتاب، كيف وإنه لا

يرى نسخ الكتاب بالسنة، وقد روي أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال «من كسر أو عرج فقد حل، وعليه الحج من قابل» ، وقوله حل، أي: جاز له أن يحل بغير دم؛ لأنه لم يؤذن له بذلك شرعا، وهو كقول النبي – صلى الله عليه وسلم – «إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم» ، ومعناه: أي حل له الإفطار فكذا ههنا معناه حل له أن يحل، ولأنه إنما صار محصرا من العدو، ومن خصاله التحلل لمعنى هو موجود في المرض وغيره، وهو الحاجة إلى الترفيه، والتيسير لما يلحقه من الضرر والحرج بإبقائه على الإحرام مدة مديدة.

والحاجة إلى الترفيه والتيسير متحققة في المريض ونحوه، فيتحقق الإحصار، ويثبت موجبه بل أولى؛ لأنه يملك دفع." (١)

"وهو في اللغة المنع مطلقا يقال حصره العدو وأحصره المرض قال الله تعالى ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾ [البقرة: ٢٧٣] وفي الشرع هو منع الوقوف والطواف فإذا قدر على أحدهما فليس بمحصر

قال – رحمه الله – لمن أحصر بعدو أو مرض أن يبعث شاة تذبح عنه ويتحلل وقال الشافعي: لا إحصار إلا بعدو؛ لأن آية الإحصار نزلت في حق النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه وكانوا محصرين بالعدو وقال في سياق الآية ﴿فإذا أمنتم﴾ [البقرة: ١٩٦] والأمن يكون من العدو لا من المرض والنص الوارد في العدو لا يكون واردا في المرض؛ لأنه ليس في معناه؛ لأن التحلل بالهدي ليتخلص من أمر العدو بالرجوع إلى أهله ولا يمكنه التخلص من المرض؛ لأنه حال لا يفارقه بالإحلال ولأن الله – تعالى – قال في سياق آية الإحصار ﴿فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ [البقرة: ١٩٦] وهذا يدل على أن المريض غير المحصر ولولا أنه غيره لم يكن لذكره معنى بعد ذكر المحصر، ولنا قوله تعالى ﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي﴾ [البقرة: ١٩٦] وجه الاستدلال به أن الإحصار يكون بالمرض وبالعدو الحصر لا الإحصار كذا قال أهل اللغة منهم الفراء وابن السكيت وأبو عبيد وأبو عبيدة والكسائي والأخفش والقتيبي وغيرهم من أهل اللغة المتقنين لهذا الفن، وقال أبو جعفر النحاس: على ذلك جميع أهل اللغة فعلم بذلك أن الآية نزلت في الإحصار بالمرض، ولئن كان الإحصار بغيره فهو مطلق فيتناوله وغيره من الأعذار ولا وجه لما ذكره من السبب؛ لأن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، والأمان يستعمل في المرض «قال – عليه الصلاة والسلام – الزكام أمان من الجذام»

ــــــQهو من العوارض النادرة وكذا الفوات فأخرهما. اهـ. فتح قال في المشكلات: الباب المتقدم بيان جناية المحرم على نفسه، وفي هذا الباب بيان جناية الغير على المحرم أو يقول في الأبواب المتقدمة: إحرام مع الأداء، وفي هذا الباب إحرام بلا أداء. اهـ. (قوله في المتن لمن أحصر) أي عن المضي إلى الحج أو العمرة اهـ ع وفي المحيط والبدائع والتحفة والمرغيناني والإسبيجابي وغيرها أن المرأة إذا أحرمت بغير زوج أو محرم أو مات محرمها أو زوجها بعد إحرامها فهي محصرة، والعدو يكون من المشركين والبغاة وقطاع الطريق، وفي المغرب من المسلمين وغيرهم وبمعناه في المبسوط وغيره. اهـ. غاية (قوله بعدو) أي من بني آدم أو من حيوان اهـ ع (قوله في المتن أو بيعث شاة) قال العيني: أي بعث شاة؛ لأن أن مصدرية في محل الرفع على الابتداء وخبره قوله: لمن أحصر. اهـ. (قوله: وقال الشافعي) أي ومالك وإسحاق وإحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع الكاساني ١٧٥/٢

اه غاية (قوله لا إحصار إلا بعدو) والمحصر من العدو ونحوه يبقى على إحرامه سنين حتى يطوف البيت، ويتحلل بأفعال العمرة كفائت الحج. اهـ. غاية (فائدة) وأما من سرقت نفقته ذكر ابن شجاع عن محمد أنه إذا كان يقدر على المشي لا يتحلل، وإن لم يقدر فهو محصر يتحلل بالهدي هكذا قال أبو يوسف ولا يبعد أن لا يلزمه المشي في الابتداء، ويلزمه بعد الشروع كالحج التطوع لا يلزم ابتداء، ويلزم بالشروع وكالفقير لا يلزمه حجة الإسلام ابتداء، ويلزمه الإتمام بعد الشروع فيه كذا في المبسوط. اهـ. كاكي

أو كالذي ضل الطريق فهو محصر إلا أنه يزول إحصاره بوجود من يبعث معه هدي التحلل فإنه به يذهب المانع؛ إذ يمكنه الذهاب معه إلى مكة هو كالمحصر الذي لا يقدر على الهدي فيبقى محرما إلى أن يحج إن زال الإحصار قبل فوات الحج، أو يتحلل بالطواف والسعي إن استمر الإحصار حتى فاته الحج هذا إذا جهل في الحل، أما إن ضل في أرض الحرم فعلى قول من أثبت الإحصار في الحرم إذا لم يجد أحدا من الناس له أن يذبح إن كان معه الهدي، ويحل كذا ذكر والذي يظهر من تعليل منع الإحصار في الحرم تخصيصه بالعدو أما إن أحصر بغيره فالظاهر تحققه على قول الكل، والله أعلم. اهـ. فتح (قوله: لا من المرض) إنما يكون من المرض الشفاء. اهـ. كاكي (قوله: وجه الاستدلال به أن الإحصار إلخ) وقيل: حصر وأحصر بمعنى واحد قاله أبو عمر والشيباني، وحكى ابن فارس أن ناسا يقولون: حصره المرض، وأحصره العدو، وقال ابن قتيبة: الإحصار بهما، والحصر بالعدو. اهـ. غاية (قوله: فعلم بذلك أن الآية نزلت إلخ) أي ودخول المحصور في الآية بدلالة النص؛ لأن العذر بالعدو في المنع أقوى؛ لأن المريض ربما وصل إلى مقصده بالدابة والمحمل والاستعانة بغيره كحرمة ضرب الأبوين، فإنه ثابت بدلالة النص ويسمى فحوى الخطاب، أو نقول: العلة المبيحة للتحلل من الإحصار قدر مشترك، وهو المنع على ما مر، وهو موجود في العدو والمرض فيعم بعموم العلة. اهـ. غاية (قوله: ولئن كان) هذا جواب ثان على تقدير تسليم ما قالوا اهـ

(قوله: الزكام أمان من الجذام) أي والدمل أمان من الطاعون. اهـ. غاية «وقال – عليه الصلاة والسلام – من سبق العاطس بالحمد لله أمن من الشوص واللوص والعلوص» والشوص وجع السن واللوص وجع الأذن والعلوص وجع البطن. اهـ. كاكي وقد جمعها بعضهم في بيتين فقال

من يستبق عاطسا بالحمد يأمن من ... شوص ولوص وعلوص كما وردا

عنيت بالشوص داء الضرس ثم بما ... يليه للأذن والقلب اتبع رشدا

اهـ الحمد لله سئل الشيخ العلامة الحافظ ابن حجر هل ورد هذا الحديث وما المراد بالثلاث فأجاب: الحديث ذكره ابن الأثير في نهاية الغريب ولفظه من سبق العاطس بالحمد أمن من الشوص واللوص والعلوص والأول بفتح الشين المعجمة وجع الضرس وقيل وجع في البطن من ريح والثاني وجع الأذن وقيل وجع المخ والثالث بكسر العين المهملة وفتح اللام الثقيلة وسكون الواو وآخره مهملة هو وجع في البطن من التخمة والحديث ضعيف اهـ." (١)

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي الزيلعي ، فخر الدين ٧٧/٢

"ومحرم كذلك؛ لأن أبا بكر قبل خد عائشة لحمى أصابتها رواه أبو داود، ويسن تقبيل قادم من سفر ومعانقته للاتباع الصحيح في جعفر – رضي الله عنه –، لما قدم من الحبشة، ويحرم نحو تقبيل الأمرد الحسن غير نحو المحرم ومس شيء من بدنه بلا حائل كما مر

. ويسن تشميت العاطس بمهملة ومعجمة؛ لأن العطاس حركة مزعجة ربما تولد عنه نحو لقوة فناسب أن يدعى له بالرحمة المتضمنة لبقائه على سمته وخلقته والمانعة من شماتة عدوه به إذا حمد بيرحمك الله أو ربك.
وإنما سن في السلام ردا وجوابا ضمير الجمع ولو للواحد لأجل الملائكة الذين معه كما مر، ولصغير بنحو: أصلحك الله، أو: بارك فيك، ويكره قبل الحمد، فإن شك قال: يرحم الله من حمده أو يرحمك الله إن حمدته، ويسن تذكيره الحمد للخبر المشهور «من سبق العاطس بالحمد أمن من الشوص» أي: وجع الضرس واللوص أي: وجع الأذن والعلوص وهو وجع البطن، وتكرير التشميت إلى ثلاث ثم بعدها يدعو له بالشفاء، وقيده بعضهم بما إذا علمه **مزكوما**؛ وحذفوه لأن الزيادة على الثلاث مع تتابعها عرفا مظنة **الزكام** ونحوه، يظهر أنها لو لم تتابع كذلك يسن التشميت بتكررها مطلقا ويسن للعاطس وضع شيء على وجهه وخفض
ـــــــــــQاهـ ع ش (قوله: ومحرم إلخ) عطف على طفل (قوله: ويسن تقبيل إلخ) وتندب المصافحة مع بشاشة الوجه والدعاء بالمغفرة وغيرها للتلاقي، ولا أصل للمصافحة بعد صلاتي الصبح والعصر ولكن لا بأس بها فإنها من جملة المصافحة، وقد حث الشارع عليها وإن قصد بابا لغيره مغلقا يندب أن يسلم على أهله ثم يستأذن، فإن لم يجب أعاده إلى ثلاث مرات فإن أجيب فذاك وإلا رجع، فإن قيل له بعد استئذانه: من أنت ندب أن يقول: فلان بن فلان، أو نحوه مما يحصل به التعريف التام، ولا بأس أن يكني نفسه أو يقول: القاضي فلان أو الشيخ فلان أو نحوه إذا لم يعرفه المخاطب إلا به، ويكره اقتصاره على قوله أنا أو الخادم، وتندب زيارة الصالحين والجيران غير الأشرار والإخوان والأقارب وإكرامهم بحيث لا يشق عليه ولا عليهم فتختلف زيارتهم باختلاف أحوالهم ومراتبهم وفراغهم، ويسن أن يطلبه منهم أن يزوروه وأن يكثروا زيارته بحيث لا يشق، وتندب عيادة المرضى مغني وروض مع شرحه (قوله: تقبيل قادم) أي: وجهه صالحا أم لا اهـ أسنى (قوله: من سفر) أي: أو نحوه اهـ أسنى.
(قوله: ومعانقته) ويكره ذلك أي: التقبيل والمعانقة لغير القادم من سفر أو نحوه، ولا فرق في هذا بين أن يكون المقبل والمقبل صالحين أم فاسقين أم أحدهما صالحا والآخر فاسقا ذكر ذلك في الأذكار اهـ روض مع شرحه.
(قوله: غير نحو المحرم) كالملك أي: من غير شهوة كما هو ظاهر اهـ ع ش

(قوله ويسن) إلى قوله، وإنما سن في المغني إلا قوله بمهملة إلى إذا حمد.
(قوله: ويسن تشميت العاطس إلخ) ، ويندب رد التثاؤب ما استطاع فإن غلبه ستر فمه بيده أو غيرها وأن يرحب بالقادم المسلم بأن يقول له: مرحبا وأن يلبي المسلم المنادي له بأن يقول: له لبيك وسعديك أو لبيك فقط، أما الكافر فلا. قال الأذرعي: والذي يظهر تحريم تلبية الكافر والترحيب به، وبعيد استحباب تلبية الفاسق والترحيب به أيضا، وأن يخبر أخاه

بحبه له في الله وأن يدعو لمن أحسن إليه بأن يقول جزاك الله خيرا أو حفظك الله أو نحوهما، ولا بأس بقوله للرجل الجليل في علمه أو صلاحه أو نحوهما: جعلني الله فداك أو فداك أبي وأمي، ودلائل ما ذكر من الأحاديث الصحيحة كثيرة مشهورة اهـ روض مع شرحه وكذا في المغني إلا قوله: قال الأذرعي إلى وأن يخبر (قوله: بمهملة إلخ) أي: في التشميت اهـ شرح القاموس (قوله: نحو لقوة) اللقوة داء في الوجه اهـ قاموس (قوله: والمانعة إلخ) عطف على قوله المتضمنة (قوله: إذا حمد) متعلق بيسن، وقوله: بيرحمك الله متعلق بتشميت العاطس، عبارة المغني والروض مع شرحه: والتشميت للمسلم بيرحمك الله أو ربك ويرد بيهديك الله أو يغفر الله لكم، وتشميت الكافر بيهديك الله ونحوه لا بيرحمك الله اهـ.

(قوله: ردا) الأصوب ابتداء (قوله لأجل الملائكة الذين معه) فيه توقف إذ مع العاطس ملائكة أيضا ويناقشه أيضا قوله: الآتي بنحو يهديكم الله بضمير الجمع (قوله: ولصغير) أي: وما تقدم لكبير ويشمت لصغير إلخ وظاهره ولو غير مميز فليراجع (قوله: بنحو أصلحك الله إلخ) كأنشأك الله إنشاء صالحا اهـ ع ش (قوله: ويكره إلخ) أي: التشميت ظاهره ولو لصغير وعلى تسليمه ينبغي اختصاصه بالمميز فليراجع (قوله: قبل الحمد) أي: فلا يعتد به ويأتي به ثانيا بعد الحمد اهـ ع ش (قوله: قال يرحم الله من حمده إلخ) أي: وتحصل بها سنة التشميت اهـ ع ش (قوله: ويسن تذكيره الحمد) أي: إن تركه اهـ مغني.

(قوله: والعلوص) كسنور اهـ قاموس (قوله وتكرير التشميت) إلى قوله وقيده في المغني (قوله يدعو له بالشفاء) كعافاك الله أو شفاك الله اهـ ع ش (قوله وقيده) أي: الدعاء بالشفاء (قوله: وحذفوه) أي: حذف غيره ذلك القيد (قوله: ويظهر) عبارة النهاية والأوجه اهـ.

(قوله: إنها) أي: العطاس الزائدة (قوله: كذلك) أي: عرفا اهـ ع ش (قوله بتكررها) الأولى التذكير (قوله: مطلقا) أي: زاد على الثلاث أم لا (قوله: ويسن) إلى قوله ولم يجب في المغني إلا قوله للحديث إلى وإجابة.

(قوله وضع شيء) يده أو ثوبه أو نحوه اهـ مغني (قوله: وخفض

ــــــــــSوتقبيل خد طفل ولو لغيره لا يشتهى وأطراف شفته مستحب. اهـ.

(قوله: ويسن تشميت العاطس إلخ) قال في شرح الروض: وإذا قال العاطس لفظا آخر غير الحمد لم يشمت إلى أن قال صرح بذلك في الروضة. (قوله: ويظهر أنها لو لم تتابع كذلك يسن التشميت بتكررها إلخ) عبارة شرح الروض فإن تكرر منه العطاس متواليا سن تشميته لكل مرة إلى ثلاث إلخ فتقييده بقوله متواليا يفهم ما ذكره الشارح بقوله ويظهر إلخ." (١)

". . . . .

ــــــــــQويندب ذكر الميم في الواحد وزيادة ورحمة الله وبركاته ابتداء وردا اهـ ق ل على الجلال وسواء كان المسلم مقبلا على الجماعة أو كان معهم وأراد فراقهم فيجب عليهم الرد في الحالين كما يستحب الابتداء فيهما اهـ من ح ل في باب الجمعة ومثله في شرح م ر هنا (قوله أيضا ورد سلام) أي مندوب ولو مع رسول أو في كتاب ويجب الرد فورا ويندب الرد على

---

(١) تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي ابن حجر الهيتمي ٢٣٠/٩

المبلغ والبداءة به فيقول وعليك وعليه السلام اهـ شرح م ر وقوله من مسلم عاقل أي غير متحلل به من صلاته وغير فاسق فخرج بغير متحلل سلام المتحلل من الصلاة إذا نوى الحاضر عنده فلا يلزمه رده على الأوجه ويفرق بينه وبين سلام التلاقي بأن القصد به الأمن وهو لا يحصل إلا بالرد وهنا التحلل من الصلاة مع قصد الحاضر به ليعود عليه بركته وذلك حاصل وإن لم يرد وإنما حنث به الحالف على ترك الكلام والسلام لأن المدار فيهما على صدق الاسم لا غير ولا يلزمه سلام فاسق أو مبتدع زجرا له أو لغيره وإن شرع سلامه اهـ حج

ويجب الرد وإن كرهت صيغته نحو عليكم السلام أو عليكم سلام وصيغته ابتداء السلام عليكم أو سلامي عليكم ويجزئ مع الكراهة عليكم السلام ويجب فيه الرد وكعليكم السلام عليكم سلام أما لو قال وعليكم السلام فلا يكون سلاما ولم يجب رده وندبت صيغة الجمع لأجل الملائكة في الواحد ويكفي الإفراد فيه بخلافه في الجمع والإشارة بيد أو نحوها من غير لفظ خلاف الأولى والجمع بينهما وبين اللفظ أفضل وصيغته ردا وعليكم السلام أو وعليك السلام للواحد ويجوز ترك الواو فإن عكس جاز فإن قال وعليكم وسكت لم يجز اهـ شرح م ر.

وعبارة حج وصيغته ابتداء وجوابا عليك السلام وعكسه ويجوز تنكير لفظه وإن حذف التنوين فيما يظهر وإنما لم يجز في سلام الصلاة حتى عند الرافعي كما هو ظاهر لأنه ليس في معنى الوارد بوجه وجزم غير واحد بأنه يجزي سلام عليكم وكذا سلام الله قيل لا سلامي عليك وفيه نظر بل الأوجه إجزاؤه والأفضل في الرد أو قبله وتضر في الابتداء كالاقتصار في أحدهما على أحد جزأي الجملة وإن نوى إضمار الآخر اهـ عليك رد لسلام الذمي خلافا لما يوهمه كلام الجواهر ويسن عليك في الواحد نظرا لمن معه من الملائكة وزيادة رحمة الله وبركاته ومغفرته ولا تجب وإن أتى المسلم بها ويظهر إجزاء سلمت عليك وأنا مسلم عليك ونحو ذلك أخذا مما مر أنه يجزي في صلاة التشهد صلى الله على محمد والصلاة على محمد ونحوهما انتهت ثم قال م ر في شرحه ولا يستحق مبتدئ بنحو صبحك الله بالخير أو قواك الله جوابا والدعاء في نظيره حسن ما لم يقصد بإهماله تأديبه لتركه سنة السلام وحني الظهر مكروه وكذا بالرأس وتقبيل نحو الرأس أو يد أو رجل كذلك ويندب ذلك لنحو علم أو صلاح أو شرف أو ولادة أو نسب أو ولاية مصحوبة بصيانة

قال ابن عبد السلام أو لمن يرجى خيره أو يخاف من شره ولو كافرا خشي منه ضررا لا يحتمل عادة ويكون على جهة البر والإكرام لا الرياء والإعظام ويحرم على داخل أحب قيام القوم له إلا إن أحبه جودا منهم عليه فلا حرمة فيه لما أنه صار شعارا للمودة وسن تشميت العاطس إذا حمد بيرحمك الله أو ربك وإنما سن ضمير الجمع في السلام ولو لواحد للملائكة الذين معه ولصغير بنحو أصلحك الله أو بارك فيك ويكره قبل الحمد فإن شك قال يرحم الله من حمده أو يرحمك الله إن حمدته ويسن تذكيره الحمد ومن سبق العاطس بالحمد أمن من الشوص وهو وجع الضرس واللوص وهو وجع الأذن والعلوص وهو وجع البطن كما جاء بذلك الخبر المشهور اهـ شرح م ر وقد نظم هذه الثلاثة شيخنا الحنفي فقال

من يبتدي العاطس بالحمد يأمن من ... شوص ولوص وعلوص كذا وردا

عنيت بالشوص داء الضرس ثم بما ... يليه بطنا فأذنا فاستمع رشدا

ثم قال م ر في شرحه ويكرر التشميت إلى ثلاث ثم يدعو له بعدها بالشفاء ولا حاجة لتقييد بعضهم ذلك بما إذا علم كونه

مزكوما لأن الزيادة المذكورة مع تتابعها عرفا مظنة الزكام ونحوه والأوجه أنها لو لم تتتابع كذلك سن التشميت بتكررها مطلقا ويسن للعاطس وضع شيء على وجهه وخفض صوته ما أمكن وإجابة." (١)

". . . . .

ــــــــQفقال الرسول لفلان زيد يسلم عليك فلا اعتداد به ولا يجب الرد كذا نقله م ر عن والده واعتمده وقوله فلا اعتداد به إلخ وهل يجب عليه استفصاله لاحتمال أن المرسل أتى بصيغة السلام أم لا لاحتمال أنه لم يأت بها ثم رأيت المحشي نقل عن م ر أنه يجب الرد على من قال فلان يسلم عليك حملا له على أنه أتى بصيغة سلام شرعية وأن محل عدم الوجوب إذا علم أنه لم يأت بها.

(فرع) ثان يلزم الرسول إذا تحمل السلام الإبلاغ لأنه أمانة شرعية قال م ر ولعله بعد التحمل رد التحمل بحضرة المرسل ولا يصح رده في غيبته لأنه لا يعقل رده في غيبته فليتأمل هذا هل هو منقول وعلى تسليمه فالظاهر أنه بخلاف ما لو جاء كتاب وفيه سلم لي على فلان فله رده في الحال لأنه لم يحصل تحمل وإنما طلب منه تحمل هذه الأمانة عند وصول الكتاب إليه فله أن لا يتحملها بأن يردها في الحال فليتأمل اهـ سم وفي القسطلاني على البخاري من باب مشروعية الحمد للعاطس والحكمة فيه كما قاله الحليمي أن العاطس يدفع الأذى من الدماغ الذي فيه قوة الفكر ومنه تنشأ الأعصاب التي هي معدن الحسن وبسلامته تسلم الأعضاء فيظهر بهذا أنه نعمة جليلة تناسب أن تقابل بالحمد وتشميت العاطس بالشين المعجمة والسين المهملة فالأول أصله إزالة شماتة الأعداء والتفعيل للسلب نحو جلدت البعير أي أزلت جلده فاستعمل في الدعاء بالخير لتضمنه ذلك فكأنه دعا له أن لا يكون في حال من يشمت به أو أنه إذا حمد الله أدخل على الشيطان ما يسوء فشمت هو بالشيطان ويصح أن يكون معناه صان الله شوامته أي قوائمه التي بها قوام بدنه عن خروجها عن الاعتدال وشوامت كل شيء قوائمه التي بها قوامه فقوام الدابة سلامة قوائمها التي ينتفع بها إذا سلمت وقوام الآدمي بسلامة قوائمه التي بها قوامه وهو رأسه وما يتصل به من عنق وصدر والثاني معناه دعاء له بأن يكون على سمت حسن وذلك لأن العاطس ينحل كل عضو في رأسه وما يتصل به من العنق ونحوه فكأنه إذا قيل يرحمك الله كان معناه أعطاك الله رحمة يرجع بها ذلك إلى حاله قبل العطاس من غير تغير

ولفظ الحمد من العطاس جاء في روايات ففي رواية «الحمد لله» وفي «أخرى الحمد لله على كل حال» وفي أخرى «الحمد لله رب العالمين» وفي أخرى «الحمد لله رب العالمين على كل حال» وفي أخرى «الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه» قال الحافظ ابن حجر ولا أصل لما اعتاده الناس من استكمال قراءة الفاتحة بعد العطاس وكذا العدول عن الحمد إلى أشهد أن لا إله إلا الله وقال أبو عبد الله قال جماعة من علمائنا أي المالكية أن تشميت العاطس فرض عين وقواه ابن القيم وقال قوم هو فرض كفاية يسقط بفعل البعض وقال به أبو حنيفة وجمهور الحنابلة وقال الشافعية مستحب على الكفاية وقد خص من عموم الأمر بتشميت العاطس من لم يحمد الله تعالى فلا يسن تشميته وكذا الكافر ومن تكرر عطاسه وزاد على ثلاثة فلا يسن بعدها تشميته بل يسن أن يقول له بعد الثالثة أنت مزكوم أي أنت لست ممن يشمت لأن الذي

---

(١) حاشية الجمل على شرح المنهج = فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب الجمل ١٨٤/٥

بك مرض وليس من العطاس المحمود الناشئ عن خفة البدن فيدعى له بالعافية فلذلك لا يشمت العاطس بعلاج لأن عطاسه ليس ناشئا عن الطبيعة

وكذلك يخص من العموم من كره التشميت من المشمت فلا يسن تشميته ممن كره تشميته وهذا يطرد في السلام وعيادة المريض فلا تسن الثلاثة لمن كرهها من المشمت والمسلم والعائد خصوصا إذا خاف منه ضررا كعادة سلاطين مصر لا يشمت أحدهم إذا عطس ولا يسلم عليه إذا دخل عليه وكذا لا يسن التشميت عند الخطبة يوم الجمعة لأن التشميت يخل بالإنصات المأمور به وكذا لا يشمت من عطس وهو يجامع أو في الخلاء فيؤخر تشميته إلى بعد الفراغ وفي الحديث «إن الله يحب العطاس الذي لا ينشأ من **زكام**» لأنه يكون من خفة البدن وانفتاح السدد وذلك يقتضي النشاط لفعل الطاعة ويكره التثاؤب لأنه من غلبة امتلاء البدن والإكثار من الأكل والتخليط فيؤدي إلى الكسل والتقاعد عن العبادة فالمحبة والكراهة المذكوران منصرفان إلى ما ينشأ عن سببهما فلذلك جاء في الحديث «التثاؤب من الشيطان» لأنه الذي يزين للنفس شهوتها من امتلاء البدن بكثرة المأكل وإذا شمت العاطس فيسن أن يجيب المشمت إذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم ويصلح بالكم أي." (١)

"لأنه يصفي الدم، فتذهب القوة (١) (وأول فالج) وهو داء معروف، يرخي بعض البدن (٢) .

(وآخر سل) بكسر السين (٣) (والحمى المطبقة (٤) و

حمى (الربع (٥) وما قال طبيبان –مسلمان عدلان– إنه مخوف) (٦) .

---

(١) فهو من الأمراض المخوفة.

(٢) فيبطل إحساسه وحركته، لا نصباب خلط بلغمي، تنسد منه مسالك الروح.

(٣) داء يحدث في الرئة. وفي القاموس قرحة تحدث في الرئة، إما تعقب ذات الرئة، أو ذات الجنب أو **زكام** ونوازل، أو سعال طويل، وتلزمها حمى هادية.

(٤) الحمى داء معروف، ترتفع فيه درجة حرارة الجسم، والمطبقة: الدائمة ليلا ونهارا لا تنفك عنه.

(٥) أي التي تأتيه كل رابع يوم، تأخذ يوما، وتذهب يومين، وتعود في الرابع، واشترط بعضهم أن يكون صاحب فراش، وكذا الهرم، قال الموفق: والقولنج، وهو أن ينعقد الطعام في بعض الأعضاء، ولا ينزل عنه، فهذه مخوفة، وإن لم يكن معها حمى، وهي مع الحمى أشد خوفا، وإن ثار الدم واجتمع في عضو كان مخوفا، لأنه من الحرارة المفرطة وإن هاجت به الصفراء فهي مخوفة، لأنها تورث يبوسة، وكذا البلغم إذا هاج، لأنه من شدة البرودة، وقد تغلب على الحرارة الغريزية فتطفئها، وجريح جرحا موهيا، مع ثبات عقله.

(٦) فمخوف، لأنهم أهل الخبرة بذلك؛ قال الموفق: وقياس قول الخرقي، أنه يقبل قول واحد عدل، إذا لم يقدر على طبيبين، فإن عمر قبل واحدا، لما سقاه اللبن، فخرج من جرحه، قال: اعهد إلى الناس، فعهد إليهم، فاتفق الصحابة على

---

(١) حاشية الجمل على شرح المنهج = فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب الجمل ١٨٦/٥

قبول عهده، وكذلك أبو بكر حين اشتد مرضه، وفي الاختيارات: ليس معنى المرض المخوف، الذي يغلب على القلب الموت منه، أو يتساوى في الظن جانب البقاء والموت، لأن أصحابنا جعلوا ضرب المخاض من الأمراض المخوفة، وليس الهلاك فيه غالبا، ولا مساويا للسلامة، وإنما الغرض أن يكون سببا صالحا للموت، فيضاف إليه، ويجوز حدوثه عنده، وأقرب ما يقال: ما يكثر حصول الموت منه.." (١)

"صاحب البيان إن التشميت فرض عين ويشهد له قوله - صلى الله عليه وسلم -: «حقا على كل من سمعه أن يقول له: يرحمك الله» فإن لم يسمعه إلخ فلا يطلب التشميت نعم يندب له أن يذكره كما قال. (وتذكيره إن نسي) العاطس الحمد لله، واعلم أنه إن عطس فوق ثلاث سقط طلب التشميت ويقول له: أنت مضنوك، أي مزكوم عافاك الله، وهذا إن توالى الزائد وإلا فيشمت. (ويندب) للعاطس (رده بيغفر الله لنا ولكم) بميم الجمع لأن الملائكة تشمت (أو) يرد بقوله: (يهديكم الله ويصلح بالكم) حالكم والأولى الجمع. لا يقال الدعاء بالهداية للمؤمن من تحصيل الحاصل؛ لأنا نقول المراد بالهداية لتفاصيل الإيمان وقد أمر الله بطلبها في كل ركعة من الصلاة ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦] (اهـ ملخصا شيخنا العدوي - رضي الله عنه -.

(وندب لمتثائب) بالمثلثة وبالمد والهمز لا بالواو أي لمن فتح فاه بسبب البخارات المجتمعة من الأكل الكثير ومن الشيطان للكسل ولذا لم يتثاءب نبي.
(وضع يد) يمنى أو ظهر اليسرى أو أي شيء يمنع دخول الشيطان في فيه وبعد التثاؤب يتفل بريق خفيف ثلاثا إن كان في غير الصلاة (ولا يعوي كالكلب) لأنه فعل قبيح عرفا.

(وندب كثرة الاستغفار) لما ورد في ذلك قال تعالى:
ـــــــQقوله: [وتذكيره إن نسي] : أي بأن يقول: " الحمد لله رب العالمين "كما قال بعضهم:
من يسبقن عاطسا بالحمد يأمن من ... شوص ولوص وعلوص كذا وردا
عنيت بالشوص داء الضرس ثم بما ... يليه للأذن والبطن استمع رشدا

[ما ينبغي للمتثائب]
قوله: [بسبب البخارات المجتمعة] : أي وقد يكون لمرض.
قوله: [أو ظهر اليسرى] : أي لا باطنها؛ لأنه معد لإزالة الأقذار.
قوله: [إن كان في غير الصلاة] : أي وأما في الصلاة فيبطلها التفل إن كان عمدا أو جهلا.." (٢)

---

(١) حاشية الروض المربع عبد الرحمن بن قاسم ٣٠/٦

(٢) حاشية الصاوي على الشرح الصغير = بلغة السالك لأقرب المسالك أحمد الصاوي ٧٦٥/٤

"محمد وأبو يوسف في إحدى الروايتين عنه "هي" أي سجدة الشكر "قربة يثاب عليها" لما روي الستة إلا النسائي عن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه أمر يسره أو بشر به خر ساجدا "وهيئتها" أن يكبر مستقبل القبلة ويسجد فيحمد الله ويشكر ويسبح ثم يرفع رأسه مكبرا "مثل سجدة التلاوة" بشرائطها. "فائدة مهمة لدفع كل" نازلة "مهمة" ينبغي الاهتمام بتعلمها وتعليمها "قال" الشيخ "الإمام" حافظ الحق والملة والدين عبد الله بن أحمد بن محمود "النسفي في" كتابه "الكافي" شرح الوافي "من قرأ آي السجدة كلها" وهي التي قصدت

______

بكر لفتح اليمامة وقتل مسيلمة وسجود عمر عند فتح اليرموك وهو واد بناحية الشأم وسجود على عند رؤية ذي العذبة قتيلا بالنهر وروى أنه صلى الله عليه وسلم دعا الله ساعة ثم خر ساجدا فعله ثلاث مرات وقال إني سألت ربي وشفعت لأمتي فأعطاني ثلث أمتي فخررت ساجدا شكرا لربي ثم رفعت رأسي فسألت ربي لأمتي فأعطاني ثلث أمتي فخررت ساجدا شكرا ثم رفعت رأسي فسألت ربي لأمتي فأعطاني الثلث الأخير فخررت ساجدا لربي رواه أبو داود قوله: "قربة يثاب عليها" وعليه الفتوى وفي الدر وبه يفتي وفي ابن أميرحاج وهو الظاهر وكيف لا وقد جاء فيها غير ما حديث اهـ وفي الدر وسجدة الشكر مستحبة به يفتى لكنها تكره بعد الصلاة لأن الجهلة يعتقدون أنها سنة أو واجبة وكل مباح يؤدي إليه فهو مكروه اهـ قوله: "كان إذا أتاه أمر يسره" أي وشاهده كرأس أبي جهل لعنه الله لما أتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وألقى بين يديه سجد لله تعالى خمس سجدات شكرا قوله: "أو بشربه" أي من غير رؤيته كسجوده حين بشره جبريل عليهما الصلاة والسلام أن الله تعالى يقول: لك من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه وفي التتارخانية قال صاحب الحجة عندي أن قول الإمام محمول على الإيجاب وقول محمد على الجواز والاستحباب فيعمل بهما لا يجب بكل نعمة سجدة شكرا كما قال أبو حنيفة ولكن يجوز أن يسجد سجدة الشكر في وقت سر بنعمة أو ذكر نعمة فشكرها بالسجدة وأنه غير خارج عن حد الاسحباب وفي فروق الأشباه قال سجدة الشكر جائزة عند الإمام لا واجبة وهو معنى ما روى أنها ليست مشروعة وفي القاعدة الأولى من الأشباه والمعتمد أن الخلاف في سنيتها لا في الجواز اهـ وفي الهندية وصورتها أن من تجددت عليه نعمة ظاهرة أو رزقه الله تعالى مالا أو ولدا أو وجد ضالة أو اندفعت عنه نقمة أو شفى له مريض أو قدم له غائب يستحب أن يفعلها كسجدة التلاوة وأما إذا سجد بغير سبب فليس بقربة ولا مكروه اهـ قوله: "فائدة مهمة" من الهم بمعنى ما يهتم به أي ينبغي الاهتمام أي الاعتناء بها قوله: "كل نازلة" أي حالة من النزول بمعنى الحلول والنزلة الزكام قاموس قوله: "مهمة" أي موقعة في الهم وهو الحزن قاموس قوله: "ينبغي الاهتمام" الأولى ذكره بعد قوله فائدة مهمة قوله: "وهي التي قصدت جمعها" فيما تقدم عند تعداد محلاتها." (١)

"فظاهره أنه كمل وضوءه شيخنا، والقول بالتأخير مطلقا أظهر من المشهور لما في الصحيحين أنه – صلى الله عليه وسلم – كان يؤخر غسل رجليه إلى آخر غسله فيغسلهما إذ ذاك، وهذا صريح وما تقدم ظاهر، وأنى يقاوم الظاهر الصريح؟ فيكون هذا القول هو المشهور بناء على أن المشهور ما قوي دليله.

______

(١) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح الطحطاوي ص/٥٠٠

(ثم) بعد أن انتهى يفرغ من وضوئه (يغمس يديه في الإناء) المفتوح ونحوه أو يفرغ عليه الماء إن كان غير مفتوح (ويرفعهما) بعد ذلك حال كونه (غير قابض) يعني غير مغترف (بهما شيئا) من الماء بحيث لا يكون فيهما إلا ما تعلق بهما (فيخلل بهما أصول شعر رأسه) ويبدأ في ذلك من مؤخر الجمجمة؛ لأنه يمنع الزكام والنزلة وهو صحيح مجرب، والرأس مذكر ليس إلا وفي رواية أصول شعره والتخليل واجب إجماعا على ما قاله عياض، وعلى الأشهر على ما قاله ابن الحاجب، والأصل فيه حديث الموطإ المتقدم.

ج: وفي التخليل فائدتان فقهية وهي سرعة إيصال الماء للبشرة، وطبية وهي تأنس الرأس بالماء فلا يتأذى لانقباضه على المسام إذا حس بالماء (ثم) بعد أن يفرغ من تخليل شعر رأسه بيديه (يغرف بهما الماء على

ـــــــQوقال زروق فيه بحث والظاهر كلام ابن عمر فتدبر.

[قوله: الحديث] لا يخفى أن حديث الموطإ ليس على هذا الوجه، ونصه «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه توضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات بيده، ثم يفيض الماء على جلده كله اهـ» . قال شارحه كان إذا اغتسل أي شرع في الغسل أو أراد أن يغتسل توضأ كما يتوضأ للصلاة، احترازا عن الوضوء اللغوي، وهو غسل اليدين وظاهره أنه يتوضأ وضوءا كاملا وهو مذهب مالك والشافعي.

قال الفاكهاني وهو المشهور، وقيل يؤخر غسل قدميه إلى بعد إلخ.

[قوله: شيخنا] هو الشيخ علي السنهوري شيخ الشارح وشيخ تت [قوله: مطلقا] أي سواء كان الموضع نقيا أم لا [قوله: وأنى يقاوم الظاهر] أي كيف يقاوم الظاهر أي بعيد مقاومة الظاهر للصريح وصاحب القول الثالث يحمل اختلاف الأخبار على اختلاف الحالين ولا أبعده، وإن كان المشهور الغسل مطلقا قاله الفاكهاني.

[قوله: فيكون هذا القول هو المشهور إلخ] لو قال فيكون هذا القول مشهورا من غير حصر لكان أولى، والله أعلم وعلى كل حال فالمعول عليه التقديم.

[قوله: ما قوي دليله] أي لا ما كثر قائله والمقابل يقول المشهور ما كثر قائله لا ما قوي دليله.

[قوله: يغمس يديه] قال عبد الوهاب يريد أصابعهما يدل عليه قوله ويرفعهما اهـ. وغمس من باب ضرب كما في المصباح

[قوله: ونحوه] أي نحو الإناء المفتوح أي كنهر.

[قوله: فيخلل بهما أصول شعر رأسه] الظاهر أن تلك الهيئة من الغمس والرفع والتخليل مستحب واحد.

[قوله: ويبدأ إلخ] الظاهر أنه مندوب آخر لا أنه من جملة الهيئة المندوبة.

[قوله: لأنه يمنع إلخ] أي البدء المفهوم من يبدأ، [قوله: والنزلة] النزلة الزكام كما في القاموس فهو من عطف المرادف وهي بفتح النون كما رأيته مضبوطا في ثلاث نسخ من القاموس يظن باثنتين منها الصحة.

[قوله: مجرب] هو في المعنى تعليل لقوله صحيح أي إنما كان صحيحا؛ لأنه مجرب، [قوله: والتخليل إلخ] ذكر هذا الكلام

هنا غير صواب؛ لأن التخليل الذي هو واجب إجماعا تخليل الشعر بإيصال الماء إلى البشرة الذي هو من أركان الغسل.

[قوله: والأصل فيه حديث الموطإ] فيه شيء؛ لأن حديث الموطإ في التخليل الذي هو مندوب فلا يناسب الاستدلال باعتبار ما قلنا.

ألا ترى أن شارح الموطإ قال بعد قوله في الحديث فيخلل بهما أصول شعره أي شعر رأسه، ثم هذا التخليل غير واجب اتفاقا إلا إن كان الشعر ملبدا بشيء يحول بين الماء وبين الوصول إلى أصوله اهـ.

[قوله: وهي سرعة إلخ] أي لأنه لو أفرغ عليه ابتداء تلبد وتعسر إيصال الماء للبشرة [قوله: فلا يتأذى] أي الرأس [قوله: لانقباضه على المسام] المناسب أن يقول لانقباض المسام إذا حس بالماء أي الذي تعلق بالأصابع فإذا نزل الماء بعد." (١)

"رأسه ثلاث غرفات) حال كونه (غاسلا له بهن) ولا يمكن فيما بين السرة والركبة إلا من يجوز له مباشرته من زوجة أو أمة، فإن لم يجد من يوكله أجزأه الماء من غير دلك إذا انغمس في الماء أو أصابه صبابة الماء، وإن وكل لغير ضرورة لا يجزئه على المشهور، وإذا فرغنا على المشهور في وجوب الدلك ففي اشتراط مقارنته لصب الماء قولان:

الأول للقابسي، والثاني للمصنف وإليه أشار بقوله: (بأثر) بفتح الهمزة والمثلثة وبكسر الهمزة وسكون المثلثة أي عقب (صب الماء) واستظهر؛ لأن اشتراطها يؤدي إلى المشقة بفعل ذلك (حتى يعم جسده) جميعا ويتحقق ذلك (و) أما (ما شك أن يكون الماء أخذه) أي أصابه أو لم يأخذه (من جسده عاوده بالماء) أي بماء

ـــــــQذلك دفعة فلا يضر وحاصله أن الدماغ له مسام، أي تفاتيح تتصعد منها أبخرة الجسد، فإذا أصابها الماء دفعة وهي منفتحة نشأ من ذلك الزكام العظيم والعلل المعضلة، فإذا خلل تلك المسام بأصابعه وعليها الماء انقبضت وانغلقت فلا يضره بعد ذلك ما حصل عليه من الماء كما أفاده عج.

[قوله: يفرغ] بضم الراء [قوله: على رأسه] حال والتقدير يغرف بهما الماء في حالة كونه صابا على رأسه، [قوله: غرفات] بفتح الراء جمع غرفة كذا في شرح الحديث، وغرفة بفتح الغين وضمها.

[قوله: حال كونه إلخ] لا يخفى أنها تفيد أن الغسل مقارن للغرف مع أنه بيده، [قوله: غاسلا له بهن] أي دالكا له بهن والمتبادر من المصنف أنه يعم الرأس بكل غرفة من الثلاث، وهو كذلك قال بعض [قوله: وجوبا على المشهور] أي فهو واجب لنفسه على المشهور وقيل بعدم وجوبه وقيل بوجوبه لغيره، حكاه ابن ناجي [قوله: بيديه] أو بيد أو ببعض أعضائه سواهما [قوله: وإلا وكل غيره على الدلك] هذا مذهب سحنون ومشى عليه خليل واستظهره في توضيحه ومقابله لابن حبيب، وصوبه ابن رشد أنه لا تجب الاستنابة.

قال المواز قال ابن عرفة ما عجز عنه ساقط.

قال ابن رشد وقول ابن حبيب أشبه بيسر الدين فيوالي صب الماء ويجزئه، والراجح مذهب سحنون كما يستفاد من شراح العلامة خليل، وظاهر عبارة شارحنا أنه لا يدلك بالخرقة مع أنه يدلك بها عند التعذر باليد كما في بهرام عن سحنون، وهي مقدمة على الاستنابة، والذي قاله بعض الشيوخ إن الخرقة والدلك باليد في مرتبة واحدة فيكفي الدلك بها مع القدرة على

---

(١) حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني علي الصعيدي العدوي ١/٢١٤

الدلك باليد، وكلاهما مقدم على الاستنابة، واعتمده شيخنا الصغير ومعنى الدلك بالخرقة أن يجعل شيئا بين يديه ويدلك به كفوطة يجعل طرفها بيده اليمنى والآخر بيده اليسرى، ويدلك بوسطها، وأما لو جعل شيئا بيديه، ودلك به ككيس يدخله في يده ويدلك به فإن الدلك حينئذ إنما هو باليد، وهذا كله إذا كان خفيفا لا إن كان كثيفا قاله عج.

[قوله: فإن لم يجد من يوكله] أي إن تعذر الدلك فإنه يسقط، وليس من التعذر إمكانه بحائط يملكه المغتسل حيث لم يتضرر بالدلك بها، ولم يكن حائط حمام، فإن كان بغير ملكه أو ملكه ويتضرر بذلك أو حائط حمام ولم يمكن ذلك بغيره فهو من التعذر.

[قوله: أو أصابه صبابة الماء] قال في المصباح والصبابة بقية الماء في الإناء اهـ، أي أو أصابه الماء الباقي في الإناء هذا معناه بحسب الأصل، والمراد هنا إصابة مطلق ماء ولو لم يكن في إناء فضلا عن كونه بقية ماء.

[قوله: لا يجزئه على المشهور] وقيل بالإجزاء [قوله: ففي اشتراطه] أي وعدم اشتراطه إلخ، والمعتمد عدم الاشتراط، ونص بعض الشراح، وقد اختلف الشيخان أبو محمد بن أبي زيد وأبو الحسن القابسي فيمن انغمس في البحر أو من كان في معناه، ثم خرج وتدلك بالفور فقال أبو الحسن لا يجزئه وقال أبو محمد بل يجزئه.

[قوله: ويتحقق ذلك إلخ] أي التعميم المستفاد من يعم؛ لأن الذمة عامرة فلا تبرأ إلا بيقين، فلو أخبره مخبر بذلك فهل يعمل بخبره، وهو ما للحطاب قائلا يقبل إخبار الغير بكمال الوضوء، وظاهره ولو واحدا لكن بشرط أن يكون عدل رواية أو لا يعمل بخبره إلا إذا حصل له بخبره اليقين وهو ما لعج.

[قوله: وأما ما شك إلخ] المراد به مطلق التردد." (١)

"الوقت المختار وهو الذي يستعمل في هذا الباب كله، واليأس إنما يكون بعد أن يطلبه طلبا لا يشق بمثله ولا يلزمه الطلب إلا إذا كان يرجو وجوده أو يتوهمه، أما إن قطع بعدمه فلا يطلبه.

والثاني منهما على ثلاثة أنواع أولها أشار إليه بقوله (وقد يجب) التيمم (مع وجوده) أي الماء (إذا لم يقدر على مسه) سواء كان (في سفر أو) في (حضر ل) أجل (مرض مانع) من استعماله بأن يخاف باستعماله فوات روحه أو فوات منفعة أو زيادة مرض أو تأخر برء أو حدوث مرض، هذا هو المعروف من المذهب لقوله تعالى ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [الحج: ٧٨] ك: وكذلك إذا خاف الصحيح نزلة أو حمى، فإن ذلك ضرر ظاهر فإن كان إنما يتألم في الحال ولا يخاف عاقبة أمره لزمه الوضوء أو الغسل، وثانيهما أشار إليه بقوله: (أو مريض يقدر على مسه) أي الماء.

(و) لكن (لا يجد

ــــــــQالراجي والمتردد يتيمم، فإن قلت قوله يجب هل أراد الوجوب الموسع أو الفوري قلت الوجوب الموسع.

[قوله: يريد بالوقت الوقت المختار] وهو الذي يستعمل في هذا الباب كله أي في الأغلب كما يتبين ذلك قريبا إن شاء الله تعالى وأما لو ذكر ذلك في الضروري فإنه يتيمم حينئذ من غير تفصيل بين أيس وغيره وهو ظاهر قاله بعض الشراح.

[قوله: واليأس إنما يكون بعد أن يطلبه] أي لكل صلاة بعد دخول الوقت أي إذا حل بموضع غير الموضع الأول أو كان به

---

(١) حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني علي الصعيدي العدوي ٢١٥/١

لكن حدث ما يقتضي وجود الماء والطلب، إما بنفسه أو بمن يستأجره بأجرة تساوي الثمن الذي يلزمه الشراء به.

[قوله: لا يشق بمثله] أي فليس الرجل والضعيف كالمرأة والقوي، أي وهو على أقل من ميلين راكبا، أو راجلا فإن شق بالفعل وهو على أقل من ميلين لم يلزمه طلبه راكبا أو راجلا كما إذا كان على ميلين شق أم لا راكبا أو راجلا، لأنها مظنة المشقة وإن لم تحصل بالفعل فالصور ثمان.

[قوله: إلا إذا كان يرجو إلخ] لو اقتصر على صورة التوهم لفهم ما عداها بالطريق الأولى، وينبغي كما قال بعض أن يختلف حكم الطلب فليس طلب الظان كطلب الشاك ولا الشاك كالمتوهم، وذكر ابن رشد أن متوهم الوجود لا يلزمه الطلب.

قال ابن مرزوق وهو الصواب فعليه يكون قول شارحنا أو يتوهمه ضعيفا.

[قوله: أما إن قطع بعدمه] أي اعتقد عدمه، أي جزم بعدمه وليس المراد به التحقق في نفس الأمر.

[قوله: لأجل مرض مانع] أي حاصل أو مترقب أصلي أو زائد فيتناول ما يأتي من الأقسام ولو كان تسبب في المرض.

[قوله: بأن يخاف باستعماله فوات روحه] أي يخاف باستعماله الموت صحيحا أو مريضا والمراد بالخوف العلم أو الظن ولا عبرة بالشك والوهم.

[قوله: أو فوات منفعة إلخ] إن كان قصده منفعة توجد منه فهو لا يخرج عما ذكره من قوله، أو زيادة مرض إلخ، فالأحسن أن يفرد هذا بالذكر ويمثل له بما إذا خاف عطش حيوان محترم معه في رفقته من آدمي أو بهيمة ملكه أو ملك غيره، ولو كانت قردا أو دبا والمراد بالخوف تحقق عطشه أو غلب على ظنه أو ظن كما في عبارة بعضهم، فإنه يترك الماء لذلك ويتيمم، وأما الشك فلا وأولى التوهم، وأما إذا كان متلبسا بالعطش بالفعل وخاف الضرر عليه فإنه يتيمم مطلقا تحقق الضرر أو ظنه أو شك فيه أو توهمه لأن التلبس بالعطش مظنة الضرر، وخرج بالمحترم الكلب غير المأذون في اتخاذه ومثله الخنزير إذا كان يقدر على قتلهما وإلا ترك الماء لهما ولا يعذبان بالعطش.

[قوله: هذا هو المعروف من المذهب] اسم الإشارة راجع لقوله أو زيادة مرض إلخ أي أن في زيادة المرض وتأخر البرء وحدوث المرض خلافا فالمعروف ما قاله وهو التيمم ومقابله لمالك لا يتيمم بل يستعمل الماء، وأما إذا خاف الموت فيتفق على التيمم هذا حاصل ما قاله ابن ناجي.

[قوله: وكذلك إذا خاف الصحيح نزلة أو حمى] من أفراد قوله أو حدوث مرض أو ليس من أفراده، بأن يقصر قوله أو حدوث مرض على غير النزلة والحمى والنزلة **والزكام** كما في القاموس والحمى ولو خفيفة كما في شرح عج.

[قوله: أو مريض إلخ] معطوف." (١)

"يرحمك الله) إن كان مسلما وجوبا على الكفاية على ما صرح به ع، ونقل ج عن البيان أن الأشهر أنه فرض عين ويدل له حديث البخاري «حقا على كل مسلم سمعه يقول له: يرحمك الله ويبلغ بالتشميت ثلاثا فإن زاد العاطس على الثلاث قال له: إنك مضنوك» ومفهوم كلامه أنه إذا لم يحمد العاطس لا يشمت وهو كذلك (ويرد العاطس عليه) أي على من قال له: يرحمك الله: (يغفر الله لنا ولكم أو يقول) له (يهديكم الله ويصلح بالكم) والثاني أفضل لأن الهداية أفضل من

---

(١) حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني علي الصعيدي العدوي ٢٢٣/١

المغفرة لأنها لا تكون إلا عن ذنب قاله عبد الوهاب

(ولا يجوز اللعب بالنرد) بقمار

ـــــــQالعالمين، وقوله: على كل حال أي في كل حال أو باعتبار ما من حالة إلا وهناك ما هو أشد منها أو باعتبار ما يترتب من ثواب الآخرة في المصيبة، وقوله: حمدا كثيرا مفعول لفعل محذوف لا بالحمد المذكور كما قرروا ووجهه معلوم فليراجع.

[قوله: كثيرا] أي شيئا كثيرا باعتبار متعلقه من المحمود به، وقوله: طيبا أي من حيث خلوصه من شوائب الرياء والسمعة، وقوله: مباركا فيه أي من حيث عوده لصلاح الحال أو بالثواب الأخروي على طريق الترجي من هذا الباب الأكرم.

تنبيه:

في عبارته شيء وذلك أنه يفيد أن قائل تلك الزيادة واحد وليس كذلك لأن زيادة رب العالمين لابن مسعود وزيادة على كل حال لابن عمر وحمدا كثيرا طيبا مباركا فيه لغيرهما.

[قوله: من سمعه يحمد الله] أي بخصوص لفظ الحمد لله ولم يكن في صلاة لأن من في صلاة تبطل صلاته إن قال يرحمك الله عمدا أو جهلا.

[قوله: أو سمع من سمعه] أي أو سمع شخصا سمع ذلك الشخص العاطس يحمد الله فعلى كل حال العاطس هو الحامد إلا أن المشمت تارة يسمع الحامد وتارة لا يسمعه بل يسمع شخصا يشمت العاطس، أي ومثل سماع العاطس سماع تشميت الناس له، فقد قال مالك: إذا لم يسمع حمد العاطس فلا يشمته إلا أن يرى تشميت الناس له فيشمته، وينبغي لمن كان قريبا من العاطس، أن ينبهه على الحمد إن تركه لأجل أن يشمته، ولا يشمته لأجل قوله: أشهد أن الله حق كما تقول العوام.

[قوله: إن كان مسلما] رجلا أو امرأة محرما أو أجنبية متجالة أو غيرها حيث لا تميل إليها النفوس، وأما التي يخشى الافتتان بها فلا يشمتها كما لا ترد سلاما، واحترز بالمسلم من الكافر فإنه يقول له: هداك الله لا يرحمك الله لأنه لا يرحم إلا المؤمن.

[قوله: على ما صرح به ابن عمر] أي وهو الراجح.

[قوله: ويبلغ بالتشميت] بمعجمة ومهملة لغتان معروفتان.

قال ثعلب: معناه بالمعجمة أبعد الله عنك الشماتة وجنبك ما يشمت به عليك، وبالمهملة جعلك الله على سمت حسن قاله ابن عبد البر.

[قوله: مضنوك] بضاد معجمة أي مزكوم والضناك بالضم الزكام، يقال: أضنكه الله وأزكمه.

قاله ابن الأثير: والقياس مضنك ومزكم لكنه جاء على ضنك وزكم وفيه تنبيه على الدعاء له بالعافية لأن الزكمة علة، وأشار إلى الحث على تدارك هذه العلة ولا يهملها فيعظم أثرها وكلامه – صلى الله عليه وسلم – كله حكمة.

وقال الشيخ أحمد زروق في تعليل القول إنك لمزكوم الاعتذار له بذلك أي عن عدم تشميته.

وقال عج: يسقط طلب تشميت العاطس بعد ثلاث ويقول له بعد ذلك: عافاك الله إنك لمضنوك ولا يسقط طلب الحمد

عن العاطس ولو بعد ثلاث ثم إن محل هذا حيث توالى العطاس، [قوله: ويرد العاطس] أي ويندب أن يرد العاطس عليه.
[قوله: بالكم] قيل: البال الحال وقيل القلب.
[قوله: والثاني أفضل] وقال ابن رشد: يغفر الله لنا ولكم أولى إذ لا يخلو أحد عن مواقعة الذنوب، وصاحب الذنوب يحتاج للمغفرة قال: وإن جمع بينهما فهو حسن إلا أن الثاني اعترض بأن الدعاء بالهداية للمسلم تحصيل الحاصل وهو محال، ومنع بأنه ليس المراد الدعاء بالهداية للإيمان المتلبس به بل معرفة تفاصيل أجزائه وإعانته على أعماله، وكل مؤمن يحتاج لذلك.." (١)

"الرابعة عشرة: التحية بالطلبقة وهي: أطال الله بقاك، وحني الظهر، وتقبيل اليد لا أصل له في الشرع، لكن لا يمنع الذمي من تعظيم المسلم بها، ولا يكره تقبيل اليد لزهد وعلم وكبر سن، وتسن المصافحة، ويكره للداخل أن يطمع في قيام القوم، ويستحب لهم أن يكرموه، ويسن تشميت العاطس وهو سنة على الكفاية كما سبق في ابتداء السلام، وإنما يسن إذا قال العاطس: الحمد لله، والتشميت أن يقول: يرحمك الله، أو يرحمك ربك، ويكرر التشميت إذا تكرر العطاس إلا أن يعلم أنه مزكوم، فيدعو له بالشفاء، ويسن للعاطس أن يجيب المشمت، فيقول: يهديكم الله، أو يغفر الله لكم، ولا يجب ذلك، وتسن عيادة المريض وزيارة القادم ومعانقته.

قلت: قد اختصر الإمام الرافعي الكلام في السلام وما يتعلق به، وقد جمعت فيه في كتاب «الأذكار» جملا نفيسة موضحة بدلائلها من الأحاديث الصحيحة مع آيات من القرآن العزيز، وضممت إليها مهمات متعلقة بما لا يستغني راغب في الخير عن معرفة مثلها، وقد خللت بعضها فيما سبق، وأنا أرمز إلى جملة من الباقي إن – شاء الله تعالى – فمن ذلك، السنة أن يرفع صوته بالسلام رفعا يسمعه المسلم عليهم سماعا محققا، ولا يزيد رفعه على ذلك، وإذا شك في سماعهم، زاد في الرفع واستظهر، وإن سلم على أيقاظ عندهم نيام، خفض صوته بحيث يسمع الأيقاظ ولا يوقظ النيام، ثبت ذلك في صحيح مسلم عن فعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، والإشارة بالسلام باليد ونحوها بلا لفظ خلاف الأولى، فإن جمع بين الإشارة واللفظ، فحسن وعليه يحمل حديث الترمذي وهو حديث حسن أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ألوى بيده بالتسليم، ويستحب أن يرسل سلامه إلى من غاب عنه، ويلزم." (٢)

"الماء، لأنه ليس بإمكانه أن يشتريه، لأنه بعجزه عن ثمنه صار كالعاجز عن العين نفسها، فرخص له، وصار الماء غير موجود في حقه حكما.

وأما إذا كان يجد الماء زائدا على ثمنه كثيرا فقد رخص فيها بعض الفقهاء رحمهم الله بناء على ما قدمنا أن الزيادة الكثيرة ضرر عليه في ماله، ومن ثم قالوا: لا يلزمه أن يتحمل الضرر في ماله على هذا الوجه كما لا يلزمه تحمل الضرر في نفسه، فقاسوا ضرر المال هنا على ضرر النفس، فكما يرخص للمكلف أن يتيمم عند خوفه الضرر عن نفسه بالإغتسال كذلك يرخص له أن يتيمم ويترك الماء الزائد على ثمن مثله كثيرا دفعا للضرر الذي سيلحقه في ماله، وعلى هذا القول الذي مشى

---

(١) حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني علي الصعيدي العدوي ٢/٤٩٩

(٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين النووي ١٠/٢٣٣

عليه المصنف رحمه الله فإن هذه الزيادة تتقيد بالمكان الذي فيه الماء، فتكون زيادة كثيرة على ثمن مثله في ذلك المكان الذي هو فيه.

قوله رحمه الله: [أو خاف باستعماله، أو طلبه ضرر بدنه]: صورة ذلك أن يكون الإنسان مريضا، وإذا اغتسل هلك، أو زاد عليه مرضه، وكذلك إذا كان في زمان شديد البرد؛ فلو اغتسل خاف على نفسه المرض أو الموت، ففي هذه الحالة يرخص له أن يعدل من الغسل إلى التيمم، وهكذا لو كان الوضوء يضر به، وينتهي به إلى تلف نفسه، أو حصول ضرر بجسمه؛ جاز له أن يعدل إلى التيمم، وهذا اختيار بعض العلماء من المالكية، والشافعية، والحنابلة، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد اختار رحمه الله أنه لو خاف باستعمال الماء زيادة مرضه، **كالزكام**، ونحوه أن من حقه أن يعدل إلى التيمم؛ لما فيه من وجود الضرر، والله -عز وجل- كلف." (١)

"أول حلها لنفسه لا لإصلاحها احترازا عما سبق من الجائز فإنه جائز وهو للإصلاح كالفتح على الإمام والتسبيح فهو إشارة لجواب اعتراض على المؤلف بأن يقال قوله ولا لجائز يقتضي أن ما قبله ليس مع الجائز من أن بعضه جائز ولأن المراد بالجائز ما استوى طرفاه وما ذكره قبل هذا مطلوب كما أن ما ذكره في قوله ولا لتبسم إلخ مكروه.

(ص) لا على مشمت (ش) هذا مخرج من الجواز أي: لا الرد على مشمت فلا يجوز أي: يكره وبعبارة أخرى المعطوف محذوف وكذلك بعض المعطوف عليه أي: إشارة لرد سلام لا إشارة للرد على مشمت أي: فليس من الجائز بل هو منهي عنه لقوله في المدونة ولا يرد على من شمته إشارة كان في فرض أو نافلة اهـ الوانوغي وفي تصوير التشميت على المشهور عسر؛ لأنه فرع سماع الحمد والفرض أنه لا يحمد فكيف يرد قلت يمكن فرضه إذا عطس وحمد جهرا قبل الإحرام ثم أحرم فشمته صدق حينئذ أن لا يرد اهـ. فإن قيل كيف كرهتم الإشارة للرد على المشمت في النافلة وأجزتم حكاية الأذان فيها قيل؛ لأن الرد هنا في معنى المحادثة والتشميت قول من سمع حمد العاطس له يرحمك الله بالمهملة من السمت وهو الهدى أي: جعلك الله على هدى وسمت حسن وبالمعجمة معناه أبعد الله عنك الشماتة ﴿فائدة﴾ أول من عطس آدم وهو من الله والتثاؤب من الشيطان بمثناتين من فوق والمد والهمز مخففا على وزن تفاعل ولا يقال تثاوب بالواو قاله الجواهري وقال عياض يقال تثاوب بالواو تثاوبا وقال ابن العربي التثاؤب بالمد والهمز يقال تثاءب تثاؤبا إذا فتح فاه وأصل هذه الكلمة من قولهم تتوب إذا أصابه الكسل وهو شيء يعتري الإنسان من شيء يأكله أو يشربه فيصيبه منه فترة كفترة النعاس.

وقال سيدي زروق قيل إن العطاس من الله ومعناه من حيز الخير قالوا؛ لأنه يخفف الدماغ ويسهل بعض العبادات وفي الحديث «أنه يقطع عرق الفالج والسعال يقطع عرق البرص **والزكام** يقطع عرق الجذام والرمد يقطع عرق العمى» ويروى أن من سمع عاطسا فسبقه بالحمد كان آمنا من الشوص ورأيت في جدار زمزم مكتوبا من قرأ الفاتحة عند عطاسه أمن من قلع أضراسه وفي الحديث إن «الدعاء عند العطاس مستجاب» وقد شرد عني محل نقله فابحث عنه اهـ قلت

ـــــــQقوله مع أن بعضه جائز) أي: الذي هو الإصلاح وحاصله أنه جائز أي: بعض الذي تقدم جائز إلا أنه مقيد

---

(١) شرح زاد المستقنع للشنقيطي - كتاب الطهارة محمد المختار الشنقيطي ص/٣١٨

بكونه للإصلاح لا يخفى أن كل ما تقدم جائز بمعنى المأذون فيه لا بعضه (قوله أو؛ لأن المراد بالجائز ما استوى طرفاه) يرد على ذلك الجواب أمران: الأول: إنه يقتضي أنه على الجواب الأول لا يكون المراد بالجائز ما استوى طرفاه مع أنه على كل حال مراد به ما استوى طرفاه إلا أن يقال على الجواب الأول حيثية الاستواء ليست مرادة الثاني أنه صرح ابن رشد كما تقدم بأنه يجب قتل العقرب إذا أرادته.

(قوله هذا مخرج إلخ) لا يخفى ما في هذا من التسامح؛ لأن إخراج شيء من أمر يقتضي دخول الشيء في ذلك الأمر مع أن الرد على المشمت لم يدخل فيما تقدم من قوله كإنصات قل لمخبر إلا أن يقال إنه داخل تحت الكاف احتمالا منظورا فيه للظاهر بقي أنه لا بد من تقدير مضاف أي: مخرج من ذي الجواز (قوله وبعبارة أخرى إلخ) هذه العبارة ظاهرة (قوله كذلك بعض المعطوف عليه) لا يخفى ما في هذا من التسامح فإن المعطوف عليه هو الإشارة (قوله في تصوير) المراد به التصديق الصحيح (قوله على المشهور) مقابله الحمد قيل سرا وجهرا.

(قوله عسر) أراد به التعذر بدليل التعليل (قوله قلت يمكن فرضه إلخ) جواب بالتسليم وإن عدم التعسر بالنسبة لحالة أخرى (قوله قلت يمكن فرضه) فإن قلت يمكن فرضه إذا ارتكب المكروه وحمد قلنا: إن حمد العاطس منهي عنه فهو معدوم شرعا وهو كالمعدوم حسا فتشميته عدم فلا يستحق ردا وبهذا يظهر الفرق بين رد السلام والرد (قوله في معنى المحادثة) الإضافة للبيان أي: من قبيل المحادثة.

(قوله وسمت) عطف تفسير والسمت هو الهيئة فإن قلت أي مناسبة في الدعاء بذلك قلنا: إن العاطس حين عطاسه تتغير هيئته (قوله الشماتة) أي: فرح الأعداء ببقاء تغير هيئتك الحاصلة عند العاطس.

﴿تنبيه﴾ : قال أبو عبيد الشين المعجمة أعلى في كلامهم وأكثر (قوله أول من عطس آدم) بفتح الطاء في الماضي وكسرها وضمها في المستقبل (قوله والتثاؤب من الشيطان) أي أنه من حيز الشر أو أصل سببه من الشيطان؛ لأنه حمله على كثرة الأكل (قوله بمثناتين من فوق) الذي في القاموس بالثاء المثلثة (قوله وأصل هذه) أي: وأخذ هذه الكلمة (قوله فترة) هي الانكسار والضعف مختار (قوله ومعناه أنه من حيز إلخ) جواب عما يقال كل شيء من الله تعالى (قوله ويسهل) عطف مسبب على سبب (قوله بعض العبادات) مصدوق البعض العبادة التي تتوقف على فكرة كقراءة القرآن لا نحو الصوم.

(قوله عرق الفالج) كأنه أراد بعرق الفالج مدة في العرق ينشأ منها هذا الفالج قال في المصباح والفالج مرض يحدث في أحد شقي البدن طولا فيبطل إحساسه وحركته وربما كان في الشقين ويحدث بغتة اهـ.

(قوله «والرمد يقطع عرق العمى») وكان العمى الذي يحصل عند حصول الرمد لأمور تعرض إذ ذاك وإلا فالرمد سبب في جلاء البصر حسب ما قال (قوله وقد شرد عني محل نقله) شرد من باب دخل قاله في المختار (قوله قلت إلخ) أراد أن يبين أصل ما ذكر من الأحاديث والمذكور ثلاث أولها ويروى أن من سمع إلخ الثاني ورأيت في جدار زمزم الثالث قوله وفي الحديث إن الدعاء عند العطاس مستجاب إلخ." (١)

---

(١) شرح مختصر خليل للخرشي محمد بن عبد الله الخرشي ٣٢٤/١

"يحمد الله) لحديث أبي موسى مرفوعا «إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه فإذا لم يحمد الله فلا تشمتوه» رواه أحمد ومسلم.

(وإن نسي لم يذكره) أي: لم يسن تذكيره، لظاهر الخبر السابق وروى المروذي: أن رجلا عطس عند أحمد فلم يحمد الله، فانتظره أن يحمد الله فيشمته فلم يحمد الله فلما أراد أن يقوم قال له أبو عبد الله: كيف تقول إذا عطست قال أقول الحمد لله فقال له أبو عبد الله: يرحمك الله، (لكن يعلم الصغير أن يحمد الله وكذا حديث عهد بإسلام ونحوه) كمن نشأ ببادية بعيدة عمن يتعلم منه لأنه مظنة الجهل بذلك.

(ولا يستحب تشميت الذمي) نص عليه وهل يكره أو يباح أو يحرم؟ أقوال قاله في شرح المنظومة (فإن قيل له) أي: للذمي (يهديكم الله جاز) ذلك لأنه لا محذور فيه.

(ويقال للصبي إذا عطس: بورك فيك، وجبرك الله) قاله الشيخ عبد القادر وروي «أنه عطس عند النبي - صلى الله عليه وسلم - غلام لم يبلغ الحلم فقال: الحمد لله رب العالمين فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: بارك الله فيك يا غلام» رواه الحافظ السلفي في انتخابه (وتشمت المرأة المرأة، و) يشمت (الرجل الرجل) .

(و) يشمت الرجل (المرأة العجوز البرزة) لأمن الفتنة (ولا يشمت الشابة ولا تشمته) كما في رد السلام، ولعل المراد الأجنبية (فإن عطس ثانيا) وحمد (شمته، و) إن عطس (ثالثا) وحمد (شمته) قال صالح لأبيه: يشمت العاطس في مجلس ثلاثا قال: أكثر ما قيل في ثلاث.

وروى ابن ماجه، وإسناده ثقات عن سلمة بن الأكوع، مرفوعا «يشمت معاطس ثلاثا فما زاد فهو مزكوم» .

(و) إن عطس (رابعا دعا له بالعافية ولا يشمت) للرابعة لما تقدم (إلا إذا لم يكن شمته قبلها) ثلاثا، فالاعتبار بفعل التشميت وبعدد العطسات فلو عطس أكثر من ثلاث متواليات شمته بعددها إذا لم يتقدم تشميت قال في شرح المنظومة: قولا واحدا.

(ولا يجيب المتجشئ بشيء فإن حمد الله قال) له سامعه (هنيئا مريئا، أو هنأك الله وأمراك) ذكره في الرعاية الكبرى وابن تميم، وكذا ابن عقيل وقال: ولا يعرف فيه سنة بل هو عادة موضوعة قال أحمد في رواية مهنا: إذا تجشأ الرجل ينبغي أن يرفع وجهه إلى فوق، لكي لا يخرج من فيه رائحة يؤذي بها الناس.

وروى أبو هريرة أن «رجلا تجشأ عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: كف عنا جشاءك فإن أكثرهم شبعا أطولهم جوعا يوم القيامة» .

(ويجب الاستئذان على كل من يريد الدخول عليه من أقارب وأجانب) قطع به ابن أبي موسى، والسامري وابن تميم وهو معنى كلام ابن الجوزي في قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ [النور: ٢٧]." (١)

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع البهوتي ١٥٨/٢

"وقال في رواية حرب: هذا عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من وجوه (زاد في الرعاية ": ويدخلكم الجنة عرفها لكم) ، قال في " شرح المنتهى ": أو يقول: غفر الله لنا ولكم.

(وكره تشميت من لم يحمد) ، لحديث أبي موسى، وتقدم.
(ولا يذكر ناس) ، لظاهر الخبر السابق، (ولا بأس بتذكيره) لما روى المروذي أن رجلا عطس عند أحمد، فلم يحمد الله، فانتظره أن يحمد الله فيشمته، فلم يحمد، فلما أراد أن يقوم، قال له أبو عبد الله: كيف تقول إذا عطست؟ قال: أقول: الحمد لله، فقال أبو عبد الله: يرحمك الله. (ويعلم صغير وقريب عهد بإسلام الحمد لله) وكذلك يعلم من نشأ ببادية بعيدة، لأنه مظنة الجهل بذلك.

ولا يستحب تشميت الذمي نصا، فإن قيل له: يهديكم الله جاز إذ لا محذور فيه

(ويقال لصبي عطس وحمد: بورك فيك أو) يقال له: (جبرك الله أو) يقال له: (يرحمك الله) قاله الشيخ عبد القادر، وروي «أنه عطس عند النبي – صلى الله عليه وسلم – غلام لم يبلغ الحلم فقال: الحمد لله رب العالمين، فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: بارك الله فيك يا غلام» رواه الحافظ السلفي في انتخابه ".

(وللتشميت إلى ثلاث) ، أي: فإن عطس ثانيا وحمد شمته، وإن عطس ثالثا شمته قال صالح لأبيه: يشمت العاطس في مجلس ثلاثا؟ قال: أكثر ما قيل فيه ثلاثا وروى ابن ماجه وإسناده ثقات عن سلمة بن الأكوع مرفوعا «يشمت العاطس ثلاثا فما زاد فهو **مزكوم**» (وفي رابعة يدعو له بالعافية) إلا إذا لم يكن شمته قبلها ثلاثا (والاعتبار بفعل التشميت لا بعدد عطسات) فلو عطس أكثر من ثلاث متواليات شمته بعدها إذا لم يتقدم تشميت، قال في " شرح المنظومة ": قولا واحدا

(ولا يشمت) الرجل (شابة)." (١)
"الماء فيخلل بهما أصول شعره؛ ليأنس ببرد الماء فلا يتضرر ويقف الشعر فيدخل الماء عند الغسل لأصوله وسواء كانت عليه وفرة أم لا. قال الشيخ أبو عمران الجورائي: ويبدأ في ذلك من مؤخر الجمجمة؛ لأنه يمنع من **الزكام** والنزلة وهو صحيح مجرب ثم يغرف بهما على رأسه ثلاث غرفات إثر تخليله والتثليث مستحب. ابن حبيب: لا أحب أن ينقص من الثلاث ولو عم بواحدة زاد الثانية والثالثة إذ كذلك فعل، – عليه الصلاة والسلام – ولو اجتزأ بالواحدة أجزأته وإن لم تكف الثلاث زاد إلى الكفاية والله أعلم. عياض يفرق الثلاث على الرأس فلكل جانب واحدة والثالثة للوسط وقيل: الكل للكل وكل جائز اهـ. قال ابن ناجي: أعلم أن للتخليل فائدتين فقهية وطبية: وهما سرعة إيصال الماء للبشرة ولتأنس رأسه بالماء فلا يتأذى لانقباضه على المسام، انتهى.

---

(١) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى الرحيباني ١/٩٤٥

ص (وقلة الماء بلا حد)

ش: هذا مكرر مع قوله في فضائل الوضوء: وقلة الماء بلا حد كالغسل، والله تعالى أعلم. وفي البرزلي في مسائل الطهارة ومما رويناه عن النووي الإجماع على أنه لا يجوز السرف في الطهارة ولو كان على ضفة النهر وهو معنى ما في الرسالة والسرف منه غلو وبدعة وكل هذا في حق غير ذي الوسواس وأما الموسوس فهو شبيه بمن لا عقل له فيغتفر في حقه للابتداء به، انتهى.

ص (ووضوءه لنوم)

ش: سواء كان ليلا أو نهارا قاله في المدونة ونصها: لا ينام الجنب في ليل أو نهار حتى يتوضأ جميع وضوئه وليس ذلك على الحائض انتهى. وقال أيضا في رسم تأخير صلاة العشاء من سماع ابن القاسم وقال الشيخ زروق: قال ابن عرفة: وضوء الجنب لنومه. وسمع ابن القاسم: ولو نهارا، وقال في العارضة: قال أبو يوسف: يجوز للجنب أن ينام قبل أن يتوضأ. وقال مالك والشافعي: لا يجوز أن ينام حتى يتوضأ قال مالك: فإن فعل فليستغفر الله، رواه عنه في المجموعة وقال بعض أشياخنا: لا تسقط العدالة بتركه لاختلاف العلماء فيه، وقال ابن حبيب: ذلك واجب وجوب الفرائض؛ لحديث عمر. والظاهر ذلك والله تعالى أعلم، انتهى.

وقال الأبي في كتاب الذكر: قوله: إذا أخذت مضجعك أي إذا أردت أن تنام فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن. قال عياض: وتضمن ثلاث سنن الوضوء للنوم ليموت على طهارة واختلف عندنا وعند غيرنا هل يستبيح بهذا الوضوء الصلاة؟ والصحيح أنه إن نوى به ليبيت على طهارة استباح به الصلاة وغيرها. قال: للأثر.

قلت وهذا الوضوء ينقضه الحدث الواقع قبل الاضطجاع لا الواقع بعده، والسنة الثانية ذكر الله عند النوم والنوم على الشق الأيمن، انتهى. محرر كلام القاضي عياض من الإكمال.

ص (لا تيمم) هو المشهور ومقابله يتيمم إن لم يجد الماء وعليه قال ابن فرحون في شرحه.

تنبيه وفي هذه المسألة لا يتيمم على الحجر بل على التراب وقد ذكر ذلك أبو عبد الملك مروان بن علي البوني في شرح الموطإ قال: فإن عجز الجنب عن الوضوء فليتيمم ولا يتيمم إلا من جدار تراب يعلق ترابه بالكفين فأما الجدار يكون حجرا فلا يتيمم به وكذلك فسر لي أصبغ بن الفرج وأخبرني عيسى عن ابن القاسم بنحو هذا التفسير انتهى ولعل ذلك؛ لأنه – عليه الصلاة والسلام – تيمم على الحائط فكان رخصة لا يتعدى بها محلها والرخص لا يقاس عليها، والله أعلم. وعلى القولين بأن الوضوء للنشاط إذا كان معه من الماء ما لا يكفيه للغسل لم يتوضأ، انتهى كلام ابن فرحون.

ص (ولم يبطل إلا بجماع)

ش: قال في العارضة: وإذا أحدث بعد هذا الوضوء لم ينتقض ولا ينقضه إلا معاودة الجماع؛ لأنه لم يشرع لرفع حدث

فينقضه الحدث، وإنما شرع عبادة فلا ينقضه إلا ما أوجبه، انتهى. وهذا بخلاف الوضوء للنوم لغير الجنب قال سيدي يوسف بن عمر في شرح قول الرسالة: ويجب الوضوء من الملامسة. وإن نام." [(١)]

"ولادة أو نسب أو ولاية مصحوبة بصيانة قال ابن عبد السلام: أو لمن يرجى خيره أو يخاف من شره ولو كافرا خشي منه ضررا لا يحتمل عادة، ويكون على جهة البر والإكرام لا الرياء والإعظام، ويحرم على داخل حب قيام القوم له للحديث الحسن «من أحب أن يتمثل الناس له قياما فليتبوأ مقعده من النار» كما في الروضة، وحمله بعضهم على ما إذا أحب قيامهم واستمراره وهو جالس أو طلبا للتكبر على غيره، وهذا أخف تحريما من الأول، إذ هو التمثل في الخبر كما أشار إليه البيهقي.

وأما من أحبه جودا منهم عليه لما أنه صار شعارا للمودة فلا حرمة فيه ولا بأس بتقبيل وجه صبي رحمة ومودة.

ويندب تقبيل قادم من سفر ومعانقته، ويحرم تقبيل أمرد حسن لا محرمية بينه وبينه ونحوها ومس شيء من بدنه بلا حائل كما مر

ويسن تشميت عاطس إذا حمد بيرحمك الله أو ربك، وإنما سن ضمير الجمع في السلام ولو لواحد للملائكة الذين معه ولصغير بنحو أصلحك الله، أو بارك فيك ويكره قبل الحمد، فإن سكت قال يرحم الله من حمده أو يرحمك الله إن حمدته. ويسن تذكيره الحمد، ومن سبق العاطس بالحمد أمن من الشوص وهو وجع الضرس، واللوص وهو وجع الأذن، والعلوص وهو وجع البطن كما جاء بذلك الخبر المشهور، ويكرر التشميت إلى ثلاث، ثم يدعو له بعدها بالشفاء، ولا حاجة لتقييد بعضهم ذلك بما إذا علم كونه **مزكوما**؛ لأن الزيادة المذكورة مع تتابعها عرفا مظنة **الزكام** ونحوه، والأوجه أنها لو لم تتتابع كذلك سن التشميت بتكررها مطلقا.

ويسن للعاطس وضع شيء على وجهه وخفض صوته ما أمكن وإجابة مشمته بنحو يهديكم الله ولم يجب؛ لأنه لا إخافة بتركه، بخلاف رد السلام

(ولا جهاد على صبي ومجنون) لعدم تكليفهما (وامرأة) لخبر البخاري «جهادكن الحج والعمرة» ولأنها مجبولة على الضعف ومثلها الخنثى (ومريض) مرضا يمنعه الركوب أو القتال بأن تحصل له مشقة لا تحتمل عادة، وإن لم تبح التيمم فيما يظهر، ومثله بالأولى الأعمى، وكالمريض من له مريض لا متعهد له غيره، وكالأعمى ذو رمد وضعيف بصر لا يمكنه معه اتقاء السلاح (وذي عرج بين) ولو في رجل وإن قدر على الركوب وخرج ببين يسيره الذي لا يمنع العدو (وأقطع وأشل) ولو لمعظم أصابع يد واحدة، إذ لا بطش لهما ولا نكاية، ومثلهما فاقد الأنامل، ويفرق بين اعتبار معظم الأصابع هنا

ــــــsالمعلم المسلم (قوله أو ولاية) كالقاضي (قوله: مصحوبة بصيانة) راجع للجميع (قوله: ويكون على جهة) أي وجوبا (قوله: ولا بأس بتقبيل وجه) أي في أي محل فيه ولو في الفم، وقوله صبي لا يشتهى أو صبية (قوله: ويندب تقبيل) أي في

---

(١) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل الرعيني، الحطاب ٣١٦/١

وجهه (قوله: ونحوها) كالملك: أي من غير شهوة كما هو ظاهر (قوله: كما مر) عبارته فيما مر: ولو بحائل ونصها في كتاب النكاح

. (قوله: ويسن تشميت عاطس) ظاهره، ولو كان كافرا ولو قيل بالحرمة؛ لأن فيه تعظيما له لم يبعد (قوله: ولصغير بنحو أصلحك الله) منه أنشأك الله إنشاء صالحا (قوله ويكره قبل الحمد) أي فلا يعتد به، ويأتي به ثانيا بعد الحمد (قوله: أو يرحمك الله إن حمدته) أي وتحصل بها سنة التشميت (قوله: ومن سبق العاطس إلخ) ونظمها بعضهم فقال:

من يبتدئ عاطسا بالحمد يأمن من ... شوص ولوص وعلوص كذا وردا

(قوله: ثم يدعو بعدها بالشفاء) أي كأن يقول له عافاك الله أو شفاك (قوله: والأوجه أنها لو لم تتابع كذلك) أي عرفا (قوله بنحو يهديكم الله) كغفر الله لكم، ولو زاد عليه ويصلح بالكم كان حسنا

(قوله لا يمكنه معه) قيد في كل من قوله ذو رمد إلخ (قوله: ومثلهما فاقد الأنامل) أي أكثر الأنامل عباب اهـ سم على منهج.

أما فاقد أصبعين

ـــــــQقوله: أو ولاية) أي ولاية حكم (قوله ويكون على جهة البر إلخ) أي أصل السلام. وانظر ما المراد بالإعظام المنفي."

(١)

١-" (وتظل تنصفنا بها قروية ... إبريقها برقاعه ملثوم)

(فإذا تعاورت الأكف زجاجها ... نفحت فشم رياحها **المزكوم**)

فقال الأخطل سمعت بمثل هذا يا شعبي قال إن أمنتك قلت لك قال أنت آمن فقلت له أشعر والله منك الذي يقول

(وأدكن عاتق جحل ربحل ... صبحت براحه شربا كراما)

(من اللائي حملن على المطايا ... كريح المسك تستل **الزكاما**)

فقال الأخطل ويحك ومن يقول هذا قلت الأعشى أعشى بني قيس ابن ثعلبة فقال قدوس ناك الأعشى أمهات الشعراء جميعا وحق الصليب

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة والهيثم بن عدي وحدثني الصولي قال حدثني الغلابي عن العتبي عن أبيه وذكر هارون بن الزيات عن حماد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن سعيد الضبي قالوا جميعا قدم الأخطل الكوفة فأتاه الشعبي يسمع من شعره قال فوجدته يتغدى فدعاني أتغدى فأتيته فوضع الشراب فدعاني إليه فأتيته فقال ما حاجتك قلت أحب أن أسمع من شعرك فأنشدني قوله

(صرمت أمامة حبلنا ورعوم ...)

---

(١) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج الرملي، شمس الدين ٨/٥٥

حتى انتهى إلى قوله

(فإذا تعاورت الأكف ختامها ... نفحت فشم رياحها المزكوم) ". [١]

٢-"والتغلبي إذا تنحنح للقرى ... حك آسته وتمثل الأمثالا

فلما قلته خجلت وسقط في يدي، فقال لي: يا عبد الله انبسط، فإنما قلت كلمة مقولة.

أحلى قول للمستملي

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري قال حدثنا عبد الله بن محمود بمرو قال، سمعت يحيى بن أكثم يقول: كنت قاضيا وأميرا ووزيرا وقاضيا على القضاة ما ولج سمعي أحلى من قول المستملي: من ذكرت رضي الله عنك؟

مجموعة حكم

حدثنا محمد بن عبد الله السليطي قال حدثنا محمد بن المنذر الهروي أبو عبد الرحمن شكر، قال حدثني حطان بن عبد الرحمن الجندي، قال حدثنا عبد الله بن سليمان الجندي قال، قالوا: دعامة العقل الحلم وجماعه الصبر. وأعلم أن هذه الدنيا دول، فما كان منها للإنسان أتاه على ضعفه، وما كان منها عليه لم يدفعه بقوته. وقالوا: الشر مخوف من كل وجه، والنفع مرجو من كل ناحية، وما أكثر ما يأتي الخير من وجوه الخوف ويأتي الشر من ناحية الرجاء.

حدثنا أحمد بن علي القاضي النيسابوري، قال حدثنا محمد بن المسيب الأرغياني، قال حدثنا عبد الله بن خبيق، قال حدثني أبو عبد الله الحلبي، قال سمعت أبا إسحاق الفزاري يقول: إن للحوئج فرسانا كفرسان الحرب. وقال لي أبو إسحاقك إن الرجل ليسألني عن حالي ولو أخبرته لشمت بي.

عمرو بن عبيد يعظ المنصور

حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني قال حدثنا الحارث بن أبي أسامة، قال حدثنا المدائني، قال: دخل عمرو بن عبيد على المنصور فقال: إن الله تعالى أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك منه ببعضها، واحذر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده. قال: فبكى أبو جعفر، قال عمرو: انبذ عنك البكاء واترك ما تنكر إلى ما تعرف، واعلم أن ربك لبالمرصارد، والسلام.

شعر إسحاق الموصلي

حين أبل صباح بن خاقان

حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي قال حدثنا محمد بن أحمد بن عمار قال حدثنا أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن علي قال حدثنا صباح بن خاقان قال: اعتللت علة أشفيت منها، فبلغ ذلك إسحاق بن إبراهيم الموصلي فاغتم منها، ثم ورد عليه الخبر بإفاقتي فكتب إلي:

حمدت الله إذ عافى صباحا ... وأعقبه السلامة والصلاحا

---

(١) الأغاني ١٤٥/٩

وكنا خائفين على صباح ... من الخبر الذي قد كان باحا

وخوفني من الحدثان أني ... رأيت الموت إن لم يغد راحا

الأخطل يسرق معنى للأعشى

حدثنا المظفر بن يحيى بن أحمد الشرابي، قال حدثنا أبو العباس المرثدي، قال أخبرني طلحة بن عبد الله الطلحي، قال أخبرني إبراهيم بن سعدان، قال حدثنا ابن بشير المديني قال: وفدت إلى بعض ملوك بني أمية فمررت بقرية فإذا رجل مرنح من الشراب قائم يبول، فسألته عن الطريق فقال: أمامك، ثم لحقني فقال: أنزل، فنزلت، فقال: ادن دونك وعليك الحانة، فدخلت، فأحضر سفرة واستل سلة فأخرج منها رغفا ووذرا من لحم فقال: أصب، ثم سقاني خمرا، فإذا أبو مالك. ثم قال لي: كيف علمك بالشعر؟ قلت: قد رويت، فأنشدني قصيدته:

صرمت حبالك زينب ورعوم

فلما انتهى حبالك زينب ورعوم فلما انتهى إلى قوله:

حتى إذا أخذ الزجاج أكفنا ... نفحت فأدرك ريحها المزكوم

قال: ألست تزعم أنك تبصر الشعر؟ قلت: بلى، قال: فكيف لم تشقق بطنك فضلا عن ثوبك عند هذا البيت؟! قال: قلت: قد فعلت عند البيت الذي سرقت هذا منه، قال: وما هو؟ قلت: بيت الأعشى:

من خمر عانة قد أتى لختامها ... حول، تفض غمامة المزكوم

قال: أنت تبصر الشعر، فلما صرت إلى سليمان سمرت معه بهذا أول بدأتي.

تعليق الجريري قال القاضي: للأعشى في هذا المعنى بيت هو أبلغ من هذا البيت في كلمة له أخرى وهو.

من اللاتي حملن على الروايا ... كريح المسك تستل الزكاما". (١)

٣-"واستلال الزكام أبلغ من فضه لأن استلاله نزعه وإخراجه، وفضه نشره وتفريقه وكسره كفض الخاتم، وفي فضه مع هذا إزالته وتنحيته كما يزول الخاتم عند فضه ويفارق ما كان حالا فيه ولازما له. وفي قول الأخطل: فأدرك ريحها المزكوم من البلاغة أنه إنما يفوته إدراك المشمول لحلول الزكام به وغلبته إياه، فإذا أدرك ريح الخمر التي كان الزكام حائلا بينه وبينها عندنفحتها فإنما ذلك لزوال الزكام وزوال بعضه وإن لم يزل بكليته، فمن هاهنا كان الفض والاستلال أبلغ وأبين في المعنى.

ما يقوله الحسن إذا أصبح وإذا أمسى

حدثنا طلحة بن محمد بن إسرائيل الجوهري قال حدثني أبو الحسن أحمد ابن عبد الرحمن الجوهري قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا سفيان الثوري عن حصين الأسدي قال: كان الحسن إذا أصبح قال:

يسر الفتى ما كان قدم من تقى ... إذا عرف الداء الذي هو قاتله

وإذا أمسى قال:

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح ص/٣٠٣

فما الدنيا بباقية لحي ... ولا حي على الدنيا باق

من أول من قال شعرا يعقوب أم آدم

حدثنا أحمد بن جعفر بن محمد المنادي، قال حدثنا محمد بن إسماعيل بن يونس أبو إسماعيل إملاء، قال حدثنا أبو صالح سهل بن خاقان، وكان من خيار الناس، قال: سمعت أبا المورع يقول: أول من قال بيت شعر يعقوب صلى الله عليه وسلم لما جاءوه فأخبروه عن يوسف عليه السلام بالذي أخبروه به فقال:

فصبر جميل بالذي جئتم به ... وحسبي إلهي في المهمات كافيا

قال القاضي أبو الفرج: قد أتت هذه الرواية بما وصفناه، وقد روي لنا أن أول من قال الشعر آدم عليه السلام لما قتل قابيل أخاه هابيل، وأن إبليس لعنه الله أجاب آدم عليه السلام عن شعره ذلك، وهي رواية معروفة، ولعلنا نأتي بها فيما بعد إذا خرجت لنا إن شاء الله تعالى.

معاوية يغري ابن عمر بالمال ليبايع ليزيد

حدثنا محمد بن العباس بن نجيح البزاز قال حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي من كتاب أبيه يلقن، قال حدثني أبي قال حدثنا مؤمل قال: حدثنا حماد بن زيد قال حدثنا أيوب عن نافع أن معاوية لما أراد أن يبايع ليزيد أرسل إلى ابن عمر بمائة ألف ثم أرسل إليه أن بايع ليزيد فقال ابن عمر: إن كان ذاك لذلك إن ديني عندي إذن لرخيص.

لماذا يختلف إلى الناس

حدثنا الحسن بن أحمد بن محمد بن سعيد الكلبي الدينوري، قال حدثنا أحمد بن علي بن نعيم الدينوري، قال حدثني محمد بن يزيد بن هارون الواسطي بسر من رأى، في سنة ثلاث وستين ومائتين، قال حدثنا القاسم بن بهرام عن أبي الزبير عن جابر عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لا يؤتى الرجل إلا لخصلة من أربع خصال: لشرف، أو لشكر معروف سلف، أو لأمر يؤتنف، أو لحديث يطرف.

حدثنا محمد بن زياد المقري قال سمعت أحمد بن صالح النحوي السرخسي قال، سمعت المسعودي يقول، قال المأمون: يختلف إلى الناس لأربعة أشياء: لصحة شرف، أو لعلم مطرف، أو لأمر مؤتنف، أو لمعروف قد سلف.

ما في جيب ابن الجهم حين قتل

حدثنا محمد بن الحسن بن أستاذ الهروي، قال سمعت عبد الله بن عروة يقول، سمعت أبا عشانة يقول: لما قتل علي بن الجهم وجد في جيبه رقعة فيها:

يا وحشتا للغريب في البلد لنا ... زح ماذا بنفسه صنعا

فارق أحبابه فما انتفعوا ... بالعيش من بعده ولا انتفعا

أف للدنيا وتف

حدثنا عبد الله بن الحسن بن محمد البزاز قال حدثنا محمد بن خلف قال حدثني عبد الله بن محمد بن مرزوق العتكي عن عبد الواحد بن غياث أو آخر غيره ذهب عني اسمه العتكي يقول هذا قال: قد دخلت دار المورياني ليلا فسمعت قائلا يقول:

أف للدنيا وتف ... كل من فيها يلف

فأجابه آخر:

لم تقل والله شيئا ... إن فيها من يعف

منهم القاضي ويحي ... والهجيمي المخف

توضيح

قال القاضي أبو الفرج: القاضي معاذ بن معاذ، ويحي بن سعيد القطان، وخالد بن الحارث الهجيمي.". (١)

٤-" المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لأنه تجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب أن كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار

الخواص يقال إن حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار إذا بخر به البيت وإذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وزبله إذا شمه **المزكوم** زال **زكامه** على ما ذكر

(بقر) هو حيوان شديد القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الانسان وهو أنواع الجواميس وهي أكثر ألبانا وكل حيون انائه أرق أصواتا من ذكوره إلا البقر وأنثاه يضربها الفحل في السنة مرة وإذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت وإذا طلع عليها الفحل التوت تحته إذا أخطأ المجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودي رأيت بالري البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور بالحمل (عجيبة) حكي في الأحياء أن شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل في بعض الأودية وهي واقفة ترعى فمر عليها فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال لها بعض بنيه يا أبت لا تندبها فان المياه التي نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها

فائدة ذكر ابن الفضل في كتاب عن وهب ابن منبه أنه قال لما خلق الله تعالى الأرض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا في نهاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الأرض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة آلاف ثقب فخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه إلا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمي الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوثاء له أربعة آلاف عين ومثلها أنوف وآذان وافواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له يهموت ثم أمره الله تعالى أن ". (٢)

٥-"أخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا الأشناندانى، قال: أخبرنا التوزى: قال: اختصم رجلان أحدهما من بنى قيس بن ثعلبة، و الآخر من بنى تغلب إلى رجل من النمر بن قاسط فى قول الأعشى:

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح ص/٣٠٤

(٢) المستطرف ٢/٢٢٦

من خمر عانة قد أتى لختامها

... البيت.

و قول الأخطل «٤٧».

و إذا تعاورت الأكف زجاجها نفحت فنال «٤٨» رياحها المزكوم

الموشح، ص: ١٨٥

فقال النمرى: و الله ما سوى بينهما، إنما جعلها الأخطل ينال المزكوم رياحها و جعلها الآخر تستل زكامه.

حدثنى محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا عبد الله بن أبى سعد الوراق، قال: حدثنا مالك بن غسان بن مسمع المسمعى، قال: حدثنا حسان بن أدهم المازنى- و كان علامة؛ و أخبرنى الصولى، قال: حدثنا أبو ذكوان، قال: حدثنا الهيثم بن عدى، قالا: دخل الشعبى على الأخطل فوجده ثملا من النبيذ و حوله لخالخ «٤٩» و رياحين، فقال له: يا شعبى؛ فعل الأخطل بأمهات الشعراء، ترفث. فقال له الشعبى: بم ذاك يا أبا مالك؟ قال: بقولى «٥٠»:

و تظل تنصفنا «٥١» بها قروية إبريقها برقاعه ملثوم

فإذا تعاورت الأكف زجاجها نفحت فنال «٥٢» رياحها المزكوم

فقال له الشعبي: فأشعر منك الذى يقول «٥٣»:

و أدكن عاتق جحل سبحل «٥٤» صبحت براحه شربا كراما

من اللائى «٥٥» حملن على الروايا «٥٦» كريح المسك تستل الزكاما

فقال له الأخطل: من يقول هذا يا شعبي؟ قال: الأعشى. فقال: قدوس قدوس، فعل الأعشى بأمهات الشعراء.

حدثنى إبراهيم بن محمد العطار، عن الحسن بن عليل العنزى، قال: حدثنا إسماعيل بن أبى محمد، قال: أخبرنى أبى- يعنى أبا محمد اليزيدى- قال: تذاكر

الموشح، ص: ١٨٦

الفرزدق و الأخطل جريرا؛ فقال له الأخطل: و الله إنك و إياى لأشعر منه، غير أنه قد أعطى من سيرورة الشعر شيئا ما أعطيه أحد؛ لقد قلت بيتا ما أعرف فى الدنيا بيتا أهجى منه «٥٧»:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولى على النار

تمامه:

فتمسك البول بخلا لا تجود به و لا تبول لهم إلا بمقدار". [1]

---

(١) الموشح ص/١١١

٦-"""""""" صفحة رقم ١٧٦ """""""

فوثبت إجلالا أقبل نعلها . . . بل تر به للبرء من أدوائي

قالت لك البشرى فطب نفسا بما . . . أوليت من نعم وحسن وفاء

بتنا وكل جوارحي تشكو لها . . . شوقي وما صنع الهوى بحشائي

فسكرت من ألفاظها ورضابها . . . مع لينها ومحاسن الحسناء

ونسيم أنفاس لقلبي أرسلت . . . سحرا فأحيا ميت الأحياء

لله من وطر قضيت مؤازرا . . . معها بثوبي عفة وحياء يا ليلة غلط الزمان بها ولو . . . عوضتها بالعمر كان منائي

وقلت أيضا

أفدي التي زارت بلا موعد . . . في غفلة الواشين والجاني

والوجه منها روضة أينعت . . . ما لمستها راحة الجاني

قمت لأجني الورد من خدها . . . وهي بسيف اللحظ ترعاني

فقلت ما هذا وقد راعني . . . قالت حديد يمنع الجاني

وأما كلام سيدي عمر بن الفارض في وصف طيب الحبيب فغاية لا يدركها اللبيب وذلك قوله :

ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها . . . وفي الغرب مزكوم لعادله الشم

فإنه مع ذكر البعد فيما بين الجهتين مرصع بلطائف لا يهتدى إليها إلا من خص بالعناية ألا ترى إلى وصفه الشام بالزكام المانع من الشم عادة وجعله في الغرب الذي يكثر الهواء منه لا إليه كما في القرينة الثانية وجعل المحبوبة في القطر الحار الذي تفنى فيه الرائحة إذا عبقت لشدة تحليل الشمس لما يحمله الهواء من تصعيد البخار ومع ذلك يشم ومنه أخذت فقلت :

لو اشتاقها في الغرب فاقد شمه . . . وكانت بأقصى الشرق شم نسيمها". (١)

٧-" ٪ (وقد أعقبت خلفي حدة ٪ وأورثني ألفها ضجره) ٪ ٪ (للعبد إن غاظني لطمة ٪ وللحر إن ساءني زجره) ٪ ٪ (ويربو الطحال إذا ما شبعت ٪ فتعلوا الترائب والصدره) ٪ ٪ (وأمسى كأني من معدتي ٪ لبست ثيابي على ذكره) ٪ ٪ (أسائل أهلي عن سحنتي ٪ وأمنحهم نظرة نظرة) ٪ ٪ (وأجزع إن قيل بي صفرة ٪ وأشفق إن قيل بي حمره) ٪ | ومن أجود ما قيل في الفصد قول ابن الرومي : ٪ (أيها البدر لم تزل في كمال الأمر ٪ بدرا وفي النماء هلالا) ٪ ٪ (كيف كانت عقبي افتصادك كانت ٪ صحة مستفادة واندمالا) ٪ ٪ (واعتدلا بين المزاج كما أوتيت ٪ في الخلق والخلاق اعتدالا) ٪ ٪ (فعل الله ذاك إنك ما زلت ٪ لمرضي ما أرتضي فعالا) ٪ | وفي الفصد شعر كثير ليس في أكثر ما مر بي مختار إلا ما أنشدته لعلي بن عبد العزيز الجرجاني : ٪ (ياليت عيني تحملت ألمك ٪ وليت نفسي تقسمت سقمك) ٪ ٪ (أو ليت كف الطبيب إذ فصدت ٪ عرقك أجري من ناظري دمك) ٪ ٪ (أعرته حسن

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق ١٧٦/٢

وجنتيك كما ٪ تعيره إن لثمت من لثمك) ٪ ٪ (طرفك أمضى من حد مبضعه ٪ فالحظ به العرق وإغتنم ألمك) ٪ |
ومن مليح ما قيل في الزكام ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن أبي ذكوان الجرمي قال دعا عيسى بن علي عبد الله بن المقفع إلى الغداء فقال : أعزك الله لست يومي هذا للكرام باكيل . قال ولم ؟ قال لأني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الأحرار . قال وكانت عجوز من بني عجل تقول : حقر من يحقر الزكام . ولم يمر بي في الصداع شئ مليح أثبته لك غير أني سمعت لبعضهم أبياتا في صغر العمامة حتى أشبهت عصابة يعصب بها الصداع وهي هذه الأبيات :

". (١)

٨-"روي أنه قيل: ثلاثة لا يعدن، المزكوم والرمد والجرب. وقالت عائشة رضي الله عنها: من لا يعودني في الزكام لا أبالي أن لا يعودني في مرض آخر. وقيل: مؤونة أنف المزكوم أعظم من مؤونة استين. ودعا عيسى بن علي ابن المقفع إلى الغداء فقال: لست اليوم بمؤاكل للكرام لأنني مزكوم، والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الأحرار. ويقال: أن الشيطان قال ما حسدت ابن آدم إلا على شيئين الطشاءة والحقوة أي الزكام والهيضة.

الوزير الرئيس الكافي الأوحد:

ونزلة كنت أحمي وجة موردها ... ففاجأتني على ضرب من الحمر

سدت علي طريق الروح متنشقا ... وأسلمتني لأيدي الروع والخدر

وأنشأت مزنة في الرأس مضرمة ... ينعق بارقها في السمع والبصر

حتى إذا مخضتها مدة قدرت ... مدت بصفو حميم غير ذي كدر

ففي شؤوني حريق من تلهبه ... وفي الخياشيم ضيق محصد المرر

لا الفصد يغني ولا ماء الشعير ولا ... طول احتماء إذا ما هم بالدرر

فالحمد لله حمدا لا كفاء له ... على السلامة، وقاها من الغير

شرب الأدوية المسهلة:

سئل طبيب كسرى عن دواء المشي فقال: سهم ترمي به في جوفك أخطأ أم أصاب. وقيل: الدواء مثل عدو إلى جانبه صديق، ترمي العدو فلا تأمن من أن يصيب الصديق. وقيل: الدواء في البطن كالصابون في الثوب، ينقيه لكن يخلقه. وقيل لبقراط: ما بال الإنسان أثور ما يكون بدنا إذا شرب الدواء؟ فقال: مثل ذلك مثل البيت أكثر ما يكون غبارا إذا كنس. وقيل: لا تستعمل الأدوية في ما تنفع فيع الأغذية. وقيل: النفس إذا ألفت الدواء فسدت، لأن الدواء يجب أن يطرأ عليها غريبا فتحتشم.

الكناية عن الأدوية المسهلة:

(١) ديوان المعاني ١٦٨/٢

كان ظرفاء البصرة يقولون لشارب الدواء: لم لبست النعل؟ ويقال: شربت فما أنجاني؛ كناية عنه. وكتب الصنوبري إلى صديق له شارب الدواء:

نبني كيف تخطيك إلى دار الكرامه ... كم جدار هد من رعد وكم سحت غمامه؟

فلم يجبه. فكتب إليه ثانيا:

ابن لي كيف أصبحت ... وما كان من الحال؟

وكم سارت بك الناقة نحو المنزل الخالي؟

فأجابه:

كتبت إليك والنعلان ما إن ... أغبهما من السير العنيف

فإن رمت الكتاب إلي فاكتب ... على العنوان يوصل في الكنيف

الحقنة:

كان كرتكين أمير بغداد أمره الطبيب بالحقنة قال: يوضع في استه كذا! فقال: في است من؟ فخاف الطبيب فقال: في استي أيد الله الأمير! وكان عين الدولة أصابه مغص فأشير عليه بالحقنة فأبى وتفادى منها. فلما اشتد به الوجع قال: يا قوم أدخلوا هذا الجذع في استي وأريحوني! فحقن وبرأ. واعتل أعرابي فأشير عليه بالحقنة. فقال صديق له:

كفى سوءة أنا نراك محبسا ... على شكوة قبحا، وفي استك عودها

الحث على التداوي بالأدوية:

روي في الخبر: تداووا فإن الله ما وضع داء إلا وضع دواء إلا الهرم. وقال الطبيب لرجل: بم تداوي من حماك؟ قال: بالنشرة. فقال: إن رأيت أن تغسلها بماء الشعير وتشربه فافعل. وقال رجل لآخر وكان معه إبل جرب: هلا داويتها؟ فقال: إن لنا عجوزا صالحة نتكل على دعائها ونستغني به عن الدواء! فقال: اجعل مع دعائها شيئا من القطران.

التداوي بالقرآن والأدعية:

وجد ابن أسقع يشكو حلقه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: عليك بقراءة القرآن. ووجد بعض الصحابة شكوى في بعض بدنه فقال صلى الله عليه وسلم: ضع يدك اليمنى عليه وقل: بسم الله أعوذ بالله وبقدرته من شر ما أجده، سبع مرات.

ذكر التأني في المداواة والمبادرة:

قيل: حق الطبيب أن يتأنى في المداواة فعثرته لا تقال. وقيل: المتأني في علاج الداء بعد معرفة الدواء كالمتأني في إطفاء النار، وقد أخذت بحواشي ثيابه.

نوادر الأطباء:". (١)

---

(١) محاضرات الأدباء ١٩٦/١

٩-"""""""" صفحة رقم ٤٥٩ """""""

الجراحات العارضة للأعصاب وحجب الدماغ وفم المثانة ويملأ القروح وينقيها ويثني اللحم فيها ، وإذا وضع على نهش الأفعى نفع ، والحديث منه يقع في بعض الأطعمة بدل الزيت وفي بعضها بدل الشحم ، وقد يجمع دخان الزبد على هذه الجهة خذ سراجا جديدا واجعل فيه زبدا وأوقد السراج وغطه بإناء أعلاه أضيق من أسفله ، وفي أسفله ثقب مثل أسفل التنانير ودع السراج يقد فإذا فني ما جعلت في السراج من الزبد أولا فصير فيه زبدا أيضا ولا تزال تفعل ذلك حتى يخرج لك من الدخان ما تريد ثم اجمعه بريشة واستعمله في أدوية العين فإنه يجفف ويقبض قبضا رقيقا ويقطع سيلان المواد إلى العين ويملأ قروحها سريعا أي يحملها . ابن سينا : حار رطب في الأولى ودرجته في الرطوبة أعلى وينفع من السعال البارد اليابس وخصوصا مع اللوز والسكر ويقع بمفرده في جراحات فم المثانة جدا الرازي : الزبد نافع لخشونة الحلق وللقوباء والسعفة اليابسة والخشنة ، إذا دلكا به وهو وخيم يطفو في فم المعدة ويسقط شهوة الطعام ويذهب بوخامته الملح والجبن الحريف وقد يذهب بذلك العسل أيضا إذا خلط به . التجربيين : هو نافع من التعقد الكائن على سطح البدن عند الحل عقيب الأغذية المهيجة للدم المستحيلة كاللبن والعسل وهو تعقد يشبه الحصف إلا أنه أخشن منه وأكثر نتوءا إلا أنه لا يقرح الجلد وتخشن به البشرة حتى يفزع ويوهم أنه ابتداء العلة الكبرى ، وقد يعم الجسم كله وقد يكون في بعض الأعضاء ووجه استعماله لمعاناة هذا المرض أن يغسل قبله بماء بارد ثم يطلى به ذلك التعقد ثم يتدير بثياب كثيرة حتى يسيل العرق سيلانا كثيرا ، ويعاد ذلك بحسب التأثير فإنه يبرىء العتيق منه وغير العتيق ، وإذا شرب نفع من استطلاق البطن والسحج الحادثين عن حدة ويزيد في الإطلاق الذي يكون عن ضعف المعدة وزلق الأمعاء ، وإذا مزج به شراب الورد وقطع الدواء المسهل إذا أفرط ، وإذا أضيف إلى الإحساء سهل نفث الأخلاط اللزجة ، وإذا ضرب بفصوص البيض وطبخ نيمرشت نفع من لذع الأخلاط ، وإذا عمل بهذه الصفة تضاعفت منفعته في جميع ما تقدم ذكره من الأدواء التي ينفع منها وينفع من حرقة المثانة مفردا أو مع البيض النيمرشت .

زباد : الشريف : هو نوع من الطيب يجمع من بين أفخاذ هر معروف يكون بالصحراء يصاد ويطعم قطع اللحم ثم يعرق فيكون من عرق بين فخذيه حينئذ هذا الطيب ، وهذا الحيوان أكبر من الهر الأهلي وهو معروف ، والزبادة حارة في الثالثة معتدلة في الرطوبة يابسة خاصتها إذا ضمخت بها الدماميل جففتها وخففت أوجاعها ، وإذا استنشق **المزكوم** ريحها نفعته من **الزكام** ، وإذا سقي منها وزن درهم مع مثلها زعفرانا في مرقة دجاجة سمينة". (١)

١٠-"""""""" صفحة رقم ٤٨٤ """""""

البري للعين لأنه أسلس وأخف عليها منه . ابن سينا : ورق الزيتون يقبض وينفع من تآكل الأسنان إذا طبخ وأمسك العليل ماء في فمه . التجربتين : ورق الزيتون يطبخ بماء الحصرم حتى يصير كالعسل ويطلى به على الأسنان المتآكلة فيقلعها . الطبري : وإذا احتقن به نفع من قروح المقعدة الباطنة والرحم ، وورق الزيتون البري إذا أحرق وضمد به معجونا بالماء

(١) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٤٥٩/٢

الحار عرق النسا فوق العرقوب بأربعة أصابع من الجانب الوحشي ويترك عليه حتى يتقرح الموضع كان ذلك من مرة واحدة أو من أكثر فإنه يسيل من الموضع مادة كثيرة ويتآكل اللحم الذي خلل الليف وتبرأ بذلك الشكاية جملة ثم يعاني الموضع بالأدوية الملحمة . ديسقوريدوس : بدله وزنه من السائلة من رطب خشب الزيتون البستاني إذا ألهب فيه النار إذا تلطخ به أبرأت النخالة التي في الرأس والجرب والقوباء . الفلاحة : إن علق بعض عروق الزيتون على من لدغته العقرب برىء وإن أخذ عروق شجر الزيتون وورقها وطبخا بالماء وتضمض به وهو حار من شكى رأسه من برد سكن الوجع ، وإذا صبه المزكوم على رأسه حلل رطوبة كثيرة من رأسه واحدرها وخفف الزكام ، وإن أكب على بخار هذا الماء وصبر على ذلك حتى يبرد وينفذ بخاره أحد رطوبة من المنخرين والرأس وأجراها سفلا وهو دواء جليل المقدار لهذه العلة . ديسقوريدوس : وثمر الزيتون إذا تضمد به شفى من نخالة الرأس ومن القروح الخبيثة وما داخل نوى الثمر إذا خلط بشحم ودقيق قلع الآثار البيض العارضة للأظفار وأما الزيتون الذي يقال له قولسادس ، وهو زيتون الماء إذا كان مسحوقا وتضمد به لم يدع حرق النار أن يتنقط وينقي القروح الوسخة .

إسحاق بن عمران : الزيتون الأخضر بارد يابس عاقل للطبيعة دابغ للمعدة مقو لشهوتها بطيء الانهضام رديء الغذاء فإذا ربي بالخل كان أسرع انهضاما وأكثر عقلا للبطن ، وإذا عمل بالملح اكتسب منه حرارة وكان ألطف من المنقع في الماء . ديسقوريدوس : وماء الملح الذي كبس فيه الزيتون إذا تمضمض به شد اللثة والأسنان المتحركة والزيتون الحديث الذي لونه لون الياقوت ما هو يحبس البطن وهو جيد للمعدة ، وأما الزيتون الأسود النضيج فإنه سريع الفساد رديء للمعدة غير موافق للعين ، وإذا أحرق وتضمد به منع القروح الخبيثة من أن تسعى في البدن وقلع القروح المسماة أبتراقش . أما الزيتون الأسود فحار يابس وهو أسرع انهضاما من الأخضر ، وإذا انهضم في المعدة انقلب إلى المرة الصفراء ثم تعفن فصار وداء ، ولذلك صار فاسدا مظلما للعينين . إسحاق بن عمران : الزيتون الأسود مع نواه من جملة البخورات للربو وأمراض الرئة . ابن سينا : والخلط المتولد من الزيتون قليل مذموم فإن أكل في وسط الطعام أحد الشهوة وقلل إبطاء الطعام في المعدة ." (١)

١١-"""""""" صفحة رقم ١٢٦ """"""

وهو حار يابس إذا طبخ بماء وجلس فيه صاحب وجع المفاصل نفعه نفعا بينا وإذا بخر به المزكوم وهو جاف أذهب زكامه وإذا جفف واغتسل به في الحمام نفع من الحكة والجرب الرطب .

ضروع الكلبة : إسم يمني عربي لشجر بجبال مكة وتعرفه أهل اليمن بالزقوم أيضا وقد ذكرته في حرف الزاي .

ضرس العجوز : إسم لحسك السعدان وقد ذكرته في السين .

ضرع :

جالينوس في أغذيته : إذا كان مملوءا لبنا فغذاؤه إذا استمرى استمراء جيدا قريب من غذاء اللحم فإذا لم يستحكم هضمه تولد منه خلط خام أو بلغمي . ابن ماسويه : بارد يابس للعصبية التي فيه وينبغي أن يؤكل بالأفاويه ليسرع انحداره عن

(١) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٢/٤٨٤

المعدة . إبن سينا : هو عن الحيوان الجيد اللحم جدا جيد الخلط غليظه قويه . الشريف : إذا أكلته المرأة القليلة اللبن أدر لبنها .

ضرم : قيل إنه الأسطوخودوس وقد ذكرته في الألف .

ضغابيس :

أبو حنيفة : واحدها ضغبوس وهو نبات ينبت له ساق مثل ساق الهليون سواء فما كان فيه فوق الأرض فهو أخضر حامض وما تحت الأرض أبيض حلو وكله يؤكل وإذا جف حتته الريح فطيرته ويقال أيضا للقثاء الصغار ضغابيس .

ضفادع :

ديسقوريدوس في الثانية : النهرية منها إذا طبخت بملح وزيت واستعملت كانت بادزهرا للهوام كلها ومرقها أيضا إذا عمل على هذه الصفة وخلط مع موم ودهن ورد كان موافقا للأمراض المزمنة العارضة للأوتار والقروح ذوات المدة وإذا أحرقت الضفادع ودر رمادها على الدم السائل من العضو قطع سيلانه والرعاف أيضا وإذا خلط بزفت رطب ولطخ على داء الثعلب أبرأ منه ودم الضفادع الخضر إذا قطر على موع الشعر النابت في العين وقد نتف منعه أن ينبت وإذا طبخت بماء وخل وتمضمض بطبخها نفع من وجع الأسنان . جالينوس : وأدمغة الضفادع المحرقة يقال إنها تقطع انفجار الدم إذا نثرت عليه وإذا عولجوا به وزعموا أنه إن خلط مع الزفت الرطب شفا داء الثعلب ، وزعموا أن دم الضفادع الخضر إذا نتف الشعر الزائد في الأجفان ووضع منه على موضع الشعر لم ينبث فوجدت ذلك كذبا عند التجربة . الرازي في الحاوي قال إسحاق : أن رجلا أصابه سهم فنشب في عظم جبهته وبقي مدة طويلة إلا أنه عالجه علاجا كثيرا فلم ينفعه حتى أنه وضع عليه ضفدعا قد سلخ جلده ورمي برأسه وأطرافه فأخرج لزج في يوم وليلة وبرز من ذاته حتى". (١)

١٢-"* زباد: «ع» الزباد نوع من الطيب، يجمع من بين أفخاذ هر معروف بالصحراء، يصاد ويطعم ويعرق، فيكون هذا الطيب من عرق بين فخذيه، وهو أكبر من الهر الأهلي. والزباد حار في الدرجة الثالثة، معتدل الرطوبة، وخاصيته إذا ضمخت به الدماميل جففها، وإذا استنشق المزكوم ريحه نفعه من الزكام، وإذا سقي منه درهم مع مثله زعفران في مرقة دجاجة سمينة للمرأة التي عسر بها النفاس، سهل ولادتها، وكان ذلك أنجح دواء، وإذا ذوب منه زنة قيراط في أوقية من شراب مفرح، أذهب الخفقان، وكان دواء جيدا نافعا من ضعف القلب. «ج» حار في الثالثة، معتدل في الرطوبة، ولم يذكر منافعه.

* زبرجد: «ع» يذكر في الزمرد فيما بعد إن شاء الله تعالى.

* زبل: «ع» كل زبل فهو محلل مجفف مسخن، وزبل الصبي المغتذي بالترمس، والذي يجتنب التخمة والأغذية الكثيرة الرطوبة، ينفع من الخناق طلاء على الحلق، وإنما يحمى من الأغذية الكثيرة الرطوبة، ليقل نتنه، ويكون شبيها بزبل الكلاب. «ج» الزبل يختلف باختلاف الحيوان: فزبل الجراد للكلف والبهق، وزبل الأطفال يتحنك به للخناق والذبحة، وينفخ في

(١) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١٢٦/٣

الحلق لذلك، وزبل الكلاب ينفع من القولنج حقنة بماء حار، وزبل العصافير ينقى ويذهب الكلف من الوجه، وإذا عجن ببصاق الإنسان، وطلى على الثآليل قلعها، وزبل الرخم، قيل إنه يسقط الأجنة، وزبل الفيل ذكر بعض الأطباء أنه إذا تحملت به المرأة بصوفة، ينفع الحبل، وإن تبخر به صاحب الحمى العتيقة نفعه.". [١]

١٣-"أو ثلاث، على قدر قوة العليل، قيأ قيئا عظيما، وأخرج البلغم عن المعدة بقهر، من غير أن ينال من ذلك كثرة مضرة. وإذا أحرق من غض ورقه قبضة حتى يكون رمادا، أو خلط بماء وطبخ أيضا جيدا، ثم صفي وشرب منه صاحب وجع الخاصرة مقدار ثلاث أواق، أبرأه. وفحم خشبه إذا حشي به الجراحات شدها، وقطع دمها، ونفع منها، وخاصة في جراح الختان. وبدل ضرو اليمن: ضرو الأندلس. «ج» هو نبات يشبه نبت الجبال، ويجلب من اليمن. وشجره عظيم، وصمغه يجلب من مكة، وهو كاللاذن في قوة الطيب، يدخل في طيب النساء، وهو حار في الثالثة، وقيل في الثانية. وهو رطب في الأولى، وقيل يابس في الثانية. وهو محلل جذاب من عمق البدن، وينفع من سيلان البلغم، وهو صمغ الكمكام. الشربة منه: درهم.

* ضريع: «ع» هو نبات يقذف به البحر المالح من جوفه، يوجد على ساحل البحر. وهو حار يابس، إذا طبخ بماء وجلس فيه صاحب وجع المفاصل نفعه نفعا بينا، وإذا بخر به **المزكوم** وهو جاف أذهب **زكامه**، وإذا جفف وغسل بماء في الحمام نفع من الحكة والجرب الرطب.

* ضرع: «ع» إذا كان مملوءا لبنا فغذاؤه إذا استمرئ استمراء جيدا قريب من اللحم، وإذا لم يستحكم هضمه تولد منه خلط بلغمي، وهو بارد يابس، وينبغي أن يؤكل بالأفاويه، ليسرع انحداره عن المعدة، وإذا أكلته المرأة القليلة اللبن أدر لبنها: «ج» أحمده ما كان من حيوان جيد اللحم، ويكون فيه لبن، وهو بارد يابس. وينبغي أكله بالأفاويه لينحدر سريعا. «ف» أكله بالأفاويه يزيد في اللبن، ويكثر المني، ويستعمل بقدر المزاج.

* ضغابيس: «ع» نبات مثل الهليون، له ساق، ويقال للقثاء الصغار ضغابيس. وقد ذكر القثاء والخيار. «ج» صغار القثاء. «ف» هو صغار القثاء. رطب يلين الطبع، وينفع المعدة الحارة ويلينها، وهو غير موافق للمبرودين، ويستعمل منه: بقدر الكفاية.". [٢]

١٤-" - (عطاس) هو في المنام استبانة أمر كان منه في شك فمن رأى أنه يعطس فإنه يستيقن مما هو شاك فيه والعطاس يدل على موت المريض أو الهم والنكد الموجبين للانزعاج وإن كان الرائي في شدة فرج عنه أو فقيرا وجد إعانة لأنه الناس يشمتونه ويدعون له بالخير وربما أن الرائي يخدمه الناس وإن كان مديونا سعى في قضاء دينه وإن كان **مزكوما** بريء وربما دل العطس على **الزكام** وربما دل على الغيظ وتقطيب [ص ٨٩] الوجه ومن عطس في المنام عطسة شديدة فليحذر

---

(١) المعتمد في الأدوية المفردة ١/٢٤٨

(٢) المعتمد في الأدوية المفردة ١/٣٦٤

من عدوه إذا بارزه أو حاربه فإنه يغلبه ويضره ". (١)

١٥-"بسفنانج: أجوده الغليظ الأخضر الأملس وهو حار يابس محلل النفخ والريح والرطوبة ويسهل بلا مغص ولا كرب وينفع من نزف الدم.

شيرخشك: هو حار باعتدال وهو أقوى فعلا من الزنجبيل.

مربطارخ: حار يابس مفتح للسدد محلل للرياح وينفع مع الشراب شربا للسع العقارب وللمعدة المسترخية.

أشنان: هو حار يابس مفتح محلل. ووزن نصف درهم منه يحل عسر البول، ودرهم يدر الحيض، وثلاثة دراهم تسهل مائية الاستسقاء. وهو يجلو الأسنان. ودخان الأخضر يهرب منه الهوام.

فصل في

البزور

بزر قطونا: بارد رطب يصفي الحرارة والعطش ويسكن الصفراء.

بزر مرو: حار رطب يسهل البلغم وقدر ما يؤخذ منه زنة درهمين.

بزر البصل: حار يابس، يحرك الباه من الأمزجة الباردة.

بزر اللفت: حار رطب يزيد في قوة الجماع. وقدر ما يؤخذ منه وزن درهمين.

بزر الجزر: حار يابس يهيج الباه ويدر البول والحيض، وينفع من لسع الهوام شربا وضمادا.

بزر السذاب: حار يابس يقاوم السموم إذا استعمل مع التين والجوز.

بزر الرازيانج: حار يابس قابض مفتح مسكن للأوجاع محلل للرياح يدر البول والحيض.

بزر الفجل: حار يابس، ينفع من نهش ذوات السموم وينفع من وجع المفاصل، ويحلل ورم الطحال ويسهل خروج الطعام.

بزر الهندبا: معتدل بين الحر والبرد ينفع من الحميات الصفراوية ومن سدد الكبد واليرقان وقدر ما يؤخذ منه نحو مثقال.

بزر قثاء: بارد رطب يجلو ويدر البول وقدر ما يؤخذ منه عشرة دراهم. وإذا دق ودهن به البدن حسنه.

حب الرمان الحامض: بارد يابس يمنع القيء والغثيان، وينفع من المواد الصفراوية.

بزر هليون: حار رطب يدر المني ويحرك شهوة الجماع. وقدر ما يؤخذ منه درهمان.

فصل في

خواص الحيوانات

خواص البغل، وأعضاؤه وأجزاؤه: شحم أذنه إذا سقيت منه المرأة لا تحبل أبدا. مخه إذا طعم منه الإنسان تناقص عقله وفهمه وحصل له التوهم والنسيان والسهو. قلبه تأكله المرأة فلا تحبل. حافره إذا أحرق أو أذيب بدهن الآس وطلي به رأس الأقرع أنبت الشعر. خصيته تجفف بملح وتوضع في جلد حرير وتعلق في رقبة فرس أو جمل فإنه لا يصيبه سوء ما دامت

---

(١) تعطير الأنام في تفسير الأحلام ٨٨/٢

معلقة عليه. بوله إذا شربته المرأة طرحت جنينها الميت، وإن شمه المزكوم وبصق عليه وكبه في طريق فمن داس عليه انتقل الزكام إليه ويبرأ المزكوم الذي كبه. الزنبور الذي يوجد في دبر البغل، يجفف ويبخر به صاحب البواسير يبرأ. جلد جبهته إذا أحرق في مكان لا يحصل فيه اتفاق ولا صلح ولا يتم فيه شيء من الأمور.

خواص الحمار وأجزاؤه: مخه يسقى لمن غلب عليه النسيان. سنه إذا وضع تحت رأس من قل نومه نام. كبده يجفف ويعلق على من به حمى الربع تزول عنه. طحاله يجفف ويدخر، فإن قل لين ثدي المرأة سحق بماء وطلي به الثدي يكثر اللبن فيه. حافره يسحق بعد حرقه ويطلى به جبهة من به صرع أياما يزول عنه. ويخلط بالزيت ويطلي به الخنازير يجففها.

قال بلنياس: يشق حافر الحمار ويحشى قطرانا وكلسا ويحرق بشيرج زنج ويطلى به البرص يقلعه، ولو كان عتيقا. فإذا تدخنت المرأة المطلقة بحافر الحمار أسرع خروج ولدها حيا سالما بسهولة؛ وكذلك إذا كان الجنين ميتا أخرجه. ويؤخذ من ذنبه ثلاث طاقات شعر حين ينزو على الأتان ويشد على ساق الرجل ينتشر ذكره ويستوي على سوقه وينعظ في الحال.

لحمه: من أكل منه أمن من آفات السموم فلا يؤثر فيه سم أبدا، وينفع صاحب الجذام نفعا جيدا. دمه يطلى به البواسير مرارا تسقط. لبن الحمار يسقى للصبي الذي يكثر بكاؤه ويزول عنه ذلك، ومن ضرب بالسياط ضرب الموت يسلخ له جلد حمار في الحال ويلبس به جسمه وينام فيه ليلة فإنه يزول عنه ألم الضرب ويأمن عاقبته. جلد جبهته يعلق على المصروع يزول عنه. ويلقى شيء من شعر ذنبه في نبيذ قوم يسكرون فيقع بينهم الشر والخصومة والعربدة. عصارة روثه تسقى لمن في مثانته حصاة تفتتها.". (١)

١٦-" وأطفأت عني نار نعمان بعدما ... أغذ لأمر فاجر وتجردا

ولما رأى النعمان دوني ابن حرة ... طوى الكشح إذ لم يستطعني وعردا

قال الأخطل : ما رأيت أعجب من قصتي وقصة جرير هجوته بأجود هجاء يكون وهجاني بأرذل شعر فنفق فصار علما ! قلت فيه : من البسيط

مازال فينا رباط الخيل معلمة ... وفي كليب رباط الذل والعار

النازلين بدار الهون مذ خلقوا ... والماكثين على رغم وإصغار

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم ... قالوا لأمهم بولي على النار

وهجاني جرير بأن قال : من الكامل

والتغلبي إذا تنحنح للقرى ... حك استه وتمثل الأمثال

فانظر كم بين الشعرين !

قال ابن بشير المدني : وفدت إلى بعض ملوك بني أمية فمررت بقرية فإذا رجل مرنح بالشراب قائم يبول فسألته عن الطريق فقال : أمامك . ثم لحقني فقال : انزل فنزلت فقال : ادن وعليك الحانة فدخلت فأحضر سفرة واستل سلة فأخرج

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/٩٠

منها رغفا ووذرا من لحم فقال : أصب فأصبت ثم صقاني خمرا فإذا أبو مالك ! ثم قال لي : كيف علمك بالشعر ؟ قلت : قد زويت فأنشدني قصيدته : من الكامل

صرمت حبالك زينب ورعوم

فلما انتهى إلى قوله :

حتى إذا أخذ الزجاج أكفنا ... نفحت فأدرك ريحها المزكوم

قال : ألست تزعم أنك تبصر الشعر ؟ قلت : بلى قال : فكيف لم تشقق بطنك فضلا عن ثوبك عند هذا البيت ! قال : قلت قد فعلت عند البيت الذي سرقت هذا منه قال : وما هو ؟ قلت : بيت الأعشى : من الكامل

من خمر عانة قد أتى لختامها ... حول تفض غمامة المزكوم

قال : أنت تبصر الشعر فلما صرت إلى سليمان سمرت معه بهذا أول بدأتي

قال المصنف : وللأعشى في هذا المعنى بيت أبلغ من هذا في كلمة أخرى وهو : من الوافر

من اللاتي حملن على الروايا ... كريح المسك تستل الزكاما

واستلال الزكام أبلغ من فضه لأن استلاله نزعه وإخراجه وفضه نشره وتفريقه وكسره كفض الخاتم وفي فضه مع هذا إزالته وتنحيته كما يزول الختام عند فضة فيفارق ما كان حالا فيه ولازما له ؛ وفي قول الأخطل : " . . فأدرك ريحها المزكوم " من البلاغة أنه إنما يقويه إدراك المشموم بحلول الزكام به وغلبته إياه فإذا أدرك ريح الخمر التي كان الزكام حائلا بينه وبينها عند نفحتها فإنما ذلك لزوال الزكام المانع الحائل بينه وبين إدراكها وقد تدرك الرائحة بعد خفة الزكام وزوال بعضه وإن لم يزل بكليته فمن هاهنا كان الفض والاستلال أبلغ وأبين في المعنى

غيث بن علي بن عبد السلام

ابن محمد بن جعفر أبو الفرج بن أبي الحسن الصوري المعروف بابن الأرمنازي الكاتب خطيب صور قدم دمشق وكان ثقة ثبتا

حدث بدمشق سنة سبع وخمس مئة عن أبي القاسم رمضان بن علي بن عبد الساتر بن أحمد بن رمضان بسنده إلى أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء وأتى المسجد ولم يلغ ولم يجهل كانت هذه كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى . والصلاة تكفر ما بينها وبين صاحبتها

ولد أبو الفرج غيث سنة ثلاث وأربعين مئة وتوفي سنة تسع وخمس مئة

غيلان بن أنس

أبو زيد الكلبي مولاهم من أهل دمشق

حدث عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : إن اسم الله الأعظم لفي سور من القرآن البقرة وآل عمران وطه . قال أبو حفص عمرو : فنظرت أنا في السور الثلاثة فرأيت فيها شيئا ليس في

القرآن مثله آية الكرسي : " الله لا إله هو الحي القيوم " وفي آل عمران " الله لا إله هو الحي القيوم " وفي طه : " وعنت الوجوه للحي القيوم "

وفي رواية عن أبي أمامة يرفعه قال : اسم الله الأعظم إذا دعي به أجاب في ثلاث سور : في البقرة وآل عمران وطه

وحدث الأوزاعي عن غيلان أنه رأى عمر بن عبد العزيز يرفع يديه مع كل تكبيرة مع الجنازة

وعن غيلان بن أنس قال : ما ازداد عبد فهما إلا ازداد قصدا وما قلد الله عبدا قلادة خيرا من سكينة

غيلان بن سلمة بن معتب

ابن مالك بن كعب بن عمو بن سعد بن عوف الثقفي له صحبة وكان بدمشق حين توفي عبد الملك بن مروان ". (١)

١٧-" قال لي هارون الرشيد : أين أنخت لولدك من بعدك ؟ قلت : يا أمير المؤمنين بالشام قال : وأي موضع بالشام ؟ قلت : بساحل دمشق بحصن يقال له صيدا قال : وكيف أنخته الشام وهو - ذكروا - مأواة الفتن وفيه العصبية ؟ فقلت له : يا أمير المؤمنين إنه بلد أرضه طعام وسماؤه إدام قال لي : فتحملنا أن نصير إليه ؟ قال : قلت : فما نحملك يا أمير المؤمنين

ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد

أبو بصير ويقال : أبو بسر التغلبي الشاعر المعروف بالأعشى أحد فحول الشعراء وفد على آل جفنة الغسانيين

قال يونس بن حبيب : أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى وأهل الحجاز والبادية يقدمون زهيرا والنابغة

وأبو بصير بباء معجمة بواحدة من تحتها وصاد مهملة مكسورة

أدرك سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ومدحه ولم يسلم وهو من بني بكر بن وائل

دخل حسان بن ثابت في الجاهلة بيت خمار بالشام ومعه أعشى بكر بن وائل واشتريا خمرا وشربا فنام حسان ثم انتبه فسمع الأعشى يقول للخمار : كره الشيخ الغرم فتركه حسان حتى نام ثم اشترى خمر الخمار كلها ثم سكبها في البيت حتى سالت تحت الأعشى فعلم أنه سمع كلامه فاعتذر إليه

ذكر عمر بن شبة أن الأعشى وفد إلى النبي صلى الله عليه و سلم ومدحه بقصيدته التي أولها : " من الطويل "

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وعادك ما عاد السليم المسهدا

يقول لنا فيه :

فآليت لا أرثي لها من كلالة ... ولا من حفا حتى تلاقي محمدا

نبي يرى ما لا ترون وذكره ... أغار لعمري في البلاد وأنجدا

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم ... تراحي وتلقي من فواضله يدا

---

(١) مختصر تاريخ دمشق - مفهرس ص/٢٧٥٣

فبلغ خبره قريشا فرصدوه على طريقه وقالوا : هذا صناجة العرب ما مدح أحدا قط إلى رفع من قدره . فلما ورد عليهم قالوا له : أين أردت أبا بصير ؟ قال : أردت صاحبكم هذا لأسلم قال : إنه ينهاك عن خلال ويحرمها وكلها بك رافق ولك موافق قال : وما هن ؟ فقال أبو سفيان : الزنا فقال : لقد تركني الزنا وما تركته وماذا ؟ قال : القمار . قال : لعلي إن لقيته اصبت منه عوضا من القمار وماذا ؟ قال : الربا قال : ما دينت ولا ادينت قط وماذا ؟ قال : الخمر قال : أوه أرجع إلى صبابة قد بقيت في المهراس فأشربها فقال أبو سفيان : أبا بصير هل لك في خير مما هممت به ؟ قال : وما هو ؟ قال نحن وهو الآن في هدنة فتأخذ مئة من الإبل وترجع إلى بلدك سنتك هذه فننظر ما يصير إليه أمرنا فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفا وإن ظهر علينا أتيته قال : ما أكره ذاك

فقال أبو سفيان يا معشر قريش هذا الأعشى والله لئن أتى محمدا واتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره فاجمعوا له مئة من الإبل ففعلوا وأخذها وانطلق إلى بلده

فلما كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله فدفن عناك فإذا أراد الفتيان أن يشربوا خرجوا إلى قبره وشربوا عنده صبوا عليه فضلات الأقداح

وعن أبي هريرة قال : رخص رسول الله صلى الله عليه و سلم في شعر الجاهلية إلا قصيدة أمية بن أبي الصلت في أهل بدر وقصيدة الأعشى في عامر وعلقمة . وفي رواية : التي يذكر فيها الخوض

جمع عبد الملك بن مروان بنيه ذات يوم ومسلمة وسليمان فاستقرأهم فقرؤوا فأحسنوا واستنشدهم فأنشدوا فأجادوا لكل شاعر غير الأعشى فقال لهم : قرأتم فأحسنتم وأنشدتم فأجدتم لكل شاعر غير الأعشى فما لكم تهجرونه ؟ قد أخذ في كل فن حسن فأحسن وما امتدح رجلا قط إلا تركه مذكورا هذا عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة وهما من بيت واحد هجا علقمة فأخمله وكان شريفا مذكورا ومدح عامر بن الطفيل فرفعه

قيل لمحمد بن مروان : من أشعر الناس ؟ فقال : امرؤ القيس إذا ركب والنابغة إذا رهب وزهير إذا عجب والأعشى إذا طرب

دخل الشعبي على الأخطل فوجده ثملا وحوله لخالخ ورياحين فقال : يا شعبي فعل الأخطل وذكر أمهات الشعراء . فقال الشعبي : بماذا يا أبا مالك ؟ قال : بقوله : " من الكامل "

وإذا تعاورت الأكف زجاجها ... نفحت فنال رياحها المزكوم

فقال الشعبي : أشعر منك الذي قال : " من الوافر "

من اللائي حملن على الروايا ... كريح المسك تستل الزكاما ". (١)

١٨-" فقال له الأخطل : من يقول هذا ؟ قال : الأعشى قال : قدوس قدوس فعل الأعشى وذكر أمهات الشعراء

---

(١) مختصر تاريخ دمشق - مفهرس ص/٣٤٨٩

قال الخطابي : تأمل أين منزلة أحدهما من الآخر ؟ ! لم يزد الأخطل حين احتشد على أن جعل رائحتها لذكائها تنفذ حتى تخلص إلى الرأس فينالها المزكوم وجعلها الأعشى لحدتها وفرط ذكائها مستلة للزكام طاردة له

كان سفيان يتمثل بأبيات الأعشى : " من الطويل "

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على ألا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد بما كان أرصدا

أنشد ابن الأعرابي للأعشى : " من المنسرح "

استأثر الله بالوفاء وبال ... عدل وولى الملامة الرجلا

الشعر قلدته سلامة ذا ال ... مفضال والشيء حيثما جعلا

والشعر يستثير الكريم كما اس ... تنزل رعد السحابة السبلا

قال حرب : لقيت الأعشى في الجاهلية فقلت له : ما عنيت بقولك : " من الكامل "

وسبية مما تعتق بابل ... كدم الذبيح سلبتها جريالها

قال : شربتها حمراء وبلتها بيضاء

قال المازني : لما قدمت سر من رأى دخلت على الخليفة فقال : يا مازني من خلفت وراءك ؟ فقلت : خلفت أخية لي أصغر مني مقام الولد قال : فما قالت لك حين خرجت ؟ قال : طافت حولي وقالت وهي تبكي : أقول لك يا أخي كما قالت بنت الأعشى لأبيها : " من المتقارب "

تقول ابنتي حين جد الرحيل ... أرانا سواء ومن قد يتم

أبانا فلا رمت من عندنا ... فإنا بخير إذا لم ترم

ترانا إذا أضمرتك البلا ... د نجفى وتقطع منا الرحم

قال : فما قلت لها ؟ قال : قلت : أقول لك يا أخية كما قال جرير لابنته : قال أبو سعيد : الصواب : كما قال لزوجته أو حزرة : " من الوافر "

ثقي بالله ليس له شريك ... ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال : لا جرم أنها ستنجح وأمر لي بثلاثين ألف درهم

ميمون بن مهران

أبو أيوب مولى بني أسد فقيه أهل الجزيرة . ولد سنة أربعين ووفد على عمر بن عبد العزيز

حدث عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه و سلم آخر جنازة صلى عليها كبر أربعا

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : اتخذوا هذه الحمام المقاصيص فإنها تلهو عن صبيانكم من الشياطين

وعنه قال : احتجم رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو محرم

وفي رواية : وهو صائم محرم

وقد ضعف قوم هذا الحديث

حدث ميمون عن مهران قال : أتيت صفية بنت شيبة وهي امرأة كبيرة فسألتها : هل تزوج رسول الله صلى الله عليه و سلم ميمونه وهو محرم ؟ فقالت : لا ولقد تزوجها وإنهما لحلالان

قال عبد الملك بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران : نحن من سبي إصطخر

قال ميمون : كانت أمي لبني نصر بن معاوية من قيس عيلان وولدت أنا وأمي حرة وكان أبي للأزد

قال ميمون : لقد أدركت من لم يتكلم إلا الحق أو يسكت وأدركت من لم يكن يملأ عينيه من السماء فرقا من ربه وقد أدركت من كنت أستحي أن أتكلم عنده

كان عمر بن عبد العزيز إذا نظر إلى ميمون بن مهران قال : إذا ذهب هذا وقرنه صار الناس من بعدهم رجاجا

قال سليمان بن موسى : إذا أتانا العلم من الحجاز عن الزهري قبلناه وإذا أتانا من الشام عن مكحول قبلناه وإذا أتانا من الجزيرة عن ميمون بن مهران قبلناه وإذا أتانا من العراق عن الحسن قبلناه

زاد في غيره : فكل هؤلاء الأربعة علماء الناس في زمن هشام

سأل عبد الملك بن مروان عن فقيه أهل المدينة فقيل : سليمان بن يسار وعن فقيه أهل مكة فقالوا : عطاء بن أبي رباح وعن فقيه أهل اليمن قالوا : طاووس وعن فقيه أهل الجزيرة فقيل : ميمون بن مهران وعن فقيه أهل الشام فقيل : مكحول وعن فقيه أهل البصرة فقيل : الحسن بن أبي الحسن وعن فقيه أهل الكوفة فقيل : سعيد بن جبير فقال : ما أراهم إلا أبناء السبايا ومحكول من سبي كابل مولى لامرأة من هذيل

قال أبو المليح : ما رأيت أحدا أفضل من ميمون بن مهران قال له رجل يوما : يا أبا أيوب أتشتكي ؟ أراك مصفرا ! قال : نعم لما يبلغني في أقطار الأرض

قال أبو الحسن الميموني : سمعت عمي عمرا يقول : ما كان أبي يكثر الصيام ولا الصلاة كان يكره أن يعصى الله ". (١)

١٩-"(٢) قال المصنف وللأعشى في هذا المعنى بيت أبلغ من هذا في كلمة أخرى وهو من الوافر من اللاتي حملن على الروايا كريح المسك تستل الزكاما واستلال الزكام أبلغ من فضه لأن استلاله نزعه وإخراجه وفضه نشره وتفريقه وكسره كفض الخاتم وفي فضه مع هذا إزالته وتنحيته كما يزول الختام عند فضة فيفارق ما كان حالا فيه ولازما له وفي قول الأخطل فأدرك ريحها المزكوم من البلاغة أنه إنما يقويه إدراك المشموم بحلول الزكام به وغلبته إياه فإذا أدرك ريح الخمر التي كان الزكام حائلا بينه وبينها عند نفحتها فإنما ذلك لزوال الزكام المانع الحائل بينه وبين إدراكها وقد تدرك الرائحة بعد خفة

---

(١) مختصر تاريخ دمشق - مفهرس ص/٣٤٩٠

(٢) ٢٢١

الزكام وزوال بعضه وإن لم يزل بكليته فمن هاهنا كان الفض والاستلال أبلغ وأبين في المعنى غيث بن علي بن عبد السلام ابن محمد بن جعفر أبو الفرج بن أبي الحسن الصوري المعروف بابن الأرمنازي الكاتب خطيب صور قدم دمشق وكان ثقة ثبتا حدث بدمشق سنة سبع وخمس مئة عن أبي القاسم رمضان بن علي بن عبد الساتر بن أحمد بن رمضان بسنده إلى أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء وأتى المسجد ولم يلغ ولم يجهل كانت هذه كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى والصلاة تكفر ما بينها وبين صاحبتها ولد أبو الفرج غيث سنة ثلاث وأربعين مئة وتوفي سنة تسع وخمس مئة ". (١)

٢٠-"(٢) فأحسن وما امتدح رجلا قط إلا تركه مذكورا هذا عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة وهما من بيت واحد هجا علقمة فأخمله وكان شريفا مذكورا ومدح عامر بن الطفيل فرفعه قيل لمحمد بن مروان من أشعر الناس فقال امرؤ القيس إذا ركب والنابغة إذا رهب وزهير إذا رغب والأعشى إذا طرب دخل الشعبي على الأخطل فوجده ثملا وحوله لخالخ ورياحين فقال يا شعبي فعل الأخطل وذكر أمهات الشعراء فقال الشعبي بماذا يا أبا مالك قال بقوله من الكامل وإذا تعاورت الأكف زجاجها نفحت فنال رياحها المزكوم فقال الشعبي أشعر منك الذي قال من الوافر من اللائي حملن على الروايا كريح المسك تستل الزكاما فقال له الأخطل من يقول هذا قال الأعشى قال قدوس قدوس فعل الأعشى وذكر أمهات الشعراء قال الخطابي تأمل أين منزلة أحدهما من الآخر لم يزد الأخطل حين احتشد على أن جعل رائحتها لذكائها تنفذ حتى تخلص إلى الرأس فينالها المزكوم وجعلها الأعشى لحدتها وفرط ذكائها مستلة للزكام طاردة له كان سفيان يتمثل بأبيات الأعشى من الطويل ". (٣)

"فرد عنه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار (١)

وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة (٢)

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره أذله الله بها في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده أخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم من حمى عن عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيامة من النار (٤)

وقال جابر وأبو طلحة سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصره وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمته إلا

---

(١) مختصر تاريخ دمشق - موافق ومحقق ٢٢١/٢٠

(٢) ٥٨

(٣) مختصر تاريخ دمشق - موافق ومحقق ٥٨/٢٦

خذله الله في موضع يحب فيه نصرته (٥)

ومنها تشميت العاطس

قال صلى الله عليه وسلم في العاطس يقول الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشمته يرحمكم الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم (٦)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فإذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فإذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم (٧)

وشمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال إنه حمد الله وأنت سكت (٨)

وقال صلى الله عليه وسلم يشمت العاطس المسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام (٩)

وروي أنه شمت عاطسا ثلاثا فعطس أخرى فقال إنك مزكوم (١٠)

وقال أبو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس غض صوته واستتر بثوبه أو يده (١١)

وروي خمر وجهه

وقال أبو موسى الأشعري كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله (١٢)

وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا ويرضى والحمد لله على كل حال

---

(١) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار أخرجه الترمذي وحسنه

(٢) حديث ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة أخرجه أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بنحوه والخرائطي في مكارم الأخلاق وهو عند الطبراني بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء وفيهما شهر بن حوشب

(٣) حديث أنس من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة أذله الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصرا على ما ذكر منه وإسناده ضعيف

(٤) حديث من حمى عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن أنس نحوه بسند ضعيف

(٥) حديث جابر وأبي طلحة ما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمته الحديث أخرجه أبو داود مع تقديم وتأخير واختلف في إسناده

(٦) حديث يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشمته يرحمك الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم أخرجه البخاري وأبو داود من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري على كل حال

(٧) حديث أبي مسعود إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين الحديث أخرجه النسائي في اليوم والليلة وقال حديث منكر ورواه أيضا أبو داود والترمذي من حديث سالم بن عبد الله واختلف في إسناده

(٨) حديث شمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال إنه حمد الله وأنت سكت متفق عليه من حديث أنس

(٩) حديث شمتوا المسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة شمت أخاك ثلاثا الحديث وإسناده جيد

(١٠) حديث أنه شمت عاطسا فعطس أخرى فقال إنك مزكوم أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع

(١١) حديث أبي هريرة كان إذا عطس غض صوته وستر بثوبه أو يده أخرجه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية لأبي نعيم في اليوم والليلة خمر وجهه وفاه

(١٢) حديث أبي موسى كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله أخرجه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح." (١)

"الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى إن الشجرة الصغيرة تفسد إذا ظللتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له بالليل فتغلب على رأسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب رأسك يرطب الفاكهة أيضا ولا نطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر بإحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾ وقوله عز وجل وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين وكما أنه ليس في أعضاء بدنك عضو إلا لفائدة فليس في أعضاء بدن العالم عضو إلا لفائدة والعالم كله كشخص واحد وآحاد أجسامه كالأعضاء له وهي متعاونة تعاون أعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي أن تظن أن الإيمان بأن النجوم والشمس والقمر مسخرات بأمر الله سبحانه في أمور جعلت أسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم // حديث النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند صحيح من حديث ابن عباس من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد وللطبرانى من حديث ابن مسعود وثوبان إذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإسنادهما ضعيف وقد تقدم فى العلم ولمسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمى قال قلت يا رسول لله أمورا كنا نصنعها فى الجاهلية كنا نأتى الكهان قال فلا تأتوا الكهان الحديث

بل المنهي عنه في النجوم أمران أحدهما أن تصدق بأنها فاعلة لآثارها مستقلة بها وأنها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لأنهم يقولون ذلك عن جهل فإن علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الأنبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢/٢٠٦

يبق إلا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الأرض وفي النبات وفي الحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك إذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك أخرج الثوب وابسطه فإن الشمس قد طلعت وحمي النهار والهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الإنكار عليه بحوالته حمي الهواء على طلوع الشمس وإذا سألت عن تغيير وجه الإنسان فقال قرعتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه بذلك وقس بهذا سائر الآثار إلا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر فإذن الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء وقرأ قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته

حديث قرأ قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته أى ترك تأملها أخرجه الثعلبي من حديث ابن عباس بلفظ ولم يتفكر فيها وفيه أبو جناب يحيي بن أبي حبة ضعيف

ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فلله تعالى في ملكوت السموات والآفاق والأنفس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فإن من أحب عالما فلا يزال مشغولا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له فكذلك الأمر في عجائب صنع الله تعالى فإن العالم." (١)

"الحاصر لصناعة الطب اثنا عشر قسما. كتاب في إدراك ما بقي من كتب جالينوس مما لم يذكره حنين ولا جالينوس في فهرسته مقالة. كتاب في أن الطين المنتقل به فيه منافع مقالة. كتاب في أن الحمية المفرطة تضر الأبدان. كتاب في الأسباب المعيلة لقلوب الناس عن أفاضل الأطباء إلى أخسائهم. كتاب فيما يقدم من الفواكه والأغذية وما يؤخر. كتاب الرد على أحمد بن الطيب فيما رده على جالينوس من أمر الطعم المر. كتاب الرد على المسمعي المتكلم في رده على أصحاب الهيولي. كتاب الرد على جرير الطبيب فيما خالف فيه من أمر التوت الشامي بعقب البطيخ. كتاب الخلاء والملاء والزمان والمكان. كتاب تفسيره كتاب أناتو إلى فرفوريوس في شرح مذهب أرسطوطاليس في العلم الآلهي. كتاب الصغير في العلم الآلهي. كتاب إلى أبي القاسم البلخي في الزيادة على جوابه وعلى جواب هذا الجواب. كتاب الهيولى المطلقة والجزئية. كتاب الرد على أبي القاسم البلخي في نقضه المقالة الثانية في العلم الآلهي. كتاب الحصى في الكلى والمثانة. كتاب الجدري والحصبة. كتاب الأدوية الموجودة بكل مكان. كتاب الطب الملوكي. كتاب التقسيم والتشجير. كتاب اختصار النبض الكبير لجالينوس. كتاب الرد على الجاحظ في نقض الطب. كتاب مناقضة الجاحظ في كتابه في فضل الكلام. كتاب الفالج. كتاب اللقوة. كتاب النقرس والعرق المدني. كتاب هيئة العين. كتاب الانثيين. كتاب هيئة القلب. كتاب هيئة الصماخ. كتاب أوجاع المفاصل. كتاب في الخيار المر فصلا. كتاب اقراباذين والتحرير على المجسطي. كتاب المثبت الانتقاد والتحرير على المعتزلة.

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١١٧/٤

كتاب في الخيار. كتاب سبب وقوف الأرض في وسط السماء. كتاب في أن الجسم محرك من ذاته وأن الحركة منه طبيعية. كتاب نقض الطب الروحاني. كتاب في أنه لا يمكن العالم أن يكون لم يزل على مثال ما يشاهد. كتاب في أن الحركة ليست مرئية بل معلومة. كتاب في شكوك على برقلس. كتاب تقسيم الأمراض وعلاجاتها. كتاب تفسير كتاب فلوطرخس في تفسير كتاب طيماؤس. كتاب نقضه علي سبيل البلخي فيما ناقضه به في اللذة. كتاب العلة التي يحدث لها الورم من الزكام في رؤوس بعض الناس. كتاب التلطف في إيصال العليل إلى بعض شهواته. كتاب العلة في لسباع والهوام. كتاب الرد على ابن اليمان في نقضه على المسمعي في الهيولى. كتاب النقض على الكيال في الإمامة. كتاب." (١)

"وأما قولهم: " أحببته فهو محبوب "، و " أجنه الله فهو مجنون "، و " أحمه فهو محموم "، و " أزكمه الله فهو مزكوم "، ومثله " مكزوز " و " مقرور " فإنه بني على فعل؛ لأنهم يقولون في جميع هذه فعل بغير ألف، يقولون " حب " و " جن " و " زكم " و " حم " و " قر " و "كز "، قال: ولا يقال: " قد حزنه الأمر " ولكن يقال " أحزنه " ويقولون " يحزنه " فإذا قالوا أفعله الله فكله بالألف، ولا يقال " مفعل " في شيء من هذه، إلا في حرف واحد؛ قال عنترة:

ولقد نزلت فلا تظني غيره ... مني بمنزلة المحب المكرم

قال البصريون: تقدير " إنسان " فعلان، زيدت الياء في تصغيره كما زيدت في تصغير ليلة فقالوا " ليبلية "، وفي تصغير رجل فقالوا " رويجل ".

وقال بعض البغداديين: الأصل فيه " إنسيان " على زنة إفعلان؛ فحذفت الياء استخفافا؛ لكثرة ما يجري على ألسنتهم، فإذا صغروه قالوا " أنيسيان " فردوا الياء؛ لأن التصغير ليس يكثر ككثرة الاسم مكبرا، وقالوا في الجميع " أناسي ". وكذلك إنسان العين؛ وقالوا: " أناس " في الناس، ولا يقال ذلك في إنسان العين.

قال: وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: إنما سمي إنسانا." (٢)

"وقوله رحمه الله:

قم وناج الله في داجي الغلس ... تنتشي الأرواح

والتمس للعفو فيه ملتمس ... وانتبه قد فاح

عرف أزهار الرضا ثم اقتبس ... نور رشد لاح

وانتشق يا صاح أرواح السحر ... يا لها مشموم

عرفه إن هب في إثر الزهر ... ينعش المزكوم

مرغ الخد ونادي بالنحيب ... واهمل الأجفان

قف بمغناهم وقوف مستريب ... حالف الأشجان

واشك إن وافقت إصغاء الطبيب ... علة الهجران

---

(١) أخبار العلماء بأخيار الحكماء القفطي، جمال الدين ص/٢٠٨

(٢) أدب الكاتب = أدب الكتاب لابن قتيبة الدِّينَوري، ابن قتيبة ص/٦١٣

فعسى بالوصل تحيي ما دثر ... ويطيب النعيم

فالنوى ما إن عليه مصطبر ... والبعاد أليم

يا رحيم الخلق رحماك فقد ... جئت مغنى رحيب

ليس للعبد على النار جلد ... وهو عبد مريب

عبد سوء لحماك قد قصد ... يشتكي بالذنوب

من له يوم ترامي بالشرر ... زفرات الجحيم

فيهاب الخلق من خير البشر ... عافني يا رحيم

أنا ما بين مقامين مقيم ... أورثاني شجا." (١)

"وفي آل عبرة مشايخ علم في عمان، وناهيك بالشيخ العلامة الكبير ماجد بن خميس، ولو لم يكن فيهم غيره لكفى، والشيخ خميس بن راشد، والد الشيخ ماجد، المعروف عند أهل عمان بذو الغبرا. وفيهم الآن الشيخ العلامة الملي الدراكة الذكي ابو اسحاق ابراهيم بن سعيد بن محسن، وغيره من أهل الأدب بعمان، وفي التاريخ المتقدم لآل عبرة صوت عالي في سماء الشرف، وذكر عطر في الفضاء العربي، ولله أبطال عبرة في عمان، ومنهم القاضي مالك بن محمد بن جهد، وقد نوهت بآل عبرة في كتابنا " العنوان " فلا نعيد الكلام هنا.

وآل عبرة بطون تكفل الشيخ العلامة ابراهيم بن سعيد بذكرهم تفصيلا، وبذكر ديارهم وأعيانهم، في تبصرته الجامعة لأحوالهم. وقد كفانا ذلك، وله الفضل على ما ذكر، وله الشكر على ما حرر، فقد أعان به من شاء التحرير عنهم، وهو الآن أحد قضاة الحكومة في مسقط، وإليه ترجع مهمات الأثر فيها وهو بحق أعلم من فيها، والعلم عند الله.

نسب آل نبهان ملوك عمان

ومن الأزد بعمان، آل نبهان بن كهلان بن نبهان بن محمد بن ابن نبهان بن عمر بن نبهان بن كهلان بن نبهان بن محمد بن عمر بن ذهل بن نبهان بن عثمان بن أحمد بن زياد بن خالد بن طالب بن علقمة بن شعوة بن قيس بن بشر بن زياد بن محمد ابن المغيرة بن زياد بن البحتري بن ذهل بن زيد بن كعب بن الكبيد بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران ابن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة بن الغطريف بن أمرىء القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن زاد الركب بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام.

وكان بنو نبهان ملوكاعلى عمان ردحا من الزمن، وكان نزولهم بالجبل الأخضر منذ ثمانمائة سنة، وكان قبلهم يقال له جبل اليحمد. ويسمى رضوى باسم جبل في الطائف يقال له رضوى، لاجبل عمان على الصحيح الذي يسمى بهذا الأسم أيضا، ويضاف إلى الأخضر. وقد كام ملوك آل يعرب كما أنهم من العنصر النبهاني قد أقبلوا على هذا الجبل فاستعمروه بأنواع الأشجار والغراس، وجلبوا إليه كل شيء محبوب، وفيه منفعة للأمة، فصار بآل يعرب جبلا أخضر.

وكان قديما حصن عمان المنيع، وقد ملك بنو نبهان عمان عهدا طويلا، لم يزل الملك فيه من أيديهم إلا أعواما يسيرة، ثم

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٢/٢٣٧

يعود إليهم، فمن قائل ملكوا عمان مرتين، ومن قائل مرة واحدة تسلسل الملك فيها قدر خمسمائة عام، وبعضهم يقول قدر مائتين وستين أو سبعين عاما.

ولا أكثرية لبني نبهان هؤلاء إلا بيت الملك، ولعله لايقدر مناسبوهم الانتساب إلى نبهان لجبروت بهم، وإلا فليس من الصحيح أن قوما يتولون الملك ثلاثمائة عام وزيادة أونحوها، ويمضي بهم الدهر أفرادا تعد الأنامل، ويستمر بهم الحال كذلك، فقد انفصل منهم آل يعرب، وأقاموا لهم عمودا، شهروا به، فلعل من تناسل منهم دخل في غيرهم، من حيث أنهم صاروا عائلة تقاسمت الملك وافترقت وطال بها العهد.

ومنهم الشيخ العلامة الفقيه مسعود بن رمضان أحد علماء دولة الأمام ناصربن مرشد رحمهم الله، وأكبر جهابذتها، وهو من أهالي نزوى.

زكام في أيام الصغر وصل إلي جدول في ملوك آل نبهان، وعاصمة كل واحد منهم في عمان، ومدة ملكه، وبقي ذلك الجدول عندي مدة ثم ضاع مني، وليتني وجدته الآن فافيد محبي الأطلاع على ذلك، فائدة يحسن السكوت عليها.

نسب آل يعرب في نصر بن زهران." (١)

"وقد عمر علقمة طويلا، وتوفي عام ٥٦١، ويروي بعض الباحثين أنه عمر بعد ذلك طويلا وتوفي ٢٦٥؛ وله أبناء شعراء منهم خالد، وعلي، ولعلي ابن شاعر اسمه عبد الرحمن.

شرح المختار من شعر علقمة

- ١ - قال علقمة بن عبدة يمدح الحارث بن أبي شمر الغساني:

طحا بك قلب في الحسان طروب ... بعيد الشباب عصر حان مشيب

يكلفني ليلي وقد شط وليها ... وعادت عواد بيننا وخطوب

منعمة لا يستطاع كلامها ... على بابها من أن تزار رقيب

إذا غاب عنها البعل لم تفش سره ... وترضى إياب البعل حين يؤوب

فلا تعدلي بيني وبين مغمر ... سقتك روايا المزن حيث تصوب

سقاك يمان ذو حي وعارض ... تروح به جنح العشي جنوب

وما أنت أم ما ذكرها ربعية ... يخط لها من ثرمداء قليب

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... بصير بأدواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله ... فليس له من ودهن نصيب

يردن ثراء المال حيث علمنه ... وشرخ الشباب عندهن عجيب

فدعها وسل الهم عنك بجسرة ... كهمك فيها بالرداف خبيب

---

(١) إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان سالم السيابي ص/٣٣

وناجية أفنى ركيب ضلوعها ... وحاركها تهجر فدؤوب

وتصبح عن غب السرى وكأنها ... مولعة تخشى القنيص شبوب

تعفق بالأرطى لها وأرادها ... رجال فبذت نبلهم وكيب

إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتي ... لكلكلها والقصر بين وجيب

لتبلغني دار امرئ كان نائيا ... فقد قربتني من نداك قروب

إليك "أبيت اللعن" كان وجيفها ... بمشتبهات هو لهن مهيب

تتبع أفياء الظلال عشية ... على طرق كأنهن سبوب

هداني إليك الفرقدان ولاحب ... له فوق أصراء المتان علوب

بها جيف الحسرى فأما عظامها ... فبيض، وأما جلدها فصليب

فأوردتها ماء كأن جمامه ... من الأجن حناء معا وصبيب

تراد على دمن الحياض فإن تعف ... فإن المندى رحلة فركوب

وأنت امرؤ أفضت إليك أمانتي ... وقبلك ربتني فضعت ربوب

فأدت بنو كعب بن عوف ربيبها ... وغودر في بعض الجنود ربيب

فوالله لولا فارس الجون منهم ... لآبوا خزايا والإياب حبيب

تقدمه حتى تغيب حجوله ... وأنت لبيض الدارعين ضروب

مظاهر سربالي حديد عليهما ... عقيلا سيوف مخذم ورسوب

فجالدتهم حتى اتقوك بكبشهم ... وقد حان من شمس النهار غروب

تجود بنفس لا يجاد بمثلها ... وأنت بها يوم اللقاء تطيب

قاتل من غسان أهل حفاظها ... وهنب وقاس جالدت وشبيب

تخشخش أبدان الحديد عليهم ... كما خشخشت يبس الحصاد جنوب

كأن رحال الأوس تحت لبانه ... وما جمعت جل معا وعنيب

رغا فويهم سقب السماء فداحض ... بشكته لم يستلب وسليب

كأنهم صابت عليهم سحابة ... صواعقها لطيرهن دبيب

فلم تنج إلا شطبة بلجامها ... وإلا طمر كالقناة نجيب

وإلا كمي ذو حفاظ كأنه ... بما ابتل من حد الظبات خضيب

وفي كل حي قد خبطت بنعمة ... فحق لشأس من نداك ذنوب

وما مثله في الناس إلا قبيله ... مساو ولا دان لذاك قريب

فلا تحرمني نائلا عن جنابة ... فإني امرؤ وسط القباب غريب

فلست لإنسي ولكن لملاك ... تنزل من جو السماء يصوب

- ٢ - وقال علقمة أيضا:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم ... أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته ... إثر الأحبة يوم البين مشكوم

لم أدر بالبين حتى أزمعوا طعنا ... كل الجمال قبيل الصبح مزموم

رد الإماء جمال الحي فاحتملوا ... فكلها بالتزيديات معكوم

عقلا ورقما تظل الطير تتبعه ... كأنه من دم الأجواف مدموم

يحملن أترجة نضج العبير بها ... كأن تطيابها في الأنف مشموم

كأن فارة مسك في مفارقها ... للباسط المتعاطي وهو مزكوم

فالعين مني كأن غرب تحط به ... دعماء حاركها بالقنب محزوم

قد عريت حقبة حتى استطف لها ... كتر كحافة كير القين ملموم

كأن غسلة خطمي بمشفرها ... في الخد منها وفي اللحيين تلغيم." (١)

"يعجل ذا القباضة الوحيا ... أن يرفع المئزر عنه شيا

يعني ماء ملحا يسلح من شربه فلا يلبثه أن يرفع مئزره عنه، ويقال: شربت مشيا ومشوا، وهو الدواء الذي يسهل، والقبض: ما قبض، يقال: دخل هذا في القبض، والأرض: التي عليها الناس: والأرض: سفلة البعير والدابة، يقال: بعير شديد الأرض إذا كان شديد القوائم، قال حميد وذكر فرسا:

ولم يقلب أرضها البيطار ... ولا لحبليه بها حبار

الحبار: الأثر، يعني أنه لم يقلب قوائمها لعلة كانت بها، وقال سويد بن أبي كاهل:

فركبناها على مجهولها ... بصلاب الأرض فيهن شجع

وقال خفاف بن ندبة:

إذا ما استحمت أرضه من سمائه ... جرى وهو مودوع وواعد مصدق

والأرض: الرعدة، قال ابن عباس: ازلزلت الأرض، أم بي أرض؟ أي رعدة، والأرض: الزكام، قال ذو الرمة:

إذا توجس ركزا من سنابكها ... أو كان صاحب أرض أو به الموم

يقال: رجل مأروض، والأرض: مصدر أرضت الخشبة تؤرض، فهي مأروضة أرضا، إذا وقعت فيها الأرضة، والأرض: مصدر أرضت القرحة تأرض، إذا تمشت ومجلت، ومعنى تمشت: اتسعت، والرفض: مصدر رفضت الشيء أرفضه، إذا تركته، قال الأصمعي: ومنه سميت الرافضة؛ لأنهم تركوا زيدا، ويقال: في القربة والمزادة رفض من ماء، وهو الماء القليل، والرفض: النعم المتبددة، ويقال: إبل رافضة، قال الراجز:

سقيا بحيث يهمل المعرض ... وحيث يرعى ورع وأرفض

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري ص/٢٥

يعني نعما وسمه العراض، وهو خط في الفخذ عرضا وسم سمة، والورع: الضعيف، وقوله: أرفض، أي أدع إبلي تبدد في المرعى، والنفض: مصدر نفضت الثوب وغيره، والنفض: ما وقع من الشيء إذا نفضته، ونفض العضاه: خبطها، وما طاح من حمل النخل فهو نفض، والرمض: مصدر رمضت النصل أرمضه رمضا، إذا." (١)

"ومنهم أبو دهلب الراجز وهو القائل:

حنت قلوصي أمس بالأردن ... حني فما ظلمت إن تحني

حنت بأعلى صوتها المرن

وكان يزيد بن معاوية أمره أن يرجز بالأردن.

وولد برنيق بن عوف:

هاجر، وبنو برنيق قليل وليسوا بشيء وهم بالبصرة وهم يصغرون فيقال بنو برينيق.

وولد عبد العزي بن كعب بن سعد بن زيد مناة:

حمان بن عبد العزى. وحرثان. وجرير. وعوف بني عبد العزى. وسمي حمان حمانا وكان اسمه كعب لأنه كان يسود سفنه [١] ويحممها.

فولد حمان: مرة بن حمان. والخيزق بن حمان، وبعضهم يقول الخيسق. وهمام بن حمان. ومخاشن بن حمان. وعامر بن حمان، وزعموا أن امرأة نزلت مع زوجها بين بني حمان، فجعلوا يغطون وجوههم بأكفهم وينظرون إليها من خلل أصابعهم ويتعاطسون، فقال الشاعر:

تعاطسون جميعا حال جارتكم ... فكلكم يا بني حمان مزكوم

وكان يقال: أعلم من تيس بني حمان، وذلك أنه ذبح ولم تفر أوداجه فقام فنزا، ومر رجل من بني حمان مسن هرم برجل من بني تميم فقال له:

يا حماني ما فعل تيسكم؟ فقال: عند أمك.

ومن بني حمان: نمر بن مرة بن حمان وكان فيه بيت تميم أولا، منهم:

عمرو بن مالك، كان أحد بني الخيزق، وكان شريفا بخراسان وهو الذي

---

[١] بهامش الأصل: شفته.." (٢)

"هذا بعد منازعة للأطواق يسيره، يراها الغيد منم حسن السيرة. ثم شرع في حل التكة، ونزع الشكة، وتهيئة الأرض العزاز عمل السكة. ثم كان الوحى والاستعجال، وحمي الوطيس والمجال، وعلا الجزء الخفيف، وتضافرت الخصور الهيف،

---

(١) إصلاح المنطق ابن السكيت ص/٦١

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ١٢/٣٧٤

وتشاطر الطبع العفيف، وتوتر التقبيل وكان الأخذ الوبيل؛ وامتاز الأنوك من النبيل، ومنها جائر وعلى الله قصد السبيل. فيالها من نعم متداركة، ونفوس في سبيل القحة متهالكة، ونفس يقطع حروف الحلق، وسبحان الذي يزيد في الخلق. وعظمت الممانعة، وكثرت باليد المصانعة، وطال التراوغ والتزاور، وشكي التحاور، وهنالك تختلف الأحوال، وتعظم الأهوال، وتخس أو تربح الأموال. فمن عصا تنقلب ثعبانا مبينا، ونونة تصير تنينا، وبطل لم يهله المعرك الهائل، والوهم الزائل؛ ولا حال بينه وبين قرنه الحائل، فتعدى فتكة السليك إلى فتكة البراض، وتقلد مذهب الأزارقة من الخوارج في الاعتراض. ثم شق الصف، وقد خضب الكف، بعد أن كان يصيب البوسى بطعنته ويبوء بمقت الله ولعنته.

طعنت ابن عبد الله طعنة ثائر ... لها نفذ لولا الشعاع أضاءها.

وهناك هدأ القتال، وسكن الخبال، ووقع المتوقع فاستراح البال وتشوف إلى مذهب الثنوية، من لم يكن للتوحيد بمبال، وكثر السؤال عن البال بما بال، وجعل الجريح يقول- وقد نظر إلى دمه يسيل على قدمه:

إني له عن دمي المسفوك معتذر ... أقول حملته في سفكه تعبا.

ومن سنان عاد عنانا، وشجاع صار جبانا. كلما شبته شائبة ريبه، أدخل يده في جيبه، فانجحرت الحية؛ وماتت الغريزة الحية. وهناك يزيغ البصر، ويخذل المنتصر، ويسلم الأمر ويغلب الحصر، ويجف اللعاب، ويظهر ألعاب، ويخفق الفؤاد، ويكبو الجواد، ويسيل العرق؛ ويشتد الكرب الأرق؛ وينشأ في محل الأمن الفرق، ويدرك فرعون الغرق؛ ويقوى اللجاج ويعظم الخرق، فلا تزيد الحال الأشدة، ولا تعرف تلك الجانحة المؤمنة الأردة.

إذا لم يكن عون من لله للفتى ... فأول ما يجني عليه اجتهاده.

فكم مغرى بطول اللبث، وهو من الخبث، يؤمل الكرة؛ ليزيل المعمرة؛ ويستنصر الخيال؛ ويعمل باليد الاحتيال.

إنك لا تشكو إلى مصمت ... فاصبر على الحمل الثقيل أو مت.

ومعتذر بمرض أصابه، جرعه أوصابه، ووجع طرقه؛ جلب أرقه وخطيب ارتج عليه أحيانا؛ فقال سيحدث الله بعد عسرا يسرا، وبعد عي بيانا. اللهم إننا نعوذ بك من فضائح الفروج إذا استغفلت أقفالها، ولم تتسم بالنجيع أغفالها، ومن معرات الأقدار، والنكول عن الإبكار، ومن النزول عن البطون والسرير، والجوانح الحسنة الغرر، قبل ثقب الدرر. ولا تجعلنا ممن يستحي من البكر بالغداة، وتلعم منه كلال الأداة، وهو مجال فضحت فيه رجال، وفراش شكيت فيه أوجال، وأعملت روية وارتجال.

فمن قائل:

أرفعه طورا على إصبعي ... ورأسه مضطرب أسفله.

كالحنش المقتول يلقى على ... عود لكي يطرح في مزبله.

وقائل:

أيحسدني إبليس دائن أصبحا ... برجلي وراسي دملا وزكاما.

فليتهما كانا به وزايده ... رخاوة أير لا يطيق قياما.

إذا نهضت للنيك أرباب معشر ... توسد إحدى خصيتيه فناما.

وقائل:

أقول لأيري وهو يرقب فتكة ... به خبت من أير وغالتك داهيه.

إذا لم يكن للأير بخت تعذرت ... عليه وجوه النيك من كل ناحية.

وقائل:

تعقف فوق الخصيتين كأنه ... رشاء إلى جنب الركية ملتف.

كفرخ ابن ذي يومين يرفع رأسه ... إلى أبويه ثم يدركه الضعف.

وقائل:

تكرش أيري بعد ما كان أملسا ... وكان غنيا من قواه فأفلسا.

وصار جوابي للمها إن مررن بي ... مضى الوصل الأمنية تبعث الأسى.

وقائل:

بنفسي من حييته فاستخف بي ... ولم يخطر الهجران يوما على بالي.

وقابلني بالبعد والنجه بعدما ... حطت به رحلي وجردت سربالي.

وما أرتجي من مؤثر فوق دكة ... عرضت له شيئا من الحشف البالي.." (١)

"مضطربة من العقائد والفلسفات والمذاهب والثقافات. فكانوا في ذلك الوقت الأنموذج الذي وصفه الله بقوله:

﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ [غافر: ٨٣] .

ومن هنا كذلك يمكن أن نفهم مواقف المجتمعات الإسلامية فيما بعد، من دعوات التجديد والإصلاح بعد أن تجمعت عندهم أخلاط من المذهبيات والفرق المتباينة والتأويلات المختلفة التي انحدرت إليهم من الآباء خلال القرون.

وبسبب هذه الآثار السلبية للموروثات الثقافية، والاجتماعية الفاسدة، كانت شكوى نوح عليه السلام من المجتمع الذي عاصره عندما قال:

﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا﴾ [نوح: ٢٦-٢٧]
.

فهو لم يعن إن الأطفال يولدون مزودين بإرادات الكفر والفجور، فهذا يتعارض مع المبدأ الذي يقرر أن الإنسان يولد مفطورا على تعشق المثل الأعلى وإرادة الهدى، والفضيلة. وإنما أراد تصوير هيمنة الموروثات الثقافية والاجتماعية التي كانت -منذ وقت مبكر- تفسد بذرة -الإرادة النبيلة- في نفوس الناشئة، بحيث يستحيل أن تنمو هذه البذرة فيما بعد، وإن

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/١١٩

استمرار مثل هذه الموروثات سوف يؤدي إلى إفساد الإرادات عند العباد كلهم، ودفعهم في طرق الضلال.
والخلاصة إن مثل الأفراد الذين يعانون من هيمنة الموروثات الثقافية، والاجتماعية المناقضة للمثل الأعلى مثل الذي تعرض عليه الروائح الزكية، ولكن حاسة الشم عنده مصابة بمرض **الزكام**. وهؤلاء يطلب إليهم العلاج فإذا رفضوه وظلوا يتعللون بعدم القدرة على الشم لم يعذروا، واحتاجوا إلى الحجر الصحي والحمية –بكسر الحاء وسكون الميم–." (١)

"وأنشد أبو علي في الباب.

(٢٣١)

ولم يقلب أرضها البيطار

هذا الرجز لحميد الأرقط من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

الشاهد فيه

تأنيث "أرض الدابة"، وهو مما يلي حوافرها. وبعضهم يجعل أرض الدابة، حوافرها، وأرض الإنسان: ركبتاه. والأرض: الرعدة. وقال عمر رضي الله عنه: "أبي أرض أم زلزلت الأرض؟ ". والأرض أيضا: **الزكام**. والأرض: مصدر أرضت السوسة الخشبة أرضا.

وزعم بعض اللغويين أن أرض الدابة، يكتب بالظاء.

والصحيح بالضاد، لأنه مشبه بالأرض التي توطأ، ويدل على ذلك قول الشاعر:

وأحمر كالديباج أما يماؤه ... فريا وأما أرضه فمحول." (٢)

"قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: " إذا كنت آمرا بالمعروف فكن من أأخذ الناس به إلا هلكت

وإذا كنت ممن ينهى عن المنكر فكن من أنكر الناس به وإلا هلكت"١ .

وقد أجمل الإمام ابن الجوزي رحمه الله هذا المعنى بعبارة بليغة قال فيها:

"من لم يعمل بعلمه لم يدر ما معه حامل المسك إذا كان **مزكوما** فلا حظ له فيما حمل"٢ .

ولقد نوه الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إلى هذا المعنى بقوله: "وأن يكون مطابقا للأمر"٣ أي أن يكون فعل المحتسب مطابقا لأمره حتى إذا وافته المنية وهو في حال إصلاح نفسه، كان خيرا له من أن يموت وهو ساع لإصلاح غيره دون نفسه فيحاسب على ترك واجبات وفرائض٤ .

والوعيد في هذا الباب معلوم بالكتاب والسنة قال تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ ٥ .

---

(١) أهداف التربية الإسلامية ماجد عرسان الكيلاني ص/١٣٥

(٢) إيضاح شواهد الإيضاح أبو علي القيسي ٢/٧٢٩

فدلت الآية الكريمة على زجر من يأمر الناس بالخير وينسى نفسه من ذلك والله أعلم.

١-الزهد ص ١١٨ للحسن البصري تحقيق د. محمد عبد الرحيم محمد- ط، ن دار الحديث- شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر، انظر الزهد ص ٣١٨ للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني- الناشر دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة ٢"١٤١٤هـ-١٩٩٤م".

٢-كتاب اللطف في الوعظ ص ٤٣ لابن الجوزي- ن دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط/١"١٤٠٥هـ-١٩٨٤م" بيروت لبنان.

٣-ملحق المصنفات ص ١٢٥.

٤-انظر: وشي الحلل في مراتب العلم والعمل" رسالته في فقه الدعوة وتزكية النفوس" ص٢٤: حسين العوايشة —ن دار الهجرة- الثقبة- الرياض- ط/١"١٤١٢هـ-١٩٩١م" بتصرف يسير.

٥-سورة البقرة آية ٤٤.." (١)

"١٩- ... كثرة تصبب العرق، وبخاصة في منطقة الظهر.

٢٠- ... تساقط الدموع أو سيلان الأنف بلا سبب من زكام ونحوه.

٢١- ... التثاؤب المستمر، أو التنهد.

٢٢- ... حكة، أو حبوب، أو احمرار في الجسم.

٢٣- ... الشعور بالإعياء الشديد في أثناء القراءة، وعدم الرغبة في إكمال الرقية.

٢٤- ... حدوث قشعريرة تسري في أنحاء البدن.

٢٥- ... غياب عن الوعي، وارتفاع صوت التنفس (شخير) .

٢٦- ... اسوداد في الوجه، فإذا ما استفرغ المريض استنار وجهه.." (٢)

"أو قائل «١» : [السريع]

عدمت من أيري قوى حسه ... يا حسرة المرء على نفسه

تراه قد مال على أصله ... كحائط خر على أسه

وقائل: [الطويل]

أيحسدني إبليس داءين أصبحا ... برجلي ورأسي دملا وزكاما؟

فليتهما كانا به وأزيده ... رخاوة أير لا يريد «٢» قياما «٣»

وقائل: [الطويل]

---

(١) احتساب الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) مرفت بنت كامل بن عبد الله أسرة ص/١٥١

(٢) ارق نفسك وأهلك بنفسك خالد الجريسي ص/١٩٩

أقول لأيري وهو يرقب فتكة ... به: خبت من أير وعالتك «٤» داهيه

إذا لم يك للأير بخت تعذرت ... عليه وجوه النيك «٥» من كل ناحيه

وقائل: [الطويل]

تعقف «٦» فوق الخصيتين كأنه ... رشاء إلى جنب الركية ملتف

كفرخ ابن ذي يومين يرفع رأسه ... إلى أبويه ثم يدركه الضعف

وقائل: [الطويل]

تكرش أيري بعدما كان أملسا ... وكان غنيا من قواه فأفلسا

وصار جوابي للمها أن مررن بي ... «مضى الوصل إلا منية تبعث الأسى»

وقائل: [الطويل]

بنفسي من حييته فاستخف بي ... ولم يخطر الهجران منه «٧» على بالي «٨»

وقابلني بالغور والنجد «٩» بعدما ... حططت به رحلي «١٠» وجردت سربالي

وما أرتجي من موسر فوق دكة «١١» ... عرضت له شيئا من الحشف البالي." (١)

"مظلم: مجزوء الرمل: ابن الخطيب السلماني: ٤: ٤/ ٤٣١

علم: الكامل: ابن الخطيب السلماني: ٢: ٤/ ٤٤٤

العلم: المتقارب: ابن أضحى: ٨: ٤/ ٦٦

الأمم: المتقارب: البدوي: ٢: ٣/ ٥٩

الميم المفتوحة

التثاما: الوافر: ابن خميس: ٣٧: ٢/ ٣٧٧

إفحاما: السريع: ابن سعيد الغساني: ٥: ٤/ ٢٧٤

وداما: الكامل: محمد بن قاسم الأنصاري: ٤: ٣/ ١٥٠

الخذامى: الرمل: ابن هذيل: ١٦: ٤/ ٣٣٧

عظامها: الطويل: ابن هذيل: ٤: ٤/ ٣٤٤

وزكاما: الطويل:-: ٢: ٣/ ٣٨٤

السلامه: مجزوء الكامل ابن مرزوق: ٥: ٣/ ٩٢

الهماما: مجزوء الرمل: ابن الخطيب السلماني: ٢: ٤/ ٤٤٢

النياما: الخفيف: يوسف بن محمد اللوشي: ٢: ٤/ ٣٦٤

عاتمه: مجزوء الخفيف:-: ٢: ١/ ١٢٢

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٣/ ٣٨٤

ثمه: الخفيف: ابن الخطيب السلماني: ١٢: ٥٤٧/٤

مترجما: الطويل: ابن الفرس: ٢٧: ٤١٦/٣

الحمى: الطويل: ابن طفيل: ١٨: ٣٣٥/٢

ملتزما: المنسرح: ابن هيضم: ٧: ١٤٠/٤

تنسما: الطويل: الإستجي الحميري: ٢: ٢١٠/٢

ضما: الطويل: ابن فرسان: ٣: ٤٤٧/٣

لمى: البسيط: ابن المرابع: ١٠: ٣٢١/٣

سلما: الكامل: ابن قطبة الدوسي: ١: ١٦٣/٢

فسلما: الطويل: ابن جودي: ٥: ١٣٥/٤

مسلما: السريع: الحجاري: ٤: ٣٣٠/٣

تعلما: الطويل: ابن زمرك: ٢: ٢٠١/٢

قلمه: الخفيف: ابن باق: ١٤: ٢٢٥/٢

بينهما: البسيط: ابن عميرة: ٢: ٦٤/١

مروما: الكامل: ابن أبي العافية: ١٩: ٢٨٢/١

نسيما: مخلع البسيط: ابن الفرس: ١٣: ٤١٨/٣

الذميمه: الخفيف: ابن الحاج البلفيقي: ٣: ٩٤/٢." (١)

"قال الإمام النووي في الأذكار: وكل هذا سنة ليس فيه شيء واجب.

أما آداب التشميت:

(١) أن يبدأ العاطس بالحمد، فإن لم يفعل لم يشمت.

في صحيح مسلم عن أبي بردة قال: دخلت على أبي موسى وهو في بيت بنت الفضل بن عباس فعطست فلم يشمتني، وعطست فشمتها، فرجعت إلى أمي فأخبرتها، فلما جاءها قالت: عطس عندك ابني فلم تشمته، وعطست فشمتها.

فقال: إن ابنك عطس فلم يحمد الله فلم أشمته، وعطست فحمدت الله فشمتها، سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه" (١).

(٢) فإن زاد على عطسة واحدة فهل يشمت؟

قال النووي في الأذكار: اختلف العلماء فيه، فقال ابن العربي المالكي: قيل: يقال له في الثانية: إنك مزكوم. وقيل: يقال

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٦٧١/٤

له في الثالثة. وقيل: في الرابعة. والأصح أنه في الثالثة. قال: والمعنى فيه أنك لست ممن يشمت بعد هذا، لأن هذا الذي بك زكام ومرض لا خفة العطاس. فإن قيل: فإذا كان مرضا فكان ينبغي أن يدعى له ويشمت، لأنه أحق بالدعاء من غيره؟

فالجواب: أنه يستحب أن يدعى له لكن غير دعاء العطاس المشروع، بل دعاء المسلم للمسلم بالعافية والسلامة ونحو ذلك، ولا يكون من باب التشميت.

(٣) وينبغي على العاطس أن يغطي وجهه بيده أو ثوبه ويغض صوته.

عن أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه وغض بها

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٢) ك الزهد والرقائق، باب تشميت العاطس وكراهية التثاؤب.." [١]

"ج- وضع اليد أو المنديل على الفم، والتخفيض من الصوت ما أمكن: لما روى أبو هريرة (رضي الله عنه) قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فمه، وخفض أو غض- بها صوته» وفي ذلك من الفوائد ما لا يخفى، حيث فيه كف للأذى عن الآخرين، وعدم نشر العدوى، وعدم نشر الضوضاء والتشويش على الآخرين لا سيما في الأماكن العامة.

د- إذا كان العطاس بسبب مرض: عن إياس بن سلمة قال: حدثني أبي قال: «كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فعطس رجل فقال: يرحمك الله ثم عطس أخرى فقال النبي صلى الله عليه وسلم (هذا مزكوم) » وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: «شمته واحدة واثنتين وثلاثا، فما كان بعد هذا فهو زكام» وقد ورد أنه يقول له في الثالثة أو بعدها (شفاك الله)

هـ- تشميت غير المسلم بـ: يهديكم الله: عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: «كان اليهود يتعاطسون عند النبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول لهم: يرحمكم الله. فكان يقول (يهديكم الله ويصلح بالكم) »

وآداب التثاؤب: -فآدابه تتمثل في الآتي: -." [٢]

"ومن ذلك اقتناع العالم بطرف من العلم، فأين مزاحمة الكاملين والنظر في عواقب أحوالهم؟ وقد يؤثر الأسهل كإيثار علم الحديث على الفقه ومعاناة الدرج تسهل عند العلو.

ومن ذلك الإكثار من الجماع ناسيا مغبته وأنه يضعف البدن ويؤذي فالطبع يرى اللذة الحاضرة والعقل يتأمل، وشرح هذا يطول لكن قد نبهت على أصوله، لقد جئت يوما من حر شديد فتعجلت راحة البرودة فنزعت ثوبي فأصابني زكام أشرفت منه على الموت، ولو صبرت ساعة ربحت ما لقيت، فقس كل لذة عاجلة ودع العقل يتلمح عواقبها والله أعلم.

وقال أيضا تأملت اللذات فرأيتها بين حسي ومعنوي فأما الحسيات فليست بشيء عند النفوس الشريفة، إنما تراد لغيرها

---

(١) الأخوة أيها الإخوة محمد حسين يعقوب ص/٢٦١

(٢) الآداب الإسلامية - ص/١٤

كالنكاح للولد ولزوال الفضول المؤذية، والطعام للتغذي والتداوي، والمال للإعداد وللحوائج والاستغناء عن الخلق، وإنما جعلت اللذات في تحصيل هذه الأشياء كالبرطيل حتى يحصلها وإن طلب منها شيء لنفس الالتذاذ فإن للطبع حظا، إلا أن كل لذة حسية تلازمها آفات لا تكاد تفي باللذة فإن النكاح لذة ساعة فيلازمه عاجلا ذهاب القوة وتكلف الغسل ومداراة المرأة والنفقة عليها وعلى الأولاد، فاللذة خطفت خطف برق وما لازمها صواعق وما يلازم المطعم معلوم من الطهارة وغير ذلك.

ومعلوم ما يلازم حب المال من معاناة الكسب والخوض في الشبهات وصرف القلب عن الفكر في الآخرة شغلا بالاكتساب وعلى هذا جميع اللذات الحسية فينبغي أن يتناول منها الضروري فتقع معاناة ضرورية فتحصل قناعة بمقدار الكفاية والعفة عن فضول الشهوات.

وإنما اللذة الكاملة الأمور المعنوية وهي العلم والإدراك لحقائق الأمور والارتفاع بالكمال على الناقصين، والانتقال من الأعداء، إلا أنه قد تكون لذة العفو أطيب؛ لأنها لا تقع إلا في حق ذليل قد قهر، والصبر على نيل كل فضيلة وعن كل رذيلة، والملاحظة لعواقب الأمور، وعلو الهمة فلا تقصر عن بلوغ غاية تراد به فضيلة، ومن علم أن الدنيا تزول، وأن مراتب." (١)

"[فصل في تشميت العاطس كلما عطس إلى ثلاث]

فإن عطس رابعة لم يشمته)

ذكره السامري وقدمه في الرعاية وهو الذي ذكره الشيخ عبد القادر ومذهب مالك وغيره وقال الشيخ تقي الدين وهو المنصوص عن أحمد وذكر رواية صالح ومهنا وقيل: أو ثالثة.

وهو الذي ذكره ابن تميم، وذكر الشيخ تقي الدين أنه الذي اتفق عليه كلام القاضي وابن عقيل، وقيل: أو مرتين، ويقال: له عافاك الله؛ لأنه ريح قال صالح بن أحمد لأبيه: تشميت العاطس في مجلسه ثلاثة قال: أكثر ما فيه ثلاث، وهذا مع كلام الأصحاب يدل على أن الاعتبار بفعل التشميت لا بعدد العطسات، فلو عطس أكثر من ثلاث متواليات شمته بعدها إذا لم يتقدم تشميت قولا واحدا، والأدلة توافق هذا، وهو واضح قال مهنا: لأحمد أي شيء مذهبك في العاطس يشمت إلى ثلاث مرارا؟ فقال إلى قول عمرو بن العاص قلت: من ذكره قال: هشيم أخبرنا المغيرة عن الشعبي عن عمرو بن العاص قال: العاطس بمنزلة الخاطب يشمت إلى ثلاث مرارا فما زاد فهو داء في الرأس، وقال أبو الحارث عنه يشمت إلى ثلاث.

وقد روى ابن ماجه، وإسناده ثقات عن سلمة بن الأكوع مرفوعا «يشمت العاطس ثلاثة فما زاد فهو مزكوم» ولأبي داود عن أبي هريرة موقوفا، ولمسلم وأبي داود عن سلمة أنه «سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعطس عنده رجل فقال له: يرحمك الله ثم عطس أخرى فقال رسول الله: – صلى الله عليه وسلم – الرجل مزكوم» وعند الترمذي قال له: في الثالثة " أنت مزكوم " قال: وهو أصح من الأول.." (٢)

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/٢٣١

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/٣٤٢

"[فصل يتعلق بما قبله الحمية من التمر للرمد]

فصل يتعلق بما قبله تقدم ذكر الحمية من التمر للرمد، ويروى عن علي: أنه «دخل على النبي – صلى الله عليه وسلم – وبين يديه تمر يأكله وعلي أرمد، فقال: يا علي تشتهي؟ ورمى إليه بتمرة ثم بأخرى حتى رمى إليه سبعا. ثم قال: حسبك يا علي» وذكر أبو نعيم في الطب النبوي: «أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا رمدت عين امرأة من نسائه لم يأتها حتى تبرأ عينها» .

الرمد ورم حار يعرض في الطبقة الملتحمة من العين، وهو بياضها الظاهر، وسببه انصباب أحد الأخلاط الأربعة أو ريح حارة تكثر كميتها في الرأس والبدن فينبعث منها قسط إلى جوهر العين أو يضربه نصيب العين فترسل الطبيعة إليها من الدم والروح مقدارا كثيرا تروم بذلك شفاءها مما عرض لها؛ ولأجل ذلك يورم العضو المضروب، والقياس يوجب ضده.

واعلم أنه كما يرتفع من الأرض إلى الجو بخاران: أحدهما حار يابس، والآخر حار رطب فينعقدان سحابا متراكما ويمنعان أبصارنا من إدراك السماء فكذلك يرتفع من قعر المعدة إلى منتهاها مثل ذلك فيمنعان الفكر ويتولد عنهما علل شتى، فإن قويت الطبيعة على ذلك ورفعته إلى الخواشيم أحدث **الزكام**، وإن دفعته إلى اللهاة والمنخرين أحدث الخناق، وإن دفعته إلى الجنب أحدث الشوصة، وإن دفعته إلى الصدر أحدث النزلة، وإن انحدر إلى القلب أحدث الخبطة، وإن دفعته إلى العين أحدث رمدا، وإن انحدر إلى الجوف أحدث السيلان، وإن دفعته إلى منازل الدماغ أحدث النسيان، وإن ترطبت أوعية الدماغ منه وامتلأت به عروقه أحدث النوم الشديد، ولذلك كان النوم رطبا والسهر يابسا، وإن طلب البخار النفوذ من الرأس فلم يقدر عليه أعقبه الصداع والسهر.

وإن مال البخار إلى أحد شقي الرأس." (١)

"إذا خلط به ويقطع البلغم، ويقوي المعدة وينفع من الاستسقاء إذا أكل مع التين حبه.

وقال ابن جزلة: ريحان هو الشاهسفرم أجوده الصغرى حار في الأولى يابس في الثانية، وقيل معتدل وقيل بارد، وهو يحلل الفضلات من الدماغ ويملأ الدماغ البارد بخارا وإصلاحه بالنيلوفر.

وقال بعضهم: الريحان الفارسي الذي يسمى الحبق قيل حار ينفع شمه من الصداع الحار إذا رش عليه الماء ويبرد ويرطب بالغرض، وقيل بارد وقيل رطب وقيل يابس يجلب النوم وبذره حابس للإسهال الصفراوي مقو للقلب نافع للأمراض السوداوية. قال أهل اللغة والغريب: الريحان كل نبت مشموم طيب الرائحة. والكلام على ذلك يطول.

(سك) حار يابس في الثانية نابض مقو للأحشاء وفي الطيب منه تحليل وتفتيح، وهو جيد لأوجاع المفاصل، وقيل: يزيد في الباءة وهو يعقل الطبع إذا ضمد به البطن ويمنع النزيف وينفع من أوجاع القلب، وقدر ما يؤخذ منه نصف درهم، وشمه يصدع الرأس الحار، ويصلحه الكافور.

(سنبل الطيب) حار في الأولى يابس في الثانية، وقيل: في أول الثالثة مفتح محلل يتخذ منه غسول لليد طيب وذريرته تمنع العرق وهو يحلل الأورام ويقوي الدماغ ويثبت أهداب العينين، إذا ومع في الأكحال وينفع الخفقان وينقي الصدر والرئة

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٣٦٤/٢

ويفتح سدد الكبد والمعدة ويقويهما، ويطيب النكهة ويمنع من اليرقان ووجع الطحال، ويمسك الطبع، وقدر ما يؤخذ منه درهم.

(العنبر) حار يابس في الثانية ينفع المشايخ، ملطف نسخته تقوي الدماغ والحواس والقلب تقوية عجيبة ويزيد في الروح. قال بعضهم: هو مقو لجوهر كل روح في الأعضاء، وإذا تبخر به نفع من **الزكام** والصداع والشقيقة الباردة. وأجود ألوانه الأشهب ثم الأزرق ثم الأصفر. واختلف الناس في عنصره وهو مذكور في الفقه في إزالة النجاسة ويضر من يعتاده الماشر ويصلحه الكافور والخيار.." (١)

"النسيان عليك باللبان فإنه يشجع القلب ويذهب بالنسيان وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن شربه مع السكر على الريق جيد للبول والنسيان، وعن أنس – رضي الله عنه – أنه شكا إليه رجل النسيان فقال: عليك بالكندر انقعه من الليل ثم اشربه على الريق فإنه جيد للنسيان وهذا إذا كان النسيان حدث من البلغم الرطب الذي يربط مقدم الدماغ ويمنعه من قبول ما يودعه فيه فيبقى كالشمع الذائب ولا يقبل الطابع وينفع فيه شم المسك والمرزنجوش وجميع الطيب الحار والتغذي فيه بماء الحمص مع الخردل والحساء المتخذة من اللوز مع العسل ويستعمل فيه الانكباب على المياه اللطيفة المحللة كماء البابونج والمرزنجوش، وللكندر خاصية في تخفيف الدماغ وقوته والزيادة في الحفظ وكذا الزنجبيل المربى ويزيد في الحفظ وجوهر الدماغ وقوته بخاصية فيه.

(النارجيل) وهو جوز الهند ومرقة الدجاج ولحمها والذي يضر الذهن الكسفرة الرطبة والتفاح الحامض ولم يقل بعضهم الحامض وإدمان السكر وكثرة الهم والفكر والغم.

وقال بعضهم والنظر في الماء الواقف والبول فيه والنظر إلى المصلوب، وقراءة ألواح القبور، والمشي بين جملين مقطورين، وإلقاء القمل بالحياة وحجامة النقرة، وأكل سؤر الفأر ويكون النسيان من السوداء التي تيبس الدماغ وتجففه فلا يقبل ما يودع فيه مثل الشمع الشديد اليبس والتغذي بلحوم الدجاج والجداء والخرفان ومرقهما نافع فيه قال بعضهم: النسيان عن يبس يتبعه سهر، وحفظ للأمور الماضية دون الحالية، والنسيان عن رطوبة بالعكس.

(مرزنجوش) ويسمى المردقوش، يابس في الثانية وقيل في الرابعة وقيل في الثالثة ملطف ينفع من الصداع عن برد وبلغم وسوداء **وزكام** ورياح غليظة، ويفتح السدد الحادثة في الرأس والمنخرين ويحلل أكثر." (٢)

"قدم من الأطباء العنبر على المسك فقد أخطأ وكون العنبر لا يتغير على طول الزمان فهو كالذهب فهذه خاصية واحدة للعنبر لا تقاوم ما في المسك والله أعلم.

(ميعة) فيها قبض وتجفيف حارة يابسة وقيل رطبة تسخن وتلين وتنضح، وقيل تنقي الدماغ وتنفع الجذام، وتمسك الطبع، يؤخذ منها إلى مثقال، وتنفع من السعال، **والزكام**، والنزلات، والبحوحة من رطوبة وتحدر الحيض شربا وحملا وهي مصدعة، وقيل تضر بالرئة ويصلحها المصطكا.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/ ٤٠٠

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/ ٤٠٤

(ند) يسخن وإذا بخر به والبخور به يقوي القلب وينفع من السموم وهو مركب من عود هندي ومسك وعنبر يعجن بهما وقد يعمل من عنبر ومسك وقد يضم إلى ذلك الكافور.

(نرجس) يروى فيه وفي المرزنجوش والبنفسج عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ما لا يصح وبعضه في المستوعب وهو في موضوعات ابن الجوزي والنرجس معتدل في الحر واليبس يلطف وقيل حار يابس في الثانية وقيل في الثالثة فيه تحليل قوي وينفع الزكام البارد ويفتح سدد الدماغ والمنخرين وينفع من الصداع عن رطوبة أو سوداء ويصدع الرءوس الحارة، ويصلحه البنفسج أو الكافور. وأصله وهو بصل يدمل القروح الغائرة إلى العصب وله قوة جالية جاذبة تجذب من القمر ويجلو ويخرج الشوك ويجلو الكلف وينفع من داء الثعلب ويهيج الدينلات، وأكله يهيج القيء ويجذب الرطوبة من قعر البدن والمحدق منه إذا شق بصله صليبا وغرس صار مضاعفا ومن أدمن شمه في الشتاء أمن البرسام في الصيف، وفيه من العطرية ما يقوي القلب والدماغ وقال صاحب التيسير شمه يذهب بصرع الصبيان.

(ورد) مركب من جوهرين مائي وأرضي فيه حرافة وقبض ومرارة ومرارته تقل إذا يبس، بارد في الأولى يابس في أول الثانية وقيل في الثالثة." (١)

"متوسط في الغلظ واللطافة، تجفيفه أقوى من قبضه، يقوي الأعضاء الباطنة واللثة والأسنان ويصلح نتن العرق إذا استعمل في الحمام ويقطع الثآليل. وإذا استعمل مسحوقا ينفع من القروح والسجوح في المعلى وينبت اللحم في القرحة العميقة، مسكن للصداع الحار، مهيج للزكام والعطاش وأقماعه تنفع من نفث الدم وهو نافع للكبد والمعدة.

ويسكن أوجاع السفل طلاء بريشة ويحتق بطيخه لقروح الأمعاء، والطري منه يسهل. عشرة دراهم منه عشرة مجالس، وثلاثة دراهم منه تنفع من حرارة حمى الربيع، ويابسه لا يسهل، وإذا طبخ مع العدس وضمدت به المعدة نفع قروحها وإذا أمسك في الفم نفع من النتن والقلاع لا سيما إذا خلط معه العدس. والكافور، وشم الطري يقوي الدماغ والقلب وهو يقطع شهوة الباه إذا اضطجع على المفروش منه أو أكل لتبريده وتجفيفه، وماء الورد بارد وقيل حار يشد اللثة ويسكن وجع العين من حرارة وإذا تجرع منه نفع من الغشي ونفث الدم وقوي للقوة وآلاتها، والمعدة خشن الصدر ويصلحه نبات الجلاب من الورد نوع حار محرق.

(ورد صيني) وهو ورد النسرين هو كالياسمين في أفعاله وأضعف منه ودهنه كدهن النرجس وهو حار يابس في الأولى وقيل في الثالثة منق ملطف ينفع من برد العصب ويقتل الديدان في الأذن وينفع من طنينها ودويها ويفتح سدد المنخرين ويسكن القيء والفواق.

(ورد الخلاف) وورد التفاح وورد الكمثرى وورد السفرجل بارد يقوي القلب والدماغ (ورد الجوري) أجوده الأصفر حار في الأولى معتدل في اليبس ملطف محلل شمه ينفع الدماغ البارد. الرطب يحلل الرياح الغليظة وماؤه المطبوخ إذا شرب أدر الحيض وأسقط المشيمة ويحلل أورام الرحم إذا طلي على العانة.." (٢)

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/٤٠٦

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٢/٤٠٧

"[فصل في خواص الماء]

) تقدم الكلام في اللحم واللبن والماء وتعرف جودة الماء بصفائه، وأن لا تكون له رائحة، وأن يكون عذب الطعم حلوا خفيفا وزنه، بعيد المنبع طيب الجري بارزا للشمس والريح لينقصر كثيرا ليدفع عن نفسه سريع الحركة والجري، آخذا إلى الشمال من الجنوب أو من الغرب إلى الشرق، يسخن سريعا عند طلوع الشمس عليه، ويبرد عند غروبها عنه، وينحدر عن المعدة سريعا ويخفف ثقل الطعام عليها.

قال أبقراط: الماء الذي يسخن سريعا، ويبرد سريعا أخف المياه، والماء، وإن كان في الأصل باردا رطبا، فإنه ينتقل لعارض، فالمكشوف للشمال خاصة فيه يبس فيكتسب من ريح الشمال وكذا بقية الجهات بحسها وما ينبع من معدن فله طبيعة ذلك المعدن، ويؤثر في البدن تأثيره وسيأتي.

ونفع الماء البارد من داخل أكثر من نفعه من خارج، والحار بالعكس، وينفع البارد من عفونة الدم والحميات المحترقة وصعود الأبخرة إلى الرأس، ويدفع العفونات ويوافق الأمزجة والأسنان والأزمنة والأماكن الحارة ويقوي القوى الأربع الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة على أفعالها. ويقوي الشهوة ويحسن ويهضم بجمعه المعدة على الغذاء، ويحفظ الصحة، وينفع التخلخل والسيلان، ويضر كل حالة تحتاج إلى نضج وتحليل كالزكام والأورام، والشديد البرد يؤذي الأسنان والإدمان عليه يحدث انفجار الدم والنزلات وأوجاع الصدر وقصبة الرئة وأصحاب السدد يضعف الباه، ويضر من أفرط به الاستفراغ، وليجتنب على الريق وعقب حمام وجماع." (١)

"[فصل في خواص الشونيز وهي الحبة السوداء]

في الصحيحين عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام» السام الموت،، والحبة السوداء الشونيز. التفسير عند البخاري من قول ابن شهاب.

وروى البخاري معنى الخبر من حديث عائشة.

وذكر ابن أبي عتيق أنه عاد مريضا فقال: " عليكم بهذه الحبة السوداء فخذوا منها خمسا أو سبعا فاسحقوها، ثم اقطروها في أنفه بقطرات زيت في هذا الجانب وهذا الجانب ".

المراد به العلل الباردة وهو – عليه السلام – قد يصف ويقول بحسب حال من شاهده، والشونيز حار يابس في الثالثة مقطع للبلغم محلل الرياح يقلع الثآليل، والبهق، والبرص وينفع من الزكام البارد وخصوصا مقلوا مجعولا في خرقة كتان ويطلى على جبهة من به صداع بماء بارد ويفتح سدد الصفاة، والسعوط به يمنع ابتداء الماء وشربه يمنع من انتصاب النفس ويقتل الديدان لو طلي على السرة، ويدر الحيض، واللبن، وبالماء، والعسل للحصاة ويحل الحميات البلغمية، والسوداوية ودخانه يهرب منه الهوام، وإذا نقع منه سبع حبات عددا في لبن امرأة وسعط به صاحب اليرقان نفعه نفعا بليغا.

وإذا ضمد به مع الخل قلع البثور، والجرب المتقرح وحلل الأورام البلغمية المزمنة، والأورام الصلبة، وينفع من اللقوة، والفالج إذا سعط بدهنه، وإن شرب منه نصف مثقال إلى مثقال نفع من لسع الرتيلاء، وإن سحق واستف بماء بارد درهمان من

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٣/٥٤

عضة الكلب قبل أن يفرغ من الماء نفعه نفعا بليغا وقيل الإكثار منه قاتل وإن أذيب الأنزروت بماء ولطخ على داخل الحلقة، ثم ذر عليها الشونيز كان عجبا في النفع من البواسير ويكون استعماله تارة منفردا وتارة مركبا.." (١)

"[فصل في أقوال الأطباء في الحمام]

قال الأطباء الحمام يختلف بحسب أهويته ومبانيه وما يستعمل فيه من الدهن والنمريخ. وسبق في فصول الطب الكلام في الدهن، والماء وأما الدلك في الحمام فإنه يفتح المسام ويحلل البخار ويذوب الخلط فإن أفرط أحدث البثور.

قاله ابن جزلة وقال ابن جميع الصيداوي يصلب الأعضاء ويحلل الرطوبة، والمعتدل يجلب الدم ظاهر الجسد قال والنمريخ بالدهن يسد المسام قال ابن جزلة فإن بعد الاستحمام بالماء الحار حفظ الحرارة، والرطوبة، وأجود الحمامات ما كان شاهقا عذب الماء معتدل الحرارة معتدل البيوت. والحمام قد جمع الكيفيات الأربعة وهو يوسع المسام ويستفرغ الفضلات ويحلل الرياح ويحبس الطبع إذا كانت سهولته عن هيضة وينظف الوسخ، والعروق ويذهب الحكة، والجرب، ويذهب الإعياء ويرطب البدن ويجود الهضم وينضج النزلات، والزكام، وينفع من حمى يوم، والدق، والربع، ويسمن المهزول ويهزل السمين، وينفع جميع الأمزجة. وفيه مضار، يسهل انصباب الفضلات إلى الأعضاء الضعيفة ويرخي الجسد ويضعف الحرارة عند طول المقام فيه، ويسقط شهوة الطعام ويضعف الباه، والعصب. وينبغي أن يمتشط فيه فإنه يقوي البصر، ومن قصد تسمين بدنه دخل على الامتلاء ولا يطيل اللبث وبالضد، ومن قصد حفظ الصحة دخل عند آخر الهضم بحيث إذا خرج يأكل، ويجتنب الجماع في الحمام وأن يستعمل بعده الأشياء الباردة بالفعل، والحارة بالفعل ففي ذلك خطر، والمقام الكثير في الحمام يجفف وربما برد، والقليل يسخن ويرطب.

قال ابن سينا: لا يطيل فيه فإنه يخاف منه الدق، والاستسقاء، أما الدق فلاشتداد سخونة القلب وأما الاستسقاء فلكثرة تحلل الحار الغريزي فيبرد مزاج الأعضاء، وكذلك شرب الأشياء الباردة فيه مثل النقاع، والماء البارد فيه خطر عظيم جدا لأنه قد يبرد الكبد، والقلب بهجومه عليهما، ويبرد." (٢)

"إن امرءا ضن بمعروفه ... عني لمبذول له عذري

ما أنا بالراغب في عزفه ... إن كان لا يرغب في شكري

أبو الفتح البستي:

لئن صدع الدهر المشتت شملنا ... وللدهر حكم للجميع صدوع

فللنجم من بعد الهبوط استقامة ... وللشمس من بعد الغروب طلوع

وقال أيضا:

لئن تنقلت من دار إلى دار ... وصرت بعد ثواء رهن أسفار

فالحر حر عزيز النفس حيث غدا ... والشمس في كل برج ذات أنوار

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٣/١١٤

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٣/٣٢٥

وقال أيضا:

لا يغرنك أنني لين المس (م) فعزمي، إذا انتضيت، حسام

أنا كالورد فيه راحة قوم ... ثم فيه لآخرين زكام

وقال أيضا:

من شاء عيشا رخيا يستفيد به ... في دينه ثم في دنياه إقبالا

فلينظرن إلى ما فوقه أدبا ... ولينظرن إلى من دونه مالا

وقال أيضا:

إذاخذل المرء من نفسه ... فليس له من سواه نصير

وشر لسان يحامى به ... لسان طويل وباع قصير

أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي: تسامح ولا تستوف حقك كله=وأبق! فلم يستقص قط كريم

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور سليم

وقال أيضا:

وإني لأعرف كيف الحقوق ... وكيف يبر الصديق الصديق

ورحب فؤاد الفتى محنة ... عليه إذا كان في الحال ضيق

وقال أيضا:

وما غربة الإنسان في غربة النوى ... ولكنها والله في عدم الشكل

وإني غريب بين بست وأهلها ... وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

مثله لأبي عمرو السجزي:

وليس اغترابي في سجستان أنني ... عدمت بها الإخوان والعيش والأهلا

ولكنه مالي بها من مشاكل ... وإن الغريب الفرد من عدم الشكلا

أبو نصر سهل بن المرزبان:

تجاوزك الحد في الاعتدا ... ل مما يقود المنايا سريعة

فلا تقطعن في جميع الأمور ... فكل كثير عدو الطبيعة

أبو النصر محمد بن عبد الجبار:

إذا رمت من سيد حاجة ... فراع لديه الرضى والغضب

فإن التهجم ليل المنى ... وإن الطلاقة صبح الأرب

عبد الله بن محمد بن أبي عيينة:

من آنسته البلاد لم يرم ... منها ومن أوحشته لم يقم

ومن يبت والهموم قادحة ... في صدره بالزناد لم ينم

أحمد بن يوسف:

وعامل بالفجور يأمر بالب ... ر كهاد يخوض في الظلم

أو كطبيب قد مسه سقم ... وهو يداوي من ذلك السقم

يا واعظ الناس غير متعظ ... نفسك أو لا فلا تلم

ابن لنكك:

إذا أخو الحسن أضحى فعله سمجا ... رأيت صورته من أقبح الصور

وهبه كالشمس في حسن أما ترنا ... نفر منها إذا مالت إلى الضرر

ابن نباتة السعدي:

ما بال طعم العيش عند معاشر ... حلو، وعند معاشر كالعلقم

من لي بعيش الأغبياء فإنه ... لا عيش إلا عيش من لم يعلم

فإنه أبو تمام:

وإن أولى البرايا أن تواسيه ... عند السرور الذي واساك في الحزن

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

وقال أيضا:

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت، أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

الصابي:

إذا لم يكن بد من الموت للفتى ... فأروحه الأوحى الذي هو أسرع

وما طال عمر قط إلا تطاولت ... بصاحبه روعات ما يتوقع

وقال أيضا:

إذا جمعت بين امرأين صناعة ... فأحببت أن تدري الذي هو أحذق

فلا تتفقد منهما غير ما جرت ... به لهما الأرزاق حين تفرق

فحيث يكون النقص فالرزق واسع ... وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق

وقال من قصيدة:

تلوح نواجذي والكاس شربي ... وأشربها كأني مستطيب

وفوق السرلي جهر ضحوك ... وتحت الجهر لي سر كئيب

سأثبت أو يصادمني زماني ... بركنيه كما ثبت النجيب

وأرقب ما تجيء به الليالي ... ففي أثنائها الفرج القريب

أبو الحسين الناشي:

إذا أنا عاتبت الملوك فإنما ... أخط بأقلامي على الماء أحرفا

وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن ... مودته طبعا فصارت تكلفا

الشريف الرضي:." (١)

"مذهبنا.

ولأصحاب مالك ثلاثة أقوال.

أحدها هذا، واختاره ابن العربي! والثاني: يحمد في نفسه، والثالث قاله سحنون: لا يحمد جهرا ولا في نفسه.

فصل:

السنة إذا جاءه العطاس أن يضع يده أو ثوبه أو نحو ذلك على فمه، وأن يخفض صوته.

٧٨٥ - روينا في سنن أبي داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فمه، وخفض أو غض بها صوته - شك الراوي أي اللفظين قال - قال الترمذي: حديث صحيح.

٧٨٦ - وروينا في كتاب ابن السني عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله عز وجل يكره رفع الصوت بالتثاؤب والعطاس " (١) .

٧٨٧ - وروينا فيه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " التثاؤب الرفيع والعطسة الشديدة من الشيطان ".

فصل:

إذا تكرر العطاس من إنسان متتابعا، فالسنة أن يشمته لكل مرة إلى أن يبلغ ثلاث مرات.

٧٨٨ - روينا في " صحيح مسلم " وسنن أبي داود والترمذي عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه " أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وعطس عنده رجل، فقال له: يرحمك الله، ثم عطس أخرى، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: الرجل مزكوم " هذا لفظ رواية مسلم.

وأما رواية أبي داود والترمذي فقالا: قال سلمة: " عطس رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شاهد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحمك الله، ثم عطس الثانية أو الثالثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحمك الله، هذا رجل مزكوم " قال الترمذي: حديث حسن صحيح (٢) .

---

(١) وإسناده ضعيف، ولكراهة رفع الصوت بالتثاؤب شواهد بالمعني.

(٢) قال الحافظ في " الفتح ": الذي مسبة - يعنزي النووي - إلى أبي داود والترمذي من إعادة قوله صلى الله عليه وسلم للعاطس: " يرحمك الله "، ليس في شئ من نسخها كما سأبنية، فقد أخرجه أيضا أبو عوانة وأبو نعيم في " مسخرجيهما

---

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ابن شمس الخلافة ص/٣٤

"، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي، وأحمد، وابن أبي شيبة، وابن السني وأبو نعيم أيضا في " عمل اليوم والليلة " وابن حبان في صحيحه، والبيهقي في " الشعب "كلهم نم رواية عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة عن أبيه، وهو الوجه الذي أخرجه منه مسلم، وألفاظهم متقاربة، وليس عند أحد منهم إعادة " رحمك الله " في الحديث، وكذلك ما نسبة إلى أبي داود والترمذي أن عندهما " ثم عطس الثانية أو الثالثة " فيه نظر، فإن لفظ أبي داود " أن رجلا عطس " والباقي مثل سياق مسلم سواء، إلا لم يقل: " أخرى " ولفظ الترمذي مثل ما ذكره النووي إلى قوله: " ثم عطس " فإنه ذكره بعده مثل أبي داود سواء، = (*)".(١)

"٧٨٩ - وأما الذي رويناه في سنن أبي داود والترمذي عن عبيد الله بن رفاعة الصحابي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يشمت العاطس ثلاثا، فإن زاد، فإن شئت فشمته، وإن شئت فلا " فهو حديث ضعيف (١) ، قال فيه الترمذي: حديث غريب، وإسناده مجهول.

= وهذه رواية ابن المبارك عنده، وأخرجه من رواية يحيي القطان، فأحال به على رواية ابن المبارك، فقال نحوه، إلا أنه قال له في الثانية: أنت مزكوم، وفي رواية شعبة: قال يحيي القطان: وفي رواية
عبد الرحمن بن مهدي: قال له في الثالثة: أنت مزكوم، وهؤلاء الأربعة رووه عن عكرمة بن عمار، وأكثر الروايات المذكورة ليس فيها تعرض للثالثة، ورجح النووي رواية من قال: في الثالثة، على رواية من قال: في ثانية.
قال الحافظ: " وقد وجدت الحديث من رواية يحيي القطان يوافق ما ذكره النووي، وهو ما أخرجه قاسم بن أصبغ في " مصنفه " وابن عبد البر من طريقه قال: حدثنا محمد بن عبد السلام، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا يحيي القطان، حدثنا عكرمة ... فذكره بلفظ: " عطس رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فشمته، ثم عطس فشمته، ثم عطس فقال له في الثالثة: أنت مزكوم " هكذا رأيته فيه: ثم عطس فشمته، وقد أخرجه الإمام أحمد عن يحيي القطان، ولفظه: " ثم عطس الثانية والثالثة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الرجل مزكوم "، قال الحافظ: وهذا اختلاف شديد في لفظ هذا الحديث: لكن الأكثر على ترك ذلك التشميت بعد الأولى.
وأخرجه ابن ماجه من طريق وكيع عن عكرمة بلفظ آخر.
قال: يشمت العاطس ثلاثا، فما زاد فهو مزكوم، وجعل الحديث كله من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم، وأفاد تكرير التشميت، وهو رواية شاذة لمحافظة جميع أصحاب عكرمة بن عمار في سياقة، ولعل ذلك عن عكرمة المذكور لما حدث به وكيعا، فإن في حفظه مقالا، فإن كانت محفوظة، فهو شاهد قوي لحديث أبي هريرة - يعني الحديث الذي بعد حديث عبيد بن رقاعة - ويستفاد منه مشروعية تشميت العاطس عليه، ما لم يزد على ثلاث إذا حمد، سواء تتابع عطاسه أم لا، فلو تتابع ولم يحمد لغلبة العطاس عليه، ثم كرر الحمد بعدد العطاس، فهل يشمت بعد الحمد؟ فيه نظر، وظاهر الخبر: نعم.
(١) قال الحافظ في " الفتح " ١٠ / ٤٩٩ في الأدب، باب تشميت العاطس: إطلاقه عليه الضعف ليس بجيد، إذ لا يلزم

---

(١) الأذكار للنووي ت الأرنؤوط النووي ص/٢٧٢

من الغرابة الضعف، قال الحافظ: وأما وصف الترمذي إسناده بكونه مجهولا، فلم يرد جميع رجال الإسناد، فإن معظمهم موثقون، وإنما وقع في روايته تغيير اسم بعض رواته وإبهام اثنين منهم، وذلك أن أبا داود والترمذي أخرجاه معا من طريق عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن، ثم اختلفا، فأما رواية أبي داود ففيها عن يحي بن إسحاق بن طلحة عن أمه حميدة أو عبيدة بن عبيد بن رفاعة عن أبيها، وهذا إسناد حسن، والحديث مع ذلك مرسل كما سأبينه، وعبد السلام بن حرب من رجال الصحيح، ويزيد هو أبو خالد الدالاني وهو صدوق في حفظه شئ، ويحيي بن إسحاق وثقه يحيي بن معين، وأمه حميدة روى عنها أيضا زوجها إسحاق بن أبي طلحة، وذكرها ابن حبان في ثقات التابعين، وأبوها عبيد بن رفاعة، ذكروه في الصحابة لكونه وله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وله رؤية، قاله ابن، السكن، قال: ولم يصح سماعه، وقال البغوي: روايته مرسلة، وحديثه عن أبيه عند الترمذي والنسائي وغيرهما، وأما رواية الترمذي ففيها عن عمر بن إسحاق بن أبي طلحة عن أمه عن أبيها، كذا سماه عمر، ولم يسم أمه ولا أباها، وكأنه - يعني الترمذي - لم يمعن النظر، فمن ثم قال: إن إسناد مجهول، وقد = (*)."[1]

"٧٩٠ - وروينا في كتاب ابن السني بإسناد فيه رجل لم أتحقق حاله (١) وباقي إسناده صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه، وإن زاد على ثلاثة فهو مزكوم، ولا يشمت بعد ثلاث ".

واختلف العلماء فيه، فقال ابن العربي المالكي: قيل: يقال له في الثانية: إنك مزكوم، وقيل: يقال له في الثالثة، وقيل: في الرابعة، والأصح أنه في الثالثة.

قال: والمعنى فيه أنك لست ممن يشمت بعد هذا، لأن هذا الذي بك زكام ومرض، لا خفة العطاس.

فإن قيل: فإذا كان مرضا، فكان ينبغي أن يدعى له ويشمت، لأنه أحق بالدعاء من غيره؟ فالجواب أنه يستحب أن يدعى له لكن غير دعاء العطاس المشروع، بل دعاء المسلم للمسلم بالعافية والسلامة ونحو ذلك، ولا يكون من باب التشميت.

فصل:

إذا عطس ولم يحمد الله تعالى، فقد قدمنا أنه لا يشمت، وكذا لو حمد الله تعالى ولم يسمعه الإنسان لا يشمته، فإن كانوا جماعة فسمعه بعضهم دون بعض، فالمختار أنه يشمته من سمعه دون غيره.

وحكى ابن العربي خلافا في تشميت الذين لم يسمعوا الحمد إذا سمعوا تشميت صاحبهم، فقيل: يشمته، لأنه عرف عطاسه وحمده بتشميت غيره، وقيل: لا، لأنه لم يسمعه.

واعلم أنه إذا لم يحمد أصلا يستحب لمن عنده أن يذكره الحمد، هذا هو المختار.

وقد روينا في " معالم السنن " للخطابي نحوه عن الإمام الجليل إبراهيم النخعي، وهو من باب النصيحة والأمر بالمعروف، والتعاون على البر والتقوى، وقال ابن العربي:

---

(١) الأذكار للنووي ت الأرنؤوط النووي ص/٢٧٣

= تبين أنه ليس بمجهول، وأن الصواب يحي بن إسحاق، لا عمر، فقد أخرجه الحسن بن سفيان وابن السني وأبو نعيم وغيرهم من طريق عبد السلام بن حرب فقالوا: يحي بن إسحاق، وقالوا: حميدة بغير شك وهو المعتمد.

وقال احافظ وقال ان العربي: هذا الحديث وإن كان فيه مجهول، لكن يستحب العمل به، لأنه دعاء بخير وصلة وتودد للجليس، فالأولى العمل به، والله أعلم.

قال: وقال ابن عبد البر: دل حديث عبيد بن رفاعة على أنه يشمت ثلاثا، وقال أنت مزكوم بعد ذلك، وهي زيادة يجب قبولها، فالعمل بها أولى. اهـ.

وقد ذكر الحافظ لهذا الحديث شواهد كثيرة مرسلة وموقوفة، انظرها في " الفتح " ١٠ / ٤٩٨.

(١) قال الحافظ في الفتح: الرجل المذكور هو سليمان بن أبي داود الحراني، والحديث عندهما من رواية محمد بن سليمان عن أبيه، ومحمد موثق، وأبوه بقال له: الحراني، ضعيف، قال فيه النسائي: ليس بثقة ولا مأمون.." [(١)]

"الله عنهما، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل يكره رفع الصوت بالتثاؤب والعطاس".

[١٣/ ٦٨٧] وروينا فيه، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "التثاؤب الرفيع والعطسة الشديدة من الشيطان".

[فصل]: إذا تكرر العطاس من إنسان متتابعا، فالسنة أن يشمته لكل مرة إلى أن يبلغ ثلاث مرات.

[١٤/ ٦٨٨] روينا في صحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي، عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه؛

أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم، وعطس عنده رجل، فقال له: يرحمك الله، ثم عطس أخرى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الرجل مزكوم" هذا لفظ رواية مسلم. وأما رواية أبي داود والترمذي فقالا: قال سلمة: عطس رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شاهد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يرحمك الله" ثم عطس الثانية أو الثالثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يرحمك الله، هذا رجل مزكوم" قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[١٥/ ٦٨٩] وأما الذي رويناه في سنن أبي داود والترمذي، عن

---

[٦٨٧] ابن السني (٢٦٤)، وإسناده ضعيف.

[٦٨٨] مسلم (٢٩٩٣)، وأبو داود (٥٠٣٧)، والترمذي (٢٧٤٤)، وابن ماجه (٣٧١٤)، والنسائي (٢٢٣)، ورجح الترمذي في روايته أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له في الثالثة. وعند مسلم والنسائي وابن ماجه في الثانية.

[٦٨٩] أبو داود (٥٠٣٦)، والترمذي (٢٧٤٥)، وقال: هذا حديث غريب، وإسناده مجهول. وقد تعقب الحافظ ابن

---

(١) الأذكار للنووي ت الأرنؤوط النووي ص/٢٧٤

حجر الترمذي، فقال: إطلاقه عليه الضعف ليس بجيد، إذ لا يلزم من الغرابة الضعف. وأما وصف الترمذي إسناده بكونه مجهولا فلم يرد جميع رجال الإسناد، فإن معظمهم موثقون ...

وقال ابن العربي: هذا الحديث، وإن كان فيه مجهول، لكن يستحب العمل به؛ لأنه دعاء بخير وصلة وتودد للجليس فالأولى العمل به، والله أعلم.

وقال ابن عبد البر: دل حديث عبيد بن رفاعة على أنه يشمت ثلاثا. ويقال: أنت =." (١)

"عبيد الله بن رفاعة الصحابي رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يشمت العاطس ثلاثا، فإن زاد فإن شئت فشمته وإن شئت فلا" فهو حديث ضعيف، قال فيه الترمذي: حديث غريب وإسناده مجهول.

[١٦/ ٦٩٠] وروينا في كتاب ابن السني، بإسناد فيه رجل لم أتحقق حاله، وباقي إسناده صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه، وإن زاد على ثلاثة فهو مزكوم، ولا يشمت بعد ثلاث".

واختلف العلماء فيه، فقال ابن العربي المالكي: قيل يقال له في الثانية: إنك مزكوم، وقيل يقال له في الثالثة، وقيل في الرابعة، والأصح أنه في الثالثة. قال: والمعنى فيه أنك لست ممن يشمت بعد هذا، لأن هذا الذي بك زكام ومرض لا خفة العطاس. فإن قيل: فإذا كان مرضا فكان ينبغي أن يدعى له ويشمت، لأنه أحق بالدعاء من غيره؟ فالجواب أنه يستحب أن يدعى له لكن غير دعاء العطاس المشروع، بل دعاء المسلم للمسلم بالعافية والسلامة ونحو ذلك، ولا يكون من باب التشميت.

[فصل]: إذا عطس ولم يحمد الله تعالى فقد قدمنا أنه لا يشمت، وكذا لو حمد الله تعالى ولم يسمعه الإنسان لا يشمته، فإن كانوا جماعة فسمعه بعضهم دون بعض فالمختار أنه يشمته من سمعه دون غيره.

= مزكوم بعد ذلك، وهي زيادة يجب قبولها، فالعمل بها أولى.

وذكر الحافظ ابن حجر للحديث شواهد مرسلة وموقوفة. انظر فتح الباري ١٠/ ٦٠٥.٦٠٦.

[٦٩٠] ابن السني (٢٥١) وفيه "ولا تشميت بعد ثلاث" وإسناده ضعيف، لوجود سليمان بن أبي داود الحراني، وهو ضعيف، وهو الرجل الذي لم يتحقق حاله الإمام النووي رحمه الله تعالى.." (٢)

"٣٨٧- فصل [بيان الحكم إذا تكرر العطاس] :

١٣٨٨- إذا تكرر العطاس من إنسان متتابعا، فالسنة أن يشمته لكل مرة إلى أن يبلغ ثلاث مرات.

---

(١) الأذكار للنووي ت مستو النووي ص/٤٣٠

(٢) الأذكار للنووي ت مستو النووي ص/٤٣١

١٣٨٩- روينا في "صحيح مسلم" [رقم: ٢٩٩٣] ، و"سنن أبي داود" [رقم: ٥٠٣٧] ، والترمذي [رقم: ٢٧٤٣] ؛ عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم، وعطس عنده رجل، فقال له: "يرحمك الله" ثم عطس أخرى، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الرجل مزكوم" هذا لفظ رواية مسلم.

وأما رواية أبي داود والترمذي فقالا: قال سلمة: عطس رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا شاهد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يرحمك الله"، ثم عطس الثانية والثالثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يرحمك الله، هذا رجل مزكوم" قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

١٣٩٠- وأما الذي رويناه في "سنن أبي داود" [رقم: ٥٠٣٦] ، والترمذي [رقم: ٢٧٤٤] ؛ عن عبيد الله بن رفاعة الصحابي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يشمت العاطس ثلاثا، فإن زاد، فإن شئت فشمته، وإن شئت فلا" فهو حديث ضعيف، قال فيه الترمذي: هذا حديث غريب، وإسناده مجهول.

١٣٩١- روينا في كتاب ابن السني [رقم: ٢٥١] ، بإسناد فيه رجل لم أتحقق حاله، وباقي إسناده صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه، وإن زاد على ثلاثة فهو مزكوم، ولا يشمت بعد ثلاث".." (١)

"واختلف العلماء فيه، فقال ابن العربي المالكي: قيل: يقال له في الثانية: إنك مزكوم، وقيل: يقال له: في الثالثة، وقيل: في الرابعة؛ والأصح أنه في الثالثة.

قال: والمعنى فيه: أنك لست ممن يشمت بعد هذا؛ لأن هذا الذي بك زكام ومرض لا خفة العطاس.

فإن قيل: فإذا كان مرضا، فكان ينبغي أن يدعى له ويشمت؛ لأنه أحق بالدعاء من غيره؟

فالجواب: أنه يستحب أن يدعى له، لكن غير دعاء العطاس المشروع، بل دعاء المسلم للمسلم بالعافية والسلامة، ونحو ذلك، ولا يكون من باب التشميت.." (٢)

"الرقم النص الراوي

٩٧٥ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

٣١٤ ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض ابن عباس

٣١١ ربنا ولك الحمد أبو هريرة

١٣٨٩ الرجل مزكوم سلمة

١٧٣٦ رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر ابن مسعود

٦٠٦ رحمه الله لقد أذكرني آية كنت أسقطتها عائشة

٦٤٠ رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي أبو هريرة

---

(١) الأذكار للنووي ط ابن حزم النووي ص/٤٤٥

(٢) الأذكار للنووي ط ابن حزم النووي ص/٤٤٦

٥٤٠ الرؤيا الصالحة، أو الحسنة، من الله أبو قتادة

٩٤١ الريح من روح الله، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب أبو هريرة

حرف الزاي

٧٤١ زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينكح بكرا غيرك ابن عباس

١١٣٠ زودك الله التقوى غفر ذنبك أنس

١١٦٥ زودك الله التقوى ووجهك في الخير ابن عمر

حرف السين

١٨٤٦ سباب المسلم فسوق ابن مسعود

١١٣٤ سبحان الذي سخر لنا هذا ابن عمر

٩٥٣ سبحان الذي يسبح الرعد بحمده ابن الزبير

١٦٨٠ سبحان الله! إن المؤمن لا ينجس أبو هريرة

١٦٨٤ سبحان الله! إنما سمعت شيئا أبو موسى

١٦٨٣ سبحان الله! بئس ما جزتها، أي: للناقة عمران

٨٤ سبحان الله عدد خلقه، ثلاث مرات، سبحان.. جويرية

٦٦٥ سبحان الله العظيم أبو هريرة

٤٣١ سبحان الله العظيم وبحمده أبو هريرة

١٦٨٥ سبحان الله! ما ينبغي لأحد أن يقول ما لم ابن سلام

٨٣ سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه جويرية

١١٠ سبحان الله وبحمده، عشرا، سبحان الملك القدوس عائشة

٨١ سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله سمرة

١٦٨٢ سبحان الله! يا أم الربيع! القصاص في كتاب الله أنس

٣٠٣و ٣٢٤ سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء عوف

٤١٦ سبحانك ربك رب العزة عما يصفون أبو سعيد

٣٢٠ سبحان ربي العلى حذيفة." (١)

"الرقم النص الراوي

١١٦٥ يا غلام! زودك الله التقى ابن عمر

١١٨٨ يا غلام! سم الله تعالى، وكل بيمينك عمر بن أبي سلمة

---

(١) الأذكار للنووي ط ابن حزم النووي ص/٦٨٦

٥٤٦ ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا أبو هريرة

١٣٩٣ يهديكم الله، ويصلح بالكم أبو موسى." (١)

"القتال لكن الكافر إذا اعتدى، فليس على المؤمن أن يقبض يده، ويلقي بها إلى التهلكة، بل إذا قوتلوا في الأشهر الحرم كان مطلقا لهم، ومفروضا عليهم قتالهم فيها.

وقوله تعالى: الحرمات قصاص

[سورة البقرة، الآية: ١٩٤] معنى القصاص: أن تفعل بصاحبك مثل الذي هو فعل بك، فإذا قاتلت الكافر في الشهر الحرام كما قاتلك فقد قاصعته وفعلت مثل فعله، وقوله تعالى: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه

[سورة البقرة، الآية: ١٩٤] معناه: جازوه جزاء الاعتداء، فسمى الجزاء باسم الاعتداء، طلبا للمطابقة في اللفظ، وإيذانا بأن الثاني كالفرض المؤدى، فالمواصلة فيه مرعية.

فصل [في ذكر العرب اسما تعلق الأحداث بها فيخرجونها مخرج الصفات والأفعال]

حكى الأصمعي أن العرب ربما تذكر اسما تعلق الأحداث بها فيخرجونها مخرج الصفات والأفعال منسوبة، ولشهرتها وظهور الفرض منها استجيز معها ما لم يستجز في غيرها، ولا يتقايس، فمن ذلك: لا آتيك مغرى الغرر، أي حتى يجتمع وذلك لا يكون أبدا ولا آتيك أبي هبيرة، قال: وأبو هبيرة هو سعد بن زيد مناة بن تميم، ولا آتيك هبيرة بن سعد، ولا آتيك القارظة الغزى، وقولهم: زمن الفطحل: أي حين كانت الحجارة رطبة قال:

لو أنني عمرت عمر الحسل ... أو عمر نوح زمن الفطحل

كنت رهين هرم أو قتل جعل الموت حتف الأنف والقتل سواء، أو عام الفتق قال رؤبة: لم ترج رسلا بعد أعوام الفتق، يشيرون بذلك إلى زمن الخصب والخير كأن جلود الأكلة والراعية لسمنها فتقت فتقا، وكأن ظواهر الأرض وبطنانها فتقت بالنبات، ويقال: آتيه قيظ عام أول، وما تركت من أبيه مغدا ولا مراحا ولا مغداة ولا مراحة، يعني من الشبه به، وبعضهم يقول: ولا رواحا ولا رواحة ولا أكلمك آخر المنون، وأخرى المنون، ولا أكلمه آخر ما خلقي، يريد آخر عمري أي ما بقيت.

وقال يعقوب: يقال: آخري ما خلقي، ومنهن أزمان الجنان، وهذا يشيرون به إلى الشر والآفات وأنشد:

فمن يك سائلا عني فإني ... من الفتيان أعوام الخنان

يقال: خن الرجل وهو مخنون: إذا ضاقت خياشيمه حتى يجيء كلامه غليظا لا يكاد يفهم، وقال جرير: وأكوي الناظرين من الخنان، والخنان داء يعتري العين، وقال الخليل:

الخنان في الإبل كالزكام في الناس، وقال الدريدي: زمن الخنان معروف، ولم أسمع من." (٢)

---

(١) الأذكار للنووي ط ابن حزم النووي ص/٧١٢

(٢) الأزمنة والأمكنة المرزوقي ص/١٧٠

"يومين منه يطلع الطرف ويسقط سعد بلع ويقوم سوق بيت جبرين «١» ويطلع سهيل ولا يرى بالعراق. وفي خمس عشرة منه تطلع الجبهة، ويسقط سعد السعود وفيها يبرد آخر الليل ويرتفع سهيل، حتى يرى بالعراق وتطيب البوارح وإن تخللها السمايم ويهيج **الزكام**، ويكون فيه عيد عسقلان، وهو عيد كبير جامع للنصارى. وهو يوم ماتت مريم بنت عمران فيما يزعم أهل الكتاب. ويبرد جوف الأرض، ويرجى فيه المطر بالسند. وفي أربع وعشرين يكون النهار ثلاث عشرة ساعة، وهو أول الشتاء، والعرب تسمي ذلك الزمان الخريف. وفي ثمان وعشرين منه يطلع الخراتان، ويسقط سعد الأخبية، وتهب الشمال، وهو فيما يذكرون يوم قتل يحيى عليه السلام، وهو آخر يوم من القيظ، وفيه تسقط المن والسلوى بأرض الشام وأرض بني إسرائيل.

أيلول

سلطان المرة السوداء، ثلاثون يوما، آيته سبعة، وهو بالفارسية مرداد ماه، آيته اثنان، وله من البروج السنبلة برج ذو جسدين أرضي أنثى، وهو بيت عطارد وشرفه وهبوط الزهرة، وربه بالنهار الزهرة، وبالليل القمر ويشاركه بالليل والنهار المريخ. الإقليم الشام والجزيرة، وله من النجوم ثلث الصرفة والعواء والسماك. في ثلث منه توقد النار بآذربيجان وبكل أرض باردة. ويقوم سوق منبج بالجزيرة، وسوق هر مردان بجند نيسابور. وهو رأس سنة اليهود، وتزرع فيه البقول الشتوية، ويسقط الندى، وتتحرك أول الشمال. ولعشر منه يطلع الغفر ويسقط مقدم الدلو. ويزرع أهل مصر والجزيرة. ولثلاث عشرة منه يكون عيد الصليب وهو الصوم الأكبر. وتجري فيه ريح شديدة الهبوب، يتقى فيها على السفن، ولإحدى وعشرين يبني النصارى في كنائسهم، يريدون بذلك تقويم قبلتهم، وفيه يقوم سوق رحبة بالجزيرة وسوق بردرايا بالسوس، ويقوم سوق اسبايريار بتستر أسبوعا. ولأربع وعشرين تطلع العواء ويسقط مؤخر الدلو، ويستوي الليل والنهار، ويجري الماء في فروع الشجر، وهو آخر القيظ وأول الخريف وأول الصرام بالبصرة. وقال أبو عبد الله أول نجوم القيظ والبوارح الثريا، وسهيل، وإذا مضى سهيل آخرها وإذا مضى سهيل طالت الأظماء، وبرد الليل، فإذا طلعت الجبهة انكسر الحر وامتد الظماء، وتباعدت الإبل في مراعيها، ويكثر الكرش ويغلظ فيمسك الماء ويطول لذلك ظمؤها، وإذا قصر الظماء رعت حول الماء، فإذا طلعت الصرفة فهو انقطاع الحر وتحرك ريح الشتاء، ثم نجوم القر الشديد وأولها سقوط الذراع، فإذا سقطت الجبهة سخفت الأرض ولانت على الماشي وأطلعت الأرض ذخائر وسميها من النبات، واختلفت الإبل في مراعيها يعني تباعد بعضها من بعض. ونظرت الأرض بإحدى عينيها فإن." (١)

"(٧) يغفر الله لنا ولكم.

(٨) وإذا عطس ولم يحمد الله؛ فلا تشمته.

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " إذا عطس أحدكم فحمد الله تعالى فشمتوه؛ فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه".

(صحيح مسلم: ٢٩٩٢)

---

(١) الأزمنة والأمكنة المرزوقي ص/٤٨١

(٩) وإذا تكرر العطاس من إنسان متتابعا؛ فالسنة أن تشمته لكل مرة إلى أن يبلغ ثلاث مرات، عن سلمة بن الأكوع – رضي الله عنه – قال: عطس رجل عند النبي – صلى الله عليه وسلم – وأنا شاهد؛ فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "يرحمك الله"، ثم عطس الثانية أو الثالثة؛ فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "يرحمك الله، الرجل مزكوم" (صحيح مسلم: ٢٩٩٣).." (١)

"وقال لابن منارة:

كنيف ديوانك مختوم ... وأنت في دينك مزكوم

أحسن ما قيل على أنه ... أقبح ما في الأمم اللوم

وقال أيضا:

[الا] يا جاهلا يقضى ... على العالم بالجهل

أمن عقلك ان تخب ... ر عن نفسك بالعقل

وقال في ابن منارة:

أيا واحد الناس فى قوله ... فليس به أحد يقرن

ومن يدعي علم مالا يكو ... ن وليس يجوز ولا يمكن

ولست تراه اذا ثرته ... يصحح علما ولا يحسن

ويثني على نفسه بالذى ... على من سواه به يطعن

بقية «١» مستطرف عنده ... وقالون راوية محسن

واعقل ذا الخلق فى حكمه ... منجمه المائق الأرعن

وكل امرىء عاقل عالم ... فذاك له الدهر يسترعن

فكل الورى جاهل عنده ... ويظهر ذاك ولا يبطن

فكيف يجيز شهاداتهم ... وفي فهمهم عنده مطعن!

وقال فيه يهجوه:

رماك الله يا يحيى بن عيسي ... بذل والعجوز بحر ثكل

فقد أدتك من معلاق سوء ... به اشتملت على نذل لنذل

تفلسف في النجوم وتدعيها ... ولا ترضى لها فضل بن سهل." (٢)

"و"التزيديات": ثياب، منسوبة إلى تزيد: حي من اليمن.

---

(١) الأنس بذكر الله محمد حسين يعقوب ص/١٩٨

(٢) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ٢٤١/١

٦ ... يحملن أترجة، نضخ العبير بها

كأن تطيابها، في الأنف، مشموم

يعني: يحملن امرأة كريح الأترجة. و"العبير": طيب النساء. وقوله "تطيابها" يريد: طيبها. يقال: شممت، ومسست، وعضضت، وضننت.

٧ ... كأن فأرة مسك في مفارقها

للباسط، المتعاطي، وهو مزكوم

واحد "المفارق": مفرق. زكم فهو "مزكوم" وبه زكمة. و"الباسط": المتناول.

٨ ... فالعين، مني، كأن غرب تحط به

دهماء، حاركها بالقتب محزوم

"الغرب": الدلو العظيمة. شبه انحدار الدمع، وسيلانه بسيلان الماء من الغرب. و"الحارك": مقدم السنام. وهو الغارب. "دهماء": ناقة.." [١]

"الناس، وهذا أمر محقق عام، وليس كما روي عن ابن مسعود أنه خيال في أعين قريش من شدة الجوع.

قال تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ [الدخان: ١٠] . أي: ظاهر بين واضح جلي، ليس خيالا من شدة الجوع، ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ [الدخان: ١٢] . أي: ينادي أهل ذلك الزمان ربهم بهذا الدعاء؛ يسألون كشف هذه الشدة عنهم، فإنهم قد آمنوا، وأيقنوا بما وعدوا به من الأمور الغيبية الكائنة، بعد ذلك يوم القيامة، وهذا دليل على أن هذا أمر يكون قبل يوم القيامة، حيث يمكن رفعه، ويمكن استدراك التوبة والإنابة. والله أعلم.

وقد روى البخاري، عن محمد بن كثير، عن سفيان الثوري، عن الأعمش ومنصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: بينما رجل يحدث في كندة قال: يجيء دخان يوم القيامة، فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام. ففزعنا، فأتينا ابن مسعود. قال: وكان متكئا. فغضب فجلس، فقال: يا أيها الناس، من علم شيئا فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم. فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم. فإن الله تعالى قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ [ص: ٨٦] . [ص: ٨٦]." [٢]

"ولذلك قال الآخر لبني حمان [١] :

أجشة خلقت في صدر أولكم ... أم كلكم يا بني حمان مزكوم [٢]

وقال الآخر:

---

(١) الاختيارين المفضليات والأصمعيات الأخفش الأصغر ص/٦٣٢

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٩/٢٦٦

نحن بنو جعدة فرع صياب [٣] ... فطح أباهيم عراض الأعقاب [٤]

وقال نهيك بن إساف [٥] :

إني أتمم أيساري بذي أود ... فرد إذا حارد الخور المجاليح [٦]

- مخطوطات الحيوان. لكن الرواية العالية «بني كابية» على الاختصاص كما يقولون. وفي الحيوان أيضا: «كلهم هامة» .

[١] حمان، بكسر الحاء وتشديد الميم: هم حمان بن عبد العزى بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم. الجمهرة ٢٢٠.

[٢] الجشة، بالضم: صوت غليظ فيه بحة، يخرج من الخياشيم.

[٣] هم بنو جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. الاشتقاق ٢٩٧. ويقول قائلهم أيضا وهو النابغة الجعدي، (أدب الكاتب ٤١٨، ومعجم البلدان فلج، والخزانة ٤:

١٥٩، وملحقات ديوان النابغة الجعدي ٢١٦) :

نحن بنو جعدة أرباب الفلج ... نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

وفرع، بضم الفاء: جمع أفرع، وهو الطويل الشعر. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرع ذا جمة. والصياب، كرمان، وكذلك الصيابة: خيار القوم وأخلصهم نسبا.

[٤] الفطح: جمع أفطح وفطحاء، وهو العريض. والأباهيم: جمع إبهام وهي الإصبع الكبرى، تكون في اليد وفي القدم.

[٥] نهيك، بفتح النون، بن إساف بكسر الهمزة، ويقال أيضا: إساف بن نهيك: شاعر اختلف في صحبته، ولكنه قديم. انظر الإصابة ٨٥، ٨٦، ٨٨١٦. وجعله في القاموس (أسف) صحابيا. وقال ابن دريد في الاشتقاق ٢٠٩: إن اشتقاق نهيك من النهاكة، وهي الجرأة والإقدام. وقد اختار له في حماسة الخالديين ١: ٣٠.

[٦] كانوا إذا فاز أحدهم في الميسر وأراد أن يعود بقدحه سألهم ذلك واستؤنفت إفاضة-." (١)

"هيكل: ربيعة بن مقروم ٢٦٦ صاهل: ابن هرمة ٢٦٦ أهلي: حميد بن ثور الهلالي ٣٠٨ الأول: حسان بن ثابت ٤٦٣ كالأحول: زهير بن مسعود ٤٢٧ فحيل:- ٤١٩ بطويل: الفرزدق ١٤٢ الطويل:- ١٣١ السراويل: أبو نواس ٣٣٣ (م) وهام: الطرماح ٣٠٢ عدم: عامر بن حوط ١٠٧ مصطلم:- ٤٦٩ ألاما:- ١٧٩ العظاما: أبو عباد النميري ٣٢٩ المظالما: أبو مالك الأعرج ٣٣٧ أضجما: لقيط بن زرارة ٤٩٧ والأقدما: أوس بن حجر ٩٤، ١٥٠ تبسما:- ٢٢٦ توسما: ذو الرمة ٥٨ تحطما: (أبو دلامة) ٤٩١ تلطما: قيس بن زهير ٢٤٢، ٤٣٣ غنما: كعب بن زهير ٣٠٣ مريما: الأقيشر ٩٢، ١٦٨ عظام: إسحاق الموصلي ٥٠٠ والسنام:- ٤٦٥ المقادم: النعمان بن بشير ٥٠ هاشم: ابن أبي ربيعة المخزومي ٥٠١ مزكوم:- ٣٥٨ لجسيم: أوفى بن موءلة ٤٨ قهطم: معاوية بن أوس ٨٠ وأستقيم: حكيم بن جبلة ٢٦٠، ٣٧٦ ومستقيم: قيس بن زهير ٢٦٠ حميم: (ابن ميادة أو مزاحم العقيلي) ٢٨٦ الحامي:- ٤١٩ بشام: الفرزدق ١٦٥ الإعصام: (الجحاف بن حكيم السلمي) ٢٧٢ بسطام: الرشيد بن رميض ٥١٩ رؤام: قيس بن عاصم ١٨٠ الطوامى: الهذلي (معقل

---

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ ص/٣٥٨

بن خويلد) ٢٨٧ كأيام:- ٤٦٥ للجعاثم: ابن عنمة الضبي ٤٨٩ تلأثم: النابغة ٣١١ الاضجم: ٤٩٧ الأسحم: معاوية بن أوس ١١٥ الصوارم:- ٤٦٨ جرمى: أبو خراش الهذلي ٢١٢ ضرم: (النابغة الجعدي) ٤٤٦." (١)

"سمعت شعره أويت لقائله، أما نفث في سمعك قول حجازيكم عبد الله جدعان النهدي، واستخفه مرة الوجد فقال وكان فارا في بلاد فزارة: الوافر

بكى وأقره الشمل الشتيت ... وأسعدت الجبال به المروت

حجازي الهوى علق بنجد ... جوي ما يعيش ولا يموت

تغاديه الهموم لها أجيج ... ويسلمه إلى الوجد المبيت

كأن فؤاده كف غريق ... يمدها بشط البحر حوت

لهند منك عين ذات سجل ... وقلب سوف يألم أو يفوت

إذا اكتنفا بضرها سقيما ... فليس على شفائهما مقيت

دعا عيسى بن علي ابن المقفع إلى الغداء فقال: أعز الله الأمير لست يومي أكيلا للكرام، قال: ولم؟ قال: لأني مزكوم، والزكمة قبيحة الجوار، مانعة من معاشرة الأحرار.

وكان ابن المقفع يقول: إذا نزل بك مكروه فانظر، فإن كان له." (٢)

"قيل لابن ماسويه: ما شر الطعام؟ قال: طعام بين شرابين، وشر الشراب شراب بين طعامين.

قدم أعرابي على ابنة عمه يخطبها فتمنعت عليه، فقال لها: عندي سر أفأقوله؟ قالت: قل، قال لها: هل لك في ابن عم كاس من الحسب، عار من النشب، يتصلصل معك في إزارك، ويدخل الحمام طرفي نهارك، يواصل بين ثلاث في واحد، فمتى عجز فأمرك بيدك، قالت: يا ابن عمي، لا يسمعن هذا أحد، وأنا أمتك.

أراد ملك سفرا فقال: لا يصحبني ضخم جبان، ولا حسن الوجه لئيم، ولا صغير رغيب.

رأى رجل الهلال فاستحسنه، فقال له رجل: وما يستحسن منه؟ فوالله إن فيه لخصالا لو كانت إحداهن في الحمار لرد بها، قال: وما هن؟ قال: يدخل الروازن، ويمنع من الدبيب، ويدل على اللصوص، ويسخن الماء، ويحرق الكتان، ويورث الزكام، ويحل الدين، ويزهم اللحم.

قال معاوية: إن عليا طلب الدنيا بالدين فجمعت عليه، وإني طلبت الدنيا بالدنيا فنلتها.

قال ابن عباس: هل لك في المناظرة فيما زعمت أنك خصمت صاحبي فيه؟ قال: وما تصنع بمناظرتي؟ أشغب بك وتشغب بي، فيبقى في." (٣)

---

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ ص/٦١٢

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٥٥/٨

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٩٢/٨

"٣٤ – وإن الشيطان يحسد على الزكام والدمل.

٣٥ – وإن الأسد محموم بالنهار فإذا كان الليل أفاق.

٣٦ – وإن الحمار لا يدفأ إلا يوما من أيام تموز، وهو في سائر أيام السنة مقرور.

٣٧ – وإذا نكس أحدهم في مرضه أخذوا له دهنا من سبع دور ودهنوا به رأسه.

٣٨ – وإذا خرج بأحدهم دمل شد على تكته عفصة غير مثقوبة.

٣٩ – وإذا بكى الصبي لطخوا أسفل رجليه بنيلج.

٤٠ – وإذا أصابته العين أخذوا له من بول سبعة أنفس أحدهم حبشي ماء وصبوه عليه.

٤١ – وإذا حم أحدهم الربع بخروه بقرن كبش، وإذا أخذه الفواق عقد بيديه أربعا وثلاثين وزعم أنه يسكن.

٤٢ – وإذا خرج به قوباء خط حولها خاتم سليمان ومسحه بالتراب وقال بالغداة: كيف أمسيت لا أصبحت، وبالعشي: كيف أصبحت لا أمسيت؟ ٤٣ – وإذا لسعته عقرب غسلوا الحصى وسقوه ماءه.

٤٤ – وإذا خرج على لسانه بثرة قال: خبأ لي إنسان شيئا طيبا وأكله.

٤٥ – وإذا اشتكى فم معدته ذهبوا به إلى اللواية.." (١)

"والحذيا، والحبيا، والحجيا، والبقيري، والحميمق، ومهيمن، ومخيمر، ومسيطر، ومبيطر، ومبيقر، والكميت، وأويس، وجين، والكعيت الى غير ذلك وهي كثيرة (١).

ثم ذكر الألفاظ التي زادوا في آخرها الميم: كزرقم من الزرق، وستهم عظيم الاست، وصلدم من الصلد، وفسحم من الفساحة، وخلجم من الخلج، وسلطم من السلاطه، وهو الطول، وقشعم، وشبرم، وابنم، وشدقم، وحلسم، ودقعم، ودلقم (٢).

ثم ذكر الألفاظ التي زادوا في آخرها اللام، قال ابن مالك: اللام زيدت آخرا في فحجل وعبدل، وهيقل، وطيسل، وزيدل، وفيشل، وعنسل، وهدمل، ونهشل، وعثول وهو الطويل اللحية (٣).

ثم ذكر الألفاظ التي زادوا في آخرها النون وهي أربعة أحرف من الأسماء رعشن وضيفن، وخلبن، وعلجن.

ثم ذكر ما يقال أفعلته فهو مفعول نحو: أحبه الله فهو محبوب، ومثله محزون ومجنون، ومزكوم، ومقرور، وأزعقته فهو مزعوق، وأبرزته فهو مبروز، وأنبته الله فهو منبوت، وأضعف الشيء فهو مضعوف (٤).

ثم ذكر إيمان العرب: يقال لحق لآتيك؛ يمين للعرب يرفعونها بغير تنوين إذا جاءت اللام، ويقال: (٦٤/ ...) وحجة الله لا أفعل ذلك، وقولهم لعمرك، وقعدك الله آتيك، وجير لا آتيك وقولهم: لا وقائت نفسي القصير، لا والذي لا أتقيه الا بمقتله، لا ومقطع القطر (٥)، لا وفالق الإصباح، لا وفاتق الصباح، لا ومهب (٦) الرياح، وحرام الله لا آتيك، وأما ما يدعى به عليه فكقولهم: ماله آم وعام؛ وماله حرب وجرب، وثل عرشه، وأبرد الله مخه،

---

(١) ينظر: جمهرة اللغة: ١/ ٥٦٠،٤٤٣،٦١٩، ٢/ ٨٨٠،٦٥٠،٧٥٩،١٠٤٨، ينظر: نظام الغريب: ٧٠، ينظر:

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٥٤/٩

الصحاح: ١/ ٢٦٢، ٣/ ٩٠٦،٦/ ٢١٩٣، المزهر: ٢/ ٢٥٣،٢٥٤.

(٢) ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٧٢، ٢٧٣،٣٢٥، ينظر: جمهرة اللغة: ٢/ ١١٥٧،٧٠٨،١١٨٣، ينظر: المنصف: ١/ ٥٨،١٥٠،١٥١، ينظر: الصحاح: ٣/ ١٢٠٨،٩١٩،١٤٧٦، ينظر: المزهر: ٢/ ٢٥٤، ٢٥٧،٢٥٨.

(٣) ينظر: جمهرة اللغة: ٢/ ١١١٨، المزهر: ٢/ ٢٥٩، ينظر: غاية الاحسان في خلق الانسان للسيوطي: ٢٣٦.

(٤) ينظر: الصحاح: ١/ ٢٦٨، ينظر: المزهر: ٢/ ٢٥٩ - ٢٦١.

(٥) في الأصل الفطر والصواب ما أثبتناه عن ذيل الأمالي والنوادر: ٥٧.

(٦) في الأصل مميت والصواب ما أثبتناه عن المصدر نفسه: ٥٧.." [(١)]

"المقصودة وأما مدرك العين فأمر ثابت والعين محتاجة إلى غطاء يقيها وحصول الغطاء لا يؤثر في الإدراك وقال بعض أهل العلم عينا الانسان هاديان وأذناه رسولان إلى قلبه ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب ملك فإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث خبثت جنوده

فصل

ثم انزل إلى الأنف وتأمل شكله وخلقته وكيف رفعه سبحانه في وسط الوجنة بأحسن شكل وفتح فيه بابين وأودع فيهما حاسة الشم وجعله آلة لاستنشاق الهواء وإدراك الروائح على اختلافها فيستنشق بهما الهواء البارد والطيب فيستغنى بالمنخرين عن فتح الفم أبدا ولولاهما لاحتاج إلى فتح فيه دائما وجعل سبحانه تجويفه واسعا لينحصر فيه الهواء وينكسر برده قبل الوصول إلى الدماغ فإن الهواء المستنشق ينقسم قسمين شطرا منه وهو أكثره ينفذ إلى الرئة وشطرا ينفذ إلى الدماغ ولذلك يضر المزكوم استنشاق الهواء البارد وجعل في الأنف أيضا إعانة على تقطيع الحروف وجعل بين المنخرين حاجزا وذلك أبلغ في حصول المنفعة المقصودة حتى كأنهما أنفان بمنزلة العينين والأذنين واليدين والرجلين وقد يصيب أحد المنخرين آفة فيبقى الآخر سالما وجعل تجويفه نازلا إلى أسفل ليكون مصبا للفضلات النازلة." [(٢)]

"الرجل: أعطني قطعتي غيار سعادة أصلي يا بائع الوهم "يضحك ملء رئتيه".

البائع: "ينهره" اخرج من هنا أيها القذر، المكان معقم وليس لأمثالك ارتياده "يخرج الرجل".

البائع: قرب قرب.. خصم خاص على جميع المعروضات، مع وجود هدايا فورية وقيمة.. شعارنا الأمانة.. هدفنا خدمة الإنسان.. لو أنفك مزكومة غيرها.. لو عينك "مدغشئة" افقأها. سوبر ماركت "كل الإنسان" يقدم لك كل ما تحتاجه الأمس واليوم والغد بأرخص الأسعار وأحسن "الموديلات".. اشتر يدا واحصل على الأخرى مجانا "يدخل أحد الزبائن متوجها نحو البائع".

الزبون: أنت يا أخ.. أنت أيها النصاب.

البائع: قرب قرب.. نعم يا محترم، أي خدمة؟

---

(١) البلغة الى أصول اللغة صديق حسن خان ص/١٣٩

(٢) التبيان في أقسام القرآن ابن القيم ص/٤١٠

الزبون: اشريت من عندكم يدا لكنها.. لكنها ...

البائع: لكنها ماذا يا محترم تفضل!

الزبون: لكنها مجرمة.. تسرق يعني.. كل ما أروح مكان أو غيره تمتد رغما عني وتسرق وتسبب لي إحراجا مع الناس!

البائع: يلا سلام عليها!!.. الحمد لله بضاعتنا رافعة رأسنا في كل مكان.. إن شاء الله تكون مرتاحا معها؟." (١)

"أحمد بن موسى الشابر خواستي١ بقرا أته عليه بها سنة ست وثلاثين وأربعمائة بروايته عن أبي محمد عبد الله بن يحيى بن عبد الجبار السكري عن أبي محمد جعفر بن محمد بن نصير الخلدي عن أبي محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة عن داؤد بن المحبر وروي دعاء الاستفتاح وصلاة أم داؤد عن الحاكم أبي على الحسين بن أحمد بن محمد الفقيه النيسابوري. أنبأ الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أيوب الطرماحي ثنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله المكيالي أنبأ أبو يعلى العلوي أنبأ أبو الحسين محمد بن الحسين الدينوري ثنا يعقوب بن نعيم بن عمرو بن قرقارة ثنا جعفر ابن أحمد بن عبد الجبار الينبعي عن إبراهيم بن عبد الله بن العلاء حدثتني فاطمة بنت عبد الله بن إبراهيم القصة والدعاء بطولهما ورواهما عنه ابنه محمود بن محمد بن يونس أبو الماجد وروى أبو ذر عن أبي الحسن محمد ابن عبيد الله بن سلوقا الحافظ قال حدثني المنحني حدثني المزكوم يومئذ حدثني الزمن حدثني المفلوج ثنا الأثرم ثنا الأحدب ثنا الأصم ثنا الضرير عن الأعمش عن الأعور عن الأعرج عن الأعمى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى الله عليه وآله وسلم توضأ مرة مرة.

المنحني أبو علي بن أبي الحسين الأصبهاني والمزكوم أبو على الصولي والزمن أحمد بن محمد بن سليمان والمفلوج محمد بن محمد بن سليمان الطوسي والأثرم الحسن بن مهران والأحدب عبد الله بن الحسين قاضي المصيصة والأصم عبد الله بن نصر الأنطاكي والضرير

---

١ شاهبور خاست بالباء الفارسي بلد – راجع التعليقات.." (٢)

"وأحجما: الطويل: القاضي ابن الربيب المغربي: ٢: ٤٧٠

تحطما: الطويل: أبو دلامة: ٢: ٤٩١

أحزما: الطويل: المرتضى أبو القاسم الموسوي: ٦: ٧٩

ختعما: الطويل:: ٧: ٣٤٤

دما: الطويل: عيسى بن موسى: ٣: ١٥

دما: الطويل: بشار بن برد: ٣: ٤٢٥، ٧: ٣٠٢

دما: الطويل: القحيف: ٧: ٣٠٢

دما: الطويل:: ٥: ٦٥

---

(١) التحرير الأدبي حسين على محمد ص/٣٦٢

(٢) التدوين في أخبار قزوين الرافعي، عبد الكريم ٢/٦٣

الدما: الطويل: جرير: ٥: ٤٠٣

الدما: الطويل: العباس بن عبد المطلب: ٢: ٤١٥

مريما: الطويل: عبد الله بن محمد البواب: ٣: ٢٥٨

يترحما: الطويل: عبدة بن الطبيب: ٤: ٢٤٢

وزكاما: الطويل: أبو حكيمة: ٩: ٤٢٧

سلما: الطويل: القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني: ٢: ٩٦

سلما: الطويل:: ٢: ٤٤٠

وتسلما: الطويل: حميد بن ثور: ٦: ١٠

سهما: الطويل: المرتضى أبو القاسم الموسوي: ٦: ١٩٦

المصرما: الطويل: الأخطل: ٣: ٣٩٩

مصرما: الطويل: الأحوص: ٥: ٤٣

لصمما: الطويل: المتلمس الضبعي: ٧: ٢٦٦، ٩: ١٩٨

يتصرما: الطويل: السري الرفاء: ٨: ١٣٥

وأظلما: الطويل: الحصين بن الحمام المري: ٥: ٣٦٦

ليعلما: الطويل: المتلمس الضبعي: ١: ٣٩٦، ٤١٨، ٧: ٤٩

معمما: الطويل:: ٤: ١٨

وأعظما: الطويل:: ٤: ٢٠٥

علقما: الطويل:: ٦: ١٨٧

مقدما: الطويل: المتلمس الضبعي: ٢: ٧٧." (١)

"قال: إنه يدخل الروازن، ويمنع من الدبيب، ويدل على اللصوص، ويسخن الماء، ويحرق الكتان، ويورث الزكام، ويحل الدين، ويزهم اللحم.

١٤١٢- قيل لأعرابي: ما صفة الأير عندكم؟ قال: عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا ترد.

١٤١٣- سئل رقبة بن مصقلة عن مأدبة حضرها فقال: أتينا بخوان كأنه جوبة من الأرض، ورقاق كآذان الفيلة، وجرجير كآذان المعزى، ثم أتينا بساكنة ماء كأن ظهرها طائر قرطاسي، وبفالوذج رعديد كأن الزنبق والجاذي ينبعان منه ترى النقش من تحته.

«١٤١٤» - أتى رجل مكفوف نخاسا فقال: الطلب لي حمارا ليس بالصغير المحتقر، ولا الكبير المشتهر، إن خلا الطريق تدفق، وإن كثر الزحام ترفق، لا يصادم السواري، ولا يدخلني تحت البواري، إن أقللت علفه صبر، وإن أكثرت شكر، وإن

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٥٧/١٠

ركبته هام، وإن ركبه غيري نام. فقال له النخاس: اصبر فإن مسخ الله القاضي حمارا قضيت حاجتك.

«١٤١٥» - وقالت أم الورد بنت أوس العجلانية: [من الرجز]

هن لعمارة جهم منظره ... يروق عيني كل خرق يبصره

ظلت به لاهية تزعفره ... مثل السنام طار عنه وبره

كأن حجاما شديدا أبهره ... يمص ماء ظهره ويحدره

كأن رمانا يفت أحمره ... بعثره في جوفه مبعثره

تم له منظره ومخبره." (١)

"«١٠١٩» - أبو حكيمة: [من الطويل]

أيحسدني إبليس داءين أصبحا ... برأسي ورجلي دملا وزكاما

فليتهما كانا به وأزيده ... زمانة شيء لا يريد قياما

«١٠٢٠» - رجل من بني عجل: [من الطويل]

وشى بي واش عند ليلى سفاهة ... فقالت له ليلى مقالة ذي عقل

وما بي من عيب الفتى غير أنني ... جعلت العصار جلا أقيم بها رجلي

وخبر أني قد عرجت فلم تكن ... كورهاء تجري بالملامة للبعل

«١٠٢١» - آخر: [من الرجز]

ليس يضر الطرف توليع البلق ... إذا جرى في حلبة الخيل سبق

«١٠٢٢» - لما شاع في بلعاء بن قيس الوضح قيل له: ما هذا يا بلعاء؟ فقال:

سيف الله جلاه.

نوادر البلغاء

١٠٢٣- وصفوا غلاما عند بعضهم فقالوا: هو فاسد، قال: في فساده صلاحي.

«١٠٢٤» - وقال ابن وهب في مرد التحوا: [من المنسرح]." (٢)

"معتقة إذا مزجت أضاءت ... وأمكن قابسا منها اقتباس

كأن يد النديم يدير منها ... شعاعا ما يحيط عليه كاس

وقال آخر:

وصافية كعين الديك صرف ... تنسي الشاربين لها العقولا

إذا شرب الفتى منها ثلاثا ... بغير الماء حاول أن يطولا

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٥/٤٤٥

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٩/٤٢٧

أبو تمام:

بمدامة تغدو المنى لكؤوسها ... خولا على السراء والضراء

صعبت فراض الماء سيئ خلقها ... فتعلمت من حسن خلق الماء

وكأن زهرتها وبهجة كأسها ... نار ونور قيدا بوعاء

آخر:

ومدامة حمراء في قارورة ... زرقاء تحملها يد بيضاء

فالراح شمس والحباب كواكب ... والكف قطب والإناء سماء

وقال أبو الهندي:

رضيع مدام فارق الراح روحه ... فظل عليها مستهل المدامع

أديرا علي الكأس إني فقدتها ... كما فقد المفطوم در المراضع

الوليد بن يزيد، ويحكى أنه لما ولي الخلافة جمع جماعة من أهل بيته وخاصته، فقالوا: ما تريد يا أمير المؤمنين، فقال: أنشدكم أبياتا قلتها وهي:

أشهد الله والملائكة الأب ... رار والعابدين أهل الصلاح

أنني اشتهي السماع وشرب ال ... راح والعض في الخدود الملاح

واستماع الحديث والكاعب الحس ... ناء ترتج في سموط الوشاح

السموط: القلائد، والوشاح: سيور تضفر وترصع وتكون في العنق.

والنديم الكريم والخادم الفا ... ره يسعى علي بالأقداح

ثم قال: انصرفوا إذا شئتم.

وقال آخر:

العيش عندي في ثلاث أكملت ... لفتى يريد لذاذة الأيام

مال يجود به على ذي حاجة ... ووصال غانية وشرب مدام

فإذا الفتى فقد الثلاثة كلها ... كان الفتى كبهيمة الأنعام

وأذكرتني هذه الأبيات أبياتا أنشدنيها محيي الدين ولم يسم قائلا، وإن كان لا ذكر للخمر:

فالمنى صحة وأمن ويسر ... وحبيب يرضى ودهر يسر

فإذا ساعد الزمان بهذا ... ثم ضيعته فما لك عذر

ومثل هذا التقسيم لأهل العصر:

ما العيش إلا خمسة لا سادس ... لهم وإن قصرت بها الأعمار

زمن الربيع وشرخ أيام الصبا ... والكأس والمعشوق والدينار

لعبد الله بن جدعان ولا يعرف له غيرها:

شربت الخمر حتى قال صحبي ... ألست عن السقاة بمستفيق

وحتى ما أوسد في مبيت ... أبيت به سوى الترب السحيق

وحتى أغلق الحانوت دوني ... وآنست الهوان من الصديق

وقال سليمان بن علي الهاشمي:

فما زلت أسقيه وأشرب فضله ... ويشرب والأوتار ذات حنين

إلى أن رأيت السكر ميل رأسه ... على الكأس حتى ذاقها بجبين

وقال السري:

ومستطيل على الصهباء باكرها ... في فتية باصطباح الراح حذاق

فكل شيء رآه ظنه قدحا ... وكل شخص رآه ظنه الساقي

وقال آخر:

أقبلت قرة عين ... في يدي قرة عين

قمر يحمل شمسا ... مرحبا بالزائرين

مرحبا بالراح والر ... يحان والرائحتين

وقال ابن الفارض، أحد شعراء العصر من الزهاد العارفين وأصحاب القلوب المكاشفين:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة ... سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

لها البدر كأس وهي شمس يديرها ... هلال وكم يبدو إذا مزجت نجم

ولولا شذاها ما اهتديت لحانها ... ولولا سناها ما تصورها الوهم

ومنها:

ولو عبقت بالشرق أنفاس طيبها ... وفي الغرب مزكوم لعادله الشم

تهذب أخلاق الندامى فيهتدي ... بها لطريق العزم من لا له عزم

يقولون لي صفها فأنت بوصفها ... عليم أجل عندي بأوصافها علم

صفاء ولا ماء ولا لطف ولا هوى ... ونور ولا نار وروح ولا جسم

وقال محيي الدين، رحمه الله:

اقض حق الصبوح قبل الصباح ... واكس راحاتنا بكاسات راح

واجل جنح الدجى بجذوة نار ... قدحتها السقاة بالأقداح." (١)

"على أثر ذلك قريبا لأن الله تعالى يقول: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فإذا قطع عنهم التعبد لم يقرهم بعد ذلك في الأرض زمانا طويلا.

---

(١) التذكرة الفخرية بهاء الدين الإربلي ص/٧٣

هكذا ذكره بعض العلماء.

وأما الدخان: فروي «من حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم إن من أشراط الساعة دخانا يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث في الأرض أربعين يوما» .

فأما المؤمن: فيصيبه منه شبه الزكام.

وأما الكافر: فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من أنفه ومنخريه وعينيه وأذنيه ودبره وقيل: هذا الدخان من آثار جهنم يوم القيامة.

وروي هذا عن علي وابن عمر وأبي هريرة وابن عباس وابن أبي مليكة والحسن وهو معنى قوله تعالى ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ .

وقال ابن مسعود في هذه الآية: إنه ما أصاب قريشا من القحط والجهد حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء كهيأة الدخان من الجهد حتى أكلوا العظام،." (١)

"أيام عيسى عليه السلام، ولو لم ينفعهم لما صار الدين واحدا بإسلام من أسلم منه.

وقد تقدم القول مبينا في هذا، وأن أول الآيات الخسوفات، فإذا نزل عيسى عليه السلام وقتل الدجال خرج حاجا إلى مكة، فإذا قضى حجة انصرف إلى زيارة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا وصل إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل الله عند ذلك ريحا عنبرية فتقبض روح عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، فيموت عيسى عليه السلام ويدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم في روضته، ثم تبقى الناس حيارى سكارى فيرجع أكثر أهل الإسلام إلى الكفر والضلالة وتستولي أهل الكفر على من بقي من أهل الإسلام، فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها، وعند ذلك يرفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف، ثم تأتي الحبشة إلى بيت الله فينقضونه حجرا حجرا ويرمون بالحجارة في البحر، ثم تخرج حينئذ دابة الأرض تكلمهم، ثم يأتي دخان يملأ ما بين السماء والأرض، فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام، وأما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق أنفاسهم، ثم يبعث الله ريحا من الجنوب من قبل اليمن مسها مس الحرير وريحها ريح المسك، فتقبض روح المؤمن والمؤمنة، وتبقى شرار الناس ويكون الرجال لا يشبعون من النساء والنساء لا يشبعن من الرجال، ثم يبعث الله الرياح فتلقيهم في البحر.

هكذا ذكر بعض العلماء الترتيب في الأشراط وفيه بعض اختلاف، وقد تقدمت الإشارة إليه فيما تقدم، والله أعلم.." (٢)

"الأنصاري فجعل أهله يبكون عليه فقال لهم جبر لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصواتكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهن يبكين ما دام حيا فإذا وجب فليسكتن

فقال بعضهم ما كنا نرى أن يكون موتك على فراشك حتى تقتل في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوما القتل إلا في سبيل الله إن شهداء أمتي إذا لقليل إن الطعن شهادة والبطن شهادة

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة شمس الدين القرطبي ص/١٢٦٥

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة شمس الدين القرطبي ص/١٣٤٨

والطاعون شهادة والنفساء بجمع شهادة والحرق شهادة والغرق شهادة وذات الجنب شهادة

رواه الطبراني ورواته محتج بهم في الصحيح

قوله بجمع تقدم قبله

إذا وجب أي إذا مات

٢١٦٣ – وعن راشد بن حبيش رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على عبادة بن الصامت رضي الله عنه يعوده في مرضه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعلمون من الشهيد من أمتي فأرم القوم فقال عبادة ساندوني فأسندوه فقال يا رسول الله الصابر المحتسب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شهداء أمتي إذا لقليل القتل في سبيل الله عز وجل شهادة والطاعون شهادة والغرق شهادة والبطن شهادة والنفساء يجرها ولدها بسرره إلى الجنة

قال وزاد أبو العوام سادن بيت المقدس والحرق والسل

رواه أحمد بإسناد حسن وراشد بن حبيش صحابي معروف

أرم القوم تقدم

والسادن بالسين والدال المهملتين هو الخادم

والسل بكسر السين وضمها وتشديد اللام هو داء يحدث في الرئة يؤول إلى ذات الجنب وقيل زكام أو سعال طويل مع حمى عادية وقيل غير ذلك

٢١٦٤ – وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من قبض في شيء منهن فهو شهيد المقتول في سبيل الله شهيد والغريق في سبيل الله شهيد والمبطون في سبيل الله شهيد والمطعون في سبيل الله شهيد والنفساء في سبيل الله شهيد

رواه النسائي

٢١٦٥ – وعن جابر بن عتيك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يعود عبد الله بن ثابت." [١]

"لا تحقر المرء إن رأيت به ... دمامة أو رثاثة الحلل

فالنحل لا شيء في ضؤولته ... يشتار منه الفتى جني العسل

لا ترج شيئا خالصا نفعه ... فالغيث لا يخلو من العيث

فشرط الفلاحة غرس النبات ... وشرط الرئاسة غرس الرجال

إذا حيوان كان طعمه ضده ... توقاه كالفار الذي يتقي الهرا

ولا شك أن المرء طعمه دهره ... فما باله يا ويحه يأمن الدهرا

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري عبد العظيم المنذري ٢/٢١٩

ظل الفتى ينفع من دونه ... وماله في ظله حظ

وطول جمام الماء في مستقره ... يغيره لونا وريحا ومطعما

إذا مر بي يوم ولم أتخذ يدا ... ولم أستفد علما فما هو من عمري

أنا كالورد فيه راحة قوم ... ثم فيه لآخرين زكام

ولم أر مثل الشكر جنة غارس ... ولم أر مثل الصبر جنة لابس

ولن يشرب السم الزعاف أخو حجى ... مدلا بترياق لديه مجرب

ما استقامت قناة رأيي إلا ... بعد أن عوج المشيب قناتي." (١)

"عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

ما كنت أحسب أن الدهر يجعل أم ... راض الأعلاء أعراس الأطباء

حتى تبين في ذا الدهر أن تجا ... رات الأطباء أسقام الأعلاء

أبو الفتح البستي:

ولا تكن عجلا في الأمر تطلبه ... فليس يحمد قبل النضج بحران

وله:

لا تعتمد إلا رئيسا فاضلا ... إن الكبار أطب للأوجاع

وله:

وقد يلبس المرؤ خز الثياب ... ومن دونها حالة مضنيه

كمن يكتسي خده حمرة ... وعلتها ورم في الريه

وله:

لا يغرنك أني لين المس ... م فعزمي إذا انتضيت حسامي

أنا كالورد فيه راحة قوم ... ثم فيه لآخرين زكام

وله:

وإني لأختص بعض الرجال ... وإن كان فدما ثقيلا عباما

فإن الجبن على أنهوخيم ثقيل يشهي الطعاما." (٢)

"١٢٦٦٧ - بكر بن بكار القيسي كنيته أبو عمرو يروي عن شعبة وحمزة الزيات سكن أصبهان روى عنه أبو مسعود أحمد بن الفرات الرازي والأصبهانيون ربما أخطأ

١٢٦٦٨ - بكر بن أيوب السختياني يروي عن أبيه أنه كان إذا رق ودمعت عيناه حك أنفه وقال ما أشد الزكام روى

---

(١) التمثيل والمحاضرة الثعالبي، أبو منصور ص/١٢٧

(٢) التمثيل والمحاضرة الثعالبي، أبو منصور ص/١٨٣

عنه عمرو بن علي المقدمي

١٢٦٦٩ - بكر بن حمدان يروي عن إياس بن دغفل روى عنه عفان بن مسلم

١٢٦٧٠ - بكر بن يزيد الطويل يروي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر روى عنه علي بن المديني

١٢٦٧١ - بكر بن عبد الرحمن بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي من أهل الكوفة يروي عن عيسى بن المختار روى عنه بن أبي شيبة والكوفيون مات سنة إحدى أو اثنتي عشرة ومائتين

١٢٦٧٢ - بكر بن عيسى الراسبي من أهل البصرة يروى عن جامع بن مطر الحبطي عن معاوية بن قرة قال معقل بن يسار حرمت الخمر ونحن." (١)

"شعر إسحاق الموصلي

حين أبل صباح بن خاقان

حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي قال حدثنا محمد بن أحمد بن عمار قال حدثنا أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن علي قال حدثنا صباح بن خاقان قال: اعتللت علة أشفيت منها، فبلغ ذلك إسحاق بن إبراهيم الموصلي فاغتم منها، ثم ورد عليه الخبر بإفاقتي فكتب إلي:

حمدت الله إذ عافى صباحا ... وأعقبه السلامة والصلاحا

وكنا خائفين على صباح ... من الخبر الذي قد كان باحا

وخوفني من الحدثان أني ... رأيت الموت إن لم يغد راحا

الأخطل يسرق معنى للأعشى

حدثنا المظفر بن يحيى بن أحمد الشرابي، قال حدثنا أبو العباس المرثدي، قال أخبرني طلحة بن عبد الله الطلحي، قال أخبرني إبراهيم بن سعدان، قال حدثنا ابن بشير المديني قال: وفدت إلى بعض ملوك بني أمية فمررت بقرية فإذا رجل مرنح من الشراب قائم يبول، فسألته عن الطريق فقال: أمامك، ثم لحقني فقال: أنزل، فنزلت، فقال: ادن دونك وعليك الحانة، فدخلت، فأحضر سفرة واستل سلة فأخرج منها رغفا ووذرا من لحم فقال: أصب، ثم سقاني خمرا، فإذا أبو مالك. ثم قال لي: كيف علمك بالشعر؟ قلت: قد رويت، فأنشدني قصيدته:

صرمت حبالك زينب ورعوم

فلما انتهى حبالك زينب ورعوم فلما انتهى إلى قوله:

حتى إذا أخذ الزجاج أكفنا ... نفحت فأدرك ريحها **المزكوم**

قال: ألست تزعم أنك تبصر الشعر؟ قلت: بلى، قال: فكيف لم تشقق بطنك فضلا عن ثوبك عند هذا البيت؟! قال:

---

(١) الثقات لابن حبان ابن حبان ٨/١٤٦

قلت: قد فعلت عند البيت الذي سرقت هذا منه، قال: وما هو؟ قلت: بيت الأعشى:

من خمر عانة قد أتى لختامها ... حول، تفض غمامة **المزكوم**

قال: أنت تبصر الشعر، فلما صرت إلى سليمان سمرت معه بهذا أول بدأتي.

تعليق الجريري قال القاضي: للأعشى في هذا المعنى بيت هو أبلغ من هذا البيت في كلمة له أخرى وهو.

من اللاتي حملن على الروايا ... كريح المسك تستل **الزكاما**

واستلال **الزكام** أبلغ من فضه لأن استلاله نزعه وإخراجه، وفضه نشره وتفريقه وكسره كفض الخاتم، وفي فضه مع هذا إزالته وتنحيته كما يزول الخاتم عند فضه ويفارق." (١)

"ما كان حالا فيه ولازما له. وفي قول الأخطل: فأدرك ريحها **المزكوم** من البلاغة أنه إنما يفوته إدراك المشمول لحلول **الزكام** به وغلبته إياه، فإذا أدرك ريح الخمر التي كان **الزكام** حائلا بينه وبينها عندنفحتها فإنما ذلك لزوال **الزكام** وزوال بعضه وإن لم يزل بكليته، فمن هاهنا كان الفض والاستلال أبلغ وأبين في المعنى.

ما يقوله الحسن إذا أصبح وإذا أمسى

حدثنا طلحة بن محمد بن إسرائيل الجوهري قال حدثني أبو الحسن أحمد ابن عبد الرحمن الجوهري قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا سفيان الثوري عن حصين الأسدي قال: كان الحسن إذا أصبح قال:

يسر الفتى ما كان قدم من تقى ... إذا عرف الداء الذي هو قاتله

وإذا أمسى قال:

فما الدنيا بباقية لحي ... ولا حي على الدنيا باق

من أول من قال شعرا يعقوب أم آدم

حدثنا أحمد بن جعفر بن محمد المنادي، قال حدثنا محمد بن إسماعيل بن يونس أبو إسماعيل إملاء، قال حدثنا أبو صالح سهل بن خاقان، وكان من خيار الناس، قال: سمعت أبا المورع يقول: أول من قال بيت شعر يعقوب صلى الله عليه وسلم لما جاءوه فأخبروه عن يوسف عليه السلام بالذي أخبروه به فقال:

فصبر جميل بالذي جئتم به ... وحسبي إلهي في المهمات كافيا

قال القاضي أبو الفرج: قد أتت هذه الرواية بما وصفناه، وقد روي لنا أن أول من قال الشعر آدم عليه السلام لما قتل قابيل أخاه هابيل، وأن إبليس لعنه الله أجاب آدم عليه السلام عن شعره ذلك، وهي رواية معروفة، ولعلنا نأتي بها فيما بعد إذا خرجت لنا إن شاء الله تعالى.

معاوية يغري ابن عمر بالمال ليبايع ليزيد

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٤٦٩

حدثنا محمد بن العباس بن نجيح البزاز قال حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي من كتاب أبيه يلقن، قال حدثني أبي قال حدثنا مؤمل قال: حدثنا حماد بن زيد قال حدثنا أيوب عن نافع أن معاوية لما أراد أن يبايع ليزيد أرسل إلى ابن عمر بمائة ألف ثم أرسل إليه أن بايع ليزيد فقال ابن عمر: إن كان ذاك لذلك إن ديني عندي إذن لرخيص.

لماذا يختلف إلى الناس

حدثنا الحسن بن أحمد بن محمد بن سعيد الكلبي الدينوري، قال حدثنا أحمد بن علي بن نعيم الدينوري، قال حدثني محمد بن يزيد بن هارون الواسطي بسر من رأى، في سنة ثلاث وستين ومائتين، قال حدثنا القاسم بن بهرام عن أبي الزبير عن جابر عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لا يؤتى الرجل إلا لخصلة من أربع خصال: لشرف، أو." (١)

"يومئذ بسبتة يذكر أن الملثمين المدعوين بالمرابطين قد وصلت مقدمتهم رحبة مراكش فأخذ الوزير يهون أمرهم ويخبر أن دونهم اللجج والمهامة فقال له المعتضد هو والله الذي أتوقعه وأخشاه وإن طالت بك حياة فستراه اكتب إلى فلان يعنى عامله على الجزيرة بحفظ جبل طارق حتى يأتيه أمري فقضى أن خلعوا ولده وقرضوا أمره

١٢٠ - ابنه محمد بن عباد المعتمد على الله

ويلقب أيضا بالظافر وبالمؤيدأبو القاسم

بويع له بالإمارة بعد أبيه المعتضد إحدى وستين وأربعمائة

قال ابن حيان وذكر المعتضد عباد بن محمد هلكت له بنت أثيرة لديه أبدى لها حزنا شديدا امتثله أهل مملكته في إظهاره وحضر خواصهم شهود جنازتها بداخل قصره عشية الجمعة غرة جمادى الأولى يعني من سنة إحدى وستين وأربعمائة فاستنفروا في تعزيته فلما انفضوا شكا ألما برأسه من زكام ثقيل انصب عليه فهده وأحضر له طبيبه وقد ازداد." (٢)

"(ولقد تباكرني على لذاتها ... صهباء عارية القذى خرطوم)

(مما تغالاه التجار غريبة ... ولها بعانة والفرات كروم)

(وإذا تعاورت الأكف زجاجها ... نفحت فنال رياحها المزكوم)

٦٦ - وقال أبو محجن الثقفى رضى الله عنه

(إن كانت الخمر قد عزت وقد منعت ... وحال من دونها الإسلام والحرج)

(فقد أباكرها صرفا وأمزجها ... ريا وأطرب أحيانا وأمتزج)

٦٧ - وقال أبو الهندى

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٤٧٠

(٢) الحلة السيراء ابن الأبار ٥٢/٢

(فما حرم الرحمن من تمر عجوة ... ولا ما سقانا من ركيته سعد)

(إذا طرحا في الدن أخرج منهما ... شراب يروق العين منظره ورد)

(نباكر أخذ الكأس حتى كأننا ... نرى في الضحى أطناب خيمتنا تعدو)

٦٨ - وقال أيضا

(رضيع مدام فارق الراح روجه ... فظل عليها مستهل المدامع)

(أديرا على الكأس إني فقدتها ... كما فقد المفطوم در المرضع)." (١)

"وقال آخر: [من الرجز]

كأن إبطي وقد طال المدى ... نفحة خرء من كواميخ القرى «١»

ويقال إنه ليس في الأرض رائحة أنتن، ولا أشد على النفس، من بخر فم أو نتن حر، ولا في الأرض رائحة أعصم لروح من رائحة التفاح.

١٩١-[فوائد العذرة]

وقال صاحب الكلب: فما نرى الناس يعافون تسميد بقولهم قبل نجومها وتفتق بزورها ولا بعد انتشار ورقها وظهور موضع اللب منها حتى ربما ذروا عليها السماد ذرا، ثم يرسل عليها الماء حتى يشرب اللب قوى العذرة، بل من لهم بالعذرة؟! وعلى أنهم ما يصيبونها إلا مغشوشة مفسدة. وكذلك صنيعهم في الريحان. فأما النخل فلو استطاعوا أن يطلوا بها الأجذاع طليا لفعلوا. وإنهم ليوقدون بها الحمامات وأتاتين الملال «٢» ، وتنانير الخبز. ومن أكرم سمادهم الأبعار كلها والأخثاء «٣» إذا جفت. وما بين الثلط «٤» جافا والخثاء يابسا، وبين العذرة جافة ويابسة فرق. وعلى أنهم يعالجون بالعذرة وبخرء الكلب، من الذبحة والخانوق «٥» في أقصى مواضع التقزز وهو أقصى الحلق، ومواضع اللهاة، ويضعونها على مواضع الشوكة، ويعالجون بها عيون الدواب.

١٩٢-[أقوال لمسبح الكناس]

وقال مسبح الكناس: إنما اشتق الخير من الخرء. والخرء في النوم خير. وسلحة مدركة ألذ من كوم العروس ليلة العرس. ولقد دخلت على بعض الملوك لبعض الأسباب، وإذا به قعاص «٦» وزكام وثقل رأس، وإذا ذلك قد طاوله، وقد كان بلغني أنه كان هجر الجلوس على المقعدة وإتيان الخلاء، فأمرته بالعود إلى عادته، فما مرت به أيام حتى ذهب ذلك عنه.

وزعم أن الدنيا منتنة الحيطان والتربة، والأنهار والأودية، إلا أن الناس قد." (٢)

---

(١) الحماسة البصرية صدر الدين البَصْري ٢/٣٨٧

(٢) الحيوان الجاحظ ١/١٦٠

"يعرض هذا القول على العقول السليمة، والأفهام التامة وترده إلى الرسل والكتب؟! فإذا وجدنا هذه الأمور كلها نافية له، كان ذلك عندنا هو المقنع. وليس الشأن فيما يظهر اللسان من الشك فيه والتجويز له، ولكن ليرده إلى العقل؛ فإنه سيجده منكرا ونافيا له، إذا كان العقل سليما من آفة المرض. ومن آفة التخبيل.

٨١٤-[ضروب التخبيل]

والتخبيل ضروب: تخبيل من المرار، وتخبيل من الشيطان، وتخبيل آخر كالرجل يعمد إلى قلب رطب لم يتوقح [١] ، وذهن لم يستمر [٢] ، فيحمله على الدقيق وهو بعد لا يفي بالجليل، ويتخطى المقدمات متسكعا [٣] بلا أمارة، فرجع حسيرا [٤] بلا يقين، وغبر زمانا لا يعرف إلا الشكوك والخواطر الفاسدة، التي متى لاقت القلب على هذه الهيئة، كانت ثمرتها الحيرة، والقلب الذي يفسد في يوم لا يداوى في سنة، والبناء الذي ينقض في ساعة لا يبنى مثله في شهر.

٨١٥-[قولهم: هذا نبيذ يمنع جانبه]

ثم رجع بنا القول إلى ذكر الذبان

قيل لعلويه كلب المطبخ: أي شيء معنى قولهم: «هذا نبيذ يمنع جانبه» ؟

قال: يريدون أن الذبان لا يدنو منه. وكان الرقاشي حاضرا فأنشد قول ابن عبدل: [من الخفيف]

عشش العنكبوت في قعر دني ... إن ذا من رزيتي لعظيم

ليتني قد غمرت دني حتى ... أبصر العنكبوت فيه يعوم

غرقا لا يغيثه الدهر إلا ... زبد فوق رأسه مركوم [٥]

مخرجا كفه ينادي ذبابا ... أن أغثني فإنني مغموم

قال: دعني فلن أطيق دنوا ... من شراب يشمه المزكوم

قال: والذبان يضرب به المثل في القذر وفي استطابة النتن، فإذا عجز الذباب عن شم شيء فهو الذي لا يكون أنتن منه.

---

[١] وقح وقاحة: صلب. «القاموس: وقح» .

[٢] يستمر: يقوى، ومنه يوم نحس مستمر: أي قوي. «القاموس: مرر» .

[٣] تسكع: تحير. «القاموس: سكع» .

[٤] حسر: كفرح وضرب: أعيا، فاستحسر فهو حسير. «القاموس: حسر» .

[٥] الركم: جمع شيء فوق آخر حتى يصير ركاما مركوما. «القاموس: ركم» .." (١)

"وإذا ضفدع عليه إكاف ... علموه بعد النفار الرسيم [١]

خطموا أنفه بقطعة حبل ... يا لقومي لأنفه المخطوم

نصبوا منجنيقهم حول بيتي ... يا لقومي لبيتي المهدوم [٢]

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٨٠/٣

وإذا في الغباء سم بريص ... قائم فوق بيتنا بقدوم [٣]

قلت: بيت الجرين مجمع صدق ... كان قدما لجمعكم معلوم [٤]

قلن: لولا سنورتاه احتفرنا ... مسكنا تحت تمره المركوم [٥]

إن تلاق سنورتاه فضاء ... تذرانا وجمعنا كالهزيم

عشش العنكبوت في قعر دني ... إن ذا من رزيتي لعظيم

ليتني قد غمرت دني حتى ... أبصر العنكبوت فيه يعوم

غرقا لا يغيثه الدهر إلا ... زبد فوق رأسه مركوم

مخرجا كفه ينادي ذبابا ... أن أغثني فإنني مظلوم

قال ذرني فلن أطيق دنوا ... من نبيذ يشمه المزكوم

وقال في الفأر والسنور: [من المنسرح]

قد قال سنورنا وأعهده ... قد كان عضبا مفوها لسنا [٦]

الو أصبحت عندنا جنازتها ... لحنطت واشترى لها كفنا [٧]

ثم جمعنا صحابتي وغدوا ... فيهم كريب يبكي وقام لنا

كل عجوز حلو شمائلها ... كانت لجرذان بيتنا شجنا [٨]

من كل حدباء ذات خشخشة ... أو جرذ ذي شوارب أرنا [٩]

---

[١] الرسيم: ضرب من السير.

[٢] المنجنيق: آلة حربية ثقيلة تستخدم لقذف الأحجار والسهام وقوارير النفط أو أي مقذوفات أخرى باتجاه العدو. وكلمة «منجنيق» دخلت العربية من الفارسية تحريفا لعبارة «من جه نيك» وقيل إنها تعني «أنا ما أجودني» ، أو بكلمة «منجك» ومعناها «الارتفاع إلى فوق» . انظر الأنيق في المناجنيق ١٦.

[٣] الغباء: الغبار. سم بريص: أراد سام أبرص.

[٤] الجرين: موضع التمر الذي يجفف.

[٥] سنورتاه: مثنى سنورة. المركوم: المجموع.

[٦] العضب: الحديد في الكلام.

[٧] حنطت: طيبت بالحنوط، وهو طيب يخلط للميت خاصة.

[٨] عجوز: أي من السنانير.

[٩] حدباء: أي من الجرذان. الخشخشة: صوت كل شيء يابس. وأراد ما تصدره من صوت حين تقضم الخبز اليابس ونحوه. الأرن: النشيط.." (١)

"أما "ماريا لويزا" فلم تكن مفكرة إلا بنفسها وقد أبت أن تصحب "نابوليون" في انحطاطه، وأما "جوزفين" فكتبت إليه رسالة تقول فيها:

"إني أقدر أن أتصور الآن مقدار مصيبة انفكاك اتحادنا الذي فكته الشريعة وإني الآن أندب حظي ويشق علي أنني لست صديقة لك. ومن لا يحزن ويقطر قلبه دما عند حلول مصيبة هذا مقدارها. آه يا سيدي، حبذا لو كان بوسعي أن أطير غليك وأؤكد لك أن البعد لا يغير إلا ذوي العقول السخفية ولا يستطيع أن يلاشي محبة خالصة زادت المصائب قوتها. لقد أوشكت أن أترك فرنسا وأتبع خطواتك وأخصص لك بقايا حياة أنت زينتها لو كنت أعلم أني أنا الوحيدة التي ستتم واجباتها باتباعك لكنت أذهب على ذلك المكان الوحيد الذي فيه سعادتي وأسليك في وحدتك وتعاستك، قل كلمة واحدة وأنا أذهب حالا، وأما الآن فأستودعك الله يا سيدي لأني مهما زدت على ذلك قليلا جدا، وعواطفي بعد الآن لا تبرهن لك بالكلام بل بالعمل وأرجو أن تسلم بذلك لأنه ضروري".

وبعد كتابة هذه الرسالة بأيام قليلة تناول الإمبراطور "إسكندر" وبعض أصحاب الألقاب والرتب طعاما مع "جوزفين" وفي أول المساء خرج الجميع بنور الشفق إلى خارج وخرجت "جوزفين" معهم، وكانت صحتها منحرفة بسبب الأحزان والأكدار فشعرت بزكام شديد وجعل يزداد يوما فيوما وتنحط معه صحتها وقوتها حتى حكم الطبيب بدنو أجلها، وكان ولداها "أيوجين" و"هورتنس" لا يفارقانها ليلا ولا نهارا، وأخبراها بكلام الطبيب فتلقت تلك البشرى بفرح وسرور وسألت حضور قسيس فحضر وأتم الفروض الدينية، ثم دخل عليها الإمبراطور "إسكندر" فرأى ولديها "أيوجين" و"هورتنس" جاثيين عند فراشها وقد غسلتهما الدموع فأومأت "جوزفين" إلى الإمبراطور أن يقرب منها، فلما اقترب قالت له ولأولادها: "كنت دائما أشتهي سعادة فرنسا وقد فلت كل ما في طاقتي لأجل ذلك وها أناذا أقول لكم في الدقيقة الأخيرة من حياتي أيها الحاضرون الآن إن امرأة "نابوليون الأول" لم تسبب مطلقا انسكاب دمعة واحدة من عين واحدة".

ثم طلبت صورة الإمبراطور، فلما أحضروها التفتت إليها وعلامات الرقة والمحبة تلوح على وجهها ثم أخذتها وقربتها إلى صدرها ووضعت يديها فوقها وصلت قائلة: "اللهم أحرس الإمبراطور مدة بقائه في صحراء هذه الدنيا واأسفاه إنه ارتكب غلطات فاحشة ولكنه لم يعوض عنها بآلام عظيمة، وأنت وحدك أيها الإله قد عرفت قلبه وعلمت أنه كان في نفسه أميال شديدة على صلاح أشياء كثيرة، فتنازل واصغ إلى تضرعي الأخير. واجعل هذه الصورة صورة زوجي تشهد أن رغبتي وصلاتي الأخيرة كانتا لأجله ولأجل أولادي".

وكان ضلك في التاسع والعشرين من شهر أيار (مايو) سنة ١٨١٤م، وكانت الشمس قد قاربت الغروب فألقت بعض أشعتها المذهبة من نوافذ غرفة "جوزفين" المفتوحة، وكان النسيم اللطيف يتلاعب بالأشجار والطيور تغرد فيها. وبين حفيف الأشجار وتغريد الأطيار القت "جوزفين عينيها على صورة "نابوليون" وأسلمت الروح، فلما رأى الإمبراطور "إسكندر" أنها

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٦١/٥

قد فارقت الروح قال والدموع تتساقط من عينيه: "ليست بعد تلك المرأة التي سمتها فرنسا: "محبة الخير، وملاك الصلاح"، وكل هؤلاء الذين عرفوا "جوزفين" لا ينسونها فإنها ماتت وتركت الأسف الشديد لأولادها ولأصدقائها ومعارفها".

وبعد موتها بأربعة أيام احتفل بجنازتها، وكان ذلك في الثاني من حزيران (يونيو) عند الظهيرة فأخذوها." (١)

"ولعوقاته ومعاجنه، وهل ينفذ طبه، وينفق بختجه وحبه؛ وصف لي ما يقوله على الماء، ويبديه من الأدواء، وأهد إلي ما ينمقه من المقال، على الكبد والطحال، ويرقشه من الكلام، في الفالج **والزكام**؛ فالحمد لمن قرن له ذلك إلى القيام بشريعة الإسلام، والتمهر في الأحكام، ومعرفة الحلال والحرام، والفلج عند الجدال والخصام.

وله من أخرى:

فكم ليث كامن في غابه، سمعت صريف أنيابه، وقفر أنست في يبابه، إلى عواء ذئابه؛ لا أمر إلا باللص المستلب، ولا ألقى غير الخارب المنتهب؛ وشعاري عند النائبة ألقاها فأتخطاها، والنازلة أراها فاتعداها، قول أبي الطيب:

فإن أسلم فما أبقى ولكن ... سلمت من الحمام إلى الحمام وأنا أرقب من الزمان صنيعه، وأنتظر الحمام وأتخيل وقوعه؛ وهو يذهب بي إلى قبلة الآمال وأنا لا أصدق، ويسوقني إلى محط الرحال وأنا لا أحقق، ويؤم بي البحر الذي لا تحصى فوائده، والغيث الذي لا يخيب رائده؛ وهللت إحمادا لما سقطت عليه، وعلمت أني في الحرم الذي لا يوطأ رحابه، ولا يطار غرابه، ولا يخضد شجره." (٢)

"إذا كنت في قوم عدى لست منهم ... فكل ما علفت من خبيث وطيب

وفي المثل: " أوضح من مرآة الغريبة ". وذلك أن المرأة إذا كانت هديا في غير أهلها، تتفقد من وجهها وهيئتها ما لا تتفقده وهي في قومها وأقاربها، فتكون مرآتها مجلوة تتعهد بها أمر نفسها. وقال ذو الرمة:

لها أذن حشر وذفرى أسيلة ... وخد كمرآة الغريبة أسجح

وكانت العرب إذا غزت وسافرت حملت معها من تربة بلدها رملا وعفرا تستنشقه عند نزلة أو **زكام** أو صداع. وأنشد لبعض بني ضبة:

نسير على علم بكنه مسيرنا ... وعدة زاد في بقايا المزاود

ونحمل في الأسفار ماء قبيصة ... من المنشأ النائي لحب المراود

وقال آخر: أرض الرجل أوضح نسبه، وأهله أحضر نشبه.

وقيل لأعرابي: كيف تصنع في البادية إذا اشتد القيظ وانتعل كل شيء ظله؟ قال: وهل العيش إلا ذاك، يمشي أحدنا ميلا فيرفض." (٣)

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/١٦٠

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ١/١٥٥

(٣) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٢/٣٩٢

"يبكي عليها بها مخافة أن ... تقرنه والظلام في قرن

وقال البحتري:

هل أنت من حب ليلى آخذ بيدي ... أو ناصر لي على التعذيب والسهد

وهل دموع أفاض الحزن ريقها ... تدني من البعد أو تشفي من الكمد

قد بات مستعبرا من كان مصطبرا ... وعاد ذا جزع من كان ذا جلد

إن أسخط الهجر لا أرجع إلى بدل ... منه وإن أطلب السلوان لا أجد

وقال الأعشى:

وفاضت دموعي فظل الشؤون ... إما وكيفا وإما انحدارا

كما أسلم السلك من نظمه ... لآلئ منحدرات صغارا

وقال آخر:

ولو أن دمعي لم يفض لتقطعت ... نبات فؤادي حين تذكر من وجدي

وقد صرمتني إذ تيقن قلبها ... بأن لست عنها بالصبور ولا الجلد

فيا ليتني والله مت ولم أكن ... فتحت لها بالدمع بابا من الصد

وقال آخر:

أعيني ما لي كلما بت ليلة ... بأرض فضاء كان دمعي قراكما

أعيني لام الله من لام فيكما ... محبا وآذى من يريد أذاكما

أعيني صبرا أعقباني حلاوة ... فقد خفت من طول البكاء عماكما

ألا قد أرى والله أن قد قذيتما ... بمن لا يبالي أن يطول قذاكما

أجدكما لا تذكرا زمنا مضى ... بصنعاء لا بل جنباني نداكما

وأنشدتني مريم الأسدية:

أعيني من كحل الطبيب تداويا ... فلا كحل بعد اليوم يشفي قذاكما

أعيني كفا الدمع لا تشمتا بنا ... عدوا ولا يحزن صديقا بكاكما

الباب الثاني والأربعون

نحول الجسد من دلائل الكمد

أما الدلالة على صحة هذا القول من جهة الطب فهي إن الحرارة المتولدة من الحزن تنحاز إلى القلب من سائر أعضاء البدن ثم تتصاعد إلى الدماغ فتتولد بخارات ردية فإن طاقتها الطبيعة بالقوة الغريزية أذابت تلك البخارات الردية فأجرتها دموعا وربما أضر كثرة جريانها بالمجاري فأدماها فجرى الدم مجرى الدمع وهكذا تذيب تلك القوى البخارات المتولدة في الدماغ في كمون الحرارة لما يعرض للرأس من حر وبرد فتجريه من الأنف زكاما فتذهب غائلته ولو لم تذبه وتجره من الأنف

صار كيموسا غليظا ومادة منصبة إلى بعض الأعضاء الرئيسية فحينئذ تتلف أو تولد علة غليظة فكذلك الدموع إن لم تطق تذويبها القوى الطبيعية واشتغلت عنها بمدافعة ما هو أخوف على النفس منها صارت تلك البخارات كيموسا غليظا فولد أمرا عظيما وإما أن يستقر في الدماغ فيفسد ما جمع فيبطل الذكر ويفسد الفكر ويهيج التخييلات المستحيلات وذلك هو الجنون بعينه وربما فسدت منه كرة أو كرتين فيفسد بفسادها ما كان مستقيما بصلاحها وشرح ذلك يطول وليس من جنس ما ابتدأناه فيجب علينا أن نشرح منه ما أجملناه وربما انحدر ذلك الكيموس عن الدماغ إلى القلب فهتك بعض الحجب أو جميعها وكان منه حينئذ التلف لا محالة والله أعلم وربما انحدر إلى الكبد فمنع شهوة الطعام والشراب فحينئذ يكون نحول الجسم وضعف القوة ولقد أصاب كل الإصابة على الإصابة حيث يقول:

عجائب الحب لا تفنى وأولها ... ممن تحب بتكذيب وإنكار

ماء المدامع نار الشوق تحدره ... فهل سمعت بماء فاض من نار

لأن هذا هو الذي قدمنا ذكره من أن الحرارات هي المولدة لتلك البخارات التي يحدث الدمع منها بإذابة الحرارة الغريزية لها وقد ذكرت الشعراء جملا من أن فيض الدمع أروح من كمونه ولم يدلوا على سبب ذلك ولا أحسبهم وقفوا عليه ومن أقربهم وصفا له الذي يقول:

كتمت الهوى حتى بدا كتمانه ... وفاض فنمته علي المدامع

ولو لم يفض دمعي لعاد إلى الحشا ... فقطع ما تحنى عليه الأضالع

وقال بعض الأعراب:

يقولون لا تنزف دموعك بالبكا ... فقلت وهل للعاشقين دموع

لئن كان أبقى لي التشوق قطرة ... لهن إذن من عاشق لمضيع." (١)

"وجاء في كون الطعن شهادة أحاديث أخر فيها ذكر شهداء آخرين غير المقتول في سبيل الله. أخرج مسلم أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: «ما تعدون الشهداء فيكم؟ قالوا يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد قال ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات من البطن فهو شهيد» . والشيخان: «الشهيد خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله» . وأحمد والطبراني بسند رواته ثقات: «إن في القتل شهادة، وفي الطاعون شهادة، وفي البطن شهادة، وفي الغرق شهادة، وفي النفساء يقتلها ولدها في بطنها جمعا – أي بتثليث الجيم وسكون الميم بأن تموت وولدها في بطنها – شهادة» . والطبراني بسند رواته محتج بهم في الصحيح: «أنه – صلى الله عليه وسلم – عاد بعض الأنصار فبكى أهله فقال عمه: لا تؤذوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأصواتكم، فقال: دعهن يبكين ما دام حيا فإذا وجبت – أي مات – فليسكتن، فقال بعضهم للمريض: ما كنا نرى أن يكون موتك على فراشك حتى تقتل في سبيل الله مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقال – صلى الله عليه وسلم –: أوما الشهيد إلا القتل في سبيل الله؟ إن شهداء أمتي إذن لقليل. إن الطعن شهادة، والبطن شهادة، والطاعون شهادة، والنفساء بجمع

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/١١٦

شهادة، والحرق شهادة والغرق شهادة، وذات الجنب شهادة» . وأحمد بسند حسن: «القتل في سبيل الله عز وجل شهادة، والطاعون شهادة، والغرق شهادة، والبطن شهادة، والنفساء يجرها ولدها بسرره إلى الجنة» .
وفي رواية: «وسادن بيت المقدس – أي خادمه – والحرق والسل» : هو بكسر أوله وضمه وتشديد اللام داء يحدث في الرئة يئول إلى ذات الجنب، وقيل زكام أو سعال طويل مع حمى هادئة، وقيل غير ذلك.
وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه: «الشهداء سبع سوى القتل في سبيل الله: المبطون شهيد، والمطعون شهيد، وصاحب الحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة التي تموت بجمع شهيدة» . والشيخان: «الطاعون شهادة لكل مسلم» .." (١)

"أهدي سلاما لو تحمله النسيم لعطر الآفاق. ولو جعل للبدر هالة لما اعتراه المحاق. ولو مزجت به الصهباء لما أعقب شربها صداعا. ولو أستفه مريض أو لقمه لما لقي برجاء وأوجاعا. ولو علق على شجرة لزهت في المحال أوراقها ولو في الخريف. ولو سقيه الروض لانبت من كل زهر بهيج طريف. ولو جعل على أوتار عود لأطربت دون عازف. ولو تغني به في مجلس لا غنى عن المشموم والمعازف ولو علق في الآذان لكان شنوفا. ولو صقل به سيف كليل رهيفا. ولو مثل لكان حدائق ورياضا. وسلسلا ومحاضا. ولو نيط بالعمائم. لا غنى عن التمائم. ولو تختم به ولهان لأجزأه مجزأ السوان. ولو كتب على رجام لا لهي الثاكل عن النواح أو على خصر هيفاء لقام لها مقام الوشاح. أو على أنف مزكوم لنا أحوجه إلى السعوط أو على ساق أعرج لكان له من قفزه بيق وفروط. أو على لسان أبكم لانحلت عقدته. أو على كف بخيل لهان عليه في البذل ذهبه وفضته. أو على أجاج لعاد فراتا. أو على رمل لأنبت الريحان نباتا. وتحيات فاخرة. ذكية عاطرة. أرق من النسيم. وأحلى من التسنيم. وأشهى من العافية على بدن السقيم. وأجلى للعين من الأثمد وأغلى للناقد من المسجد. وأصفى من الماء الزلال. وأعلق بالقلب من أمل الوصال. وأشغل للبال من هوى ذي دلال. وأزهر من نور الصباح وأزهى من نور الأفاح. وأعبق من شذا الراح. وأثمن من الجوهر النفيس وأعز عند البستي من التجنيس. وعند أبي العتاهية من الزهديات. وعند أبي نواس من الخمريات. وعند الفرزدق من الفخريات. وعند جرير من الغزليات. وعند أبي تمام من الحكم. وعند المتنبي من جزل الكلم. تهدي إلى الجناب المكرم. المقام المحترم. ملاذ الملهوفين. مستغاث المضيمين. ثمال المظلومين. ملجأ المهضومين. منهل القاصدين. مورد الطالبين. أدام الله سعده. وخلد مجده.
وبعد يا سيدي فأني قدمت هذه الديار وأنا حامل لخرج قد أنقض ظهري وعمل به صبري. ولم أجد من يزحزحه عني ولو قليلا. ولست أجد بنفسي إلى التخلص منه سبيلا. وقد هديت إلى نور معروفك في جنح هذا العماس. وأنبئت إنك أنت وحدك معتقي من هذا الإرتباس. دون سائر الناس. فهل تسمح لي بأن أزور ناديك الكريم. وأبث إليك مشافهة ما بي من البث المقيم والضر الأليم. فأنك أهل لأن تأخذ بيد من لا ناصر له وأن تصطنعه لك بالتفاتة تحقق أمله. وتنيله ما أمله. وإن تتخذه لك ما عاش رهين شكرك ممنون برك. فهو يرجو ذلك منك رجاء من لاذ بعقوبة فخرك. فإن رأيت أن تفعل فذلك من إحسانك وطول امتنانك. والسلام.

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي ٢/٢٨٩

وكتب عنوانه يشرف بأنامل سيدي الأكرم الأحسب الأفخم الأوحد الأفضل الأسعد الأمثل الأرشد الأكمل الأمجد الأجل الخواجا فلان أدام الله بقاه بالعز والنعم.." (١)

"فلما سمع الفارياق ذلك أضطرب باله وثار دمه غيظا وحزنا. فأصابه في ذلك اليوم الداء الفاشي فخرج تحت أبطه سلعة كالأترجة وحم وأخذه صداع أليم. فأما الوكيل فلم يصبه شيء. وذلك من الأسرار التي يعجز عن إدراكها الحكماء. ثم أن الفارياق كان حال مرضه يفكر فيما جرى عليه وهو وحيد غريب لا مؤنس عنده يسليه. ولا طبيب يداويه. وكان يقول في نفسه إذا مت على هذه الحالة فمن عساه يتمتع بكتبي هذه التي سهرت الليالي على نسخها. نعم أن الموت على كل حال صعب مكروه غير أن موت الفتى مثلي غريبا أصعب وإني قد ابتليت والحمد لله في هذه المدينة بجميع أنواع الأدواء المصبوغة بلون الحمام. فإذا فسح الله الآن في أجلي فلا أفارق هذه الدنيا إلا قرير العين بنجل يرثني. وأن لم يكن عندي من حطام الدنيا غير الكتب. كيف لا وقد جاء عن أبي شلوم ولد سيدنا داود أنه نبي له جدارا ليذكر به بعد موته إذ لم يكن له خلف. فلا تزوجن فإن لم يأتني خلف فالطوب بمصر كثير. اللهم يسر. غوثك يا كريم. يا رحمان. يا رحيم. ثم لما كان يمعن النظر في حال الزواج ويتصور مشاقه وشدائده التي يرى أوداءه ومعارفه يقاسونها ويئنون من باهظ حملها، يرجع عن عزمه ويسخر من استحالة عقله وضعف فهمه لضعف جسمه ثم يعتذر لنفسه بأن كل إنسان إذا عاش مدة حياته على رأي لم يوافق رأي الجماعة وكان يعتقد وهو حي صحيح الجسم معافى أنهم كلهم على ضلال وأنه هو وحده على هدى فإذا أدركه ضعف جسم لم يلبث أن يتغير عقله فيميل عن مذهبه الأول. كما جرى لبيون الفيلسوف ولكثير غيره من الحكماء والفلاسفة.

ثم أن الله تعالى تدارك الفارياق برحمته. ومن عليه بالشفاء من علته. فقام من فراشه كأنما قام من جدته وأقبل على الطنبور يعزف به ويغني فدعه الآن على الحالة ولا تنغص عليه عيشته. وشمر أذيالك معي لنطفر فوق هذا الأجيج المتأجج أمامنا فيما يلي هذا.

الكتاب الثالث

إضرام أتون

أو ما كفى بني آدم ما هم فيه من الشفاء والعناء. والجهد والبلاء. والمشقة والنصب واللاواء والتعب. والحرمان والنحس والقنوط والتعس. يجبل بهم في الفرث والوحم ويولدون في الأوجاع والألم. ويرضعون في الضرر. ويفطمون في الخطر. ويحبون فيعثرون. ويدرجون فيتدهورون. ويمشون فيكلون. إذا جاءوا خاروا أو وهوا. وإذا أكلوا أتخموا ويحروا. وإذا ظمئوا ضووا. وإذا شربوا غلثوا وغنثوا وختروا. وإذا أرقوا ذابوا قلقا وكمدا. وإذا ناموا ذهب العمر منهم سدى. وإذا هرموا ملهم أهلهم وأخواتهم. وإذا احتضروا حسروهم تحسيرا ربما أحانهم. ثم هم بين ذلك في تحصيل أسباب المعاش ساعون. وفي التظاهر باللباس والزينة

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/٩٣

معنون. منهم متهافت على امرأة تكون له أهلا. وذو الأهل همه بزوجه. وتربية ولده طفلا وكهلا. فإذا مرضو مرض. وإذا حزنوا حزن وجرض. وويل له أن تكن زوجته بزرا أو كانت عاقرا وذما. ورأى لغيره من المتزوجين بنين ذوي طلعة ناضرة وشمائل سارة. فيقول في نفسه إنما لذة الدنيا البنون. وأني ميت بلا خلف وأي منون. وكم من سقوط ظفر وهن الجسم كله. وكم لقلع ضرس ذهب الصبر أو جله. ما عدا الأدواء المتعضلة. والعلل المتأصلة. وتخالف الأزمان وحول الأحوال. وتعاقب الأحزان ودول الحال. على هذا الجسم الواني البال. ففي الشتاء يكون عرضة للريح **والزكام** والبلغم والرطوبات. والبوال والعفونات. وفي الصيف للصفراء أو الحمى والصداع. والترهل والاستنقاع.

وفي الربيع لهيجان الدم وتبيغه ونزغته. وفي الخريف لتحرك السوداء وأذى الهواء وندغته. ثم إن منهم من يولد ويعرض من العيوب والأمراض.

الجنأ أشراف الكاهل على الصدر.

أو الفسأ خروج الصدر ونتوء الخثلة.

والفطأ دخول الطهر وخروج الصدر.

والحدب معروف.

والحسبة أن يبيض جلد الرجل من داء فتفسد شعرته فيصير أبيض وأحمر.

والحصبة بثر يخرج بالجسد.

والشب داء م.

والضبوب داء في الشفة.

والطنب طول في الرجلين في استرخاء وطول في الظهر.

والعكب غلظ في الشفة واللحمى.

والغضبة بخصة تكون بالجفن الأعلى خلقة.

والغضاب داء أو الجدري.

والغلب غلظ العنق.

والقلب انقلاب الشفة.

والقلاب داء القلب.

والقوباء الذي يظهر في الجسد ويخرج عليه.

والكنب غلظ يعلو الرجل واليد.." (١)

"والكوب دقة العنق وعظم الرأس.

والناقبة داء للإنسان من طول الضجعة: والجوت عظم البطن في أعلاه أو استرخاء أسفله.

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/١٣٦

والخو استرخاء البطن: والضمج آفة تصيب الإنسان وهو أيضا هيجان المابون.

والعناج وجع الصلب.

والفحج تداني صدور القدمين في المشي وتباعد العقبين والفجج والفخج أقبح منه.

واللخج أسواء الغمص.

والمحج استرخاء الشدقين.

والجلح انحسار الشعر عن جانبي الرأس.

والصفح عرض فاحش في الجبهة.

والنطف علة يكوى منها الإنسان.

والفركحة تباعد ما بين الإليتين.

والفطح عرض الرأس والأرنبة.

والفلح شق في الشفة السفلى.

والقادح أكال في الأسنان.

والقلح صفرة في الأسنان.

والكسح الزمانة في اليدين والرجلين.

واللجح اللخص في العين.

والمرح شدة سيلان العين وفسادها: والمسح احتراق باطن الركبة لخشونة الثوب أو اصطكاك الربلتين ومثله المشح: والوذح احتراق في باطن الفخذين.

والبزخ خروج الصدر ودخول الظهر.

والزلخة وجع يأخذ في الظهر.

والفتخ استرخاء المفاصل أو عرض الكف والقدم وطولهما.

والنفاخ نفخة الورم من داء يحدث.

والجرد عدم الشعر.

والدرد ذهاب الأسنان.

والردة تقاعس في الذقن.

والسوداء داء من شرب الماء.

والقود طول العنق والظهر.

والكباد وجع الكبد.

واللهد داء في أرجل الناس وأفخاذهم.

والادر الآدر والمادور من ينتفق صفاقة فيقع قصبه في صنفه الخ. وفعله كفرح.

والبجر خروج السرة وعظم البطن.

والبخر النتن في الفم.

والباسور م ج بواسير.

والحثر البثور وحثرت العين خرج في أجفانها حب احمر.

والحدرة قرحة تخرج ببياض الجفن.

والحصر والحصر الحصر احتباس ذي البطن وبالتحريك ضيق الصدر والبخل والعي في المنطق.

والحفر سلاق في أصول الأسنان.

والحمرة ورم من جنس الطواعين.

والمحنجر داء في البطن.

والاخضير داء في العين.

والذهر اسوداد الأسنان ومثله التذبير.

والزحير استطلاق البطن.

والزعر تفريق الشعر وقلته.

والزور عوج الزور والأزور من به ذلك والناظر بمؤخر عينيه.

والشتر انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه أو استرخاء أسفله.

والصعر صغر الرأس.

والصفر داء في البطن يصفر الوجه.

والظفر داء في العين.

والظهر داء الظهر.

والعور معروف.

والتقطير عدم استمساك البول.

والقصر يبس في العنق.

والمعر قلة الشعر.

والناسور علة في المآ وعلة في حوالي المقعدة وعلة في اللثة.

والكزاز داء من شدة البرد.

والسلاس ذهاب العقل.

والفقاس داء في المفاصل.

والفطس انفراش الأنف في الوجه.

والقعس خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب.

والقفس عظم الروثة.

والقتعسة شدة العنق في قصرها كالأحدب.

والكسس قصر الأسنان أو صغرها أو لصوقها بسنوخها.

والنقرس ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين.

والهوس طرف من الجنون.

والحمش دقة الساقين.

والخفش صغر العينين وضعف البصر خلقة أو فساد في الجفون بلا وجع أو أن يبصر بالليل دون النهار.

والدوش ظلمة البصر وضيق العين.

والرمش حمرة في الجفون مع ماء يسيل.

والطرش أهون الصمم.

والطشاش داء **كالزكام**.

والعطاش داء لا يروي صاحبه.

والعمش ضعف البصر مع سيلان الدمع في أكثر الأوقات.

والمدش رخاوة عصب اليد وقلة لحمها ودقتها.

والنمش نقط بيض وسود أو بقع تقع في الجلد تخالف لونه.

والبخص لحم ناتئ فوق العينين أو تحتها كهيئة النفخة والتبخص انقلاب الأجفان.

والبرص معروف.

والتعص وجع العصب من كثرة المشي.

والحاصة داء يتناثر منه الشعر.

والحوص ضيق في مؤخر العينين أو في إحداهما.

والخوص غؤور العينين.

والخيص صغر إحدى العينين.

والرمص وسخ ابيض يجتمع في الموق.

والشوصة وجع في البطن أو ريح تعتقب في الأضلاع أو ورم في حجابها والغمص ما سال من الرمص.

والقبص وجع يصيب الكبد من التمر على الريق وضخم الهامة.

والقرماص قصر الخدين.

والقفص حموضة في المعدة من شرب الماء على التمر وحرارة في الحلق.." (١)

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/١٣٧

"شهر من أخذ الجبل صاح الصائح بأمر السلطان أن الذمة على ضعوف صبر ومن لا يحمل السلاح يطلعون الجبل وفي الأحد الثاني صيح لهم كذلك وصيح لا أهل الاجناد ان لا يتعسفوا وفي ثانية قدم السلطان جريدة ودخل الاصطبلات وذلك ظهيرة اليوم المذكور هو عاشر ربيع الاول فلبث في البستان الى بعد الظهر وعاد الى تعز فيحفظ الله تعالى ورعايته والخلق داعون لم يحدث عليهم مظلمة بل انتفع اهل البلد على قدر حالهم اعني اهل بيع الخبز والادام وعقيب اخذ الجبل حصل بتعز والجند ونواحيهما مرض غريب عجيب هو سعال وزكام ونواغز جنوب فمات بسبب ذلك جمع كبير في هذه النواحي ولبث بهم الى منتصف ربيع الاول وهو مستمر بهم وكل من قدم من البلاد النائية جبلا وتهامة متى سئل عن شيء من ذلك الخبر انه موجود عام لم يكد يسلم منه موضع ولا احد الا نادار او هو اذ ذاك لا حكم وذلك من اواخر صفر الى اواخر ربيع الاخر وحصل بالشهر المذكور بنواح من اليمن نزول جنس الرماد من السماء وذلك ببلد ذبحان وما يقاربها وربما كان ذلك بلحج وعدن واقام السلطان في ثعبات مشيعا مظهرا بنزول تهامة ولم ينسك احد من عسكره في ذلك حتى كان يوم الاربعاء رابع ربيع الثاني اظهرالعزم على قدوم الجند فوصل اول العسكر عصر اليوم وضربوا خيما في الميدان والجبانة ووصل السلطان الى المخيم عشيا فبات به ولما كان ضحى الخميس دخل المدينة من بابها الايمن باب." (١)

"قد سجنه الملك الأشرف – ونقل الأشرف إلى تربته وأمر الكامل في يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة ألا يصلي أحد من أئمة الجامع المغرب سوى الإمام الكبير فقط لأنه كان يقع بصلاتهم تشويش كبير على المصلين وورد الخبر باستيلاء الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل على سنجار ونصيبين والخابور وقدم رسول الخليفة بمال إلى الملك الكامل ليستخدم به عسكرا للخليفة فإنه بلغه توجه التتر إلى بغداد فقام الملك الكامل لما سلم إليه كتاب الخليفة ووضعه على رأسه وكان جملة ما حضر من المال مائة ألف دينار مصرية فأمر الملك الكامل أن يخرج من بيت المال مائتا ألف دينار ليستخدم بها العساكر وأن يجرد من عساكر مصر والشام عشرة آلاف نجدة للخليفة وأن يكون مقدم العساكر الناصر داود وألا يصرف مما حضر من المال شيء بل يعاد بكماله إلى خزانة الخليفة فتولى استخدام الأجناد الأميران ركن الدين الهيجاوي وعماد الدين بن موسك وأن يكونا مع الناصر داود في خدمته فاستخدم الناصر العسكر وسار إلى بغداد وهم نحو ثلاثة آلاف فارس وشرع الكامل يتجهز لأخذ حلب فخاف المجاهد صاحب حمص وبعث ابنه المنصور إبراهيم فتقرر الأمر على أن يحمل المجاهد كل سنة للملك الكامل ألفي ألف درهم فعفا عنه. وكان منذ دخل الكامل إلى قلعة دمشق قد حدث له زكام فدخل في ابتدائه إلى الحمام وصب على رأسه الماء الحار فاندفعت المراد إلى معدته فتورم وعرضت له حمى فنهاه الأطباء عن القيء وحفروه منه فاتفق أنه تقيا لوقته في آخر نهار الأربعاء حادي عشري شهر رجب بقاعة الفضة من قلعة دمشق فحفن بها بكرة الغد وعمره نحو من ستين سنة وذلك بعد موت أخيه الأشرف بنحو ستة أشهر فكانت مدة ملكه دمشق هذه المرة أحدا وسبعين يوما ومدة مملكته بمصر – بعد موت أبيه – عشرين سنة وثلاثة وأربعين يوما – وقيل وخمسة وأربعين يوما – وكانت في أيام أبيه نحوها فحكم مصر قريبا من أربعين سنة ومولده في الخامس والعشرين من ربيع الأول سنة ست وسبعين وخمسمائة. وكان يحب أهل العلم ويؤثر مجالستهم وشغف بسماع الحديث النبوي وحدث بالإجازة من أبي محمد بن بري

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك الجُنْدي، بهاء الدين ٢/٦١٨

وأبي القاسم البوصيري وعدة من المصريين وغيرهم وتقدم عنده أبو الخطاب بن دحية وبني له دار الحديث الكاملية بالقاهرة وجعل عليهما." (١)

"ففي هذا الحديث سر طبي لطيف، فإن المريض إذا تناول ما يشتهيه عن جوع صادق طبيعي، وكان فيه ضرر ما، كان أنفع وأقل ضررا مما لا يشتهيه، وإن كان نافعا في نفسه، فإن صدق شهوته، ومحبة الطبيعة يدفع ضرره، وبغض الطبيعة وكراهتها للنافع، قد يجلب لها منه ضررا. وبالجملة: فاللذيذ المشتهى تقبل الطبيعة عليه بعناية، فتهضمه على أحمد الوجوه، سيما عند انبعاث النفس إليه بصدق الشهوة، وصحة القوة، والله أعلم.

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الرمد بالسكون، والدعة، وترك الحركة، والحمية مما يهيج الرمد

وقد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى صهيبا من التمر، وأنكر عليه أكله، وهو أرمد، وحمى عليا من الرطب لما أصابه الرمد.

وذكر أبو نعيم في كتاب «الطب النبوي» : أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا رمدت عين امرأة من نسائه لم يأتها حتى تبرأ عينها.

الرمد: ورم حار يعرض في الطبقة الملتحمة من العين، وهو بياضها الظاهر، وسببه انصباب أحد الأخلاط الأربعة، أو ريح حارة تكثر كميتها في الرأس والبدن، فينبعث منها قسط إلى جوهر العين، أو ضربة تصيب العين، فترسل الطبيعة إليها من الدم والروح مقدارا كثيرا، تروم بذلك شفاءها مما عرض لها، ولأجل ذلك يرم العضو المضروب، والقياس يوجب ضده.

واعلم أنه كما يرتفع من الأرض إلى الجو بخاران، أحدهما: حار يابس، والآخر: حار رطب، فينعقدان سحابا متراكما، ويمنعان أبصارنا من إدراك السماء، فكذلك يرتفع من قعر المعدة إلى منتهاها مثل ذلك، فيمنعان النظر، ويتولد عنهما علل شتى، فإن قويت الطبيعة على ذلك ودفعته إلى الخياشيم، أحدث الزكام، وإن دفعته إلى اللهاة والمنخرين أحدث الخناق، وإن دفعته إلى الجنب، أحدث الشوصة، وإن دفعته إلى الصدر، أحدث النزلة، وإن انحدر إلى القلب، أحدث الخبطة، وإن دفعته إلى العين أحدث رمدا، وإن انحدر إلى الجوف،." (٢)

"في الكليتين والمثانة، ويدر البول والحيض واللبن إذا أديم شربه أياما، وإن سخن بالخل، وطلي على البطن، قتل حب القرع، فإن عجن بماء الحنظل الرطب، أو المطبوخ، كان فعله في إخراج الدود أقوى، ويجلو ويقطع، ويحلل، ويشفي من الزكام البارد إذا دق وصير في خرقة، واشتم دائما، أذهبه.

ودهنه نافع لداء الحية، ومن الثآليل والخيلان، وإذا شرب منه مثقال بماء، نفع من البهر وضيق التنفس، والضماد به ينفع من الصداع البارد، وإذا نقع منه سبع حبات عددا في لبن امرأة، وسعط به صاحب اليرقان، نفعه نفعا بليغا.

وإذا طبخ بخل، وتمضمض به، نفع من وجع الأسنان عن برد، وإذا استعط به مسحوقا، نفع من ابتداء الماء العارض في

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١/٣٨٠

(٢) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٨٠

العين، وإن ضمد به مع الخل، قلع البثور والجرب المتقرح، وحلل الأورام البلغمية المزمنة، والأورام الصلبة، وينفع من اللقوة إذا تسعط بدهنه، وإذا شرب منه مقدار نصف مثقال إلى مثقال، نفع من لسع الرتيلاء، وإن سحق ناعما وخلط بدهن الحبة الخضراء، وقطر منه في الأذن ثلاث قطرات، نفع من البرد العارض فيها والريح والسدد.

وإن قلي، ثم دق ناعما، ثم نقع في زيت، وقطر في الأنف ثلاث قطرات أو أربع، نفع من **الزكام** العارض معه عطاس كثير.

وإذا أحرق وخلط بشمع مذاب بدهن السوسن، أو دهن الحناء، وطلي به القروح الخارجة من الساقين بعد غسلها بالخل، نفعها وأزال القروح.

وإذا سحق بخل، وطلي به البرص والبهق الأسود، والحزاز الغليظ، نفعها وأبرأها.

وإذا سحق ناعما، واستف منه كل يوم درهمين بماء بارد من عضه كلب كلب قبل أن يفرغ من الماء، نفعه نفعا بليغا، وأمن على نفسه من الهلاك. وإذا استعط بدهنه، نفع من الفالج والكزاز، وقطع موادهما، وإذا دخن به، طرد الهوام.." (١)

"وأخطأ من قدمه على المسك، وجعله سيد أنواع الطيب، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في المسك: «هو أطيب الطيب» «١» ، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر الخصائص والمنافع التي خص بها المسك، حتى إنه طيب الجنة، والكثبان التي هي مقاعد الصديقين هناك من مسك لا من عنبر.

والذي غر هذا القائل أنه لا يدخله التغير على طول الزمان، فهو كالذهب، وهذا يدل على أنه أفضل من المسك، فإنه بهذه الخاصية الواحدة لا يقاوم ما في المسك من الخواص.

وبعد فضروبه كثيرة، وألوانه مختلفة، فمنه الأبيض والأشهب، والأحمر، والأصفر، والأخضر والأزرق، والأسود، وذو الألوان.

وأجوده: الأشهب، ثم الأزرق، ثم الأصفر، وأردؤه: الأسود. وقد اختلف الناس في عنصره، فقالت طائفة: هو نبات ينبت في قعر البحر، فيبتلعه بعض دوابه، فإذا ثملت منه قذفته رجيعا، فيقذفه البحر إلى ساحله.

وقيل طل ينزل من السماء في جزائر البحر، فتلقيه الأمواج إلى الساحل،

وقيل: روث دابة بحرية تشبه البقرة. وقيل: بل هو جفاء من جفاء البحر، أي: زبد.

وقال صاحب «القانون» : هو فيما يظن ينبع من عين في البحر، والذي يقال: إنه زبد البحر، أو روث دابة بعيد انتهى.

ومزاجه حار يابس، مقو للقلب، والدماغ، والحواس، وأعضاء البدن، نافع من الفالج واللقوة، والأمراض البلغمية، وأوجاع المعدة الباردة، والرياح الغليظة، ومن السدد إذا شرب، أو طلي به من خارج، وإذا تبخر به، نفع من **الزكام** والصداع، والشقيقة الباردة.

---

(١) أخرجه مسلم والترمذي.." (٢)

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٢٢٤

(٢) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٢٥٩

"وأما الأدوية القلبية، فإنه يذكرها مفصلة، ويذكر أسباب أدوائها وعلاجها.

قال: أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم»

فمن لم يشفه القرآن، فلا شفاه الله، ومن لم يكفه، فلا كفاه الله.

قثاء: في «السنن» : من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل القثاء بالرطب، ورواه الترمذي وغيره «٢» :

القثاء بارد رطب في الدرجة الثانية، مطفىء لحرارة المعدة الملتهبة، بطيء الفساد فيها، نافع من وجع المثانة، ورائحته تنفع من الغشي، وبزره يدر البول، وورقه إذا اتخذ ضمادا، نفع من عضة الكلب، وهو بطيء الانحدار عن المعدة، وبرده مضر ببعضها، فينبغي أن يستعمل معه ما يصلحه ويكسر برودته ورطوبته، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أكله بالرطب، فإذا أكل بتمر أو زبيب أو عسل عدله.

قسط وكست: بمعنى؟؟؟ واحد. وفي «الصحيحين» : من حديث أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم «خير ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري» «٣» .

وفي «المسند» : من حديث أم قيس، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «عليكم بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب» .

القسط: نوعان. أحدهما: الأبيض الذي يقال له: البحري. والآخر:

الهندي، وهو أشدهما حرا، والأبيض ألينهما، ومنافعهما كثيرة جدا.

وهما حاران يابسان في الثالثة، ينشفان البلغم، قاطعان للزكام، وإذا شربا، نفعا من ضعف الكبد والمعدة ومن بردهما، ومن حمى الدور والربع، وقطعا وجع الجنب، ونفعا من السموم، وإذا طلي به الوجه معجونا بالماء والعسل، قلع الكلف. وقال جالينوس: ينفع من الكزاز، ووجع الجنبين، ويقتل حب القرع.

---

(١) العنكبوت- ٥١.

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة في الأطعمة والبخاري في الأطعمة، ومسلم في الأشربة.

(٣) أخرجه أحمد والبخاري في الطب.." (١)

"كالزكام والأورام، والشديد البرودة منه يؤذي الأسنان، والإدمان عليه يحدث انفجار الدم والنزلات، وأوجاع الصدر. والبارد والحار بإفراط ضاران للعصب ولأكثر الأعضاء، لأن أحدهما محلل، والآخر مكثف، والماء الحار يسكن لذع الأخلاط الحادة، ويحلل وينضج، ويخرج الفضول، ويرطب ويسخن، ويفسد الهضم شربه، ويطفوا الطعام إلى أعلى المعدة ويرخيها، ولا يسرع في تسكين العطش، ويذبل البدن، ويؤذي إلى أمراض رديئة ويضر في أكثر الأمراض على أنه صالح للشيوخ، وأصحاب الصرع، والصداع البارد والرمد. وأنفع ما استعمل من خارج.

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٢٦٧

ولا ظيصح في الماء المسخن بالشمس حديث ولا أثر، ولا كرهه أحد من قدماء الأطباء، ولا عابوه، والشديد السخونة يذيب شحم الكلى، وقد تقدم الكلام على ماء الأمطار في حرف العين.

ماء الثلج والبرد: ثبت في «الصحيحين» : عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو في الاستفتاح وغيره: «الهم اغسلني من خطاياي بماء الثلج والبرد.

الثلج له في نفسه كيفية حادة دخانية، فماؤه كذلك، وقد تقدم وجه الحكمة في طلب الغسل من الخطايا بمائه لما يحتاج إليه القلب من التبريد والتصليب والتقوية، ويستفاد من هذا أصل طب الأبدان والقلوب، ومعالجة أدوائها بضدها.

وماء البرد ألطف وألذ من ماء الثلج، وأما ماء الجمد وهو الجليد، فبحسب أصله.

والثلج يكتسب كيفية الجبال والأرض التي يسقط عليها في الجودة والرداءة، وينبغي تجنب شرب الماء المثلوج عقيب الحمام والجماع، والرياضة والطعام الحار، ولأصحاب السعال ووجع الصدر، وضعف الكبد، وأصحاب الأمزجة الباردة.

ماء الآبار والقني: مياه الآبار قليلة اللطافة، وماء القني المدفونة تحت الأرض." (١)

"ومنها: أن يحفر على شاطئه حفرة واسعة يرشح ماؤه، إليها، ثم إلى جانبها قريبا منها أخرى ترشح هي إليها، ثم ثالثة إلى أن يعذب الماء. وإذا ألجأته الضرورة إلى شرب الماء الكدر فعلاجه أن يلقي فيه نوى المشمش، أو قطعة من خشب الساج، أو جمرا ملتهبا يطفأ فيه، أو طينا أرمنيا، أو سويق حنطة فإن كدرته ترسب إلى أسفل.

مسك: ثبت في صحيح مسلم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أطيب الطيب المسك» «١» .

وفي «الصحيحين» : عن عائشة رضي الله عنها: كنت أطيب النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يحرم ويوم النحر قبل أن يطوف بالبيت بطيب فيه مسك «٢» .

المسك: ملك أنواع الطيب، وأشرفها وأطيبها، وهو الذي تضرب به الأمثال، ويشبه به غيره، ولا يشبه بغيره، وهو كثبان الجنة، وهو حار يابس في الثانية، يسر النفس ويقويها، ويقوي الأعضاء الباطنة جميعها شربا وشما ويقوي الأعضاء الباطنة جميعها شربا وشما والظاهرة إذا وضع عليها. نافع للمشايخ، والمبرودين، لا سيما زمن الشتاء جيد للغشي والخفقان، وضعف القوة بإنعاشه للحرارة الغريزية، ويجلو بيام العين، وينشف رطوبتها، وظيفش الرياح منها ومن جميع الأعضاء، ويبطل عمل السمومج وينفع من نهش الأفاعي، ومنافعه كثيرة جداج وهو من أقوى المفرحات.

مرزنجوش: ورد فيه حديث لا نعلم صحته: «عليكم بالمرزنجوش، فإنه جيد للخشام» «٣» والخشام: الزكام.

وهو حار في الثالثة يابس في الثانية، ينفع شمه من الصداع البارد والكائن عن البلغم، والسوداء والزكام، والرياح الغليظة، ويفتح السدد الحادثة في الرأس

---

(١) أخرجه مسلم في الألفاظ.

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٢٩٧

(٢) أخرجه البخاري في الحج.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير، ونسبه لابن السني وأبي نعيم في الطب.." (١)

"وزهره معتدل الحرارة، لطيف ينفع الزكام البارد، وفيه تحليل قوي، ويفتح سدد الدماغ والمنخرين، وينفع من الصداع الرطب والسوداوي، ويصدع الرؤوس الحارة، والمحرق منه إذا شق بصله صليبا، وغرس، صار مضاعفا، ومن أدمن شمه في الشتاء أمن من البرسام في الصيف، وينفع من أوجاع الرأس الكائنة من البلغم والمرة السوداء، وفيه من العطرية ما يقوي القلب والدماغ، وينفع من كثير من أمراضها. وقال صاحب التيسير: شمه يذهب بصرع الصبيان.

نورة: روى ابن ماجه: من حديث أم سلمة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان إذا اطلى بدأ بعورته، فطلاها بالنورة، وسائر جسده أهله، وقد ورد فيها عدة أحاديث هذا أمثلها.

قيل: إن أول من دخل الحمام، وصنعت له النورة، سليمان ابن داود، وأصلها: كلس جزآن، وزرنيخ جزء، يخلطان بالماء، ويتركان في الشمس أو الحمام بقدر ما تنضج، وتشتد زرقته، ثم يطلى به، ويجلس ساعة ريثما يعمل، ولا يمس بماء، ثم يغسل، ويطلى مكانها بالحناء لإذهاب ناريتها.

نبق: فكر أبو نعيم في كتابه «الطب النبوي» : مرفوعا: «إن آدم لما أهبط إلى الأرض كان أول شيء أكل من ثمارها النبق» . وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم النبق في الحديث المتفق على صحته: أنه رأى سدة المنتهى ليلة أسري به، وإذا نبقها مثل قلال هجر «١» .

والنبق ثمر شجر السدر يعقل الطبيعة، وينفع من الإسهال، ويدبغ المعدة، ويسكن الصفراء، ويغذو البدن، ويشهي الطعام، ويولد بلغما، وينفع الذرب، الصفراوي، وهو بطيء الهضم، وسويقه يقوي الحشا، وهو يصلح الأمزجة الصفراوية، وتدفع مضرته بالشهد.

واختلف فيه، هل هو رطب أو يابس؟ على قولين. والصحيح: أن رطبه بارد رطب، ويابسه بارد يابس.

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق.." (٢)

"وقال أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم: قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في الأنصار بيت إلا وهو يقول الشعر. قيل له: وأنت أبا حمزة؟ قال: وأنا وقال عمرو بن العاص يوم صفين:

شبت الحرب فأعددت لها ... مفرع الحارك محبوك الشبج «١»

يصل الشد بشد فإذا ... ونت الخيل عن الش معج «٢»

جرشع أعظمه جفرته ... فإذا ابتل من الماء خرج «٣»

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص:

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٣٠٠

(٢) الطب النبوي لابن القيم ابن القيم ص/٣٠٤

فلو شهدت جمل مقامي ومشهدي ... بصفين يوما شاب منها الذوائب

عشية جا أهل العراق كأنهم ... سحاب ربيع زعزعتها الجنائب «٤»

وجئناهم نردي كأن صفوفنا ... من البحر مد موجه متراكب

إذا قلت قد ولوا سراعا بدت لنا ... كتائب منهم فارجحنت كتائب «٥»

فدارت رحانا واستدارت رحاهم ... سراة النهار ما توالى المناكب

وقالوا لنا إن نرى ان تبايعوا ... عليا فقلنا بل نرى أن نضارب

ومن شعراء التابعين

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أحد السبعة من فقهاء المدينة، وله يقول سعيد بن المسيب: أنت الفقيه الشاعر؟ [قال] : لا بد للمصدور أن ينفث. يعني أنه من كان في صدره زكام فلا بد أن ينفث به زكمة صدره: يريد أن كل من اختلج في صدره شيء من شعر أو غيره ظهر على لسانه.." (١)

"سحرت غداة فضضت الختام ... عنه كأن لفظه نفث سحر

وشككني حسن تنميقه ... أوشي بنانك أم وشي زهر

فناهيك بها من مبلغة أوعزت فأوجزت، ومفصحة لما فيه لكل منطيق أعجزت، قد حملت جزيل الحمد من مبادر بشكره، إلى من تقدم إليه بمدح مجده وتنويه قدره، فنسأل الله سبحانه أن يجعل عزكم ملازما للدوام ما بقي الدهر، ويصل بالبقاء ما خلع عليكم من مطارف الوقار والفخر، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

ولما قدم قطب دائرة الوزراء والي بغداد المعظم أحمد مدحت باشا نظم بيتين يتخمس بهما وهما قوله:

فلا والقنا والمرهفات البواتر ... فلا ترة أبقيت لي عند واتر

أيذهب خصم في دم لي مضيع ... ولست أذيق الخصم طعم البواتر

فكتب إلي الحاج مصطفى إلى الحلة يستجثني بعد الإلتماس على تشطيرهما وتخميسهما وإن أنثر مع ذلك نبذة في مدح الوالي المشار إليه، وأن أنظم من الشعر ما يحسن به الثناء عليه، وذكر أنه حضر في بعض تلك المجالس وجرى ذكر البيتين فضمن التشطير والتخميس ثم ألزمني بذلك وحثني على الإستعجال فأجبته وقلت مصدرا للنثر بهذين البيتين موريا فيهما باسم الوالي المقدم ذكره:

لي قواف في جنبها البحر رشحه ... سلسلتها روية لي سمحه

مدح الدهر حسنها غير أني ... لست أرضى بها لأحمد مدحه

ذاك من ألحف بيضة الإسلام جناح ظله، وأقام دون حوزة الملك سرا من زبر آرائه ونصله، ومد غطاء الأمن على الدين، وبسط العدل بين جميع المسلمين، قد اصطفاه حضرة مصدر التأمير للرياسة، وأرسله على حين فترة من التدبير والسياسة،

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٣٤/٦

فجاء بعد ما غاضت بحيرة البراعة، وخمدت نيران البأس والشجاعة، جامعا بين آية النصل، ومعجز المقال الفصل، تنفجر من بنانه ينابع الكرم، وتفرق عن بيانه جوامع الحكم، حتى هتف لسان العراق، الآن برزت شمس العدل باهرة الإشراق، ودر حلب البراعة، ونطق بعد الإفحام لسان البراعة، واستطيبت نفحات غوالي الفضل، بعد ما منع من شمها زكام الجهل، وقام وزن الآداب بعد كا كسدت منها البضايع، حين نجم مشتري زهرة الكمال في حضرة فلكية المطالع، كما قلت فيها:

حضرة مولى سواه ليس يرى ... في غير هذا الزمان إنسان

مذ شب يكسي العلى ومرهفه ... شاب به الدهر وهو عريان

فأرض أفنيتها الشرف، ونديم أنديتها الظرف، وخلتاها الشجاعة والكرم، وخادماها السيف والقلم، وسفيراها العلاء والمجد، وسميراها الثناء والحمد، والهيبة حاجب طراقها، والعزة خفير رواقها، ويحق هاهنا الإنشاء، وإن كان قاصرا لسان الهيبة والثناء:

رواقك ذالا بل وليجة خادر ... بل الليث يخطو دونه خطو قاصر

لك العسكر الجرار والهيبة التي ... مخافتها تكفيك جر العساكر

خطبت الوغى بالرمحوالسيف شاغلا ... لسانيهما بين الكلا والمغافر

فسيفك فيها ناثر غير ناظم ... ورمحك فيها ناظم غير ناثر

وكم من عدو قد خلقت لقلبه ... جناحين من ذعر ورعب مخامر

فهابك حتى ساعة السلم لم يكن ... ليلقاك إلا في حشى منك طائر

وخافك حتى حين يخلو بسره ... كأن رقيبا منك خلف السرائر

طلعت ثنيات التجارب كلها ... فصرت ترى بالورد ما بالمصادر

رويد الأعادي إن حزمك عوده ... على الغمز يوما لا يلين لهاصر

وإن جهلت يوما حسامك فلتسل ... به هامها عن عهده بالمغافر

لك القلم النفاث في عقد النهى ... بديع بيان من معان سواحر

فوالله ما أدري أهل نثر ساحر ... على الطرس يبدو منه أم سحر ناثر

وفكرك يوحي أي نظم وإنما ... لقول كيم جل لا قول شاعر

هذا ولقد رغدت سماء ذلك الفكر المدار، فقرعت سمع الأعداء بصاعقتين يخطب منهم برقهما القلوب والأبصار، قد أوشكت أن تطلع على نفوسهم منهما الآجال، إذ تحمس بهما فقال:

فلا والقنا والمرهفات البواتر ... فلا ترة أبقيت لي عند واتر

أيذهب خصم في دم لي مضيع ... ولست أذيق الخصم طعم البواتر." (١)

"عند الأطفال، وقد تبين من خلال دراسة نشرتها «المجلة الطبية البريطانية» عام ١٩٨٥م، فائدة العسل في علاج الإسهال الناتج عن غزو بكتيري، وكانت النتائج جيدة في هذا الصدد، وقد سبق ذلك دراسة نشرت في «أعمال مؤتمر

---

(١) العقد المفصل حيدر الحلي ص/٢٠٢

الطب الإسلامي» عام ١٩٨٢م، حول معالجة الإسهال المزمن بالعسل، وقد أكدت الدراسة فائدة العسل في علاج المبطون] (٧٠) .

هذا؛ وإن العسل ليس مداويا لما ذكر وحسب، لكن ثبتت أيضا فعاليته في معالجة صنوف عديدة من الأمراض، منها: الزكام والوقاية منه، ومعالجة

---

(٧٠) انظر: "الرسالة الذهبية في الطب النبوي"، لعلي الرضا رحمه الله. بتحقيق د. محمد علي البار. ص: ١٧٠ – ١٧١.." [1]

"تصب في الأنف –، أو ضمادا.

هذا، وقد ذكر الأطباء كيفيات لعلاج الزكام العارض، المصاحب لعطاس كثير، بالحبة السوداء، أذكر منها:

–[أن تقلى الحبة السوداء، ثم تدق ناعما، ثم تنقع في زيت، ثم يقطر منه في الأنف ثلاث قطرات] (١٢٠) ، [وكذلك لعلاج نزلات البرد: يضاف زيت الحبة السوداء (ملعقة كبيرة) إلى ماء مغلي، ومن ثم يستنشق المريض البخار الصاعد منه، ورأسه مغطى ببطانية أو نحو ذلك، ويستحسن تكرار ذلك صباحا ومساء إلى أن يتم الشفاء بإذن الله (١٢١) . ويذكر في

---

(١٢٠) "فتح الباري"، لابن حجر (١١/٢٩٠) ، بنقل الحافظ رحمه الله عن الأطباء.

(١٢١) انظر: "الرسالة الذهبية في الطب النبوي"، لعلي الرضا رحمه الله. بتحقيق د. محمد علي البار، ص١٧٢.." [2]

"هو عام مخصوص، يراد به خصوص نزلات البرد، والزكام، وأمراض الجهاز التنفسي الواقعة بتأثير رطوبة أو برد ونحو ذلك؟

الجواب (١٢٤) : من وجهين؛ الأول: أن الحديث عام – بمنطوق الروايات جميعا– ولا وجه للتخصيص إلا بحمله على تجربة الأطباء في الاستشفاء بالحبة السوداء، حيث اقتصرت في غالبها على معالجة الأمراض الباردة، وليس من اللائق تخصيص كلام خير الخلق صلى الله عليه وسلم بناء على تجارب ما زالت تجرى وتستجد. هذا، وقد سبق (١٢٥) ذكر ثبوت فائدة العلاج بالعسل في حالات الإسهال،

---

(١٢٤) الجواب – بوجهه الأول – مستفاد بتصرف من كلام الإمام الخطابي رحمه الله بنقل الحافظ ابن حجر عنه، في

---

(١) العلاج والرقى خالد الجريسي ص/٤٦

(٢) العلاج والرقى خالد الجريسي ص/٦٧

الفتح (٢٩١/١١) . وبوجهه الثاني من "الرسالة الذهبية"، بتحقيق د. البار. ص١٧٣.

(١٢٥) انظر: ص٤٣-٤٤، من هذا الكتاب.." [1]

"عليه لعنة الله- للقاسم بن إبراهيم عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم"، ونرى القاسم يندد -في مقدمة هذا الكتاب- بمذهب ماني وأتباعه، ويقول: إن ابن المقفع خلفه في إفكه وضلاله، "فوضع كتابا أعجمي البيان، حكم فيه لنفسه بكل زور وبهتان، فنال من عيب المرسلين، وافترى الكذب على رب العالمين، فرأينا من الحق أن نضع نقضه، بعد أن وضعنا من قول ماني بعضه". ثم يعرض القاسم فقرا من أقوال ابن المقفع ويرد عليها، وقد شك بعض الباحثين في هذا الكتاب، ونسبة ما فيه من آراء لابن المقفع١، غير أن ذلك لا ينقض زندقته فقد شهد بها معاصروه ومن جاءوا بعدهم، ويروى أنه لما قتل ابن أبي العوجاء لزندقته رثاه بقوله:

رزئنا أبا عمرو ولا حي مثله ... فلله ريب الحادثات بمن وقع

فإن تك قد فارقتنا وتركتنا ... ذوي خلة ما في انسداد لها طمع

فقد جر نفعا فقدنا لك أننا ... أمنا على كل الرزايا من الجزع

وقال أحمد بن يحيى ثعلب: البيت الأخير يدل على مذهبهم في أن الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير٢.

وعلى الرغم من زندقة ابن المقفع، وتعصبه الشديد لفارسيته لم يفكر في الرجوع إلى لغته، بل اتخذ العربية مثله الأعلى، وكان ذكيا ذكاء شديدا، ولكن ذكاءه أضله، وكان دقيق الحس، فقد دعاه عيسى بن علي للغداء معه يوما، فقال له: "أعز الله الأمير! لست يومي للكرام أكيلا، فقال له: ولم؟ قال: لأني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار، مانعة من عشرة الأحرار"، وكتب إليه يحيى بن زياد الحارثي الزنديق يلتمس عقد الإخاء، والاجتماع على المودة والصفاء، فأخر جوابه، فكتب إليه كتابا آخر، يستريثه، فكتب إليه ابن المقفع: "إن الإخاء رق، فكرهت أن أملكك رقي قبل أن أعرف حسن ملكتك"٣.

---

١ ضحى الإسلام لأحمد أمين ١/ ٢٢٥.

٢ أمالي المرتضى ١/ ١٣٥.

٣ انظر في هذا النص، وسابقه أمالي المرتضى ١/ ١٣٦.." [2]

"حدثنا ابن حماد، قال: حدثنا أحمد بن يعقوب بن الفرجي، قال: سمعت علي بن المديني يقول إذا قال عكرمة بن عمار سمعت يحيى بن أبي كثير فانبذ يدك منه، وهشام أرفع قدرا وشيبان صحيح الحديث.

حدثنا جعفر بن محمد بن الليث، قال: سمعت عاصم بن علي يقول كان عكرمة بن عمار مستجاب الدعوة، حدثنا جعفر، قال: حدثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود، قال: حدثنا عكرمة بن عمار عن شداد أبي عمار، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف وابدأ

---

(١) العلاج والرقى خالد الجريسي ص/٦٩

(٢) الفن ومذاهبه في النثر العربي شوقي ضيف ص/١٣٧

بمن تعول.

حدثنا الفضل بن الحباب، قال: حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنا عكرمة بن عمار، قال: حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع، قال: حدثني أبي قال: كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطس رجل فقال الحمد لله فقال النبي صلى الله عليه وسلم يرحمك الله ثم عطس أخرى قال الرجل **مزكوم**.

– وبإسناده؛ قال أمر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر فغزونا ناسا من المشركين فبيتنا فكان شعارنا أمت قال سلمة فقتلت بيدي تلك الليلة سبعا فذكره.

– وبإسناده؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من حمل علينا السلاح فليس منا." (١)

"، حدثنا أبو عقيل أنس بن سلم، قال: حدثنا مؤمل بن يهاب، قال: حدثنا النضر بن محمد، قال: حدثنا عكرمة بن عمار، قال: حدثنا أبو زميل سماك الحنفي عن مالك بن مرثد، عن أبيه، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أقلت الغبراء وما أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق، ولا أوفى من أبي ذر شبيه عيسى فقام عمر، فقال، يا رسول الله أفنعرف ذلك له؟ قال: نعم فاعرفوا ذلك له.

حدثنا جعفر بن أحمد بن عاصم، قال: حدثنا هشام بن عمار، قال: حدثنا شعيب بن إسحاق، قال: حدثنا سعيد يعني ابن أبي عروبة، عن عكرمة يعني ابن عمار، عن أبي كثير الغبري، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قال: الخمر في هاتين الشجرتين النخلة والعنب.

حدثنا بدر بن الهيثم، قال: حدثنا هارون بن إسحاق، قال: حدثنا عبدة عن سعيد، عن عكرمة اليمامي، عن أبي كثير، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر بين هاتين الشجرتين النخلة والعنبة.

– حدثنا الساجي، قال: حدثنا بندار، قال: حدثنا يحيى، قال: حدثنا عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه قال عطس رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فشمته ثم عطس فشمته ثم عطش فشمته فقال في الثالثة أنت **مزكوم**.

– حدثنا الساجي، قال: حدثنا محمد بن الحسين بن كردي، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه أن رجلا كان يأكل عند." (٢)

"عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تشمت أخاك ثلاثا فإن زاد فإنما هي نزلة أو **زكام**.

حدثنا أبو يعلى، حدثنا بشر، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن مجبر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يفتح أحد على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر.

قال الشيخ: ولابن مجبر هذا من الحديث غير ما ذكرت، وهو مع ضعفه يكتب حديثه.

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال ابن عدي ٦/٤٨٠

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال ابن عدي ٦/٤٨٥

١٦٦٦- محمد بن عبد الرحمن بن الرداد مديني من ولد بن أم مكتوم رواياته عمن روى ليست محفوظة.

حدثنا القاسم بن الليث الرسعني، حدثنا بشر بن معاذ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن الرداد المدني من ولد بن أم مكتوم، حدثنا عبد الله بن دينار مولى ابن عمر، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سافروا تصحوا وتغنموا.

قال الشيخ: وهذا عن عبد الله بن دينار، ولا أعلم يرويه غير بن الرداد هذا.

حدثنا عبد الله بن العباس الطيالسي، حدثنا بشر بن معاذ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن، حدثني عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم." (١)

"وبإسناده؛ قال: كنا في غزاة مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعائشة سابقيني فسبقها النبي صلى الله عليه وسلم فذكره.

قال وهذان الحديثان قال فيهما يحي بن زهدم، عن أبيه عن العرس والحديثان اللذان قبلهما قال يحي بن زهدم، عن أبي، عن أبيه عن العرس فلا أدري سقط، عن أبيه الثاني من بن الهيثم أبو علي.

حدثنا علي بن أحمد بن علي، حدثنا يحي بن زهدم، عن أبيه، قال: حدثني أبي، عن أنس بن مالك، قال: قال صلى الله عليه وسلم: لا تكرهوا أربعا لأربعة لا تكرهوا الرمد فإنه يقطع عروق العمى، ولا تكرهوا الزكام فإنه يقطع عروق الجذام، ولا تكرهوا السعال فإنه يقطع عروق الفالج، ولا تكرهوا الدماميل فإنه يقطع عروق البرص." (٢)

"الباب الأول

في الجامد والمشتق

الاسم الجامد ما لم يؤخذ من غيره كرجل وعلم.

والمشتق ما أخذ من غيره كعالم ومعلوم؛ فإنهما مأخوذان من العلم.

فصل في الجامد

الجامد نوعان: اسم ذات كإنسان وأسد. واسم معنى كفهم وشجاعة. ومن اسم المعنى يكون الاشتقاق، وهو أخذ كلمة من أخرى مع تناسب بينهما في المعنى وتغيير في اللفظ.

المصدر

أصل المشتقات كلها المصدر، وهو ما دل على الحدث مجردا من الزمن كذهاب وإياب.

ومعلوم أن الفعل ثلاثي ورباعي وخماسي وسداسي:

فالثلاثي: لمصدره أوزان كثيرة، المدار في معرفتها على السماع، ويمكن معرفة بعضها بالضوابط الآتية:

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال ابن عدي ٤٠٢/٧

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال ابن عدي ١٠٢/٩

فإن ذل على حرفة فمصدره على (فعالة) كحدادة ونجارة، أو على امتناع فعلى (فعال) كجماح وشراد، أو على داء أو صوت فعلى (فعال) كصداع وزكام." (١)

"فيالك من جرح تعز مراهمه.

كان عيش عشبة خضرا فأحالت الحال سنة، فكأن أيام الوصال كانت سنة، فكاد يقطع باليأس، حتى التقى الخضر بإلياس.

أرقى قد رق لي من أرقى ... ورثي لي قلقي من قلقي

وبكائي من بكائي قد بكى ... وتشكت حرقي من حرقي

كان إذا أراد النياحة نادى مناديه: ألا من أراد أن يسمع نوح داود فليخرج، فتجتمع عليه أهل الأحزان في مأتم الندب، فتزداد الحرق بالتعاون.

يا بعيد الدار عن وطنه ... مغردا يبكي على شجنه

كلما جد النحيب به ... زادت الأسقام في بدنه

ولقد زاد الفؤاد شجى ... طائر يبكي على فننه

شاقه ما شاقني فبكى ... كلنا يبكي على سكنه

الفصل الخامس عشر

الإخلاص

الإخلاص مسك مصون في مسك القلب، ينبه ريحه على حامله، العمل صورة، والإخلاص روح، إذا لم تخلص فلا تتعب، لو قطعت سائر المنازل لم تكن حاجا إلا بشهود الموقف، ولا تغتر بصورة الطاعات، فإن خصم الإخلاص إذا جاء عند حاكم الجزاء ألزم الحبس عن القبول. سوق الإخلاص رائجة رابحة ليس فيها كساد، المخلص يعد طاعاته لاحتقارها عرضا، وقلم القبول قد أثبتها في حيز الجوهر، المخلص مبهرج على الحق بستر الحال، وببهرجته يصح النقد.

لما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة جمال الخمول من حلة حلية " أويس " عمل معول الشوق في قلب " عمر " فكان في كل عام ينشد بلفظ الطالب، ويسأل عن أهل اليمن.

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا ... علينا فقد أمسى هوانا يمانيا

نسائلكم هل سال نعمان بعدنا ... وحب إلينا بطن نعمان واديا

فلما لقيه " عمر " قال: من أنت؟ قال: راعي غنم، وأجير قوم، وستر ذكر " أويس ".

الأولياء تحت ستر الخمول ما يعلمهم إلا قليل، فإن عرفتهم بسيماهم فتلمح نقاء الأسرار، لا دنس الثياب (ولا تعد عيناك عنهم) .

كان في " أيوب السختياني " بعض الطول لستر الحال، وكان إذا تحث فرق قلبه وجاء الدمع قال: ما أشد الزكام؟؟!.

أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها ... مضغ الكلام ولا صبغ الحواجب

(١) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل محمد علي السراج ص/٤٩

كان " إبراهيم بن أدهم " إذا مرض يجعل عند رأسه ما يأكله الأصحاء كيلا يتشبه بالشاكين. هذه والله بهرجة أصح من نقدك.

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا ... وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم ... وصادق ليس يدري أنه صدقا

للمؤمن في إخلاصه أحوال، يتصدق بيمنيه فيخفيها عن شماله. كان " النخعي " إذا قرأ في المصحف فدخل عليه داخل غطاه.

وكان " ابن أبي ليلى " يصلي، فإذا دخل عليه أحد نام على فراشه.

قال " الحسن " كان الرجل تأتيه عبرته فيسترها، فإذا خشي أن تسبقه قام من المجلس.

باح مجنون عامر بهواه ... وكتمت الهوى فمت بوجدي

سحقت نافجة مسك المحبة فبثت في محاريب المتعبدين، وليس كل ثوب يعلق به الطيب " رب قائم حظه السهر ".

كما من مراء يتعب في تهجده، فتفض ريحح الرياء أوراق تعبده، فتبقى أغصان العمل كالسلا، وليس للشوك نسيم (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) .

إذا بهرج المنافق على عمل المخلص، فماجت أراييج النفاق، القلوب لجيفته، فذهب عمله جفاء.

واعجبا من أهل الرياء! على من يبهرجون؟ (وربك يعلم ما تكن صدورهم) غلب على المخلصين الخشوع، فجاء المرائي يبهرج، فقيل: مهلا، فالناقد بصير، لما أخذ دود القز ينسج جاء العنكبوت يتشبه، فنادى لسان الحال الفاروق:

إذا اشتبهت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكى) .

الفصل السادس عشر

الإقبال على الله تعالى

يا مختار القدر، اعرف قدر قدرك، خلقت الأكوان لأجلك، أقبل علي، فإني مقبل، متى رمت طلبي فاطلبني عندك بدليل " وسعني ".

ساكن في القلب يعمره ... لست أنساه فأذكره." (١)

"الجنة ترضي منك بالزهد، والنار تندفع عنك بترك الدنيا، والمحبة لا تقنع إلا بالروح، إن سلطان المحبة لا يقبل الرشا.

أيها الطالب لي: اخرج إلي عنك، قلبك ضعيف لا يفي بي وبك، إما أنت وإما أنا، افقد نفسك تجدني. لما نسي " الخليل " نفسه قويت صولته يوم " أما إليك فلا " ما سلك قط طريقا أطيب من تلك الفلاة التي دخلها عند انفصاله من المنجنيق.

زيارة تسعى فيها أقدام الرضى على أرض الشوق شابهت ليلة " فزجني في النور " فقال: (ها أنت وربك) .

زرناك شوقا ولو أن الفلا بسطت ... نشر الفلا بيننا جمرا لزرناك

لاحت أوصاف الصانع في جمال الكمال، فأشربت قلوبهم حبه، فصاح غلاء الثمن.

---

(١) اللطائف ابن الجوزي ص/١٠

بدم المحب يباع وصلهم.

فأجاب عزم المحبة: وما غلت نظرة منكم بسفك دم قلبهم الحب في قفر على أكف البلاء، فقطع أوداج الأغراض بسكين المسكنة، والمحبوب يقول (أتصبرون) والأرواح تجيب: (لا ضير)

شغلت نفسي وقلبي في مودتكم ... لا خلص الله روحي من محبتكم

ها قد غضبت على نفسي لأجلكم ... حتى جفوت حياتي بعد جفوتكم

إذا تلهب جمر الشوق في كبدي ... أطفاه ماء التلاقي عند رؤيتكم

غاب القوم عن وجودهم شغلا بموجدهم طرق طارق باب " أبي يزيد " وقال: ههنا أبو يزيد؟ فصاح أبو يزيد: أبو يزيد يطلب أبا يزيد فما يراه!!! ؟ لا يعرف رموز الأحباب إلا مجانس، سل ليلى عن حال المجنون؟ بلغت بهم المحبة إلى استحلاء الآلام لعلمهم أنها مراد الحبيب.

وكل ما يفعل المحبوب محبوب لما طعن " حرام بن ملحانط قال: فزت ورب الكعبة.

ضني:سويد بن شعبة " على فراشه فكان يقول: والله ما أحب أن الله نقصني منه قلامة ظفر.

تعجبوا من تمني القلب مؤلمه ... وما دروا أنه أحلى من العسل

المحبوب محبو وإن عذب. استقرت جبال المحبة في أرض القلوب، فلم تزعزعها عواصف البلاء.

أمر " الحجاج " بصلب " ماهان " العابد فوق خشبة، فصلب وهو يسبح ويعقد بيده حتى بلغ تسعا وعشرين، فبقي شهرا ويده على ذلك العقد.

لتحشرن عظامي بعدما بكيت ... يوم الحساب وفيها حبكم علق

إذا وقعت المعرفة في القلب سهل البلاء، فإن مازجتها المحبة فلا أثر للبلاء، لأن المحب يستلذ إذن كل أذى.

عذابه فيك عذب ... وبعده فيك قرب

وأنت عنده كنفسي ... بل أنت عندي أحب

مروا على مجذوم قد قطعه الجذام فقالوا: لو تداويت، فقال: لو قطعتني قطعا، ما ازددت له إلا حبا.

واعجبا ما للعذول ومالهم ... قد رضي المقتول كل الرضا

الفصل السادس والعشرون

طلب العلم

العلم والعمل توأمان، أمهما علو الهمة. أيها الشاب: جوهر نفسك بدراسة العلم، وحلها بحلة العمل، فإن قبلت نصحي لم تصلح.

إلا لصدر سرير أو لذروة منبر من لم يعمل بعلمه، لم يدر ما معه، حامل المسك إذا كان مزكوما فلا حظ له فيما حمل. بحر قلب العالم يقذف إلى ساحل اللفظ جواهر النطق، فتلتقطها أكف الفهم.

تالله إن العالم لخاتم خنصر الدهر. العلماء غرباء في الدنيا لكثرة الجهال بينهم. تصنيف العالم: ولده المخلد. للعالم علم.

أيها المعلم: ثبت على المبتدي (وقدر في السرد) فالعالم رسوخ، والمتعلم قلق. ويا أيها الطالب: تواضع في الطلب، فإن التراب لما ذل لأخمص القدم، صار طهورا للوجه، ولا يتأس مع مداومة الخير أن يقوى ضعفك، فالرمل مع الزمان يستحجر. صابر ليل البلاء، فبعين الصبر ترى فجر الأجر، ما يدرك منصب بلا نصب، ألا ترى إلى الشوك في جوار الورد.

أيها المبتدي: تلطف بنفسك، فمداراة الجاهل صعبة، تنقل من درج الرخص إلى سطوح العزائم ولا تيأس من المراد، فأول الغيث قطر ثم ينسكب.

ندم على حضور المجلس، فالطفل يحتاج كل ساعة إلى الرضاع، فإذا صار رجلا صبر على الفطام، على أن الماء إذا كثر صدمه للحجر أثر. يا عطاش الهوى في تيه القوى: انحرفوا إلى جادة العلم، فكم في فيافي التعلم من عين تعين على قطع البادية.." (١)

"إقدام العارفين على التعبد، قد ألفت أقدامها الصفوف، تعتمد على سنابك الخوف، فإذا أثر النصب راوحت بين أرجل الرجاء.

انقسم القوم عند الموت، فبعضهم صابر الخوف حتى انقضى نحبه. "كعمر "كان يقول عند الرحيل: الويل لعمر إن لم يغفر له.

ومنهم من أقلقه عطش الحذر، فتبرد بماء الرجا، "كبلال "كانت زوجته عند الموت تقول: واكرباه وهو يقول: واطرباه، غدا ألقى الأحبة، محمدا وصحبه، علم بلال أن الإمام لا ينسى المؤذن، فمزج الموت براحة الرجاء.

بشرها دليلها وقالا ... غدا ترين الطلح والجبالا

قال " سليمان التيمي " لولده عند الموت: اقرأ علي أحاديث الرخص لألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به.

إلى متى تتعب الرواحل ولا بد لها من مناخ:

رفقا بها يا أيها الزاجر ... قد لاح سلع وبدا حاجر

وخلها تسحب أرسانها ... على الربا لا راعها ذاعر

واذكر أحاديث ليالي منى ... لا عدم المذكور والذاكر

يا مخنث العزم: أين أنت والطريق نصب فيه " آدم "؟ وناح لأجله " نوح " ورمي في النار " الخليل " واضطجع للذبح " اسحاق " وبيع " يوسف " بدراهم بخس ونشر بالمناشير " زكريا " وذبح الحصور " يحيى " وضني بالبلاء " أيوب " وزاد على القدر بكاء " داود " وتنغص في الملك عيش " سليمان " وتخير بأرني " موسى " وهام مع الوحوش " عيسى " وعالج الفقر " محمد ".

فيا دارها بالحزن إن مزارها ... قريب ولكن دون ذلك أهوال

أول قدم في الطريق بذل الروح. هذه الجادة فأين السالك، هذا قميص " يوسف " فأين يعقوب هذا طور سينا فأين " موسى " يا جنيد احضر، يا " شبلي " اسمع.

---

(١) اللطائف ابن الجوزي ص/١٦

بدم المحب يباع وصلهم ... فمن ذا الذي يبتاع بالسعر

الفصل التاسع والعشرون

في بديع خلق الله

حلل الوجود متلونة الأصباغ تجلى على عرائيس الموجودات لتروق أعين العباد، واعجبا! لو دخلت بين ملك لم تزل تعجب من نقوشه. فارفع بصر التفكر، واخفض عين البصيرة، فهل رأيت أحسن من هذا الكون؟ اخرج من ديار إدبارك، واعبر من معبر اعتبارك، قف في بقاع قاع ترى كيف نمت خضرة حضرته بأسرار الخالق، إذا نمت تلح أصناف النبات في ثياب الثبات، قد برز في عيد الربيع يميس طربا فرحا بالري، تأمل مختلف الألوان في الغصن الواحد، كيف صاغها صانع القدرة؟؟ تلمح إشارتها كيف ترشد الغافلين إلى صانعها؟؟ وهم مشغولون في خضم مأكل الهوى. اسمع الورق على عيدان الورق، لعل مقاطع السجوع توجب رجوع المقاطع.

ولقد أشكو فما أفهمها ... ولقد تشكو فما تفهمني

غير أني بالجوى أعرفها ... وهي أيضا بالجوى تعرفني

واعدجبا كيف تتفكر بالغير وتنسى نفسك؟؟ تأمل بعين الفكر نطفة مغموسة في دم الحيض، ونقاش القدرى يشق سمعها وبصرها من غير مساس، بينما هي ترف في ثوب نطفة اكتست رداء علقة، ثم اكتست صفة مضغة، ثم انقسمت إلى لحم وعظم، فاستترت من يدي الأذى بوقاية جلد، ثم خرجت في صفة طفل، ثم ارتقت مراقي الصبي، فتدرجت إلى نطاق النطق، وتشبثت بذيل الفهم، فكم من مصوت صوت بين أرجل التنقل، من تحريك جلاجل العبر، في خلاخل الفكر.

كلما رنت غنت ألسن الهدى في مغاني المعاني، وكيف يسمع أطروش الشقوة؟ هيهات ليس للمزكوم من الورد نصيبن ولا للمسجون من العيد حظ، فإن كنت تعرف هذه العجائب ولا تتعجب منها، فتعجب من عدم تعجبك.

كيف عدمت التفكر مع آلات الفهم، وأعميت بصيرتك بعد رؤيةب الحق، فإن أعجب أفعال القدرة ولقد (أضله الله على علم) .

الفصل الثلاثون

الناس فقراء إلى الله تعالى

لطف الحق بعبده قديم، لما أظهر الولد أجرى له عين اللبن تغربل قطرها عيون الثدي، وبذر في قلب الوالدين حب الحب، حتى جدا في اللطف جدا، فلما عرف المنعم أنفق النعم في المعاصي.

وكم ليلة قد بات عار من التقى ... يغطيه ستر الحلم يا ليته درى

ولما بلغ أشده استوى على ظهر متن المبارزة: لمن؟ مع من؟ إلى أين؟ من أنت؟ من أنا؟.

لحا الله من لا ينفع الود عنده." (١)

---

(١) اللطائف ابن الجوزي ص/١٨

"أما تراه حين يبدو طالعا ... كأنه سرم حمار قد خرج

وبلغني أن الأمير خلف بن أحمد كان ينشد كثيرا قول البستي:

لا يغرنك أنني لين بالم ... س لأني إذا انتضيت حسام «١»

أنا كالورد فيه راحة قوم ... ثم فيه لآخرين **زكام**." (١)

"كانت في حمار لرد بالعيب، قيل: وما هي؟ قال: ما يصدقه العيان، ويشهد به الأثر، فإنه يهدم العمر ويقرب الأجل، ويحل الدين، ويوجب كراء المنزل، ويقرض الكتان، ويغير الألوان، ويسخن الماء، ويفسد اللحم، ويورث **الزكام**، ويعين السارق، ويفضح العاشق الطارق.

وقال ابن المعتز فيه:

يا سارق الأنوار من شمس الضحى ... ما مثل نورك في الدجاء منغصي

أما ضياء الشمس فيك فناقص ... وأرى زيادة حرها لم ينقص

لم يظفر التشبيه منك بطائل ... متسلح بهقا كوجه الأبرص." (٢)

"تواكل/ بديع الزمان الهمذاني/ ٢٥٨/ما أعلم/ ابن أبي البغل/ ٥٠ الهاطل/ بديع الزمان الهمذاني/ ٢٥٨/شوم/ الحمدوني أو الخليل بن أحمد ٥٨ لعاذل/ بديع الزمان الهمذاني/ ٢٥٨/محروم/ الحمدوني أو الخليل بن أحمد/ ٥٨ الراحل/ بديع الزمان الهمذاني/ ٢٥٨/المكارم/ أبو تمام/ ٦١ الغافل/ بديع الزمان الهمذاني/ ٢٥٩/حمام/-/ ٦٧ فواضل/ بديع الزمان الهمذاني/ ٢٥٩/مذموم/ عمر بن عبد العزيز/ ١٣٢ السائل/ بديع الزمان الهمذاني/ ٢٥٩/مقسوم/ عمر بن عبد العزيز/ ١٣٢ القتل/ المتنبي/ ٢٧٣/مشتوم/ عمر بن عبد العزيز/ ١٣٢ رجل/ المتنبي/ ٢٧٣/الكلام/ المتنبي/ ١٤٩ خالي/ الصابي/ ٢٧٧/الحمام/ الشافعي/ ١٤٨ الليالي/ الصابي/ ٢٧٧/دوام/ الشافعي/ ١٤٨ الموالي/ الصابي/ ٢٧٧/السهام/ الشافعي/ ١٤٨ طفل/-/ ٢٩٠/مرام/ الشافعي/ ١٤٨ الهلال/ بشار بن برد/ ٣٠٢/النظام/ الشافعي/ ١٤٨ شوال/ بشار بن برد/ ٣٠٢/الكلام/ الشافعي/ ١٤٨ قتله/-/ ١٠٨/نائم/ أبو العتاهية/ ١٥٩ عقله/-/ ١٠٨/الطغام/ المتنبي/ ١٩٩ بخله/-/ ١٣٧/الرغام/ المتنبي/ ١٩٩ ظلاله/ أبو العتاهية/ ١٧٣/محرم/-/ ٢٠٥ لعياله/ أبو العتاهية/ ١٧٣/تكرم/-/ ٢٠٦ فعل/-/ ٨/حسام/ البستي/ ٢١٢ أظل/ أحمد بن أبي طاهر/ **٢١٩/زكام/** البستي/ ٢١٢ ارتحل/ أحمد بن أبي طاهر/ ٢١٩/الغمام/ الثعالبي/ ٢٢٠ نزل/ أحمد بن أبي طاهر/ ٢١٩/ابتسام/ الثعالبي/ ٢٢٠- الميم- السما/-/ ١٣٨ الندم/ أبو الفتح البستي/ ٣٣/مكتوما/-/ ١٤٠ العدم/ أبو الفتح البستي/ ٣٣/مذموما/ أبو نواس/ ١٥٢ ظلم/ أبو الفتح/ البستي/ ٣٣/محرما/ ابن الرومي/ ١٢٥ منثلم/ أبو الفتح البستي/ ٣٣/لزاما/ البحتري/ ٣٠٠ ينعم/ المتنبي/ ٤٤/البرساما/ البحتري/ ٣٠٠ مترنم/ ابن أبي البغل/ ٥٠/الحراما/ البحتري/ ٣٠٠." (٣)

---

(١) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/٢١٢

(٢) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/٢٢٣

(٣) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/٣٣٧

""ويشمل ظروف أداء المقال + القرائن الحالية". ومعنى اشتمال "المعنى الدلالي" وهو قمة تحليل المعنى اللغوي على كل هذه العناصر، أن كل دراسة تحليلية سبقت في هذا الكتاب تتجه أساسا إلى المعنى كما ذكرنا لك في المقدمة سواء في ذلك النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي والظواهر الموقعية والمعجم وتحديد المقام، ثم ما يرتبط بكل ذلك من قرائن حالية أو مقالية كإشارة اليدين وتعبيرات الملامح وغمزات العينين ورفع الحاجب وهز الرأس وجميع الحركات العضوية مما يعتبر قرائن حالية في أثناء الكلام، ثم التعبيرية بخوالف الأصوات وبالتأفف والفحفحة والتأوه وأصوات الشفتين المختلفة، مما يعتبر من القرائن المقالية في أثناء الكلام أيضا.

وقد يتوقف المعنى الدلالي أحيانا على الوظائف التحليلية كدلالة الحرف باعتباره "مقابلا استبداليا" يؤثر عدم وضوحه على المعنى، فإذا نادى المزكوم الشديد الزكام على شخص يدعى "مأمون" فهذا مظنة لسوء الفهم. فالمعروف أن الميم تتفق مع الباء في المخرج، ولكنها تختلف عنها من حيث توجد الغنة في الميم ولا توجد في الباء، وغنة الميمن يمكن نطقها في الأنف الصحيح ويتعذر نطقها في الأنف المزكوم، وحين تتعذر الغنة تصير الميم إلى الباء، ومن ثم يصير النداء "يا بأبون"، ولما كانت الباء الأولى واقعة في مقطع غير منبور، وكانت الثانية بداية مقطع وقع عليه النبر كما عرفنا من القواعد التي ذكرناها في حينها، أصبحت الباء الأولى غير واضحة في السمع كوضوح الباء الثانية، وأصبحت الباء الثانية أوضح أجزاء الكلمة في النطق. وهذا هو مناط اعتماد المعنى الوظيفي؛ لأن الميم الأولى لم تتضح في السمع فبقيت وظائف موقعها كما هي، وتفترض الأذن خطأ في هذه الحالة وجود الميم الأولى على حالها، ولكن الميم الثانية اتضحت في الأذن على صورة الباء، فإذا غضب المنادي لظنه أنه نودي "يا مأبون" فذلك دليل اعتماد المعنى الدلالي على الوظيفة التي تناط بالحرف باعتباره "مقابلا استبداليا".

وأما قيمة الظاهرة الموقعية في السياق فتبدو عند التأمل في كلمة "الأمان"، وتحديد المقصود من الهمزة في البداية أهي همزة قطع فتكون الكلمة مثنى "ألأم"، أم هي همزة وصل وتكون الكلمة كلمة "أمان" ألحقت بها أداة." (١)

"٢١٩- وسمعته يقول: "لولا أني خرجت من البلاد للهجرة إلى الحرمين لكنت أقمت في السودان أثناء ما مررت بها، فقد كانت السودان في أيام بقائي فيها وذلك سنة ١٣٦٦هـ يضرب بها المثل في التمسك بالإسلام والأخلاق والعروبة".

٢٢٠- قال الوالد: "إن كتبي القديمة يجد الناظر فيها أني أدون ما فيها من الفوائد على الغلاف".

٢٢١- سمعته يقول: "إذا مرضت لا أحب المكث على الفراش، إنما أذهب وأشغل نفسي في العلم والقراءة لأتسلى به. وكنت إذا أصابني الزكام يضعفني جدا".

٢٢٢- وسمعته يقول: "أسند إلي تدريس المصطلح لما كنت في الرياض".

٢٢٣- سمعته يقول: "ما تعودت أن أصلي في غير جماعة، وأنا أقتدي بالصحابة في هذا، حيث كان الواحد منهم يهادى بين الرجلين حتى يدخل المسجد، فإذا مرضت صليت في المسجد اقتداء بهم".

٢٢٤- وسمعته يقول: "درست الفرائض ثم درستها وبيني وبينها الآن أربعين سنة".

(١) اللغة العربية معناها ومبناها تمام حسان ص/٣٥٣

قلت: قال هذه الجملة سنة ١٤١٥هـ.

٢٢٥- وسمعته يقول: "جئت من الرياض سنة ١٣٨٥هـ، وتوفي الشيخ الطيب ابن إسحاق سنة ١٣٦٥هـ". قلت: الطيب بن إسحاق الأنصاري: أحد العلماء السلفيين الكبار بالمدينة النبوية، وممن هاجر قديما من البلاد مالي.

٢٢٦- وسمعته يقول: "أنا لا أعرف التاريخ الميلادي، ولا أومن به".." (١)

"٥٠٧- وسمعته يقول: درست كتاب ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي دراسة وافية ولعلي قرأته أكثر من مائة مرة، وذلك لعدم وجود غيره عندي في أول طلب علم الحديث.

٥٠٨- وسمعته يقول: لولا أني خرجت من البلاد للهجرة إلى الحرمين لكنت أقمت في السودان أثناء ما مررت بها، فقد كانت السودان في أيام بقائي فيها وذلك سنة ١٣٦٦هـ يضرب بها المثل في التمسك بالإسلام والأخلاق والعروبة.

٥٠٩- قال الوالد: إن كتبي القديمة يجد الناظر فيها أنني أدون ما فيها من الفوائد على الغلاف، قلت: يعنى الكتب التى في مكتبته للقراءة والنظر لا مؤلفاته.

٥١٠- وسمعته يقول: إذا مرضت لا أحب المكث على الفراش، إنما أذهب وأشغل نفسي في العلم والقراءة لأتسلى به. وكنت إذا أصابني الزكام يضعفني جدا.

٥١١- وسمعته يقول: أسند إلي تدريس المصطلح لما كنت في الرياض.

٥١٢- وسمعته يقول: ما تعودت أن أصلي في غير جماعة وأنا أقتدي بالصحابة في هذا، حيث كان الواحد منهم يهادى بين الرجلين حتى يدخل المسجد، فإذا مرضت صليت في المسجد اقتداء بهم.

٥١٣- وسمعته يقول: درست الفرائض ثم درستها وبيني وبينها الآن أربعون سنة. قلت: قال هذه الجملة سنة ١٤١٥هـ.

٥١٤- وسمعته يقول: جئت من الرياض إلى المدينة النبوية سنة ١٣٨٥هـ. وتوفي الشيخ الطيب ابن إسحاق سنة ١٣٦٥هـ.

٥١٥- وسمعته يقول: أنا لا أعرف التاريخ الميلادي، ولا أؤمن به.." (٢)

"١٢٤. وسمعته يقول: "كتبت كلمة قلت فيها: "إن كتب العلم المخطوطة اليوم اشتغل في إخراجها وتحقيقها من ليس من أهل العلم وأهل العلم تركوا إخراجها إما كسلا وهذا لا ينبغي واما انهم لا يستطيعون لانشغالهم".

١٢٥ . وسمعته يقول: "إن بعض الخرافيين يؤلف كتابا فينسبه الى أحد أهل العلم الكبار ومن ذلك الفتاوى المنسوب للشاطبي وهو مطبوع.

١٢٦. وسمعته يقول: "الإنسان ابن عصره وزمانه".

١٢٧. وسمعته يقول: "ينبغي لطالب العلم ان يحرص على الاعتذار للعلماء قبل اللوم".

١٢٨. وسمعته يقول: "خير الكلام ما قل ودل ولم يمل".

١٢٩ . وقال الوالد: إن مرض الزكام لم نجد له علاجا إلا الراحة.

---

(١) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (رحمه الله) عبد الأول بن حماد الأنصاري ٤٢٠/١

(٢) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (رحمه الله) عبد الأول بن حماد الأنصاري ٤٦٣/١

١٣٠ . سمعته يقول كثيرا بعد الفراغ من أي كتاب قام بمقابلته: "إن لم تقابل فارم في المزابل"

قلت: كان– رحمه الله تعالى– كثيرا ما يقابل مع تلامذته أو من يحضر مجلسه من أهل العلم أو مع أحد أبنائه.

١٣١ . وسمعته يقول: "إن طلاب العلم فقراء".

قلت: هذه الجملة كثيرا ما سمعته يقولها.

١٣٢ . قال الوالد: إن الورق الأبيض يضر العين أثناء القراءة.

١٣٣ . وسمعته يقول: "ينبغي للمحقق أن يكتب مقدمة في أول الكتاب الذي يحققه يذكر فيها منهجه الذى يسلكه في التحقيق.." (١)

"وقال بعض الفلاسفة: ينبغي للعاقل أن يتقي البرد في أول الشتاء وفي آخره. فقيل له: ففي وسطه؟ قال: ذاك يتقيه العاقل والأحمق.

قيل: وأوصى بعض الحكماء ولده فقال له: إياك أن تسير شبرا من الأرض وأنت حاف، ولا تذوقن نبتة ولا تشمنها حتى تعرفها، وإياك وأن تبول في شق الأرض فتخرج منه عليك داهية، ولا تشرب من فم قربة ولا إداوة حتى يكون الماء معينا، واحذر مرافقة المعرفة ومن لا تعرف فلا تصاحبه، وإياك والسجود على بارية جديدة حتى تمسحها بكمك فرب شظية حقيرة فقأت عينا خطيرة، ولا تنظرن في بئر عادية، ولا تشهدن من الحيوان الكبار ما هو في النزع، واقبل وصيتي ترشد ولا تدعها فتندم.

قيل: ودخل أعرابي ذو كدنة على معاوية بن أبي سفيان فأعجبه فقال: يا أعرابي مم هذا السمن؟ قال: لا آكل حتى أجوع وأستوثق من أطرافي في الشتاء وأغفل غاشية الهجر.

وقال بعض الفلاسفة: اخضع للريح خضوعك للملك، وجاهد البلغم مجاهدة عدوك، ودار المرة مداراتك صديقك، وأنزل دمك في السنة مرة أو مرتين، ورو مشاشتك من ماء لحوم الطير، وعليك بالشراب الأصفر فإنه حليف الروح.

وذكر أبو الحسين محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل عن أحمد بن أبي الأضبع وكان كاتبا لأحمد عن يحيى بن ماسويه قال: أكل الفالوذ لصاحب النبيذ عندنا من شر الطب.

وقيل: ما من أحد إلا وفيه أربعة عروق: عرق الجذام وعرق البرص وعرق العمى وعرق الجنون، فإذا تحرك عرق الجذام قمعه الله بالزكام فأذهبه، وإذا تحرك عرق البرص سلط الله جل وعز عليه الدماميل فأذهبته، وإذا تحرك عرق الجنون سلط الله عليه البلغم فقطعه، وإذا تحرك عرق العمى سلط الله عليه الرمد فأذهبه.

وقد روي عن النبي، صلى الله عليه وسلم: لا تكرهوا أربعا لأربع، لا تكرهوا الزكام فإنه يقطع عرق الجذام، وتكرهوا السعال فإنه يقطع عرق الفالج، ولا تكرهوا الرمد فإنه يقطع عرق العمى، ولا تكرهوا الدماميل فإنها تقطع عرق البرص.

وروي عن علي، رضي الله عنه، أنه قال: من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من السوء، ومن أكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئا يكرهه، ومن أكل سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه، واللحم ينبت اللحم،

---

(١) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (رحمه الله) عبد الأول بن حماد الأنصاري ٥٧٠/٢

والثريد طعام العرب، والسواك وقراءة القرآن يذهبان بالبلغم، والبقر لحومها داء وألبانها دواء وسمنها شفاء، والسمك يذيب الجسد، والشحم يخرج مثله من الداء، ولن يتداوى الناس بمثل السمن، ولن تستشفي النفساء بمثل الرطب، والمرء يسعى بجده والسيف يقطع بحده، ومن أراد البقاء ولابقاء فليباكر الغداء وليخفف الرداء وليقلل من غشيان النساء. وخفة الرداء قلة الدين.

قيل: من بات والهندباء في جوفه بات آمنا من الدبيلة، ومن بات والفجل في جوفه بات آمنا من البشم، ومن بات والكرفس في جوفه بات آمنا من وجع الأضراس، ومن بات والجرجير في جوفه بات وعروق الجذام تتردد في صدره، ومن بات والكراث في جوفه بات آمنا من البواسير.

وقال بعض الفلاسفة: لا ينبغي للعاقل أن يستخف بالقليل من ثلاثة أشياء، بالقليل من النار والقليل من السلطان والقليل من السقم.

وقال أبو هفان: حدثني العباس بن المأمون قال: كنت عند المأمون ذات يوم وعنده الموبذ فسأله: ما أنفع الأشياء؟ فقال: الاقتصاد في الطعم والشرب فإن كثيره يثقل الجسم ويوهن العلم والفهم ويكدر صفاء البشرة ويفتح الأدواء ويخمد نار المعدة ويمحق شرف صاحبه. فقال المأمون: لو أسلمت يا موبذ ولم أستقضك كنت قد ضيعت حجة الله في أرضه.

الحسن بن علي بن زيد قال: سمعت علي بن الجعد يقول: لما قدم بختيشوع الأكبر على أبي جعفر من السوس أمر له بالطعام، فلما وضع بين يديه الخوان قال: الشرب. قيل له: لا يشرب على مائدة أمير المؤمنين. قال: لا آكل طعاما ليس معه شراب. فأخبر أمير المؤمنين بذلك، فقال: دعوه. فلما حضر العشاء فعل به مثل ذلك، فطلب الشراب، فقيل له: لا يشرب على مائدة أمير المؤمنين. فتعشى وشرب ماء دجلة. فلما كان الغد نظر إلى مائه فقال: ما كنت أحسب شيئا يجري مجرى الشراب فهذا ماء دجلة يجري مجرى الشراب. يريد في المنفعة أنه مثله.

مساوئ ما يفسد البدن." (١)

"فأمر العسكر فبرزوا لقصد حمص، وأرسل إلى صاحب حماة وأمره بالمسير إليها، فبرز الملك المظفر من حماة ونزل على الرستن، واشتد خوف شيركوه صاحب حمص، وتخضع للملك الكامل، وأرسل إليه نساءه، ودخلن على الملك الكامل، فلم يلتفت إلى ذلك، ثم بعد استقرار الملك الكامل، في دمشق، لم يلبث غير أيام حتى مرض واشتد مرضه، وكان سببه، أنه لما دخل قلعة دمشق أصابه زكام، فدخل الحمام وسكب عليه ماء شديد الحرارة، فاندفعت النزلة إلى معدته وتورمت منها، وحصل له حمى، ونهاه الأطباء عن القيء، وخوفوه منه فلم يقبل، وتقيأ فمات لوقته، وعمره نحو ستين سنة، وكانت وفاته لتسع بقين من رجب من هذه السنة، أعني سنة خمس وثلاثين وستمائة، وكان بين موته وموت أخيه الملك الأشرف نحو ستة أشهر، وكانت مدة ملكه لمصر من حين مات أبوه عشرين سنة، وكان بها نائبا قبل ذلك قريبا من عشرين سنة، فحكم في مصر نائبا وملكا نحو أربعين سنة، وأشبه حاله حال معاوية بن أبي سفيان، فإنه حكم في الشام نائبا نحو عشرين، وملكا نحو عشرين.

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/١٣٦

وكان الملك الكامل ملكا جليلا مهيبا حازما، حسن التدبير، أمنت الطرق في أيامه، وكان يباشر تدبير المملكة بنفسه، واستوزر في أول ملكه وزير أبيه صفي الدين بن شكر، فلما مات ابن شكر لم يستوزر أحدا بعده، وكان يخرج الملك الكامل بنفسه فينظر في أمور الجسور عند زيادة النيل، وإصلاحها، فعمرت في أيامه ديار مصر أتم العمارة، وكان محبا للعلماء ومجالستهم، وكانت عنده مسائل غريبة في الفقه والنحو يمتحن بها الفضلاء، إذا حضروا في خدمته، وكان كثير السماع للأحاديث النبوية، تقدم عنده بسببها الشيخ عمر بن دحية، وبنى له دار الحديث بين القصرين، في الجانب الغربي، وكانت سوق الآداب والعلوم عنده نافقة رحمه الله تعالى، وكان أولاد الشيخ صدر الدين بن حمويه من أكابر دولته، وهم الأمير فخر الدين ابن الشيخ، وإخوته عماد الدين، وكمال الدين، ومعين الدين، أولاد الشيخ المذكور، وكل من أولاد الشيخ المذكور حاز فضيلتي السيف والقلم، فكان يباشر التدريس، ويتقدم على الجيش، ولما مات السلطان الملك الكامل بدمشق، كان معه بها الملك الناصر داود صاحب الكرك فاتفق آراء الأمراء على تحليف العسكر للملك العادل أبي بكر بن الملك الكامل، وهو حينئذ نائب أبيه بمصر، فحلف له جميع العسكر، وأقاموا في دمشق الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل أبو بكر ابن أيوب، نائبا عن الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل، وتقدمت الأمراء إلى الملك الناصر داود بالرحيل عن دمشق، وهددوه إن أقام، فرحل الملك الناصر داود إلى الكرك، وتفرقت العساكر، فسار أكثرهم إلى مصر، وتأخر مع الجواد يونس بعض العسكر، ومقدمهم عماد الدين ابن الشيخ، وبقي يباشر الأمور مع الملك الجواد، ولما بلغ شيركوه صاحب." (١)

"وفي السنة التي تليها مطر أهل تيما مطرا وبردا كالبيض فقتل بها ثلاثمائة وسبعين إنسانا وسمع في ذلك صوت يقول ارحم عبادك اعف عن عبادك ونظروا إلى أثر قدم طولها ذراع بلا أصابع وعرضها شبر ومن الخطوة إلى الخطوة خمسة أذرع أو ست فاتبعوا الصوت فجعلوا يسمعون صوتا ولا يرون شخصا

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين رجفت دمشق رجفة حتى انقضت منها البيوت وسقطت على من فيها فمات خلق كثير وانكفأت قرية في الغوطة على أهلها فلم ينج منهم إلا رجل واحد وزلزلت انطاكيا فمات منها عشرون ألفا

وفي السنة التي تليها هبت ريح شديدة لم يعهد مثلها فاتصلت نيفا وخمسين يوما وشملت بغداد والبصرة والكوفة وواسط وعبادان والأهواز ثم ذهبت إلى همدان فأحرقت الزرع ثم ذهبت إلى الموصل فمنعت الناس من السعي فتعطلت الأسواق وزلزلت هراة فوقعت الدور

وفي سنة ثمان وثلاثين وجه طاهر بن عبد الله إلى المتوكل حجرا سقط بناحية طبرستان وزنه ثمانمائة وأربعون درهما أبيض فيه صدع وذكروا أنه سمع لسقوطه هدة أربع فراسخ في مثلها وأنه ساخ في الأرض خمسة أذرع

وفي سنة اربعين ومائتين خرجت ريح من بلاد الترك فمرت بمرو فقتلت خلقا كثيرا **بالزكام** ثم صارت إلى نيسابور وإلى الري ثم إلى همذان وحلوان ثم إلى العراق فأصاب أهل بغداد وسر من رأى حمى وسعال **وزكام** وجاءت كتب من المغرب أن ثلاث

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٣/١٦١

عشرة قرية من قرى القيروان خسف بها فلم ينج من أهلها إلا اثنان وأربعون رجلا سود الوجوه فأتوا القيروان فأخرجهم أهلها وقالوا أنتم مسخوط عليكم فبنى لهم العامل حظيرة خارج المدينة فنزلوها." (١)

"فعادوا إلى أبيهم بشجى على شجن وقرح على جرح وعقر على عقر في عقر فقام وقد تقوس وعسى على باب ﴿عسى﴾ ثم بعثه لطف ﴿لا تقنطوا﴾ على أن بعثهم برسالة ﴿فتحسسوا﴾ فلما رجعوا دخلوا من قفر الفقر فاستلقوا في ساحة الضر ينادون على غليل عليل الذل ﴿وتصدق علينا﴾ تالله لقد جوزيت أيد مدها تغشرم ﴿وشروه﴾ أن مدت في طريق ذل ﴿وتصدق علينا﴾ فلما عرفوه اعترفوا فمحى ما اقترفوا بكف ﴿لا تثريب﴾ فرفع من موائد تلك الفوائد نصيب الوالد ﴿اذهبوا بقميصي﴾ فهبت نسايم الفرح فتوغلت في خياشيم مريض كالفرخ من فرج الفرج فخر ركام الزكام عن منخر الضر فنادى مدنف الوجد ﴿إني لأجد﴾

(نشدتك الله يا نسيم ... ما فعلت بعدنا الرسوم)

(هل استهلت بها الغوادي ... ونمقت روضها الغيوم)

(وهل بها من عهدت فيها ... بعد على حاله مقيم)

(علل بروح الوصال صبا ... أنفاسه للجري سموم)

(وعد فسلم على أناس ... ما أنا من بعدهم سليم)

(واشرح لهم حال مستهام ... أنت بأشواقه عليم)

(وقل غريب ثوى بأرض ... في غيرها قلبه يهيم)

(يكابد الشوق حين يمسي ... وتعتري قلبه الهموم)

(أحبابنا تنقضي الليالي ... وما انقضت تلكم الكلوم)

(ذاك اللديغ الذي عهدتم ... بعد على حاله سقيم)

(أصبح من فقركم وحيدا ... فلا خليل ولا حميم)

(لم تجر ذكر الفراق إلا ... حن كما حنت الرزوم)." (٢)

"أضيق المحابس أين الرافل في أثوابه عرى في ترابه عن الملابس أين الغافل في أمله عن أجله سلبه كف المخالس أين حارس المال أخذ المحروس وقتل الحارس

يا مضمرا حب الدنيا إضمار الجمل الحقود نبعث منقاش اللوم وما يصل إلى شظايا المحبة الدنيا جيفة قد أراحت ومزكوم الغفلة ما يدري سوق فيها ضجيج الهوى فمن يسمع المواعظ

(علمتني بهجرها الصبر عنها ... فهي مشكورة على التقبيح)

إذا أردت دواء حبها فما قل في الشربة صبر انفرد في صومعة الزهد واحفر خندق الحذر وأقم حارس الورع ولا تطلع من

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/٧٢

(٢) المدهش ابن الجوزي ص/٩٦

خوخة مسامحة فإن البغى في الفتى صناع

لصردر

(النجاء النجاء من أرض نجد ... قبل أن يعلق الفؤاد بوجد)

(كم خلي غدا إليه وأمسى ... وهو يهوى بعلوة وبهند)

حصن حصن التقى بسور القناعة فإن لص الحرص يطلب ثلمة غريم الطبع متقاض ملح والشره شرك وخمار المنى داء قاتل بينا الحرص يمد وتر الأمل انقطع هل العيش إلا كأس مشوبة بالكدر ثم رسوبها الموت ﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾

قال محمد بن واسع لو رأيتم رجلا في الجنة يبكي أما كنتم تعجبون قالوا بلى قال فاعجب منه في الدنيا رجل يضحك ولا يدري إلى ما يصير ضحك بعض الصالحين يوما ثم انتبه لنفسه فقال تضحكين وما جزت العقبة والله لا ضحكت بعدها حتى أعلم بماذا تقع الواقعة

(يا نسيم الشمال بالله بلغ ... ما يقول المتيم المستهام)." (١)

"وهؤلاء في النار ولا أبالي المغناطيس يجذب الحديد بخاصية فيه الظليم يبتلع الحصى والحجارة فيذيبها حر قانصته حتى يجعلها كالماء الجاري ولو طبخ ذلك بالنار لم ينخل ذنب الجرادة يشق الصخرة وليس بالقوى إبرة العقرب تنفذ في الطشت خرطوم البعوضة يغوص في جلد الجاموس من تعلق عليه برادة الحديد لم يغط في نومه إذا ترك الرصاص أو الزيبق في تنور سقط الخبز كله فإن ترك الرصاص في قدر لم ينضج اللحم إذا كان الزعفران في دار لم تدخلها وزغه إذا دفن الحديد في الدقيق زال عنه الصدا إذا ترك سراج على شيء في نهر سكنت ضفادعه إذا دفنت ذئبة في قرية لم تدخلها الذئاب إذا نظر صاحب الثأليل إلى كوكب ينقض فمسح بيده حينئذ على ثأليله ذهبت إذا عسرت الولادة فصاحت بالمرأة بكر يا فلانة أنا جارية عذراء وقد ولدت وأنت لم تلدي ولدت في الحال للنملة فضل حسن في الشم تدرك الأراييح البعيدة لما شق ختام نافجة النبوة ملأت ريحها الأرض فاستنشقها أهل العافية فوصل إلى خياشم سلمان في فارس وصهيب في الروم وبلال في الحبشة وكان ابن أبي مزكوما فما نفعه قرب الدار كم من نفر دخلت مجلسي وهي حامل جنين الإصرار فلما استنشقت ريح المواعظ أسقطت

أيها التائب من حركك وقد كان تحريك الجبل دون إزعاجك ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ أتدرون هذا التائب لم انزعج أما تجدون في نفسه حر وهج

(صبا لنسيم الصبا إذ نفح ... وارقه لمع برق لمح)

(واذكره عيشه بالحمى ... وعهدا تقادم سرب سنخ)

(فحن إلى السفح سفح العقيق ... فسح له دمعه وانسفح)

(وكان كتوما لسر الهوى ... ولكن جرى دمعه فافتضح)

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/٢٢١

(فدعه ينادي طلول الحمى ... ويسأل رامه عمن نزح)

يا غائبا عنا وهو حاضر أما لك ناظر ناظر أما دموع الوجد." [١]

"(أحب الثرى النجدي من أجرع الحمى ... كأني لمن بالاجرعين نسيب)

(إذا هب علوي الرياح رأيتني ... أغض جفوني أن يقال مريب)

المحبون على شواطئ أنهار الدمع تزول فلو سرت عن هواك خطوات لاح لك الخيام

(وصلوا إلى مولاهم وبقينا ... وتنعموا بوصاله وشقينا)

(ذهبت شبيبتنا وضاع زماننا ... ودنت منيتنا فمن ينجينا)

(فتجمعوا أهل القطيعة والجفا ... نبكي شهورا قد مضت وسنينا)

كان بعض السلف يقول اللهم إن منعتني ثواب الصالحين فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته وكان آخر يقول إن لم ترضى عني فاعف عني كان القوم زينة الدنيا فمذ سلبوا تسلبت خلت والله الديار وباد القوم وارتحل أرباب السهر وبقي أهل النوم واستبدل الزمان آكلي الشهوات بأهل الصوم

(كفى حزنا بالواله الصب أن يرى ... منازل من يهوى معطلة قفرا)

يا من كان له في حديث القوم ذوق أين أثار الوجد والشوق إذا طالت لبث الطين في حافات الانهار تكامل ريه فإذا نضب الماء عنه استلبت الشمس جميع ما فيه من رطوبة فيقوى شوقه إلى ما فارق فلو تركت قطعة منه على لسانك لامسكته شوقا إلى ما فارقت من رطوبة أشد الناس حبا لحديث الحجاز من سافر

(فكانت بالفرات لنا ليال ... سرقناهن من ريب الزمان)

يا هذا كنت تدعي حبنا وتؤثر القرب منا فما هذا الصبر الذي قد عن عنا كنت تستطيب رياح الأسحار وما تغير المحب ولكن دخل فصل برد الفتور ولم تحرزه فأصابك زكام الكسل كنت في الرعيل الأول فما الذي ردك إلى الساقة قف الآن على جادة التأسف والزم البكاء على التخلف فأحق الناس بالأسى من خص بالتعويق دون الرفقاء." [٢]

"ولباس وأفواه القلوب تنفر من طعم مذاقة وا أسفي ما أكثر الزور أما الخيام فإنها كخيامهم ليس كل مستدير يكون هلالا لا لا

(وما كل من أومى إلى العز ناله ... ودون العلى ضرب يدمي النواصيا)

كم حول معروف من دفين ذهب اسمه كما بلى رسمه ومعروف معروف

(فما كل دار أقفرت دارة الحمى ... ولا كل بيضاء الترائب زينب)

لريح المخلصين عطرية القبول وللمرائي سموم النسيم نفاق المنافقين صير المسجد مزبلة ﴿لا تقم فيه أبدا﴾ وإخلاص المخلصين رفع قدر الوسخ رب أشعث أغبر

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/٣٠٩

(٢) المدهش ابن الجوزي ص/٣٩٥

أيها المرأى قلب من ترائية بيد من تعصيه لا تنقش على الدرهم الزائف إسم الملك فما يتبهرج الشحم بالورم المرائي يتبرطل على باب السلطان يدعي انه خاص وهو غريب أتدرون ما ذنب المرائي دعا باسم ليلى غيرها فيا أسفي ذهب أهل التحقيق وبقيت بنيات الطريق خلت البقاع من الأحباب وتبدلت العمارة بالخراب يا ديار الأحباب عندك خبر المخلص يبهرج على الخلق بستر الحال وببهرجته يصح النقد كان في ثوب أيوب السختياني بعض الطول لستر الحال وكان إذا وعظ فرق من الرياء فيمسح وجهه ويقول ما أشد الزكام

لصردر

(احبس دمعي فيند شاردا ... كأنني أضبط عبدا آبقا)

(ومن محاشاة الرقيب خلتني ... يوم الرحيل في الهوى منافقا)

كان أيوب يحيي الليل كله فإذا كان عند الصباح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة

لصردر." (١)

"أخذ دود القز ينسج أقبلت العنكبوت تتشبه وقالت لك نسج ولي نسج فقالت دودة القز ولكن نسجي أردية للملوك ونسجك شبكة للذباب وعند مس النسيجين يبين الفرق

(إذا اشتبكت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكا)

شجرة الصنوبر تثمر في ثلاثين سنة وشجرة الدبا تصعد في أسبوعين فتقول لشجرة الصنوبر إن الطريق التي قطعتها في ثلاثين سنة قد قطعتها في أسبوعين فيقال لي شجرة ولك شجرة فتجيبها مهلا إلى أن تهب ريح الخريف قال الدب للآدمي أنت تمشي على رجلين وأنا أيضا فقال الآدمي ولكن صدمة تردك إلى أربع وكم أصدم وأنا منتصف

كان الأشياخ في قديم الزمان أصحاب قدم والمريدون أصحاب ألم فذهب القدم والألم كان المريد يسئل عن غصة والشيخ يعرف القصة فاليوم لا غصة ولا قصة كان الزهد في بواطن القلوب فصار في ظواهر الثياب كان الزهد حرقة فصار اليوم خرقة ويحك صوف قلبك لا جسمك وأصلح نيتك لا مرقعتك غير زيك أيها المرائي فهو يصيح خذوني تحملن السيف وما تحسن القتال سيف ودرع لزمن هتكة ولمقعد فضيحة البهرج يتبين عند الحك إذا كان العلوى ثابت النسب لم يحتج إلى ضفيرتين ولا يصير المخنث تركيا بلبس القباء ولا المرائي وليا بلبس العباء هذه من النكت الخفايا وفي الزوايا خبايا واعجبا ما للدواعي إلى الدعاوي الباطن ينطق لما علم الصالحون خطر البيات أدلجوا بأحمال الأعمال في ليل الكتم كان البكاء إذا غلب أيوب قال ما أشد الزكام

(هبيني أستر البلوى ... أليس الدمع يفضحني)

(لساني فيك أملكه ... ودمع العين يملكني)." (٢)

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/٣٩٩

(٢) المدهش ابن الجوزي ص/٤١٩

"كلما جاء كلامي صعد كلما زادت الوقود فاحت ريح العود أفيكم مستنشق أو كلكم مزكوم إني لآجد نفس الرحمن من قبل اليمن باح مجنون عامر بهواه

(وما بحت حتى أستنطق الشوق أدمعي ... واذكرني عهد الحمى المتقادم)

أتجدوني يا أخواني ما أجد من ريح النسيم

(ألا يا نسيم الريح مالك كلما ... تجاوزت ميلا زاد نشرك طيبا)

(أظن سليمى خبرت بسقامنا ... فأعطتك رياها فجئت طبيبا)." (١)

"يحر جواباوقام مغضبافأقبل علي أبو عمرو وقال: هذا رجل شريف يقصد مجالسنا ويقضي حقوقنا وقد أسأت فيما واجهته به.

فقلت له: لم أملك نفسي عند ذكر رؤبة ثم فسر لنا يونس فقال: الروبة: خميرة اللبن.

والروبة: قطعة من الليل.

وفلان لا يقوم بروبة أهله: أي بما أسندوا إليه من أمورهم.

والروبة: جمام ماء الفحل.

والرؤبة مهموزة: القطعة تدخلها في الإناء تشعب بها الإناء.

وقال ابن دريد في الجمهرة: قال أبو حاتم قال الأصمعي: أخبرني يونس فذكر مثله.

وقال ابن خالويه في شرح الفصيح: قال ابن دريد حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن يونس أن رجلا قال لرؤبة: لم سماك أبوك رؤبة فقال: والله ما أدري أبروبة الليل أم بروبة الخميرأم بروبة اللبن أم بروبة الفرسفروبة اللبن: رغوته وروبة الليل: معظمه وروبة الخمير: زيادته وروبة الفرس: قيل طرقه في جماعه وقيل عرقه وهذا كله غير مهموز.

فأما رؤبة بالهمزة فقطعة من خشب يرأب بها القدح أي تصلحه بها.

وفي الصحاح: الأرض المعروفة وكل ما سفل فهو أرض والأرض: أسفل قوائم الدابة والأرض: النفضة والرعدة.

قال ابن عباس في يوم زلزلة: أزلزلت الأرض أم بي أرض والأرض: الزكام والأرض: مصدر أرضت الخشبة تؤرض أرضا فهي مأروضة إذا أكلتها الأرضة.

وفي الجمهرة: الهلال: هلال السماء وهلال الصيد: وهو شبيه بالهلال يعرقب به حمار الوحش وهلال النعل: وهو الذؤابة والهلال: القطعة من الغبار.

وهلال الإصبع: المطيف بالظفر والهلال: قطعة رحى والهلال: الحية إذا سلخت والهلال: باقي الماء في الحوض والهلال: الجمل الذي قد أكثر الضراب حتى هزل.

وفي كتاب ليس لابن خالويه: الإوز جمع إوزة لهذا الطائر ورجل إوز غليظ وفرس إوز أي موثق غليظ." (٢)

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/٤٦٨

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي ٢٩٤/١

"تفاعل

ليس في كلامهم مصدر تفاعل إلا على التفاعل (بضم العين) ، إلا حرف واحد جاء مفتوحا ومكسورا ومضموما: تفاوت الأمر تفاوتا وتفاوتا وتفاوتا وهو غريب مليح حكاه أبو زيد.

فعل فهو فاعل

لم يأت فعل فهو فاعل إلا حرفان فره فهو فاره، وعقرت المرأة فهي عاقر فأما طهر فهو طاهر، وحمض فهو حامض ومثل فهو ماثل، فبخلاف لأنه يقال حمض أيضا وطهر ومثل.

أفعل الشيء وفعلته

ليس في كلامهم أفعل الشيء وفعلته إلا أكب زيد وكببته، وأقشعت الغيوم وقشعتها الريح، وأنسل الريش والوبر ونسلتهما، وأنزفت البئر ونزفتها وأشنق البعير: رفع رأسه، وشنقته أنا: حبسته بزمامه.

أفعل فهو فاعل

ليس في كلامهم أفعل فهو فاعل إلا أعشبت الأرض فهي عاشب، وأورس الرمث وهو ضرب من الشجر إذا تغير لونه عن البياض فهو وارس، وأيفع الغلام فهو يافع، وأبقلت الأرض فهي باقل، وأغضى الليل فهو غاض، وأمحل البلد فهو ماحل.

أفعلة فهو مفعول

ولم يأت أفعله فهو مفعول إلا أجنه فهو مجنون، وأزكمه فهو مزكوم، وأحزنه فهو محزون، وأحبه فهو محبوب.

تفعلة

ليس في كلامهم مصدر على تفعلة إلا حرف واحد وهو تهلكة.

زيادات الاسم

لم يأت اسم على ستة أحرف إلا قبعثرى وهو الجمل الضخم، وقيل الفصيل." (١)

"وقال غيره: في خلق فلان خلفنة مثال درفسة يعني الخلاف، وشاة قفيئة وقفينة بالنون وهي زائدة أي مذبوحة من قفاها.

وزاد أبو حيان في شرح التسهيل:

بلغن وهو الرجل الذي يبلغ بعض الناس أحاديث بعض.

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي ٢/٨٦

وبلعن وهو النمام بعين غير معجمة، وعرضنة يقال ناقة عرضنة من الإعراض ورجل خلفن وخلفنة في أخلاقه خلاف، وفرسن لأنه من فرست.

وزيدت أيضا مشددة في وشحن للوشاح، وقشون للقليل اللحم، قرطن ومرطن أيضا للقرط، وقرقفنة لطائر.

ذكر ما يقال أفعله فهو مفعول

قال أبو عبيد في الغريب المصنف: أحبه الله فهو محبوب، ومثله محزون، ومجنون، ومزكوم، ومقرور.

قال: وذلك لأنهم يقولون في هذا كله قد فعل بغير ألف، ثم بنى مفعول على هذا وإلا فلا وجه له، ومثله آرضه الله، وأملأه الله، وأضأده الله من الضؤدة والملاءة والأرض وكله الزكام، وأحمه الله من الحمى، وأسله الله من السلال، وأهمه الله من الهم وكل هذا يقال فيه مفعول ولا يقال مفعل إلا حرف واحد وهو قول عنترة، [// من الكامل //]

(ولقد نزلت فلا تظني غيره ... مني بمنزلة المحب المكرم)

ومن ذلك أزعقته فهو مزعوق يعني المذعور، وأضعف الشيء فهو مضعوف، وأبرزته فهو مبروز. انتهى.

وفي الصحاح: انبته الله فهو منبوت على غير قياس، وأسعده الله فهو مسعود، ولا يقال مسعد، وأوجده الله فهو موجود، ولا يقال وجده كما لا يقال حمه.

وفي المجمل: أهنه الله فهو مهنون، من الهنانة وهي الشحمة.." (١)

"وعنه، عن أبيه قال: رأيت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حين أحرم والغالية على صدغيه كأنها لزقة.

وقال أبو الضحى: رأيت على رأس الزبير من المسك ما لو كان لي لكان رأس مالي. وقيل: لما بنى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه بفاطمة بنت عبد الملك، أسرج في مسارجه تلك الليلة بالغالية.

وقال الشعبي: الرائحة الطيبة تزيد في العقل.

وقال علي كرم الله تعالى وجهه: تشمموا النرجس ولو في العام مرة، فإن في قلب الإنسان حالة لا يزيلها إلا النرجس. وكان الشعبي يقول: إذا ورد الورد صدر البرد.

وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يستحبون إذا قاموا من الليل أن يمسوا لحاهم بالطيب. وكان من اختلف في طرقات المدينة وجد عرفا طيبا، قيل: ولذلك سميت طيبة. وأقول: والله ما طابت طيبة إلا بالقلب الطاهر صلى الله عليه وسلم وما أحسن ما قيل:

إذا لم أطب في طيبة عند طيب ... به طيبة طابت فأين أطيب

وقيل: إن فارة المسك دويبة شبيهة بالخشف تصاد لسرتها، فإذا صادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة، فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها، ثم يأخذ السرة فيدفنها في الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد أن كان لا يرام نتنا. وقد يوجد جرذان سود يقال لها فارات المسك ليس عندها إلا رائحة لازمة لها.

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي ٢/٢٢٧

وحكي أن العنبر يأتي على طفاوة الماء لا يدري أحد معدنه، فلا يأكله شيء إلا مات ولا ينقره طائر إلا بقي منقاره فيه، ولا يقع عليه حيوان إلا نصلت أظفاره فيه، والتجار والعطارون ربما وجدوا أظفارا فيه.

وقال الزمخشري عفا الله عنه: سمعت ناسا من أهل مكة يقولون: هو من زبد بحر سرنديب. وأجود العنبر الأشهب، ثم الأزرق، وأدونه الأسود.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: ليس في العنبر زكاة إنما هو شيء نثره البحر. وأما العود، فأجوده المندلي وهو منسوب إلى مندل قرية من قرى الهند. وأجوده أصلبه وامتحان رطبه أن تطبع فيه نقش الخاتم، فإن انطبع، فرطب وإلا فلا، ومن خصائصه أن رائحته تطبع في الثوب أسبوعا فلا يقمل ما دامت فيه. وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يخزونه بالحديد، فإذا خرج ظاهرا وضربه الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الأشجار، وأما الند فمصنوع وهو العود المستقطر والعنبر واللبان:

لو كنت أحمل جمرا حين زرتكم ... لم ينكر الكلب أني صاحب الدار

لكن أتيت وريح المسك يقدمني ... والعنبر الند مشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد. وكان المتوكل يلبس أيام الورد الثياب الموردة ويفرش الورد في مجلسه، ويطيب جميع آلاته بالورد. وقال الحسن بن سهل: أمهات الرياحين تقوى بأمهات الطيب، فالنرجس يقوى بالورد، والورد يقوى بالمسك، والبنفسج يقوى بالعنبر، والريحان يقوى بالكافور، والنسرين يقوى بالعود.

وقال جالينوس: المسك يقوي القلب، والعنبر يقوي الدماغ، والكافور يقوي الرئة، والعود يقوي المعدة، والغالية تحل الزكام، والصندل يحل الأورام.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«لا تردوا الطيب فإنه طيب الريح خفيف المحمل» . تبخر بعض الأمراء وعنده أعرابي، ففرطت من الأمير ريح خفيفة، فأراد أن يعلم هل فطن بها الأعرابي أم لا؟ فقال:

ما أطيب هذا المثلث! قال: نعم، ولكنك ربعتها.

وقال الأحنف: إن شم رائحة المسك يحيي القلب.

وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان: ما شمت أنفي من ريح مسك شممته من الناس إلا ريح كفك أطيب. فأمر له بألف دينار، ومائة مثقال مسك، ومائة مثقال عنبر «١» ، والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الثامن والاربعون في الشباب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك

وفيه فصول

روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: ما بعث الله نبيا إلا شابا ولا أوتي العلم عالما إلا شابا، ثم تلا." (١)

"ألف سنة على ما يقال، ويعرف بالشجاع، والأسود، وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعي سجستان، ومن عجيب ما يحكى عنها أنها لدغت إنسانا في رجله فانصدعت جبهته.

وحكي أنها نهشت ناقة وفصيلها يرضع، فمات قبل أمه، وقيل: لما دخل شبيب بن شبة على المنصور قال له: يا شبيب أدخلت سجستان؟ فقال له: نعم. قال:

صف لي أفاعيها. قال: يا أمير المؤمنين، هي دقائق الأعناق، صغار الأذناب، مقلصة الرؤوس، رقش برش، كأنما كسين أعلام الحبرات، كبارهن حتوف، وصغارهن سيوف.

وقيل: إنها تتدفن في التراب أربعة أشهر في البرد «١»

، ثم تخرج، وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الرازيانج وهو الشمر الأخضر، فتحك عينيها به، فيرجع إليها بصرها، فسبحان من ألهمها ذلك.

وقال الزمخشري: إذا عميت الأفعى بعد ألف سنة ألهمها الله تعالى أن تأتي البساتين وتلقي نفسها على هذه الشجرة، وتحك عينيها بها فتبصر. وقيل: إذا قطع ذنبها عاد كما كان «٢»

وإذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام، وهي أعدى عدو للإنسان، وقال بعضهم: رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين، فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى كسرت القرنين، وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم، وقيل: إذا قطع ذنب الحية تعيش إن سلمت من الذر، وقيل: إن بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها، وقيل: إن جلدها ينسلخ عنها في كل سنة مرة وقيل: إن الجلد لا ينسلخ، وإنما الذي ينسلخ قشر فوق الجلد، وغلاف يخلق لها كل عام، وهي تبيض على عدد أضلاعها. أي ثلاثين بيضة، فيجتمع عليها النمل، فيفسدها بقدرة الله تعالى إلا نادرا. ومن عجيب أمرها أنها لا ترد الماء ولا ترده ولكنها إذا شمت رائحة الخمر، فلا تكاد تصبر عنه مع أنه سبب هلاكها لأنها إذا شربت سكرت، فتعرضت للقتل، والذكر لا يقيم في الموضع، وإنما تقيم الأنثى لأجل فراخها حتى تكتسب قوة، فإذا قويت أخذتهم وانسابت، فأي حجر وجدته دخلت فيه، وأخرجت صاحبه منه، وعينها لا تدور وإذا قلعت عادت.

ومن عجيب أمرها أنها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتقرب منها، وتحب اللبن حبا شديدا، وإذا دخلت بصدرها في حجر لا يستطيع أقوى الناس على إخراجها منه، ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولا أظفار وإنما تقوى بظهرها لكثرة أضلاعها.

وحكى عمر بن يحيي العلوي قال: كنا في طريق مكة، فأصاب رجلا منا استسقاء، فاتفق العرب أن سرقوا منا، فطار جمال على أحدها ذلك الرجل قال: ثم بعد أيام جمعتنا المقادير، فوجدته قد برىء، فسألناه عن حاله، فقال: إن العرب لما أخذوني جعلوني في أواخر بيوتهم، فكنت في حالة أتمنى فيها الموت، وبينما أنا كذلك إذ اتوا يوما بأفاعي اصطادوها وقطعوا رؤوسها

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٢٧٩

وأذنابها وشووها بعد ذلك، فقلت: في نفسي: هؤلاء اعتادوها، فلا تضرهم، فلعلي إن أكلت منها مت، فاسترحت، فاستطعمتهم، فأطعموني واحدة، فلما استقرت في بطني أخذني النوم، فنمت نوما ثقيلا، ثم استيقظت، وقد عرقت عرقا شديدا، واندفعت طبيعتي نحو مائة مرة، فلما أصبحت وجدت بطني قد ضمر، وقد انقطع الألم، فطلبت منهم مأكولا، فأكلت، وأقمت عندهم أياما، فلما نشطت، ووثقت من نفسي بالحركة أخذت في الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة.

فائدة: قيل إن الريحان الفارسي لم يكن قبل كسرى، وإنما وجد في زمانه، وسببه أن كسرى كان ذات يوم جالسا في بعض متفرجاته إذا جاءته حية، فانسابت بين يديه، وتمرغت وصارت تتقلب مثل الذي يشتكي، فأراد بعض الجند قتلها، فمنعهم الملك، ثم قال لهم: انظروا أمرها، فلما سمعت ذلك انسبات بين يديه، فأمرهم أن يتبعوها إلى المكان الذي تريده، قال: فجاءت إلى بئر وصارت تنظر فيه قال: فنظروا فإذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود فنخسها بعضهم برمح، فقتلها، وتركوها ورجعوا، فأخبروا الملك بذلك، فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفي فمها بزر فنثرته بين يدي الملك، وذهبت، فقال الملك: إنها أرادت مكافأتنا اجعلوه في الأرض لننظر ما يكون من أمره قال: ففعلوا ذلك، فطلع منه الريحان قال فلما انتهى أمره أتوا به إلى الملك قال وكان به **زكام**، فشمه فبرىء.

لطيفة: من غريب ما اتفق لعماد الدولة أنه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا، ولم يكن." (١)

"إذا بخر به البيت وإذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وزبله إذا شمه **المزكوم** زال **زكامه** على ما ذكر.

(بقر) :

هو حيوان شديد القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الإنسان وهو أنواع الجواميس وهي أكثر ألبانا وكل حيوان اناثه أرق أصواتا من ذكوره إلا البقر وأنثاه يضربها الفحل في السنة مرة وإذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت وإذا طلع عليها الفحل التوت تحته إذا أخطأ المجرى لشدة صلابة ذكره. قال المسعودي رأيت بالري البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور بالحمل.

(عجيبة) : حكي في الأحياء إن شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه، فجاء السيل في بعض الأودية وهي واقفة ترعى فمر عليها فغرقها، فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه: يا أبت لا تندبها فإن المياه التي كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها.

فائدة: ذكر ابن الفضل في كتابه عن وهب ابن منبه أنه قال؛ لما خلق الله تعالى الأرض ماجت واضطربت كالسفينة، فخلق الله تعالى ملكا في نهاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الأرض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة آلاف ثقب فخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه إلا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمي الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوثاء له أربعة آلاف عين ومثلها أنوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام، وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٤٩

يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له يهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق.

الخواص: شحم البقر إذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب وإذا طلي به إناء اجتمعت البراغيث إليه وإذا شرب لبنها زاد في الانعاظ وقرنها إذا سحق وجعل في طعام صاحب الحمى فأكله زالت الحمى ومرارتها إذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء وإذا طلي به على الأثر الأسود في البدن ازاله وخصية الفحل إذا جففت وسحقت وجعلت في عسل وأكلت فإنها تزيد في الباه وشعرها إذا أحرق واستيك به نفع من وجع الأسنان وإذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ما ذكر.

(بومة) :

وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير في وكره وتأكل أفراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون في أشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودي عن الجاحظ أن البومة لا تخرج بالنهار خوفا من العين لأنها تظن أنها حسناء وهي أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها.

الخواص: من خواصها أنها تنام بإحدى عينيها والأخرى مفتوحة فإذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم، فمن لبسه لم ينم ما دام في يده وعكسها المغموضة وإذا أردت معرفة ذلك فألقهما في الماء فالراسبة للنوم والطافية لليقظة وإذا أخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة وهي نائمة تحدثت بجميع ما فعلته في نومها.

(بوقير) :

طير أبيض يأتي منه في كل سنة طائفة إلى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير، فيه كوة، فتدخل من تلك الكوة فيمسك منها شيء فإن أمسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب، وإن أمسكت اثنتين كان كثير الخصب، وإن لم تمسك شيئا كانت السنة مجدبة وأهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم.

(حرف التاء) :

(تمساح) :

حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا، وقيل: ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهي انثى في ذكر إذا أطبق فمه على شيء لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد إلا بنيل مصر.

وقال المسافرون: أنه يوجد ببحر الهند وطوله في الغالب ستة أذرع إلى عشرة في عرض ذراعين أو ذراع ويقيم في البحر تحت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك في زمن الشتاء ويتغوط من فيه في الغالب، ويحصل في فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج إلى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل في فيه فيأكل ما فيه من الدود فيحصل

له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى في جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح،." (١)

"أمثلك يبغي في سمائي كوكبا ... وفي جوك الشمس المنيرة والبدر

ويلتمس الحصباء في ثعب الحصى ... ومن بحرك الفياض يستخرج الدر

عجبت لمن يهوى من الصفر تومة ... وقد سال في أرجاء معدنه التبر

قوله: لقد فغمتني الفغم، بالغين المعجمة يستعمل في ملء الرائحة، أنفا أو مكانا

قال الراجز:

نفحة مسك تفغم المزكوما

ومن المتقدمين من شعراء الأندلس والمغرب:

أبو القاسم محمد بن هانئ

الأندلسي الدار، وإن كان قبيح الغلو، شهير الاستهتار، فربما صدرت عنه درر تلحقه بالشعراء الكبار:

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر ... وأمدكم فلق الصباح المسفر

وجنيتم يمر الوقائع يانعا ... بالنصر من ورق الحديد الأخضر." (٢)

"يجرر ثربه قد قض فيه ... كأن بياضه سب صفيق

يريد أن بطنه شق فخرج ثربه فقض في الراب أي حمل القضض، والسب الخمارأ.

وقال القطامي يصف ضربا وطعنا:

ترى منه صدور الخيل زورا ... كأن بها نحازا أو دكاعا

نحاز مثل السعال، والدكاع الزكام، والنحاز للخيل والدكاع للابل.

فظلت تعبط الأيدي كلوما ... تم عروفها علقا متاعا

تعبط تكلم كلما على صحة لغير علة، والمتاع المسال يقال أتا ع الرجل إتاعة إذا قاء قيئة.

وقال أيضا:

بضرب تهلك الأبطال منه ... وتمتكر اللحى منه امتكارا

المكرة المغرة، أي تخضب اللحى منه بالدم، شبه حمرة الدم بالمغرة. وقال عنترة أو غيره:

فنجا أمام رماحنا وكأنه ... فوت الأسنة حافر الجأب

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٥٣

(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب ابن دحية ص/١٩٢

الجأب المغرة، شبه ما عليه من لطخ الدم برجل يحفر في معدن مغرة. وقال خداش بن زهير:

وطعنة خلس كفرغ الإزا ... ء أفرغ في مثعب الحائر." (١)

"عن أثر البوادي في صحة أجسام العرب وفي تكوين أخلاقهم، مما جعلهم يختلفون بذلك عن بقية الناس.

والعرب وإن عرفوا بالترحل والتنقل؛ بسبب البداوة، إلا أنهم يحنون إلى أوطانهم، ولا ينسون موطنهم القديم، يستوي في ذلك العربي والأعرابي. وهم يرون أن في الغربة كربة، وأن الإنسان إذا صار في غير أهله ناله نصيب من العذل١. "وكانت العرب إذا غزت وسافرت حملت معها من تربة بلدها رملا وعفرا تستنشقه عند نزلة أو زكام أو صداع"٢، "وقيل لأعرابي: كيف تصنع في البادية إذا اشتد القيظ وانتعل كل شيء ظله؟ قال: وهل العيش إلا ذاك، يمشي أحدنا ميلا فيرفض عرقا، ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه، ويجلس في فيئة يكتال الريح، فكأنه في إيوان كسرى"٣.

وجاء أن "الوليد بن عبد الملك" استظرف أعرابيا فاحتبسه عنده وحباه، فمرض فبعث إليه "الوليد" بالأطباء، وعالجوه، ورأى من الخليفة كل رعاية، لكن هواه بقي في وطنه، ولم يطق على هذه المعيشة الراضية الطيبة صبرا، فهلك بعد قليل٤، إلى غير ذلك من قصص وشعر ورد في الحنين إلى الأوطان، وفي تفضيل الوطن على كل منزل آخر، ولو كان آية في الجمال ومثالا من الراحة والاطمئنان.

وهو يعجب من لغة أهل الحضر، ولا سيما حضر ريف العراق وريف بلاد الشام، ومن الأكرة الذين لا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم، فكان يجد نفسه وكأنه في سجن مطبق، يريد الخلاص منه. حدث ذلك حتى في الإسلام، وقد ذكر "أبو عثمان الجاحظ"، أنه رأى أعرابيا، وكان عبدا حبشيا لبني أسيد، وقد صار "ناظورا"، وكأنه أصيب بمس من الجن، فلما رآه، قال له: لعن الله أرضا ليس بها عرب٥.

---

١ رسالة في الحنين إلى الأوطان "٢/ ٣٩٠ وما بعدها".

٢ رسالة في الحنين إلى الأوطان "٢/ ٣٩٢".

٣ المصدر نفسه.

٤ رساله في الحنين إلى الأوطان "٢/ ٣٩٧ وما بعدها".

٥ رسائل الجاحظ "٢/ ٤٠٣ وما بعدها".." (٢)

"من المغامز التي قد يؤاخذونها على الرجل. لا سيما إذا كان الرجل معروفا مشهورا وله حساد.

ومن عاداتهم: تشميت العاطس، لا سيما إذا كان كبيرا ذا جاه. كأن يدعى له بطول العمر. وقد أكده الإسلام. فإذا عطس إنسان قال: الحمد لله؛ فيجيبه الحضار بـ"يرحمك الله". ويحمد العطاس عند العرب، ما لم يكن من زكام ويذم التثاؤب١. وذكر أن كل دعاء بخير فهو تشميت٢.

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢/٩٨٢

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٣٠١/٧

ويقال للشاب إذ سعل: عمرا وشبابا. أما إذاكان الساعل شيخا أو رجلا بغيضا، فيقال لهما: وريا وقحابا. وللحبيب إذا سعل: عمرا وشبابا٣.

وكانت تحيتهم للملك أن يقولوا: أبيت اللعن. وإذا قال أحدهم للآخر: أنعم صباحا، أو أنعم مساء، أو أنعم ظلاما، أجابه صاحبه: نعمت٤.

---

١ إرشاد الساري "٩/ ١٢٥"، "باب مشروعية تشميت العاطس"، تاج العروس "٥/ ١٩٢" "عطس".

٢ تاج العروس "١/ ٥٥٩"، "شمت".

٣ تاج العروس "١/ ٤٢١ وما بعدها".

٤ الحيوان "١/ ٣٢٨"، "هارون".." (١)

"والخلة ما سواه. وكل أرض لم يكن بها حمض، فهي خلة، وإن لم يكن بها من النبات شيء. وخلل الأرض التي لا حمض بها، وربما كانت بها عضاه، وربما لم تكن. ولو أتيت أرضا ليس بها شيء من الشجر وهي جرز من الأرض قلت أنها خلة١.

والحمض ما ملح وأمر من النبات، كالرمث والأثل والطرفاء ونحوها. وذكر أن الحمض من النبات كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له. ومن الحمض النجيل، والخذراف، والاخريط، والقضة، والقلام، والهرم، والحرض، والدغل، وما أشبهها. وذكر أن الحمض كل نبات لا يهيج في الربيع ويبقى على القيظ وفيه ملوحة، إذا أكلته الإبل شربت عليه، وإذا لم تجده رقت وضعفت. وهي كفاكهة الإبل، والخلة ما حلا، وهي كخبزها، تقول العرب: الخلة خبز الإبل، والحمض فاكهتها ويقال لحمها٢.

والرمث، مرعى للإبل، وهو من الحمض، وشجر يشبه الغضى، لا يطول ولكنه ينبسط ورقه، وهو شبيه بالأشنان، وله هدب طوال دقاق، وهو مع ذلك كله كلأ تعيش فيه الإبل والغنم وإن لم يكن معها غيره، وربما خرج فيه عسل أبيض كأنه الجمان، وهو شديد الحلاوة وله حطب وخشب ووقوده حار وينتفع بدخانه من الزكام. ويرتفع دون القامة فيحتطب٣.

والطرفاء جماعة الطرفة، شجر. قيل إنها أربعة أصناف من الأثل، وقيل الطرفاء شجر من العضاه، هدبه مثل هدب الأثل، وليس له خشب، وإنما يخرج عصيا سمحة في السماء، وقد تتحمض به الإبل إذا لم تجد حمضا غيره. وقيل إنه من الحمض٤.

والأثل: شجر، عده بعضهم نوع من الطرفاء، وقال بعض آخر: الأثلة سمرة أو عضاهة طويلة قويمة يعمل منها الأقداح٥.

والنجيل، ضرب من دق الحمض، وقيل هو خير الحمض كله وألينه على السائمة. وذكر أنه إذا أخرج

---

١ تاج العروس "٧/ ٣٠٧"، "خلل".

٢ تاج العروس "٥/ ٢٢"، "حمض".

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٨/٩

٣ تاج العروس "١/ ٦٢٥"، "رمث".

٤ تاج العروس "٦/ ١٧٧"، "طرف".

٥ تاج العروس "٧/ ٢٠٢"، "أثل".." (١)

"والوجع المرض المؤلم١، والعرب تسمي كل مرض وجعا٢، ويعبر عنه بالمقام كذلك٣. وذكر أن "الوعك" الحمى أو ألمها وأذاها ومغثها في البدن، وذكر أن الوعك لا يكون إلا من الحمى دون سائر الأمراض٤.

وقد عالج الأطباء الجروح بوضع الخرق بعضها فوق بعض على الجرح، أي: بتضميده بها، ويقال لذلك: "الغميل". وكانوا إذا أرادوا تعريق المريض، غملوه٥، أي: غطوه بالثياب ليعرق، فيشفى من البرد **والزكام**. والضماد العصابة أوالخرقة تشد فوق الجرح أو الرأس. أو أي موضع من الجسم يشتكى من وجود ألم به، فكانوا يضمدون الرأس للصداع، كما كانوا يضمدون العين، بوضع الدواء في العين، أو على الخرقة ثم تضميد العين بها، ورد أن "طلحة" ضمد عينيه بالصبر، كذلك كانوا يضعون الأدهان على الضماد، لتضميد الجروح، أو الأورام أو موضع الألم٦.

ويذكر علماء اللغة أن "النطاسي"، العالم الشديد النظر في الأمور٧، فهي بمعنى الحاذق. ويقال: طبيب نطيس ونطاسي، وورد: نطس الأطباء. وهي أكثر ما ترد مع الأطباء، للدلالة على الحذق والفهم في هذه الصناعة. وذكر علماء اللغة أن اللفظة من المعربات، عربت من أصل "نسطاس"، وهي من لغة الروم. والنطس الأطباء الحذاق، والعالم بالطب بالرومية٨.

ولعدم وصول كتب أو صحف أو أحجار لها علاقة بالطب عند الجاهليين، اضطررنا إلى أخذ معارفنا في الطب من الموارد الإسلامية، مثل كتب التفسير والحديث والأدب، ففيها إشارات إلى بعض الأمراض، وفي بعضها إشارات إلى معالجة بعض منها. هذا، وتفيدنا الموارد الأعجمية في هذا الباب كثيرا،

---

١ تاج العروس "٥/ ٥٣٣"، "وجع".

٢ إرشاد الساري "٨/ ٣٤٣".

٣ تاج العروس "٨/ ٣٣٦"، "سقم".

٤ إرشاد الساري "٨/ ٣٤٣"، تاج العروس "٧/ ١٩٢"، "وعك".

٥ تاج العروس "٨/ ٥٠"، "غمل".

٦ تاج العروس "٢/ ٤٠٥ وما بعدها"، "ضمد".

٧ بلوغ الأرب "٣/ ٣٣٨".

٨ تاج العروس "٤/ ٢٥٨"، "نسطاس"، "نطس"، "٦/ ٣١٠"." (٢)

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١٠٤/١٣

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٢/١٦

"ومن العلل: اليرقان، والصداع، و"الشقيقة"، وهو وجع يكون في شق الرأس، و"السعال" وجع في الصدر، **والزكام**، والزحير، والحصر وهو انقباض البطن، والأسر وهو احتباس البول والحصى في مجرى البول، والحكة، والحصف، والحمرة، والشرى، والحماق، والقوباء، والثؤلول، والعر وهو الجرب الأبيض، وداء الثعلب ويصيب الشعر، وداء الفيل ويعتري الرجلين، والدوار، والهيفة، وتسمى الفضجة، والنملة، وهي بثور صغار مع ورم يسير ثم تتقرح فتسعى وتتسع، وتسمى أيضا الذباب، والجنون والخدر، والفالج، والحزاز وهي القشرة التي تصيب الرأس، والحدبة، والطرش، والطلق، والجشاء، والباسور، والناسور، والبهق، والكلف، والمغس، والمغص، والاستسقاء، والإغماء، والاختلاج، والبخر، والفواق، والجشاءة، والقلس١.

وعرفت القوباء بأنها الحزازة، وذكر أنه كانت بوجه أبيض بن حمال بن مرثد بن ذي لحيان المأربي السبئي حزازة، توسعت فالتقمت أنفه٢. والقوباء هوالذي يظهر في الجسد ويخرج عليه، يتقشر ويتسع، يزعمون أنه يعالج بالريق. وقالوا:

يا عجبا لهذه الفليقة ... هل تغلبن القوباء بالريقة٣

ودم الملوك، دواء ينفع ويفيد في معالجة من يعضه كلب كلب في نظر الجاهليين. فإذا أصيب إنسان بداء الكلب، فشفاؤه بمعالجته بدم الملوك. وقد عرفه "ابن دريد" بقوله: "والكلب داء يصيب الناس والإبل شبيه بالجنون.

وكانت العرب في الجاهلية إذا أصاب الرجل الكلب، قطروا له دم رجل من بني ماء السماء، وهو عامر بن ثعلبة الأزدي، فيسقى، فكان يشفى منه. قال الشاعر: دماؤهم من الكلب الشفاء"٤.

وكانوا إذا خافوا على المرأة الحامل، ووجدوا أن ولدها ميت في بطنها،

---

١ بلوغ الأرب "٣/ ٣٣٩ وما بعدها".

٢ الإصابة "١/ ١٧".

٣ تاج العروس "١/ ٤٤١"، "قوب".

٤ الاشتقاق "ص١٤"." (١)

"١ - (هل ما علمت وما استودعت مكتوم ... أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم)

٢ - (أم هل كبير بكى لم يقض عبرته ... إثر الأحبة يوم البين مشكوم)

٣ - (لم أدر بالبين حتى أزمعوا ظعنا ... كل الجمال قبيل الصبح مزموم)

٤ - (رد الإماء جمال الحي فاحتملوا ... فكلها بالتزيديات معكوم)

٥ - (عقلا ورقما تظل الطير تخطفه ... كأنه من دم الأجواف مدموم)

٦ - (يحملن أترجة نضخ العبير بها ... كأن تطيابها في الأنف مشموم)

٧ - (كأن فأرة مسك في مفارقها ... للباسط المتعاطي وهو **مزكوم**)." (٢)

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٤٢/١٦

(٢) المفضليات المفضل الضبي ص/٣٩٧

"أرى بدني يذوب ولا يتوب ... وتبليه الحوادث والخطوب

وليس لما جنت أيدي الليالي ... ولا لجراحها أبدا طبيب

وقال منصور بن باذان:

لو كنت أحسن أن أقولا ... لشفيت من نفسي عليلا

لكن لساني صارم ... ملئت مضاربه فلولا

وقال عبد الله بن طاهر:

وإن ذا السن يلقى حتفه أبدا ... ممثلا بين عينيه من الوجل

وذو الشباب له شأو يماطله ... فلا يزال بعيد الهم والأمل

وقال يزيد بن محمد المهلبي:

عليك ذوي الأقدار فاكسب ثناءهم ... فعرفك في غير المحقين ضائع

وما مال من أعطى الكرام بناقص ... ولكنه عند الكرام ودائع

وقال أبو الفتح البستي:

لا يغرنك أنني لين اللم ... س فغربي إذا انتضيت حسام

أنا كالورد فيه راحة قوم ... ثم فيه لآخرين زكام

وقال أيضا:

وإني لأختص الرجال ... وإن كان فدما ثقيلا عباما

فإن الجبن على أنه ... ثقيل وخيم يشهي الطعاما

وقال أيضا:

وقد يفسد المرء بعد الصلاح ... فساد الأماكن والشر يعدي." (١)

"يونس الكديمي، ثنا بشر بن حجر، ثنا فضيل بن عياض، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد إلا وفي رأسه عرق من الجذام تنعر، فإذا هاج سلط الله عليه الزكام، فلا تداووا له»

شيخ آخر: هو السيد أبو نصر أحمد بن محمد بن أبي محمد بن عبد الرحمن الحسيني الجيلاني، من أهل نسف، سكن بخارى.

علوي فاضل، فقيه عالم، حسن السيرة، متواضع مع شرفه، ذو سمت ووقار، انتقل عن بلده إلى بخارى في وقعة الغز بها. سمع أبا بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أبي النضر البلدي.

---

(١) المنتحل الثعالبي، أبو منصور ص/١١٢

نقلت سماعه في كتاب أخبار مكة لأبي الوليد الأزرقي المكي.

وفي مجلد من كتاب الصحيح لأبي حفص عمر بن محمد البجيري.." (١)

"ثم دخلت سنة أربعين ومائتين

فمن الحوادث فيها:

أنه أخذ أهل الذمة بتعليم أولادهم السريانية [١] والعبرانية، ومنعوا من العربية، ونادى المنادي بذلك، فأسلم منهم خلق كثير [٢] .

[سمع أهل خلاط صيحة من السماء]

وفي هذه السنة [٣] : سمع أهل خلاط صيحة من السماء، فمات خلق كثير، وكانت ثلاثة أيام، وخسف بثلاث عشرة قرية من قرى إفريقية.

وخرجت ريح من بلاد الترك، فمرت بمرو فقتلت بشرا كثيرا **بالزكام**، ثم صارت إلى نيسابور، وإلى الري، ثم إلى همذان وحلوان، ثم صارت إلى العراق فأصاب أهل سامراء ومدينة السلام حمى وسعال **وزكام** وأشار المتطببون بالحجامة.

وقال محمد بن حبيب الهاشمي: كتب تجار المغرب أن ثلاث عشرة قرية من قرى القيروان خسف بها [٤] ، فلم ينج من أهلها [٥] / إلا اثنان وأربعون رجلا سود الوجوه، ١١٣/ ب فأتوا القيروان فأخرجهم أهلها، وقالوا: أنتم مسخوط عليكم. فبنى لهم العامل حظيرة خارج [باب] [٦] المدينة فنزلوها.

[وقوع الجراد على بريد من البصرة]

وفي ذي القعدة: وقع الجراد على بريد من البصرة [٧] ، فخرج الناس في طلبه فأصابهم من الليل [٨] ظلمة ومطر وريح، فمات منهم ألف وثلاثمائة إنسان، ما بين رجل وامرأة وصبي [٩] .

---

[١] «السريانية» ساقطة من ت.

[٢] انظر: شذرات الذهب ٢/ ٩٢.

[٣] في ت: «وفيها» .

[٤] في ت: «بأهلها» .

[٥] في ت: «فلم ينج منهم» .

[٦] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[٧] في ت: «وقع الجراد بالبصرة» .

---

(١) المنتخب من معجم شيوخ السمعاني السمعاني، عبد الكريم ص/٢٩٨

[٨] «من الليل» ساقطة من ت.

[٩] «وصبي» ساقطة من ت.." (١)

"خبزا فمات في مكانه ومات آخر في باب البصرة وامرأة في تلك الساعة ودخل رجل من السواد إلى مسجد العتابيين [١] [يومئذ] [٢] وترك حماره على الباب فمات الرجل ودخل بعض الحاج إلى بغداد يوم الأربعاء عاشر صفر ثم تتابعوا فدخل الأكثرون يوم الأحد ولم تجر لهم عادة بهذا التأخر وأخبروا بأشياء لقوها في دخول مكة قد ذكرنا بعضها في حوادث السنة.

ونقصت دجلة في أول آب وهو أول صفر نقصانا ما رأينا مثله وخرجت جزائر كثيرة فيها ما عهدنا مثلها وكانت السفينة تجنح في وسط دجلة فينزلون فيحركونها. وفي أواخر آب هب ريح [٣] شديد البرد ليالي فنزل الناس من السطوح [٤] ثم عاد الحر فصعدوا فأصاب الناس زكام شديد عم ذلك الخلق.

وفي [أول] [٥] / ربيع الأول: خرج العسكر لقتال بنى خفاجة. ١١١/ ب وفي يوم الاثنين سابع ربيع الأول: خرج أمير المؤمنين عند استواء طلوع الشمس إلى الكشك ثم عاد بعد الظهر إلى قصره] . [٦] وظهرت حمرة شديدة في السماء من المشرق من وقت طلوع الفجر إلى حين استواء الشمس ثم كانت تظهر عند غيبة الشمس من المغرب كذلك كأنها الشفق إلا أنها أشد حمرة لم نر مثلها كأنها الدم وكانت تتصاعد ويبقى تحتها من الغيم المضيء فتضيء له الأماكن [كأنه ضوء الشمس] [٧] وبقيت مدة ثم انقطعت ثم عادت تقل وتكثر أشهرا.

وفي ربيع الآخر: أخرج المجذمون من بغداد ونفوا إلى تحت البلد.

---

[١] في الأصل: «العباسيين» .

[٢] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٣] في ص: «هواء شديد» .

[٤] في الأصل: «الأسطحة» .

[٥] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٦] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٧] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.." (٢)

"أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أخبرنا أبو علي التميمي، قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال:

حدثني سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال:

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٧٠/١١

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٢٧/١٨

كان أيوب ربما حدث بالحديث فيرق فيلتفت فيمتخط ويقول: ما أشد **الزكام**.

أخبرنا إسماعيل بن أبي بكر، قال: أخبرنا طاهر بن أحمد، قال: أخبرنا علي بن محمد بن بشران، قال: حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق، قال: حدثنا الحسن بن عمر، قال: سمعت بشر بن الحارث يقول:

دخل بديل على أيوب السختياني وقد مد على فراشه سبنية حمراء يدفع الرياء، فقال له بديل: ما هذا؟ فقال أيوب: هذا خير من هذا الصوف الذي عليك.

أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا الفضل بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم الأصفهاني، قال: حدثنا عثمان بن محمد العثماني، قال: حدثنا خالد بن النضر القرشي، قال: حدثنا محمد بن موسى الجرشي، قال: حدثنا النضر بن كثير السعدي، قال: حدثنا عبد الواحد بن زيد، قال:

كنت مع أيوب على حراء فعطشت عطشا شديدا حتى رأى ذلك في وجهي، فقال: ما الذي أرى بك؟ قلت: العطش قد خفت على نفسي، قال: تستر علي؟ قلت:

نعم، فاستحلفني فحلفت له ألا أخبر أحدا عنه ما دام حيا، قال: فغمز برجله على حراء فنبع الماء حتى رويت وحملت معي من الماء قال: فما حدثت به حتى مات.

قال عبد الواحد: فأتيت موسى الأسواري فذكرت ذلك له فقال: ما بهذه البلدة أفضل من الحسن وأيوب. توفي في هذه السنة وهو ابن ثلاث وستين.

٧٠٩- إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس [١] :

أمه أم ولد، وهو الذي يقال له الإمام، أوصى إليه أبوه، وانتشرت دعوته في خراسان كلها.

وكان شيعته يختلفون إليه، ويكاتبونه من خراسان. ووجه بأبي مسلم إلى خراسان

---

[١] تاريخ الطبري ٧/ ٤٣٥.." (١)

"روى عنه الثوري، وكان يثني عليه، ويجلس بين يديه ينظر إليه لا يكاد يصرف بصره عنه، يتأدب برويته. وكان ثقة صالحا يقال: إنه من الأبدال.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا حمزة بن محمد بن طاهر الوراق قال: حدثنا الوليد بن بكر الأندلسي قال: حدثنا علي بن أحمد بن زكريا الهاشمي قال: حدثنا أبو مسلم صالح بن أحمد بن عبد الله العجلي قال: حدثنا أبي، عن أبيه عبد الله قال: جاءت امرأة إلى عمرو بن قيس بثوب فقالت: يا أبا عبد الله، اشتر هذا الثوب، واعلم أن غزله ضعيف. قال: فكان إذا جاءه إنسان فعرضه عليه قال: إن صاحبته أخبرتني أنه كان في غزله ضعف. / حتى جاءه رجل ٤٨/ أفاشتراه، وقال: قد أبرأناك منه [١] .

أخبرنا محمد بن ناصر قال: أخبرنا ثابت بن بندار قال: أخبرنا أبو بكر البرقاني قال: سمعت عبد الله بن إبراهيم الأنبذوني

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٨٩/٧

يقول: أخبرنا أحمد بن عامر الدمشقي قال:

أخبرنا أحمد بن أبي الحواري قال: حدثنا إسحاق بن خلف قال: أقام عمرو بن قيس عشرين سنة صائما ما يعلم به أهله، يأخذ غداه ويغدو إلى الحانوت، فيتصدق بغدائه ويصوم وأهله لا يدرون. قال: وكان إذا حضرته الرقة يحول وجهه إلى الحائط ويقول:

هذا الزكام. وإذا نظر إلى أهل السوق قال: ما أغفل هؤلاء عما أعد لهم.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا علي بن محمد المعدل قال: أخبرنا الحسين بن صفوان قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا حفص بن غياث قال: حدثنا أبي قال: لما احتضر عمرو بن قيس الملائي بكى. فقال أصحابه: علام تبكي من الدنيا؟ فو الله لقد كنت منغص العيش أيام حياتك. فقال: والله ما أبكي على الدنيا، إنما أبكي خوفا أن أحرم خير الآخرة [٢] .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا أحمد بن أحمد الحداد قال: أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ قال: حدثنا عبد الله بن جعفر قال: حدثنا علي بن أبي علي قال: حدثنا جعفر بن كزال قال: حدثني محمد بن بشير قال: حدثنا المحاربي قال: قال لي سفيان: عمرو بن قيس هو الذي أدبني، علمني قراءة القرآن، وعلمني

---

[١] انظر الخبر في: تاريخ بغداد ١٢/ ١٦٤، ١٦٥.

[٢] انظر الخبر في: تاريخ بغداد ١٢/ ١٦٥.." (١)

"فجعلها في ريش ظليم، فلما أتوا الكاهن قالوا: ما خبأنا لك؟ فقال:/ إما [١] غمامة تتبعها غمامة، فبرقت بأرض تهامة، فطفا من وبلها كل طلح [٢] وثمامة [٣] ، لقد خبأتم لي فرخ حمامة، أو أختها يمامة، في زف [٤] نعامة، مع غلامكم أسامة. قالوا: احكم، فقال: أما ورب الواطدات [٥] الشم، والجرول [٦] السود بهن الصم، وما جرت جارية [٧] في يم أن أسيدا لهو الخضم [٨] ، لا تنكروا الفضل له في العم [٩] .

أما ورب السماء والأرض والماء وما لاح لنا [١٠] من حراء [١١] ، لقد سبق أسيد أبا ربيعة بغير مراء، قالوا: أقصي أفضل أم مخزوم؟ قال: أما ورب العاديات [١٢] الضبج [١٣] ، ما يعدل الحر بعبد نحنح [١٤] ، بمن أحل قومه بالأبطح. فنحر أسيد الجزر ورجع فأخذ مال أبي ربيعة، وكانت أخت أسيد عند [١] أبي جهل فكلمت أخاها حتى رد على أبي ربيعة ماله.

---

[١] زاد بعده في الأصل: و (مدير) .

[٢] الطلح كقتل: شجر من شجر العضاه، الواحدة الطلحة.

[٣] الثمام كزكام: نبت ضعيف لا يطول، واحدته الثمامة.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٨/ ٩٩

[٤] الزف بكسر الزاي: الصغير من الريش.

[٥] الواطدات: الثابتات- يعني الجبال.

[٦] الجرول كجدول: الأرض ذات الحجارة، جمعه الجراول.

[٧] الجارية: السفينة.

[٨] الخضم بكسر الخاء وفتح الضاد المعجمة وتضعيف الميم: السيد والبحر العظيم.

[٩] العم: الجماعة الكثيرة.

[١٠] في الأصل: طر.

[١١] حراء بكسر الحاء والألف الممدودة وربما يقصر ألفه: جبل من جبال مكة على ثلاثة

[١٢] أميال- معجم البلدان ٣/ ٢٣٩.

العاديات: الخيل المغيرة.

[١٣] الضبح كقتل بالضاد المعجمة والحاء المهملة في الآخر: جمع الضابح وهو الفرس الذي يخرج عند عدوه صوتا من فوهه ليس بصهيل ولا حمحمة.

[١٤] في الأصل: مفسح- بالميم ثم الفاء ثم السين. والنحنح كجعفر: البخيل، جمعه النحانحة.." (١)

"أيوب عليه، ورحل إلى مصر وقد فسد ما بينه وبين الأشرف وغيره، وأخذ ملك الروم الرها وحران بالسيف، فتجهز الكامل وخرج بعساكره من القاهرة في سنة ثلاث وثلاثين وسار إلى الرها ونازلها حتى أخذها وهدم قلعتها، وأخذ حران بعد قتال شديد، وبعث بمن كان فيها من الروم إلى القاهرة في القيود وكانوا زيادة على ثلاثة آلاف نفس، ثم خرج إلى دنيسر وعاد إلى دمشق وسار منها إلى القاهرة فدخلها في سنة أربع وثلاثين، ثم خرج في سنة خمس وثلاثين ونزل على دمشق وقد امتنعت عليه، فضايقها حتى أخذها من أخيه الملك الصالح إسماعيل، وعوضه عنها بعلبك وبصرى وغيرهما في تاسع عشر جمادى الأولى، ونزل بالقلعة وأخذ يتجهز لأخذ حلب، وقد نزل به زكام فدخل في ابتدائه الحمام فاندفعت المواد إلى معدته فتورم وثارت فيه حمى، فنهاه الأطباء عن القيء وحذروه منه فلم يصبر وتقيأ فمات لوقته في آخر نهار الأربعاء حادي عشري رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة، عن ستين سنة منها ملكه أرض مصر نحو أربعين سنة، استبد فيها بعد موت أبيه مدة عشرين سنة وخمسة وأربعين يوما.

وكان يحب العلم وأهله ويؤثر مجالستهم، وشغف بسماع الحديث النبوي، وحدث وبنى دار الحديث الكاملية بالقاهرة، وكان يناظر العلماء ويمتحنهم بمسائل غريبة من فقه ونحو، فمن أجاب عنها حظي عنده، وكان يبيت عنده بقلعة الجبل عدة من أهل العلم على أسرة بجانب سريره ليسامروه، وكان للعلم والأدب عنده نفاق، فقصده الناس لذلك، وصار يطلق الأرزاق الدارة لمن يقصده لهذا، وكان مهابا حازما سديد الرأي حسن التدبير عفيفا عن الدماء، وكان يباشر أمور مملكته بنفسه من غير اعتماد على وزير ولا غيره، ولم يستوزر بعد الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر أحدا، وإنما كان ينتدب

(١) المنمق في أخبار قريش محمد بن حبيب البغدادي ص/١٠٧

من يختاره لتدبير الأشغال ويحضر عنده الدواوين ويحاسبهم بنفسه، وإذا ابتدأت زيادة النيل خرج وكشف الجسور ورتب الأمراء لعملها، فإذا انتهى عمل الجسور خرج ثانيا وتفقدها بنفسه، فإن وقف فيها على خلل عاقب متوليها أشد العقوبة، فعمرت أرض مصر في أيامه عمارة جيدة، وكان يخرج من زكوات الأموال التي تجبى من الناس سهمي الفقراء والمساكين، ويعين مصرف ذلك لمستحقيه شرعا، ويفرز منه معاليم الفقهاء والصلحاء، وكان يجلس كل ليلة جمعة مجلسا لأهل العلم فيجتمعون عنده للمناظرة، وكان كثير السياسة حسن المداراة، وأقام على كل طريق خفراء لحفظ المسافرين، إلا أنه كان مغرما بجمع المال مجتهدا في تحصيله، وأحدث في البلاد حوادث سماها الحقوق لم تعرف قبله، ومن شعره قوله رحمه الله تعالى:

إذا تحققتم ما عند صاحبكم ... من الغرام فذاك القدر يكفيه

أنتم سكنتم فؤادي وهو منزلكم ... وصاحب البيت أدرى بالذي فيه

وقال له الطبيب علم الدين أبو النصر جرجس بن أبي حليقة في اليوم الذي مات فيه." (١)

"مالك «٤٣» . ثم قال: كيف علمك بالشعر؟ قلت: رويت. فأنشدني قصيدته «٤٤» :

صرمت حبالك زينب ورعوم

فلما انتهى إلى قوله:

حتى إذا أخذ الزجاج أكفنا ... نفحت فأدرك ريحها المزكوم

قال. ألست تزعم أنك تبصر الشعر؟ قلت: بلى. قال: فكيف لم تشق بطنك فضلا عن ثوبك عند هذا البيت؟ قلت: قد فعلت عند البيت الذى سرقت هذا منه. قال:

وما هو؟ قلت: بيت الأعشى «٤٥» :

من خمر عانة قد أتى لختامها ... حول تفض غمامة المزكوم «٤٦»

فقال: أنت تبصر الشعر.

فلما صرت إلى سليمان سمرت معه بهذا أول بدأتى.

أخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا الأشناندانى، قال: أخبرنا التوزى: قال: اختصم رجلان أحدهما من بنى قيس بن ثعلبة، والآخر من بنى تغلب إلى رجل من النمر بن قاسط فى قول الأعشى:

من خمر عانة قد أتى لختامها

... البيت.

وقول الأخطل «٤٧» .

وإذا تعاورت الأكف زجاجها ... نفحت فنال «٤٨» رياحها المزكوم." (٢)

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤/٢٢٣

(٢) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/١٨٤

"فقال النمرى: والله ما سوى بينهما، إنما جعلها الأخطل ينال المزكوم رياحها وجعلها الآخر تستل زكامه.

حدثني محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق، قال: حدثنا مالك بن غسان بن مسمع المسمعى، قال: حدثنا حسان بن أدهم المازنى- وكان علامة؛ وأخبرنى الصولى، قال: حدثنا أبو ذكوان، قال: حدثنا الهيثم بن عدى، قالا: دخل الشعبي على الأخطل فوجده ثملا من النبيذ وحوله لخالخ «٤٩» ورياحين، فقال له: يا شعبي؛ فعل الأخطل بأمهات الشعراء، ترفث. فقال له الشعبي: بم ذاك يا أبا مالك؟ قال: بقولى «٥٠» :

وتظل تنصفنا «٥١» بها قروية ... إبريقها برقاعه ملثوم

فإذا تعاورت الأكف زجاجها ... نفحت فنال «٥٢» رياحها المزكوم

فقال له الشعبي: فأشعر منك الذى يقول «٥٣» :

وأدكن عاتق جحل سبحل «٥٤» ... صبحت براحه شربا كراما

من اللائى «٥٥» حملن على الروايا «٥٦» ... كريح المسك تستل الزكاما

فقال له الأخطل: من يقول هذا يا شعبي؟ قال: الأعشى. فقال: قدوس قدوس، فعل الأعشى بأمهات الشعراء.

حدثنى إبراهيم بن محمد العطار، عن الحسن بن عليل العنزى، قال: حدثنا إسماعيل بن أبي محمد، قال: أخبرنى أبي- يعنى أبا محمد اليزيدى- قال: تذاكر." (١)

"٢- فهرس الشعراء وقوافيهم [١]

(ا)

أحمد بن روح دوابه ٣٥٩، بانتسابه ٣٦٠

أحمد بن أبي طاهر دنبه ٤٣٤، ذكرى ٤٣٤

أحمد بن على المادرائى لبابه ٤٣٣

أحمد بن أبي فنن تتقصف ٤٣١، مهفهف ٤٣٠

أحمد بن المدبر شكريه ٤٣٢

أحمد بن المعذل متخافيا ٤٢٧

أحمد بن يوسف الكاتب قائله ٤٥٧ حيان ٤٦٣

أخو أحمد بن يوسف الكاتب ويواصله ٤٥٦

ابن أحمر وارعد ٢٥٣، الحجر ١٠٠، البصر ١٠٠، والكبرا ١١٥، والسكر ١٠٠، الشجر ١٠٠

الأحوص قرت ٢٤٣، متلدا ٢٤٤، الغادى ٣٧٤ يشير ٢١٤، لفقير ٢١٤، تبعا ٢١٢ حلقا ٢١٠، ٢١٢، الفراق ٢٩٤ لا أبالى ٢١٤

الأخطل عضب ١٩٦، حدب ١٩٥، البعيد ١٧٧، ١٧٩،

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/١٨٥

---

[١] أهملنا هنا أنصاف الأبيات فيرجع إليها فى فهرسها الخاص.." (١)

"صلاصل/ ذو الرمة/ ٢٤٠

الأظل/ عروة بن أذينة/ ٢٧٢

النبل/ المتوكل بن عبد الله الليثى/ ٢٩١

وائل/ مصقلة بن هبيرة/ ٢٩٨

إسرال/ أمية بن أبي الصلت/ ٢٩٨

والأكبال/ أمية بن أبي الصلت/ ٢٩٨

يزليل/ أبو نواس/ ٣٣٢

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/٤٨٨

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/٥١٤

سالم/ ذو الرمة/ ٢٢١

(ن)

متقن/ السيد الحميرى/ ٣

حزين/-/ ١٨

ضننوا/ قعنب ابن أم صاحب/ ١٢٥

دين/ كثير/ ١٩٨

رهون/ كثير/ ١٩٨

وجناجن/ كثير/ ٢٠١

تلين/ كثير/ ٢٠٥

وعيون/ الشاعر/ ٢٠٦

حزين/ كثير/ ٢٠٦، ٢١٢

خدين/ أبو نواس/ ٣٣٥

الأضغان/ أبو نواس/ ٣٣٨، ٣٩٨

الميمون/ أبو نواس/ ٣٤١

يمين/ أبو نواس/ ٣٥١

شيبان/ ابن الرومى/ ٣٥٢

وأغصان/ ابن الرومى/ ٣٥٣

التنين/ ابن الرومى/ ٣٨٣، ٤٠٤

ورمان/ ابن الرومى/ ٤٤٢

دجونها/ المرار/ ٢٩٥

وعلانها/ على بن الجهم/ ٤٢٨

(ن)

لينا/ ابن مقبل/ ٤

يرتقينا/ عمرو بن الأيهم التغلبى/ ٦

الأريمين/ سحيم بن وثيل/ ١٥، ٣٥١." (١)

"طستا حتى يتقيأ فيه فأحضرته، وكان الملك الناصر داود على الباب، جاء ليعود عمه الكامل؛ فقلت: داود على الباب، فقال: ينتظر موتى! فانزعج، فخرجت وقلت: ما ذاك وقتك السلطان منزعج، فنزل إلى داره؛ ودخلت إلى السلطان

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/٥١٦

فوجدته قد قضى والطست بين يديه وهو مكبوب على المخدة.

وقال ابن واصل: حكى لى طبيبه قال: أصابه لما دخل قلعة دمشق زكام، فدخل الحمام وصب على رأسه ماء شديد الحرارة، اتباعا لقول محمد «١» بن زكريا الرازى فى كتاب سماه «طب ساعة «٢» » ؛ قال فيه: من أصابه زكام يصب على رأسه ماء شديد الحرارة انحل زكامه لوقته، وهو لا ينبغى أن يعمل على إطلاقه؛ قال الطبيب: فانصب من «٣» دماغه إلى فم معدته فتورمت، وعرضت له حمى شديدة، وأراد القيء فنهاه الأطباء، وقالوا: إن تقيأ هلك، فخالفهم وتقيأ فهلك لوقته.

قال ابن واصل: وحكى لى الحكم رضى الدين قال: عرضت له خوانيق، وتقيأ دما كثيرا ومدة؛ فأراد القيء أيضا فنهاه موفق الدين إبراهيم، وأشار عليه بعض الأطباء بالقيء فتقيأ، فانصبت بقية المادة إلى قصبة الرئة وسدتها فمات.

وقال ابن واصل: وكان ملكا جليلا حازما، سديد الآراء حسن التدبير لممالكه عفيفا حليما؛ عمرت فى أيامه الديار المصرية عمارة كبيرة، وكان عنده مسائل غريبة من الفقه والنحو يوردها، فمن أجابه حظى عنده.." (١)

"رتبة الشرف، لا تنال بالترف «١» ؛ والسعادة أمر لا يدرك، إلا بعيش يفرك «٢» ، وطيب يترك؛ ونوم يطرد، وصوم يسرد «٣» ؛ وسرور عازب «٤» ، وهم لازب «٥» ؛ ومن عشق المعالى ألف الغم، ومن طلب اللآلئ ركب اليم؛ ومن قنص الحيتان «٦» ورد النهر، ومن خطب الحصان «٧» نقد المهر؛ كلا أين أنت من المعالى! إن السحوق «٨» جبار وأنت قاعد، والفيلق جرار «٩» وأنت واحد؛ العقل يناديك وأنت أصلخ «١٠» ، ويدنيك ويحول بينكما البرزخ؛ لقد أزف الرحيل فاستنفد جهدك، وأكثب «١١» الصيد فضمر فهدك؛ فالحذر يترصد الانتهاز، والحازم يهيىء أسباب الجهاز؛ تجرع مرارة النوائب فى أيام معدوده، لحلاوة معهودة غير محدوده؛ وإنما هى محنة بائده، تتلوها فائده؛ وكربة نافده، بعدها نعمة خالده، [وغنيمة «١٢» بارده] ؛ فلا تكرهن صبرا أو صابا «١٣» ، يغسل عنك أو صابا «١٤» ؛ ولا تشربن وردا يعقبك سقاما، ولا تشمن وردا يورثك زكاما؛ [ما ألين «١٥» الريحان لولا وخز البهمى «١٦» ، وما أطيب الماذى لولا حمة «١٧» الحمى] ! فلا تهولنك مرارات ذاقها عصبه، إنما يريد الله ليهديهم بها؛ ولا تروقنك حلاوات نالها فرقه، إنما يريد الله ليعذبهم بها. انتهى.." (٢)

"إنها الموضوع الأساسي في "كنت أفكر في ديزي "، وهو اعتبار النقص في رجال الفن، شيئا لا ينفصل عن فنهم. ومما لا شك فيه أنها تبدو جلية في كتاباته النقدية، منذ أصدر " قلعة أكسل "، حيث بين أن موسيقى جويس اللفظية الرائعة هي التعويض الموازي لكلال بصره، وإن قصة بروست نتيجة لآلامه الجسمية والنفسية (ومع أن " جرح " بروست الرئيسي هو الشذوذ الجنسي، فقد تجاهله ولسن براعة) . أما كتاب " إلى محطة فنلندة " فإنه الأكثر مسخ مضحك للمبدأ الماركسي، وكثيرا ما كانت الماركسية في نظره، نتيجة لما مني به ماركس من أرق وبثور وزكام وروماتزم ووجع في الأضراس وصداع وتضخم في الكبد، وإمساك، دع ذكر الزهري عند لاسال والعنة عند باكونين. (وقد كتب ماركس ذات مرة لانجلز يقول: أرجو أن يجد البرجوازيون، ما داموا في قيد الحياة، سببا يذكرهم بما أنا مصاب به من البثور. وها هو برجوازي واحد

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٣٧/٦

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٧٠/٨

على الأقل لم ينس ذلك أبدا) .

٣

– وتعتبر كتابات ولسن اتباعية، بينما نجد معظم النقد المعاصر على غير ذلك. ولعل التفسير أو " الترجمة "كانت الوظيفة الرئيسية للنقد منذ القدم، بعد " التقييم ". وقد أقر الإغريق علم التأويل، وأطلقوا عليه اسم Hermeneutics، وكان شرح المتون هو التطبيق العملي له. وقد تمرس انكساغوراس، قبل أرسطو طاليس بأكثر من قرن، بنقد تفسيري، بل رمزي، يشبه نقد ولسن إلى حد كبير، وذلك حين حلل خيال هوميرس وفسر سهام أبولو بأنها رمز لأشعة الشمس ونسيج بنيلوب على أنه خطوات القياس المنطقي. ويسرد لنا سينتسبري (١) قائمة بأسماء الإغريق

---

(١) ذكر سينتسبري ذلك في كتابه:

A History of Criticism and Literaty Tast in Europe (Vol. ١p. ١١ff.) .." (١)

"مطلعها " ان تبديد الروح في حماة العار " فاخذ إمبسون تلك القطعة كما يأخذ الحاوي قبعته، واستخرج منها حشدا لا يحصى عدده من الأرانب الحية، وحين انتهى من ذلك قال: " إنك تستطيع ان تصنع الشيء نفسه بأي شعر، أليس كذلك؟ ". وكان هذا مبعوث العناية الإلهية لأستاذ مشرف على الدراسات، فقلت له " خير لك ان تقوم بذلك أنت. الكاتبة على الورق. وهل أحاسب لو استمر في ذلك؟ أبدا وفي الأسبوع التالي مثل أمامي يتأبط إضبارة سميكة من الورق المطبوع على الآلة الكاتبة بخط لا يكاد يقرأ – أي ٣٠ ألف كلمة أو نحوها من الكتاب، وهي لب موضوعه. لست أذكر أي نقد أدبي آخر كتب من يومئذ، وكان ذا أثر نافذ متميز كهذا النقد. عن قرأت منه كثيرا على دفعة واحدة ظننت انك شرعت تلتقط زكاما حادا فاقرأ قليلا بعناية، وقد تتغير عادتك في القراءة – إلى احسن، فيما اعتقده.

أما بقية تعليقة رتشاردز فتتحدث عن شعر إمبسون، وتحده بأنه: " حديث حافل، مصبوب بأعجوبة في أكثر القوالب الشكلية ثباتا " و " ميتافيزيقي في جذوره " ويقر بان ذلك الشعر في بعض الفترات " انماث في الاستعارات الواهمة المحشودة المرصوفة حتى اصبح لغزا ". أما اليوم فأنه فيما يقول " عاد – كما يبدو مرة أخرى إلى أول الشوط ليبدأ سيره على الجادة ". ويقدم لنا رتشاردز، كي يقرر لدينا التنبه إلى المعنى الباطني العميق في شعر إمبسون، خبرا آخر بالغ القيمه ذلك هو تذكره قولة إمبسون " ان في " أليس " أشياء تلقي الرعب في روع فرويد "، والشيء الغريب ان تشاردز فيما يبدو يهتم بشعر إمبسون." (٢)

"كهيئة الزكام، ففزعنا، فأتينا ابن مسعود قال: وكان متكئا فغضب فجلس وقال: يا أيها الناس: من علم شيئا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ [ص:٨٦] .

---

(١) النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ستانلي هايمن ٥٥/١

(٢) النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ستانلي هايمن ٩٤/٢

إن قريشا أبطأوا عن الإسلام، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، وحتى كان الرجل يرى بينه وبين الأرض الدخان، فجاءه أبو سفيان فقال: يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم، وقومك قد هلكوا، فادع الله فقرأ هذه الآية:

﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ [الدخان: ١٠] .

أفنكشف عنكم عذاب الآخرة إذا جاء؟ لقد كشف عنهم عذاب الدنيا ثم عادوا إلى كفرهم فذلك قوله:

﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ .

فذلك يوم بدر، فسوف يكون لزاما:

﴿الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ [الروم: ١] .

قد مضى، فقد مضت الأربع، وقد أخرجه البخاري أيضا، ومسلم، من حديث الأعمش، ومنصور به نحوه، وفي رواية فقد مضى القمر." (١)

"أطيب من ريح المسك يوم القيامة.

لم يكن التركيب فاسدا، كأنه قال يمسون وهذا لهم يوم القيامة.

وأما قوله لخلوف فم الصائم حين يخلف فهذا الظرف تحقيق للمبتدأ أو تأكيد له وبيان إرادة الحقيقة المفهومة منه لا مجازة ولا استعارته، وهذا كما تقول: جهاد المؤمن حين يجاهد وصلاته حين يصلي يجزيه الله تعالى بها يوم القيامة ويرفع بها درجته يوم القيامة، وهذا قريب من قوله صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» وليس المراد تقييد نفي الإيمان المطلق عنه حالة مباشرة تلك الأفعال فقط بحيث إذا كملت مباشرته وانقطع فعله عاد إليه الإيمان، بل هذا النفي مستمر إلى حين التوبة، وإلا فما دام مصرا وإن لم يباشر الفعل فالنفي لاحق به ولا يزول عنه اسم الذنب والأحكام المترتبة على المباشرة إلا بالتوبة النصوح والله سبحانه وتعالى أعلم.

وفصل النزاع في المسألة أن يقال: حيث أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن ذلك الطيب يكون يوم القيامة فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر، فيظهر للخلق طيب ذلك الخلوف على المسك، كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم في سبيله كرائحة المسك، وكما تظهر فيه السرائر وتبدو على الوجوه وتصير علانية ويظهر فيه قبح رائحة الكفار وسواد وجوههم، وحيث أخبر بأن ذلك حين يخلف وحين يمسون فلأنه وقت ظهور أثر العبادة، ويكون حينئذ طيبها على ريح المسك عند الله تعالى وعند ملائكته، وإن كانت تلك الرائحة كريهة للعباد فرب مكروه عند الناس محبوب عند الله تعالى، وبالعكس، فإن الناس يكرهونه لمنافرته طباعهم، والله تعالى يستطيبه ويحبه لموافقته أمره ورضاه ومحبته فيكون عنده أطيب من ريح المسك عندنا، فإذا كان يوم القيامة ظهر هذا الطيب للعباد وصار علانية، وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشر.

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم ابن كثير ٢٢٥/١

وإنما يكمل ظهورها ويصير علانية في الآخرة، وقد يقوى العمل ويتزايد حتى يستلزم ظهور بعض أثره على العبد في الدنيا في الخير والشر كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة.

قال ابن عباس: أن للحسنة ضياء في الوجه ونورا في القلب وقوة في البدن وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق.

وإن للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القلب ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق، وقال عثمان بن عفان: ما عمل رجل عملا إلا ألبسه الله رداءه، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

وهذا أمر معلوم يشترك فيه وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم، حتى إن الرجل الطيب البر لتشم منه رائحة طيبة وإن لم يمس طيبا، فيظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه.

والفاجر بالعكس.

والمزكوم الذي أصابه." (١)

"الهوى لا يشم لا هذا ولا هذا، بل **زكامه** يحمله على الإنكار.

فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

(الصدقة وآثارها)

(فصل) وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك مثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده منه هذا أيضا من الكلام الذي برهانه وجوده، ودليله ووقوعه، فإن للصدقة تأثيرا عجيبا في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو من ظالم بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به لأنهم جربوه. وقد روى الترمذي في جامعه من حديث أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الصدقة تطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء» وكما أنها تطفئ غضب الرب تبارك وتعالى فهي تطفئ الذنوب والخطايا كما تطفئ الماء النار. وفي الترمذي عن معاذ بن جبل قال: «كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقال ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين، ثم تلا ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون﴾ » وفي بعض الآثار: باكروا بالصدقة، فإن البلاء لا يتخطى الصدقة وفي تمثيل النبي صلى الله عليه وسلم." (٢)

"يغير ألوان الليالي على العدى ... بمنشورة الرايات منصورة الجند

قال أبو الفتح: أي عادة الليالي السواد فإذا سارت عساكره والنيران معها إما للاستضاءة أو لإحراق بلاد أعاديه زال سواده وتغير لونه.

قال أبو القاسم: ليس للاستضاءة والإحراق فائدة ولا عرف في الشعراء وإنما معنى البيت قول مسلم بن الوليد:

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ابن القيم ص/٣٠

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ابن القيم ص/٣١

إذا غزا بلدا سارت عساكره ... كالليل أنجمه الخرصان والأسل

وإنما عنى المتنبي أنه يشق ظلمة الليل ويجوب سواده بلألاء الحديد ملبوسه ومسنونه.

وقال المتنبي:

إذا ارتقبوا صبحا رأوا قبل ضوئه ... كتائب لا يردى الصباح كما تردي

قال أبو الفتح: هذا البيت تفسير الذي تقدمه وشبهها بالصباح لسرعتها وانتشارها.

قال أبو القاسم: ليس بين البيت وبين ما تقدمه مناسبة بل كل واحد منفرد بذاته قائم بمعناه. ومعنى البيت إذا بايت ابن العميد الأعداء فراقبوا الصبح خائفين وقوع الغارات عليهم رأي الأعداء قبل انفجار الصبح كتائب تنتشر زحفا وجمعا والعرب تتغاو صباحا وتتنادى عشاء، ويقولون هم فرسان الصباح ومصابيح العشي، قالت الخنساء:

يذكرني طلوع الشمس صخرا ... وأذكره لكل غروب شمس

وقال المتنبي: سيف الصدود على أعلى مقلده قال أبو الفتح في الفسر الكبير: المصراع الثاني من هذا البيت ساقط ولم أقرأه في ديوانه، قال أبو القاسم أنشدني الدهم من الرواة بديار ربيعة ومضر، والشام، وشيراز، مصراع هذا البيت وهو:

سيف الصدود علي أعلى مقلده ... ولحظه منه أدنى من مجرده

وقال المتنبي:

وأجفل بالفرات بذو نمير ... وزأرهم الذي زأروا خوار

فهم حزق على الخابور صرعى ... بهم من شرب غيرهم خمار

قال أبو الفتح: أي قصد غيرهم فظنوا أنه أرادهم فأجفلوا بين يديه فتقطعوا.

قال أبو القاسم: ليس معنى البيت ما أراده وإنما أراد أن بني نمير صالوا صولة الأسد جرأة وإقداما فلما لاقيتهم سقتهم سوق البقر انسلالا منك ومخافة لبأسك كما قال في أخرى:

ألم يحذروا مسخ الذي يمسخ العدى ... ويجعل أيدي الأسد أيدي الخرانق

وقال في أخرى:

أسد فرائسها الأسود يقودها ... أسد تصير له الأسود ثعالبا

والبيت الثاني أنه أراق دماءهم فهو شاربهما وهم مطروحون بالعراء كمن به الخمار. فأما الخمار فإنما قالته العرب من لفظ الخمر واشتققته منه ولم يقولوا به نباذ كما قالوا به خمار لأن النبيذ ليس من كلام العرب. وضموا الخاء من خمار لأنه جار مجرى الأدواء كالصداع والزكام ولم يشذ عن هذا الباب إلا حرفه رواه أبو عمرو الشيباني بالفتح وهي السواف لداء يصيب الإبل والأصمعي يرويه بضم السين وأنشد:

أفي نابين نالهما سواف ... تألت طلتي ليست تنام

وأما الحران والخلاء فأعطوه الكسرة وهي للعيوب. وأما الفتحة فجعلوها للمصادر كالذهاب لكثرتها في الكلام. والخمر اشتقاقها من ثلاثة أشياء قال أبو عبيد لأنها تخامر النفوس أي تخالطها ومنه خامرني الهم. وقال غيره سميت خمرا لأنها تخمر

العقول أي تسترها والخمرة السجادة لأنها تخمر مكانها أي تستره وإليه يرجع معنى الخمار لمقنعة النساء. وأنشد الأصمعي في كتاب الأبيات.

وداهية جرها جارم ... جعلت رداءك فيها خمارا

أي جللت بسيفك رؤوس القوم بالضرب، وقد أخذ هذا المعنى بعض المحدثين وكشفه فقال:

سقيت سمام الرقش بالبيض فحلها ... وجللته بالبأس والصارم الهندي

وقيل في الخمر إنها لذكاء رائحتها وطيبها من الخمرة وهي الرائحة الطيبة.

وقال المتنبي:

كأن شعاع الشمس فيه ... ففي أبصارنا عنه انكسار

قال أبو القاسم: قول المتنبي ليس ينكشف به المعنى ولا ينشرح له الصدر وهو مما استبشع منه. وأنشد الأصمعي في كتاب الأبيات لبعض العرب يذهب مذهب الشنآن والبغضاء إلا أن البيت ليس عليه مزيد في جودة اللفظ واتساق النظم ووضوح المعنى وهو:." (١)

"٣ - (الأديبي الخوارزمي الكاتب)

أحمد بن إبراهيم الأديبي أبو سعيد الخوارزمي من مشاهير أدباء خوارزم وفضلائها وشعرائها قال أبو الفضل الصفاري كان كاتبا بارعا حين التصرف في الترسل وافر الحظ)

من حسن الكتابة والفصاحة وكان خطه في الدرجة العليا من أقسام الحسن والجودة من كلام في شكاية رجل ثقيل قد منيت من هذا الكهل الرازي صاحب الجبهة الكهباء واللحية الشهباء بالداهية الدهياء والصيلم الصماء جعل لسانه سنانه وأشفار عينيه الصلبة شفاره فإذا تكلم كلم بلسانه أكثر مما يكلم بسنانه وإذا لمح ببصره جرح القلوب بلحظه أشد مما يجرح الآذان بلفظه يظهر للناس في زي مظلوم وإنه لظالم ويشكو إليهم وجع السليم وهو سالم وكتب إلى بعض الرؤساء وقد حجب عنه

(ومحجب بحجاب عز شامخ ... وشعاع نور جبينه لا يحجب)

(حاولته فرأيت بدرا طالعا ... والبدر يبعد بالشعاع ويقرب)

(قبلت نور جبينه متعززا ... باللحظ منه وقد زهاه الموكب)

(كالشمس في كبد السماء ونوره ... من جانبيه مشرق ومغرب)

ابن الجزار الطبيب القيرواني أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد الطبيب يعرف بابن الجزار القيرواني كان طبيبا حاذقا دارسا كتبه جامعة لتواليف الأوائل فيه حسن الفهم لها وله فيه مصنفات وفي غيره فمن أشهرها زاد المسافر ورسائله في النفس وذكر

---

(١) الواضح في مشكلات شعر المتنبي أبو القاسم الأصبهاني ص/١٣

الاختلاف من الأوائل فيها وكان له عناية بالتاريخ وألف فيه كتابا سماه التعريف بصحيح التاريخ رسالة في النوم واليقظة رسالة في الزكام

رسالة في الجذام نصائح الأبرار وكتاب الأسباب المولدة للوباء في مصر والحيلة في دفع ذلك رسالة في استهانة الموت وكان صائنا لنفسه منقبضا عن الملوك ذا ثروة لم يقصد أحدا إلى بيته وكان له معروف وأدوية يفرقها وكان موجودا في أيام المعز في حدود سنة خمسين وثلاث مائة أو ما قاربها وكان ابن الجزار يشهد الأعراس والجنائز ولا يأكل فيها ولا يركب إلى أحد من أهل إفريقية قط ولا إلى سلطانهم إلا إلى أبي طالب عم معد كان له صديقا قديما وإلفا حميما وكان يركب إليه في كل جمعة مرة لا غير وكان ينهض في كل عام إلى المرابطة على البحر فيكون هناك طول أيام القيظ ثم ينصرف إلى إفريقية ووجد له عشرون ألف دينار لما توفي وعشرون قنطارا من الكتب الطبية وكان قد هم بالرحلة إلى الأندلس

وقال كشاجم يمدح كتابه زاد المسافر

(أبا جعفر بقيت حيا وميتا ... مفاخر في ظهر الزمان عظاما)

(

(رأيت على زاد المسافر عندنا ... من الناظرين العارفين زحاما)." (١)

"الوليد فدخل النابغة يوما على عبد الملك والناس حوله في يوم حفل وولده قدامه فمشل بيد يديه وأنشد من المنسرح

(أزحت عنا آل الزبير ولو ... كانوا هم المالكين ما صلحوا)

(إن تلق بلوى أنت مصطبر ... وإن تلاق النعمى فلا فرح)

(آل أبي العاص أهل مأثرة ... غر عتا بالخير قد نفحوا)

(خير قريش وهم أفاضلها ... في الجد جد وإن هم مزحوا)

(أرجها أذرعا وأصبرها ... أنتم إذا القوم في الوغي كلحوا)

(أما قريش وأنت وازعها ... تكف من شغبهم إذا طمحوا)

(حفظت ما ضيعوا وزندهم ... أوريت إن أصلدوا وإن قدحوا)

(آليت جهدا وصادق قسمي ... برب عبد الله بنتصح)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٣٢/٦

(يظل يتلو الإنجيل يدرسه ... من خشية الله قلبه فيح)

(لآبك أولى بملك والده ... وعمه إن حرب فإنهم نصح
)

(وهم خيار فاعمل بسنتهم ... واحي بخير واكدح كما كدحوا)
قال فتبسم عبد الملك ولم يتكلم في ذلك بإقرار ولا دفع فعلم الناس أن رأيه في خلع أخيه عبد العزيز وبلغ ذلك عبد العزيز فقال لقد أدخل نفسه ان النصرانية مدخلا ضيقا وأوردها موردا خطرا والله علي إن ظفرت به لأخضبن دمه بدمه ومن شعر نابغة بني شيبان من قصيدة طويلة من الرمل
(إمدح الكأس ومن أعملها ... واهج قوما قتلونا بالعطش)

(أنما الكأس ربيع باكر ... فإذا ما غاب عنا لم نعش)

(وكأن الشرب قوم موتوا ... من يقم منهم لأمر يرتعش)

(خرس الألسن عما نالهم ... بين مصروع وصاح منتعش)

(من حميا فرقف حصية ... قهوة حولية لم تمتجش)

(ينفع المزكوم منها ريحها ... ثم تنفي دواه إن لم تنش)

(كل من يشربها بألفها ... ينفق الاموال فيها كل هش)." [١]

"(ضاجعته والورد تحت لحافه ... ولثمته والبدر فوق وسادته)
ومنه وقد أصابه زكام وسعال // (من السريع) //
(وبي زكام وسعال معا ... قد برحابي حين لم يبرحا)

(كأن أنفي نهر طاحونة ... إذ لسعالي صوت جر الرحى)
ومنه يخاطب الجويني وقد تألم ضرسه // (من البسيط) //
(جل الإمام الحبر عن علة ... في ضرسه لم تك معتاده)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٢٧/١٧

(لسانه فتت أسنانه ... والسيف قد يأكل أغماده)

ومنه // (من الطويل) //

(بنفس الذي إن رمت تغليظ حلفة ... لعزته عندي حلفت بوده)

(إذا جذبت ريح الصبا هدب صدغه ... تمايل كالنشوان من خمر خده)

ومنه // (من الطويل) //

(فلا تحسبوا إبليس علمني الخنا ... فإني منه بالفضائح أبصر)

(وكيف يرى إبليس معشارما أرى ... وقد فتحت عيناي لي وهو أعور)

ومنه // (من السريع) //

(لولا سعيد لنفت سعدها ... مجالس الحكم وتدريسها)

(شمس يعم الأرض إشراقه ... وغيره لو كنت تدري سهى)

وفيه

(فضحت الغصون بقاماتهن ... وعفر الظباء بأعناقهن)

(وزادت خلاخيل أسواقهن ... نقاق بضاعات أسواقهن)

ومنه يفضل العزوبة // (من البسيط) //

(وإن يطسن وتد ما بين فخذك وفاش ... جحه فقدما أذاقوا الشجة الوتدا)

(والقوس إذ زوجوها السهم شاكية ... تئن والسيف بسام بما انفردا)

ومنه // (من الوافر) //

(وقالوا في العزوبة كل غم ... فقلت لهم وفي التزويج أيضا)." (١)

"ليس هناك مبرر للخوف فالعقاقير الكيميائية كثيرة ومتنوعة .. وأسلوب العلاج يعتمد على ما يسمى بخطوط العلاج .. خط أول .. خط ثاني .. وهكذا . فإذا لم ينجح تركيب معين أو خط معين فإن الطبيب قد يغير العقار أو المركب المستخدم بآخر حتى يمكن الحصول إلى نتائج أفضل ..

تعمل هذه العقاقير على تدمير الخلايا السرطانية ولكنها في نفس الوقت تدمر بعض الخلايا السليمة ولذلك في الغالب سيتم فحص عدد كريات الدم من وقت لآخر وذلك حسب رأي الطبيب المعالج وحسب نوع العقاقير المستخدمة .

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٩٧/٢٠

انخفاض عدد الكريات البيضاء قد يعرض المريض لخطر العدوى من أمراض أخرى .. فإذا كان هناك ارتفاع في درجة الحرارة أو أحس المريض بالإرهاق فعليه الإعلام بذلك ومن الضروري الابتعاد في هذه المرحلة عن الأشخاص الذين يعانون من أمراض معدية مثل الزكام ..

انخفاض عدد الصفائح يسبب عدم تخثر الدم ومن الممكن حدوث نزف بسيط من الأنف أو اللثة ..

نقص عدد الكريات الحمراء يؤدي إلى الشعور بالتعب والإرهاق وأحيانا (قصر النفس) .

كل هذه الآثار من الممكن تخفيفها بتمديد فترة التوقف بين الجلسات الكيميائية أو بنقل الدم إلى المريض وأحيانا بتخفيف الجرعة المستخدمة .

والأصل في هذا العلاج هو معاملة المرضى بالعقاقير المضادة للسرطان ، وهذه كيماويات سامة توقف انقسام الخلايا في مراحل معينة عن طريق منع تضاعف الدنا ، ولقد اختبر العلماء الملايين من هذه المركبات وانتقوا منها مجموعة من نحو خمسين . يتلقى المرضى خليطا من هذه العقاقير

يمكننا العلاج من شفاء مرضى في حالة متقدمة من التكاثر السرطاني غير أن لها عيبين : ـ

١/ الجزيئات السامة تكشف عن نطاق محدود من الفعل فكفائتها متباينة وتتوقف على نمط السرطان لأنها تهاجم الأورام المختلفة بدرجات مختلفة من العدوانية . " [١]

"وظاهر الحديث ولا يشمت بعد ثلاث كما في الجامع وهو النفي مطلقا «فإن زاد فهو زكام» داء الزكام مرض معروف من قبيل إقامة دليل التالي مقام التالي فإن زاد فلا يشمت لأنه زكام فظاهره عدم جريان علة العطاس حينئذ لكن الظاهر كون الثالث زكاما فقط لا المجموع ثم قيل ليس المراد نفي مطلق الدعاء بل يدعو بدعاء يناسبه من جنس دعاء المسلم للمسلم بنحو شفاء وعافية فمن فهم النهي عن مطلق الدعاء فقد وهم ولذلك قال ابن القيم في قوله فهو مزكوم تنبيه على الدعاء بالعافية لأن الزكمة علة وأشار إلى الحث على تدارك هذه العلة ولا يهملها فينظم أمرها وكلام المصطفى – عليه الصلاة والسلام – كله حكمة ورحمة

[تتمة مبادرة العاطس بالحمد]

(تتمة)

روى البخاري في الأدب عن علي كرم الله وجهه من قال عند عطسة سمعها الحمد لله رب العالمين على كل حال ما كان ليجد وجع الضرس والأذن أبدا.

وأخرج الطبراني عن علي مرفوعا «من بادر العاطس بالحمد عوفي من وجع الخاصرة ولم يكن ليشكوا ضرسه أبدا» .

(عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أن «رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – كان إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه» فمه «وخفض أو غض» وفي نسخة الجامع بالواو بدل أو «بها صوته» أي لم يرفع بصيحة كما يفعل العامة وفي

---

(١) الوراثة الطبية في دقيقة! ص/٢١

رواية «غطى وجهه بيديه أو ثوبه» لأنه نوع من الأدب بين يدي الجلساء فإن العطاس يكره الناس سماعه ويرى الراءون من فضلات الدماغ فالسنة عند العطاس وضع اليد أو الثوب على الفم وخفض الصوت ويؤيده حديث «إذا عطس أحدكم فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته» بالعطاس «فإن الله تعالى يكره رفع الصوت به وبالتثاؤب» كما في حديث «إن التثاؤب الرفيع والعطس الشديد من الشيطان» والحديث يفسر بعضه بعضا

(خ عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – مرفوعا «إن الله تعالى يحب العطاس» لما عرفت أنه سببا لخفة الدماغ واستفراغ الفضلات وصفاء الروح النفساني ويقوي الحواس إذ به تندفع الأبخرة المحتقنة فيه فيعين صاحبه على الطاعات ولهذا عده الشارع نعمة وجعل الحمد عقيبه سنة «ويكره التثاؤب» لأنه يورث الغفلة والكسل وسوء الفهم ويمنع صاحبه عن الطاعة ولذا سن الشارع به الكظم قيل ما تثاءب بي قط ولذا كرهه الله تعالى وأحب العطاس وهو إنما ينشأ من الامتلاء وثقل النفس وكدورة الحواس.

«فإذا عطس أحدكم فحمد الله تعالى فحق على كل مسلم سمعه» فلو لم يسمعه لا يستحق التشميت وقد سمعت أنه إن كان العاطس ممن يحمد فيأتي به وإلا فيذكره وإنما قال فحق لما أنه فرض عين عند بعض وعند الأكثر فرض كفاية عند الشافعي سنة «أن يقول يرحمك الله تعالى» ثم ليقل العاطس يغفر الله لنا ولكم لما في حديث الجامع «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين وليقل له يرحمك الله وليقل هو يغفر الله لنا." (١)

"ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث، فجلس يضرب أعناقهم، فأتي في آخرهم برجل من تميم، فقال له ياحجاج! لئن كنا أسأنا في الدنيا، فما أحسنت في العقوبة. فقال الحجاج: أف لهذه الجيف، ما كان فيهم من يحسن هذا؟ وأمر بتخلية سبيل من بقي.

قال عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبد الله بن عمر: أساءتك ولايتنا أم سرتك؟ قال: ساءتني لك وسرتني للمسلمين.

عاتب أعرابي أباه فقال: إن عظيم حقك علي، لا يذهب صغير حقي عليك، والذي تمت به إلي أمت بمثله إليك، ولست أزعم أنا سواء، ولكن لا يحل لك الاعتداء.

لما مات الحسن أرادوا أن يدفنوه في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبت ذلك عائشة وركبت بغلة وجمعت الناس، فقال لها ابن عباس: كأنك أردت أن يقال: يوم البغلة كما قيل يوم الجمل؟! قالت: رحمك الله، ذاك يوم نسي. قال: لا يوم أذكر منه على الدهر.

قيل لمعاوية بن سفيان، يوم صفين: إنك تقدم حتى نقول: إنك تقبل، وإنك أشجع الناس، وتتأخر حتى نقول:إنك تفر، وإنك أجبن الناس. قال: أتقدم إذا كان التقدم غنما، وأتأخر إذا كان التأخرعزما.

سأل ابن الزبير معاوية حاجة فلم يقضها، فاستعان عليه بمولاة له، فقضى حاجته، فقال له رجل: استعنت بامرأة! فقال: إذا أعيت الأمور من أعاليها طلبناها من أسافلها.

اشتكعبد الله بن صفوان ضرسه، فأتاه رجل يعوده، وقال: ما بك؟ قال: وجع الضرس. فقال: أما علمت ما يقول إبليس؟

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٤/٤٢

قال: لا. قال: يقول: دواؤه الكسر. قال:إنما يطيع إبليس أولياؤه. مرض رجل من الأعراب فعاده جاره فقال: ما تجد؟ قال: أشكو دملا آلمني وزكاما أضر بي. فقال:أبشر فإنه بلغنا أن إبليس لا يحسد شيء من الأمراض ما يحسد على هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة، فأنشأ الأعرابي يقول:

أيحسدني إبليس دائين أصبحا ... بجسمي جميعا دملا وزكاما

فليتهما كانا به وأزيده ... رخاوة فحل ما يطيق قياما

قال أبو جعفر المنصور لأبي جعونة العامري من أهل الشام: ألا تحمدون الله بأنا قد ولينا عليكم ورفع عنكم الطاعون؟! قال: لم يكن ليجمعكم الله علينا والطاعون.

قيل لبعضهم: أراك تكره الغزو، وما يكرهه إلا جبان أو متهم؟ فقال: والله إني لأكره أن يأتيني الموت على فراشي، فكيف أسافر إليه مسافة بعيدة.

عرض بعض القواد أصحابه، فمر به رجل معه سيف رديء، فقال له: ويحك ما هذا السيف؟! أما علمت أن الرجل بسيفه؟ فقال أصلحك الله أيها الأمير، إنها مأمورة. قال هذا مما يقطع شيئا.

قيل لابن سيرين: من أكل سبع رطبات على الريق سبحت في بطنه، فقال ابن سيرين: لئن كان هذا هكذا فينبغي للوزينج إذا أكل أن يصلي الوتر والتراويح.

قيل لابن السماك في زمن يزيد بن معاوية: كيف تركت الناس؟ قال: مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي.

قال معاوية لرجل من أهل اليمن: ما كان أحمق قومك حين قالوا: " ربنا باعد بين أسفارنا " أما كان جمع الشمل خيرا لهم؟ فقال اليماني: قومك أحمق منهم، حين قالوا: " اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أوائتنا بعذاب إليم "، أفلا قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.

قال رجل للرقاشي: ما يجب على المؤمن في حق الله؟ قال: التعظيم له والشكر لنعمه، قال: فما يجب عليه في حق السلطان؟ قال: الطاعة والنصيحة. قال: فما يجب عليه في حق نفسه؟ قال: الاجتهاد في العبادة، واجتناب الذنوب. قال: فما يجب عليه في حق العامة؟ قال: كف الأذى وحسن المعاشرة. قال: فما يجب عليه في حق الخليط؟ قال: الوفاء بالمودة وحسن المعونة.

قال بعض الجلة لأعرابي من بني تميم يمازحه: يا أعرابي! من الذي يقول:

تميم ببطن اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت سبل المكارم ضلت

فقال: لا أعرفه. ولكن أعرف الذي يقول:

أعض الله من يهجو تميما ... ومن يروي لها أبدا هجاءا

ببطن عجوزة وبإست أخرى ... وأدخل رأسه من حيث جاءا

دخل طفيلي دار قوم بغير إذن، فاشتد عليه صاحب الدار في القول، فأغلظ له الطفيلي في الجواب، وقال له: والله لئن

قمت إليك لأدخلنك من حيث خرجت. فقال صاحب المنزل: أما أنا فأخرجك من حيث دخلت، وأخذ بيده فأخرجه.." (١)

"سمعت في السوق الساعة شيئا منكرا،ولا ينكره أحد قال:وما سمعت؟ قال:سمعتهم يشتمون الأنبياء! قال:ومن المشتوم من الأنبياء؟ قال:سمعتهم يشتمون معاوية. قال: يا أخي ليس معاوية بنبى. قال:فهبه نصف نبى لم يشتم.

قال عمرو بن بحر:ذكر لي شيخ من الإباضية أنه جرى عنده ذكر الشيعة يوما فغضب وشتمهم،وأنكر ذلك عليهم إنكارا شديدا. قال فأتيته يوما فسألته عن سبب إنكاره على الشيعة ولعنه لهم فقال:لمكان الشين في أول الكلمة،لأني لم أجد ذلك قط إلا في مسخوط،مثل شوم وشر وشيطان وشيص وشح وشغب وشعب وشرك وشتم وشقاق وشطرنج وشين وشانى وشحط وشوصة وشوك وشكوى وشنآن. فقلت له:إن هذا كثير،ما أظن أن القوم تقيم لهم علما مع هذا أبدا كان عندنا رجل شاهدناه،وكان من جيراننا على غاية من الجهل والغباوة،وكان إذا سلم من صلاته في جماعة أو وحده،يقول:السلام على الملكين الكاتبين لأبي بكر وعمر،وكان ألثغ يجعل مكان الكاف تاء.

اشترى باقل،وهو رجل من قيس بن ثعلبة عنزا بأحد عشر درهما،فقالوا له:بكم اشتريت الغز؟ ففتح كفيه وفرق أصابعه،وأخرج لسانه،يريد أحد عشر درهما،فلما عيروه،قال:

يلومون في حمقه باقلا ... كأن الحماقة لم تخلق

فلا تكثروا العذل في عيه ... فللعى أجمل بالأحمق

خروج اللسان وفتح البنان ... أحب إلينا من المنطق

ذكر الصولى عن ابن الجوهري ضروبا من العى والحماقة والجهل،وكان له تسبيح ظريف يسبحه بإثر كل صلاة:سبحانك يا عالمين،والحمد لله الأكرمين،ولا إله إلا الله الطيبين،والصلاة على النبي المباركين،وأزواجه أمهات المؤمنين،ونسأل الله خير عوائق الأمور.

رأى معاوية بن مروان بن الحكم حمار طاحونة في عنقه جلجل في حانوت طحان،فقال له: ما بال هذا الحمار في عنقه جلجل؟ فقال:أنا مشتغل في علاجى وطلب معيشتى خارج الحانوت،وبحركة الجلجل أعرف وقوف الحمار فأحركه للمشى،فقال له معاوية له:أرأيت إن وقف الحمار وحرك رأسه فتحرك الجلجل؟ قال الطحان:ومن لحمارى بمثل عقل الأمير؟! ومعاوية هذا هو الذي أمر بغلق باب المدينة إذ انفلت له البازى.

قال طحطاح لابنه يوما:ما الذي تشتهى؟ قال: رأسي كبش.

فقال له أبوه: لا يكون للكبش رأسان، قال: فرأس كبشين، فضحك منه.

قيل لمخنث: مالكم تحلقون لحاكم؟ فقال: إن البرد لا تعرف إلا بحذف أذنابها.

دخل راكب البريد يوما على المأمون، فقال له: متى خرجت، أو متى قدمت؟ فقال له:بعد غد يا أمير المؤمنين. فقال له المأمون: فإذا أتيتنا وبيننا وبينك مرحلتان.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/١٦

مرض رجل من الأعراب، فعاده جاره، وقال له: ماتجد؟ قال: أشكو دملا أهلكني، وزكاما أضربى. قال له: فقد بلغنا أن إبليس لا يحسد على شئ من الأمراض إلا على هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة. فأنشأ الأعرابي يقول:

أيحسدني إبليس داءين أصبحا ... برأسي وإستى دملا وزكاما

فليتهما كانا به وأزيده ... رخاوة زب لا يطيق قياما

وقال أبو نواس:

قد أضرت بي دمامي ... ل على الظهر ملحه

ليتها في عين من يح ... سبه مالا وصحه

سلم فزارة صاحب المظالم بالبصرة على يساره في الصلاة، فقيل له في ذلك فقال: كان على يميني إنسان لا أكلمه.

وقال فزارة يوما في مجلسه: لو غسلت يدى مائة مرة ما تنظفت، أو أغسلها مرتين وفيه يقول ابن المعذل:

ومن المظالم أن تكو ... ن على المظالم يا فزارة

تقديم رجل مع خصمه إلى قاض، فقال: أصلح الله القاضى، لي عند هذا الزاني ابن الزانية كذا وكذا. فقال القاضي لخصمه: ما تقول فيما سمعت من دعوى خصمك؟ فقال: لا أعرف شيئا فيما يقول، وأنا منكر لما يدعيه. فقال للمدعى: هات بينه إن كان لك. فأتاه برجلين فجلسا بين يديه، فقال لهما: بم تشهدان؟ قالا: نشهد أن لهذا الرجل على هذا الزاني ابن الزانيه كذا وكذا لدعوى خصمه.

فقال لهما:قد قبلتكما. قم يازاني ابن الزانية،فأد ما شهدا به. فقال المشهود عليه:." [(١)]

"كتابه قسما كبيرا منها.

وعلى أن ثمة شيئا هو أكثر ألفاظ العربية ترادفا، وهو "الميل الجنسي" فلا تكاد تتصفح مادة في "القاموس المحيط" حتى تصيب من مترادفاته لفظا أو أكثر؛ وذلك مما يثبت ما بيناه من سبب الترادف الكثير الذي هو مثار العجب.

أما النوع الثاني من المترادف وهو القسم الأصغر منه الذي تقل فيه ألفاظ المعنى الواحد، فإنه يكاد يكون طبيعيا في اللغات كلها؛ ومأتاه في العربية من اختلاف الأوضاع لتعدد القبائل: كالمدية في لغة دوس والسكين في غيرهم، ولا يتعين في مثل هذا النوع أن يكون في كل كلمة زيادة في المعنى والفائدة عما في غيرها؛ لأن كلا اللفظين موضوع لمعنى واحد لا زيادة في دلالته، إلا إذا اعتبرنا أصل الاشتقاق والسبب الحامل للواضع على أن يضع وإلا إذا كان كل اللفظين يمثل حالة مما يصح فيه الاختلاف كجلس وقعد مثلا، وتجد لأهل الاشتقاق في هذا المذهب تعسفات كثيرة وتأويلات باطلة كقول بعضهم إن الإنسان سمي إنسانا باعتبار النسيان، أو باعتبار أنه يؤنس؛ وسمي بشرا باعتبار أنه بادي البشرة ... فكأن لفظ النسيان الذي يدل على معنى جزئي معقول وضع قبل لفظ الإنسان الذي هو مدلول اللغة كلها. وذلك هو التاريخ الميت الذي حسابه عند ربه.

وقد أفرد بعض العلماء أنواع المترادف بالتأليف، فوضعوا كتبا في أسماء الأسد والحية والسيف والداهية وغيرها، ولصاحب

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/١٢١

القاموس كتاب سماه "الروض المسلوف، فيما له، اسمان إلى الألوف" ولم يعثر عليه أحد لا رأينا منه مادة منقولة في كتاب من الكتب.

المشترك:

وهو عكس المترادف؛ لأنه مجيء اللفظ الواحد لمعنيين فأكثر: كالأرض لهذا البسيط، ولأسفل قوائم الدابة، وللنفضة والرعدة، وللزكام؛ وأرض الخشبة، وهو أن تأكلها الأرضة. وهذا لا شك في أن مأتاه من تعدد الوضع وتباين اللغات؛ لأن الألفاظ متناهية والمعاني لا تتناهى، فإذا وزعت هذه على تلك لزم الاشتراك واختصاص اللفظ الواحد بمعنيين أو أكثر. والقسم الأكبر من المشترك كلمات معدودة، أشهرها ما تعلق عليه شعراء المتأخرين كما ستعرفه في بحث الصناعات اللفظية، وجملة ذلك خمسة ألفاظ وهي: العين، والخال، والهلال، والغرب، والعجوز.

فمن معاني العين مثلا: عين الإنسان، والنقد من الدراهم والدنانير، ومخرج ما البئر، ومطر أيام لا يقلع، والجاسوس، ونفس الشيء.... إلخ. وقد توسع المتأخرون من الشعراء في معاني هذه الكلمات لتبلغ بها أنفاس القوافي كما سنذكر في موضعه إن شاء الله. لا جرم أن الاشتراك وجه من وجوه الوضع في اللغة؛ فإن أكثره راجع إلى الاشتقاق والمجاز كما يقال مشي من المشي، ومشي إذا كثرت ماشيته؛ وكما نقلوا من أسماء الطير لأجزاء الفرس، فسموا العظم الذي في أعلى رأسه بالهامة وهو اسم طائر، وسموا دماغه الفرخ، والجلدة التي تغطي الدماغ بالنعامة، والعظم الذي تثبت عليه الناصية بالعصفور ... إلخ وهي عشرون اسما.." (١)

"وفيها توفي كيقباذ: علاء الدين بن كيخسرو صاحب الروم وملك بعده ابنه غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قطلمش بن أرسلان بن سلجوق.

وفيها: دخل الناصر داود صاحب الكرك مصر، وصار مع الكامل على ملوك الشام فجدد عقده على ابنته مطلقته عاشوراء، وأركبه بصناجق سلطانية، ووعده بدمشق، وحمل العادل أبو بكر بن الكامل الغاشية بين يديه وبالغ في إكرامه.

وفيها: حاصر توران شاه عم العزيز بعسكر حلب بغراس وقد عمرتها الداودية بعد تخريب صلاح الدين لها، ثم رحلوا عنها بسبب الهدنة مع صاحب أنطاكية، ثم أغار الفرنج على ربض دير ساك وهو بحلب، وقاتلهم العسكر، فانكسر الفرنج وأسر وقتل فيهم، وعاد العسكر بالأسرى والرؤوس وكانت وقعة عظيمة.

وفيها: استخدم الصالح أيوب بن الكامل وهو بالشرق ينوب عن أبيه الخوارزمية عسكر جلال الدين منكرتي فإنهم بعد قتل جلال الدين خدموا كيقباذ وفيهم مقدمون مثل بركت خان وكشلو خان وصارو خان وفرخ خان ويزدي خان، فلما تولى كيخسرو بن كيقباذ قبض على كبيرهم بركت خان ففارقه الخوارزمية وساروا عن الروم ونهبوا ما على طريقهم فاستمالهم الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل واستخدمهم بإذن أبيه.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وستمائة: فيها توفي الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب بالذرب في المحرم، وملك دمشق أخوه الصالح إسماعيل بعهد منه، ومدة ملكه ثمان سنين وشهور لم ينهزم قط، واتفق له أشياء خارقة

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ١٢٧/١

للعقل في السعادة.

وكان سخيا حسن العقيدة وبنى بدمشق قصورا ومنتزهات حسنة وأقلع لما مرض عن اللذات والأغاني، وأقبل على الإستغفار ودفن بتربته بجانب الجامع وترك بنتا واحدة تزوجها الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل، وبلغ الكامل بمصر وفاة أخيه الأشرف فسار إلى دمشق ومعه الناصر داود صاحب الكرك والناصر لا يشك أن الكامل يعطيه دمشق لما تقرر بينهما، واستعد الصالح إسماعيل للحصار وأنجد من حلب وحمص، ونازل الكامل دمشق في جمادى الأولى منها وأحرق الصالح بالتفاطين ما بالعقيبة من خانات وأسواق وغيرها، ووصل من حمص نجدة رجالة خمسون رجلا فظفر بهم الكامل وشنقهم بين البساتين، وأرسل للمظفر صاحب حماه توقيعا بسلمية لانتمائه إليه.

وسلم الصالح دمشق إلى أخيه الكامل لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى وتعوض عنها بعلبك والبقاع مضافا إلى بصرى.

ثم لم يلبث الكامل غير أيام ومرض **بالزكام** فدخل الحمام وصب ماء شديدة الحرارة فاندفعت النزلة إلى معدته فتورمت ونهاه الأطباء عن القيء فتقيأ فمات لوقته وعمره نحو." (١)

"وأنشدني لنفسه- رحمه الله-: (الكامل)

الغرس يأمل أن يشرفه ... المولى بشيء من ملابسه

وأحق من يكسو القضيب لحا ... في كل عام كف غارسه

وأنشدني لنفسه: (الخفيف)

قلت إذ جاءني كتاب صديق ... صادق في وداده والإخاء

ذاكرا أنه اعتراه **زكام** ... في شباب من سنه وفتاء

قلل النوم ما استطعت ففي ... الإكثار منه أذى بأهل الهواء

وإذا شئت أن تنام فحاذر ... أن ترى نائما على الحلواء

واهجر اللحم........ ... . (د)

/ والغذاء الحميد ماء شعير ... ثم يتلى بالماش والدباء (ذ)

لم يعلق حفظي منها عند إنشاده سوى ما أوردته وأنسيت الباقي. أخبرت أنه ولد في سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وتوفي بالموصل.

ونقلت من خطه من جزازة يصف النيلوفر بالبركة التي كانت بالقناة المهدمة (ر) بظاهر إربل، ولم يكن بستان أحسن من بستانها: (الطويل)

ونيلوفر (ز) مثل النجوم ببركة ... كلون السماء وهي من خصر عذب (س)

يميل مع الشمس المنيرة مثلما ... تميل عيون العاشقين مع الحب

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ١٦١/٢

فإن هي غابت نكس الرأس وحشة ... لها وانكسارا فعلة الدنف الصب (ش)

وأحسبه خاف المشاهد فاتقى أذاه ... بأتراس من الورق الرطب (ص)

ولو كان يدري أنه غرس مالك ... تدين له الأملاك في الشرق والغرب

لمال إليه إذ هو الشمس في الدنا ... ولم يخش من قصم ولم يخش من قضب

فتى غادر البستان غرقى بإربل ... وكانت قديما معطش الأيم (أغ) والضب." [١]

"قلت (أر) إذ جاءني كتاب صديق ... صادق في وداده والإخاء

ذاكرا أنه اعتراه زكام ... في شباب من سنه وفتاء

قلل النوم ما استطعت ففي ... الإكثار منه أذى بأهل الهواء

وإذا ما أردت نوما فحاذر ... أن ترى نائما على الحلواء «٢»

وكل الباقلاء فما أنضج ... طبخا فج الهواء كالباقلاء (ع ع)

وحذار حذار من قربك اللحم ... ففي قربه بعاد الشفاء

والسعوط الذي يعطس قد ... ينفع نفعا ما إن به من خفاء

والغذاء الحميد ماء شعير ... ثم يتلى بالماش والدباء (ذ)

كل هذا من بعد إخراجك الد ... م من الباسليق (أز) باستقصاء

والدواء الذي قد اختاره الف ... ساق ري من قرقف صهباء (أس)

ثم إتباع ذلك قيئا ذريعا ... بعد شبع من فاتر الشورباء

فهو ينقي ما حل في الصدر ... والمعدة حتى ما حل في الأحشاء

فتدبر بما ذكرت يوما ... ت (أش) وكن واثقا بحسن الشفاء

ونقلت من خطه- رحمه الله- قال: اجتازني العميد (١٧) ابن الأواني." [٢]

"يدع مجالا للشك بانه هو المقصود. سبق ومر ذكر ابراهيم بن عبد الله الكجي وابي عبد الله الانصارى (ورقة ١٥ أ) .

الترجمة- ٢٧١

أ- مر ذكر الكتاب (ورقة ٩٦ ب) .

ب- هو ابو نصر احمد بن محمد الحديثي المنسوب الى حديثة الموصل، وهي بليدة على الجانب الشرقي من دجلة قرب الزاب الاعلى (ابن خلكان ٢/٢٥٩) ، وهي قريبة من اربل. وقد سبق للمؤلف ان ترجم له، وفاته ان يذكر ذلك (ورقة ٩٦) .

---

(١) تاريخ اربل ابن المستوفي الإربلي ٦٥/١

(٢) تاريخ اربل ابن المستوفي الإربلي ٦٩/١

ت- بالاصل «جمادى» وعليها علامة الخطأ وصححها الناسخ بالحاشية.

ث- انظر ترجمته (ورقة ٩٧) .

الترجمة- ٢٧٣

أ- بالاصل «فكتب» .

ب- كلمة «الكريدي» بالاصل غير منقوطة وضبطناها عن «المشتبه» ص ٤٤٦ (ورقة ١٩٦ أ) .

ت- لعل المقصود عز الدين ابو الهيجاء الحسين بن الحسن الهذباني المار ذكره (ورقة ٩٥ ب) .

الترجمة- ٢٧٤

أ- هي السورة رقم ٤٣.

ب- من خنن، ويقال حن فخن اي بكى، في انفه خنينا نحو الزكام (اساس البلاغة) .

ت- كلمة «الكريدى» بالاصل غير منقوطة وضبطناها عن «المشتبه» ص." [1]

"وأقبل عليه الأعيان والحكام وقلدوه المناصب الخطيرة كنيابة الأحكام ورئاسة الكتابة. ثم تعين كرئيس لكتاب محكمة بيروت فتعاطى شؤونها نيفا وثلاثين سنة. وكان أحد أعضاء مجلس المعارف في الثغر فامتاز فيه بسعة آدابه وحسن ذوقه. وقد حرر مدة ثمرات الفنون فأودعها كثيرا من أثمار آدابه. وكانت وفاته في رجب في سنة ١٣٠٨ (١٨٩١م) . وقد أبلغ تآليفه الأدبية نحو العشرين نشر منها في مطبعتنا الكاثوليكية كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان وكتاب فرائد اللآل في مجمع الأمثال الذي نظم فيها أمثال الميداني وقد أتقن طبعه فجاء كطرفة بين المطبوعات العصرية. وكان الشيخ إبراهيم الأحدب قريحة شعرية غريبة حتى أن مجموع أبيات قصائد يكاد يبلغ ثمانين ألف بيت. فله ثلاثة دواوين ومقامات جارى فيها العلامة الحريري عددها ٨٠ مقالة وألف عدة تآليف كروايات أدبية ومناظرات ورسائل ومجاميع حكمية ومقالات مسجعة وغير ذلك مما عدده نجلاه الأديبان في مقدمة مجمع الأمثال. ومن شعره ما قاله يمدح الأمير عبد القادر الجزائري:

إني بمدح ابن محيي الدين ذو همم ... غدا نظامي بها في أرفع الدرج

وفي مآثر عبد القادر أطردت ... أبيات شعري فراقت كل مبتهج

غوث الثريل وغيث فيض نائله ... من الأنامل يجري الدر في خلج

شمس أنارت بلاد الشرق فابتهجت ... سورية بسناها الفائق البهج

في الكون آثاره كالملك قد نفحت ... إلا لمزكوم طبع عد في الهمج

لله غرب حسام منه قد شهدت ... في الغرب آثاره كالصبح في البلج

لا زلت تهدى لك الأمداح ما طلعت ... شمس بنورك تغنينا عن السرج

وقال في الرجز ناظما بعض أمثال رويت لأبي بكر الصديق:

يقرن ربي الوعد بالوعيد كي ... يضرهب عبد راغب في كل متي

(١) تاريخ اربل ابن المستوفي الإربلي ٦٩٨/١

ليست مع العزا مصيبة إلا ... تعز يا سامي بما قد نزلا

الموت مما قبله أشد ... مع أنه أهون مما بعد

قد ذل قوم أسندوا أمرهم ... لامرأة حيث جنوا ضرهم

إن عليك أبدا عيونا ... تراك ممن جل فالزم دينا." (١)

"أو التوت الأحمر، وما يزال صاحبها يسقيهم، وهم بها مشغوفون؛ حتى انبثقت أضواء الصباح، فنهضوا بركابهم وخيلهم، تستخفهم النشوة استخفافا خرجوا به عن أطوارهم وما تعودوه في صحوهم من قصد واعتدال.

وأنت تراه قد وصف الخمر ودنها ولونها وخمارها وحانوتها وتعرض لصياح الديكة في السحق ومساومة. صاحبها في ثمنها وأثرها في النفس وما تصيب به شاربها من انتشاء يتمشى في المفاصل. وهذه المعاني جميعها تدور فيها وفي أفلاكها خمريات العباسيين. واستمع إليه يقول:

وأدكن عاتق جحل سبحل ... صبحت براحه شربا كراما١

من اللاتي حملن على الروايا ... كريح المسك تستل الزكاما٢

مشعشعة كأن على قراها ... إذا ما صرحت قطعا سهاما٣

تخيرها أخو عانات شهرا ... ورجى أولها عاما فعاما٤

يؤمل أن تكون له ثراء ... فأغلق دونها وعلا سواما٥

فأعطينا الوفاء بها وكنا ... نهين لمثلها فينا السواما٦

كأن شعاع قرن الشمس فيها ... إذا ما فت عن فيها الختاما٧

وواضح أنه يتحدث عن دن من دنان الخمر أسود عتيق، صبح به رفاقه، ويقول إنه من نادر الدنان التي تجتلب من البلاد البعيدة والتي تنفذ رائحة خمرها بطيبها إلى الأنف، فتستل منه الزكام. ويصف هذه الخمر فيقول إنها مروقة صافية كأنها بياض الحر أوسرابه اللامع، وقد انتقاها صاحبها في "عانات" وظل

---

١ أدكن: هو الدن لأنه يطلى بالقطران. عائق: قديم. الجحل: السقاء الكبير أو القرية الكبيرة. سجل: ضخم. الشرب: جماعة الشاربين. صبحت: ناولت، وهو خمر الصباح.

٢ الروايا: جمع راوية وهو البعير.

٣ مشعشعة: مروقة. قراها: ظهرها. صرحت: صفت. السهام: وهج الصيف وما يكون معه من البياض.

٤ عانات: بلد بالشام. أولها: ما تؤول إليه من ثمن غال.

٥ السوام: بكسر السين المساومة في البيع والمغالاة.

---

(١) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين لويس شيخو ٢٠٤/١

٦ السوام: بفتح السين الإبل الراعية.

٧ قرن الشمس: أول ما يبدو منها في الصباح. الختام: السداد.." (١)

"خرج خرؤه من فيه فمات منها، وأما العاص فدخل في رأسه شبرقة [١] ، حتى امتلأت فمات منها، وقال غيره: إنه ركب إلى الطائف حمارا فربض به على شوكة، فدخلت في أخمصه فمات منها. حديث صحيح [٢] .

دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش بالسنة [٣]

قال الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في المسجد [٤] ، إذ قال فيما يقول: يوم تأتي السماء بدخان مبين، قال:

دخان يكون يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين [٥] منه كهيئة الزكمة [٦] ، فقمنا فدخلنا على عبد الله بن مسعود فأخبرناه فقال: أيها الناس من علم منكم علما فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول العالم لما لا يعلم (الله أعلم) قال الله لرسوله: قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ٣٨: ٨٦ [٧] .

وسأحدثكم عن الدخان: إن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطئوا عن الإسلام قال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع

---

[١] نبت حجازي له شوك.

[٢] انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ١٦٣، السير والمغازي ٢٧٣، دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٨٥- ٨٦، دلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ٩١، الروض الأنف للسهيلي ٢/ ١٦٧، الإكتفاء للكلاعي ١/ ٣٧٦، البداية والنهاية ٢/ ٨٥- ٨٧، الدر المنثور للسيوطي ٤/ ١٠٧ عن الطبراني وابن مردويه.

[٣] الجدب والقحط.

[٤] عند البخاري «في كندة» بدل «في المسجد» .

[٥] عند البخاري «المؤمن» .

[٦] عند البخاري «الزكام» فنزعنا، فأتيت ابن مسعود، وكان متكئا فغضب فجلس فقال: من علم..» .

[٧] سورة ص- الآية ٨٦.." (٢)

"قال ابن واصل [١] : حكى لي طبيبه قال: أصابه لما دخل قلعة دمشق زكام، فدخل الحمام، وصب على رأسه ماء شديد الحرارة اتباعا لقول محمد بن زكريا الرازي في كتاب سماه «طب ساعة» قال: من أصابه زكام، فصب على رأسه ماء شديد الحرارة، انحل زكامه لوقته. وهذا لا ينبغي أن يعمل على إطلاقه. قال:

فانصب من دماغه مادة إلى فم معدته فتورمت، وعرضت له حمى شديدة، وأراد القيء، فنهاه الأطباء وقالوا: إن تقيأ هلك،

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي شوقي ضيف ص/٣٥٩

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٢٥/١

فخالفهم وتقيأ فهلك لوقته.
قال ابن واصل [٢] : وحكى لي الحكيم رضي الدين قال: عرضت له خوانيق فانفقأت، وتقيأ دما كثيرا ومدة، وأراد القيء أيضا، فنهاه أبي موفق الدين إبراهيم وأشار به بعض الأطباء، فتقيأ، فانصبت بقية المادة إلى قصبة الرئة، وسدتها فمات.
قال ابن واصل [٣] : استوزر في أول ملكه وزير ابنه صفي الدين ابن شكر، فلما مات لم يستوزر أحدا، بل كان يباشر الأمور بنفسه. وكان ملكا جليلا، مهيبا، حازما سديد الآراء حسن التدبير لممالكه، عفيفا، حليما، عمرت في أيامه ديار مصر عمارة كبيرة. وكانت عنده مسائل غريبة من الفقه والنحو يوردها، فمن أجاب، حظي عنده.
قال المنذري [٤] : توفي بدمشق في الحادي والعشرين من رجب.
قلت: دفن بالقلعة في تابوت، ثم نقل سنة سبع وثلاثين إلى تربة بنيت له إلى جانب السميساطية، وفتح لها شباك وباب إلى الجامع الأموي. وخلف ولدين: الملك العادل أبا بكر والملك الصالح أيوب، والصاحبة.
٣٦٥- محمد بن محمود [٥] بن يحيى، أبو علي، البغدادي.

---

[١] في مفرج الكروب ٥/ ١٥٤.

[٢] المصدر نفسه.

[٣] مفرج الكروب ٥/ ١٥٧.

[٤] في التكملة ٣/ ٤٨٥.

[٥] انظر عن (محمد بن محمود) في: التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٤٦٦ رقم ٢٧٧٧.." (١)

"عليها، أو بحياة الرجال الشهيرين أو بموتهم مثلهم كمثل الجنوبيين، كما أرخوا بعام "الختان"١ وعام "الفيل"٢.
وقد ذكر المسعودي في كتابه "التنبيه والإشراف" "ص ١٧٨" أن بني إسماعيل قد أرخوا من بناء البيت حينما بناه إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام. "فلم يزالوا يؤرخون بذلك حتى تفرقت معد، وكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بمخرجهم، ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرخون بخروج آخر من خرج منها من قضاعة ... حتى مات كعب بن لؤي فأرخوا من موته إلى عام الفيل". أما السنة الدورية التي اعتمدها العرب في تقويمهم فهي القمرية لدى الشماليين. يقول المسعودي في المصدر نفسه "ص١٨٣": "جميع ما تؤرخ به الأمم من السنين شمسية ... إلا العرب والإسرائيليين ... فأما العرب فإنها تراعي رؤية الأهلة فتجعل حساب سنتها عليها، وشهورهم شهر ثلاثون يوما وشهر تسعة وعشرون يوما ... وأيام سنتهم ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما بالحساب المطلق". لكنها في الحقيقة تزيد خمس أو سدس يوم، فتختلف بذلك عن الحساب المطلق وتقل عن السنة الشمسية كما هو معلوم أحد عشر يوما في كل عام وسنة واحدة كل ٣٣ سنة ولذلك كان العرب في الجاهلية، كما يقول المسعودي، تنسئ لأجل اختلاف الزمان والمواقيت "لتسوي" ما بين السنة الشمسية والقمرية وفي ذلك أنزلت الآية الكريمة: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ [التوبة: ٢٧] "٣. وأما عرب الجنوب في اليمن فقد اعتمدوا كلا

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٦/٢٥٨

التقويمين القمري والشمسي.

---

١ ليس له تفسير شاف، وفي القاموس هو **زكام** الإبل، وقد يكون حدث في عهد المنذر بن ماء السماء من ملوك الحيرة وماتت الإبل فيه.

٢ وهو الذي أرخ العرب به حتى خلافة عمر بن الخطاب الذي اعتبر الهجرة مبدأ للتقويم الإسلامي.

٣ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص١٨٦.." [1]

"أبيه لم يروه عنه غير ابنه عاصم تفرد به عمر بن محمد بن صهبان عنه ولم يروه عنه غير سعيد بن سلام والذي قبله غريب من حديث أبي الزناد عن أبان بن عثمان عن أبيه تفرد به عمر بن محمد ولم يروه عنه غير سعيد بن سلام أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة وطاهر بن سهل قالا أنا أبو الحسين محمد بن مكي بن عثمان أنا أبو الحسين علي بن محمد بن إسحاق بن يزيد الحلبي حدثني جدي إسحاق بن محمد بن يزيد نا أبو داود يعني سليمان بن سيف نا محمد بن سليمان أنا أبي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه فإن زاد على ثلاث فهو **مزكوم** ولا يشمت بعد ثلاث

[٢٢٠٢] أخبرنا أبو القاسم بن السوسي أنا جدي أبو محمد أنا أبو علي الأهوازي إجازة قال قال لنا عبد الوهاب الكلابي في تسمية شيوخه إسحاق بن محمد بن أحمد بن يزيد الحلبي قدم علينا أبو يعقوب حاجا سنة تسع عشرة وثلاثمائة قرأت بخط أبي محمد بن الأكفاني وذكر أنه نقله من خط بعض أصحاب الحديث في تسمية من سمع منه بدمشق سنة ست عشرة وثلاثمائة إسحاق بن محمد الحلبي حاج غريب (٢) أخبرنا أبو الحسن بن قبيس وأبو منصور بن خيرون قالا قال لنا أبو بكر الخطيب (٣) إسحاق بن محمد بن أحمد بن يزيد أبو يعقوب القاضي الحلبي قدم بغداد وحدث بها عن علي بن عثمان النفيلي وسليمان بن سيف الحراني كتب عنه الناس بانتقاء أبي طالب الحافظ وروى عنه أبو الحسن الدارقطني ويوسف بن عمر القواس (٤)

---

(١) بغية الطلب ٣ / ١٥٠٤ – ١٥٠٥

(٢) بغية الطلب ٣ / ١٥٠٥

(٣) تاريخ بغداد ٦ / ٣٩٥

(٤) سقطت من الاصل واستدركت على هامشه." [2]

---

(١) تاريخ العرب القديم توفيق برو ص/١٦

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٧٥/٨

"* حتى (١) إذا أخذ الزجاج أكفنا * نفحت فأدرك ريحها المزكوم قال ألست تزعم أنك تبصر الشعر قلت بلى قال كيف لم تشقق بطنك فضلا عن ثوبك عند هذا البيت قال قلت عند البيت الذي سرقت هذا منه قال وما هو قلت بيت الأعشى من خمر عانة قد أتى لختامها * حول يفض غمامة المزكوم (٢) * قال أنت تبصر الشعر فلما صرت إلى سليمان سهرت معه بهذا أول بدأتي قال القاضي للأعشى في هذا المعنى بيت أبلغ من هذا البيت في كلمة له أخرى وهو (٣) * من اللائي حملن على الروايا *كريح المسك يستل الزكاما * واستلال الزكام أبلغ من فضة لأن استلاله نزعه وإخراجه وفضة نشره وتفريقه وكسره كفض الخاتم وفي فضة مع هذا إزالته وتنحيته كما يزول الختام عند فضة ويفارق ما كان حالا فيه ولازما له وفي قول الأخطل * وأدرك ريحها المزكوم من البلاغة أنه إنما يفوته إدراك المشموم لحلول الزكام به وغلبته إياه فإذا أدرك ريح الخمر التي كان الزكام حائلا بينه وبينها عند نفحتها فإنما ذلك لزوال الزكام المانع الحائل بينه وبين إدراكها وقدتدرك الرائحة بعد خفة الزكام وزوال بعضه وإن لم يزل بكليته من ههنا كان الفض والاستلال أبلغ وأبين في المعنى أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنبأنا أبو محمد السكري أنبأنا علي بن عبد العزيز أنبأنا أحمد بن جعفر بن محمد أنبأنا أبو خليفة الجمحي حدثنا محمد بن سلام قال (٤) وقيل للأخطل عند الموت أتوصي أبا مالك فقال * أوصي الفرزدق عند الممات * بأم جرير وأعيارها * * وزار القبور أبا مالك * برغم العداة وأوتارها *

---

(١) رويته في الديوان: وإذا تعاورت الاكف زجاجها * نفحت فنال رياحها المزكوم (٢) البيت في الجليس الصالح الكافي ٣ / ١١٢ والاغاني ٩ / ١٢٤ وليس في ديوان الاعشى ط

بيروت

(٣) البيت في ديوان الاعشى ط بيروت ص ١٩١ والجليس الصالح الكافي ٣ / ١١٢ والموشح ص ٢٢٣ والاغاني ٩ / ١٢٣

(٤) الخبر والشعر في طبقات الشعراء ص ١٥٥ والاغاني ٨ / ٣٠٥." [١]

"* وتظل تنصفنا (١) بها قروية * إبريقها برقاعه ملثوم وإذا تعاورت الأكف زجاجها * نفحته فنال (٢) رياحها المزكوم * فقال الشعبي أشعر منك الذي قال (٣) * وأدكن عاتق جحل سبحل * صبحت براحه شربا كراما من اللائي حملن على الروايا *كريح المسك تستل الزكاما * فقال له الأخطل من يقول هذا يا شعبي قال الأعشى قال قدوس قدوس فعل الأعشى وذكر أمهات الشعراء قال الخطابي فتأمل أين منزلة أحدهما من الآخر لم يزد الأخطل حين احتشد على أن جعل رائحتها لذكائها تنفذ حتى تخلص إلى الرأس فينالها المزكوم وجعلها الأعشى لحدتها وفرط ذكائها مستلة للزكام طاردة له (٤) قرأت بخط أبي الحسن رشأ بن نظيف وأنبأنيه أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو الوحش سبيع بن المسلم عنه أخبرنا أبو أحمد عبيد الله بن محمد بن أحمد بن أبي مسلم الفرضي حدثنا أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي أخبرنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا عبد الله بن الضحاك عن الهيثم عن ابن عياش قال دخل الشعبي على الأخطل وبين يديه رياحين

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٢٣/٤٨

ولخالخ وهو يشرب فقال يا شعبي غلب الأخطل الشعراء فقال بأي شئ قال بقوله * ويظل تنصفنا بها قروية * أبريقها بلتاعة (٥) ملثوم فإذا تعاورت الأكف زجاجها * نفحت فنال (٦) رياحها المزكوم * فقال له الشعبي فقد سبق الأخطل إلى هذا قال وأين قال قال (٧) الأعشى * وأدكن عاتق جحل سبحل * صبحت براحه شربا كراما من اللائي جعلن على الروايا *كريح المسك تستل الزكاما *

---

(١) رسمها بالاصل: " مصسفنا " وفي م: " مصنفنا " والمثبت عن " ز " ود والديوان والاغاني

(٢) الاصل ود وم: فقال والمثبت " فنال " عن " ز " وفي الاغاني: فشم

(٣) ديوان الاعشى ص ١٩١ والاغاني ٩ / ١٢٣

(٤) كتب بعد في " ز ": آخر الجزء الثالث والتسعين بعد الاربعمئة من الاصل

(٥) كذا بالاصل ود و " ز " وم ومر في الديوان: برقاعه

(٦) الاصل وم ود: فقال والمثبت عن " ز "

(٧) سقطت من الاصل وم ود واستدركت عن " ز "." (١)

"وبلغني أن الأمير خلف بن أحمد كان يعجب جدا بقول أبي الفتح البستي وينشده ويردده: لا يغرنك أنني لين اللمس ... فغربي إذا انتضيت حسام أنا مالورد فيه راحة قوم ... ثم فيه لآخرين زكام

تقبيح النرجس

لما قبح ابن الرومي الورد وهجنه وهجاه، وفضل النرجس عليه، تصدى له نفر من الشعراء بالمعارضة والمناقضة، وهجو النرجس وفضلوا الورد عليه. فمنهم ابن الحاجب، ومن أجود ما قال فيه قوله: يا ظلوما يفضل النرجس الرذ ... ل على الورد، قد تحاملت فاقصد صبغة الورد صبغة الدم، والنر ... جس مثل العيون في الشبه يوجد ملك الجسم كله الدم لا العي ... ن، عقول الورى بذلك تشهد قد رأينا الأعمى يعيش بلا عي ... ن، وإن يفقد الدم المرء يفقد وإذا كان ذا كذا، فدم الإن ... سان من عينه أجل، وأمجد ولشتان بين خدين، هذا ... أصفر لونه، وهذا مورد فلماذا مدحت لونين، كل ... منهما عيبه مبين مؤكد صفرة اللون علة، والبياض ال ... محض عيب محدد ليس يحجد ومنهم أبو العلاء السروري يقول بعده بزمان: انظر إلى نرجس تبدت ... صبحا لعينيك منه طاقه واذكر أسامي مشبهيه ... بالعين في دفتر الحماقه وأي حسن يرى لطرف ... مع يرقان يحل ماقه." (٢)

"هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس وضع ثوبه أو يده على فيه وخفض صوته أو غض بها صوته شك الراوي أي اللفظين قاله صلى الله عليه وسلم قال الترمذي حديث حسن صحيح ومن ذلك ما أخرجه ابن السني عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه فإن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٣٢/٦١

(٢) تحسين القبيح وتقبيح الحسن الثعالبي، أبو منصور ص/٦٨

زاد على الثلاث فهو مزكوم ولا يشمت بعد الثلاث قال النووي في هذا الحديث رجل لم أتحقق حاله وباقي إسناده صحيح اه وقد أخرج ابن السني بعد هذا الحديث حديثا آخر عن رفاعة بن رافع وفيه تشميت العاطس ثلاثا فإن زاد فإن شاء يشامته وإن شاء تركه //

(وإذا طنت أذنه فليذكر النبي صلى الله عليه وسلم وليصل عليه وليقل ذكر الله بخير من ذكرني (ط)) // الحديث أخرجه الطبراني في الكبير كما قال المصنف رحمه الله وهو من حديث أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله بخير من ذكرني قال في مجمع الزوائد بعد أن عزاه إلى معاجم الطبراني الثلاثة وإلى مسند البزار إن إسناد الطبراني في الكبير حسن وفيه أنه يحسن عند طنين الأذن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول ذكر الله بخير من ذكرني وفيه إشارة إلى أن سبب ذلك ذكر بعض من يذكره وقد ذكر أهل علم الطب أن ذلك يكون من تصعد الأبخرة ولكن هذه الإشارة من الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وإن لم تكن صريحة في السببية فهي أقدم من كلام أهل الطب وأخرج هذا الحديث ابن السني في عمل اليوم والليلة //

ما يقوله من خدرت رجله

(وإذا خدرت رجله فليذكر أحب الناس إليه (ي. مو))." [1]

"يا ليلة غلط الزمان بها ولو ... عوضتها بالعمر كان منائي

وقلت أيضا

أفدي التي زارت بلا موعد ... في غفلة الواشين والجاني

والوجه منها روضة أينعت ... ما لمستها راحة الجاني

قمت لأجني الورد من خدها ... وهي بسيف اللحظ ترعاني

فقلت ما هذا وقد راعني ... قالت حديد يمنع الجاني

وأما كلام سيدي عمر بن الفارض في وصف طيب الحبيب فغاية لا يدركها اللبيب وذلك قوله:

ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها ... وفي الغرب مزكوم لعادله الشم

فإنه مع ذكر البعد فيما بين الجهتين مرصع بلطائف لا يهتدى إليها إلا من خص بالعناية ألا ترى إلى وصفه الشام بالزكام المانع من الشم عادة وجعله في الغرب الذي يكثر الهواء منه لا إليه كما في القرينة الثانية وجعل المحبوبة في القطر الحار الذي تفنى فيه الرائحة إذا عبقت لشدة تحليل الشمس لما يحمله الهواء من تصعيد البخار ومع ذلك يشم ومنه أخذت فقلت:

لو اشتاقها في الغرب فاقد شمه ... وكانت بأقصى الشرق شم نسيمها

وقلت في العيادة

---

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين الشوكاني ص/٣١١

أقول لها هل تسعفي بعيادة ... مريضا كواه البين بالهجر والسقم

فقالت إذا ما فارق الروح زرته ... لأن محال جمع روحين في جسم

ومما يتخرج على الزيارة تخريج الفروع على الأصول ويهتدي إلى الحاقه بها أهل العقول ما جرى على ألسنة الأحباب من أحوال العتاب وانقسام الناس فيه إلى مادح له لتأكيده المحبة وذام له بين الأحبة والصحيح إنما كذب الناقل وميز الحق من الباطل وأكد الصحبة بعد النفور وبين للحبيب الزور فهو أحق بأن ينصر ومنه يستكثر قال في إحياء علوم الدين ما معناه إن العتاب شأن أولي الألباب وقاطع لقطيعة الإخلاء والأصحاب وكان الرجل إذا وقع في نفسه من أخيه شيء لم يهجره حتى يوضح له ذلك فإن انتهى وإلا هجره وأما عتاب يفضي إلى المقاطعة ويحدث الهجر والممانعة فتقريع يجب اجتنابه عقلا ونقلا وتركه فصلا ووصلا وفيه قيل من سوء الآداب كثرة العتاب ومن أمثالهم في الأول العتاب مفتاح الوصال قاطع للهجر والملال وإلى سلوك الطريقة الحسنة فيه أشار من أمر بقتله وهو سعيد الكاتب بقوله:

أقلل عتابك فالبقاء قليل ... والدهر يعدل تارة ويميل

ولعل أيام الحياة قصيرة ... فعلام تكثر عتبنا وتطيل

وقال آخر

وبعض العتاب إذا ما رفقت ... يباعد هجر أو يدني وصالا

فعاتب أخاك ولا تجفه ... فإن لكل مقام مقالا

وإلى مكثر التقاطع أشار بالترك من قال

لا تقر عن سماع من ... تهوى بتعداد الذنوب

ما ناقش الأحباب إلا ... من يعيش بلا حبيب

وإلى تأييد الأول أشار من قال

فلا عيش كوصل بعد هجر ... ولا شيء ألذ من العتاب

فلا هذا يمل حديث هذا ... ولا هذا يمل من الجواب

وقال آخر

وأحسن أيام الهوى يومك الذي ... تروع بالهجران فيه وبالعتب

إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا ... فأين حلاوات الرسائل والكتب

ابن سنا الملك

وأملي عتابا يستطاب فليتني ... أطلت ذنوبي كي يطول عتابه

ومن غرتي ذكر العذيب وبارق ... وما هو إلا ثغره ورضا به

أبو نواس

أساء فزادته الإساءة خطوة ... حبيب على ما كان منه حبيب

تعد علي الواشيات ذنوبه ... ومن أين الموجه المليح ذنوب

الحكم بن قنبر

كأنما الشمس في أعطافه طبعت ... حسنا أو البدر من أزراره طلعا

مستقبل بالذي يهوي وإن عظمت ... منه الإساءة معذور بما صنعا

في وجهه شافع يمحو إساءته ... من القلوب وجيه حيثما شفعا

أبو فراس

قل لإحبابنا الجناة علينا ... درجونا على احتمال الملال

أحسنوا في عتابكم أو أسيئوا ... لاعدمناكم على كل حال

وقال آخر

إذا مرضنا أتيانكم نعودكم ... وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

وقال آخر

حججي عليك إذا خلوت كثيرة ... وإذا حضرت فإنني مخصوم." [١]

"يتطالعن من ثغور النقاب ...

ومما يصحف كثيرا قوله صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وفي رأسه عرق عن الجذام ينعر الياء مفتوحة والنون ساكنة والعين مكسورة غير معجمة حدثنا أبو بكر بن الأنباري حدثنا محمد بن يونس القرشي حدثنا بشر بن حجر الشامي حدثنا فضيل بن عياض عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس عن عائشة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد إلا وفي رأسه عرق من الجذام ينعر فإذا هاج سلط الله عليه **الزكام** فلا تداووا منه ينعر يسيل ويقال جرح نعار وقد نعر ينعر نعرا

وفي حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وأعوذ بك من شر كل عرق ٣٠ أنعار أي يسيل فلا يسكن." [٢]

"(١٩١) وعن يونس، قال: عاتب رجل من بكر بن وائل مسمع بن مالك فقال:

ان لنا سيدا ترجى فواضله ... يعطي الغني ولا يعطي من افتقرا

كذى الفصال يولي الدر اسمنها ... ويترك الاخر المهزول قد اضمرا

(١٩٢) وعن الأصمعي، قال: كان ابو عميس بخيلا، وكان اذا وقع بيده درهم نظره، ثم قال: كم من يد وقعت فيها، وبلد دخلته، فأسكن وقر عينا، فقد اطمأن بك المنزل، واستقرت بك الدار، ثم يصره في خرقة، ويلقيه في حرزه.

(١٩٣) وعن الأصمعي، قال: كان ابو عميس بخيلا، وكان اذا وقع بيده درهم نظره، ثم قال: كم من يد وقعت فيها، وبلد دخلته، فاسكن وقر عينا، فقد اطمأن بك المنزل، واستقرت بك الدار، ثم يصره في خرقة، ويلقيه في حرزه.

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/١٦٦

(٢) تصحيفات المحدثين العسكري، أبو أحمد ٢٢٠/١

(١٩٣) وعن الأصمعي، قال: بلغني ان اعرأبيا جاء إلى الحسن، فقال: يا ابا سعيد علمني دينا وسوطا، لا ذاهبا فروطا، ولا ساقطا سقوطا: فقال. احسنت، لله ابوك عليك من الامور بأوساطها.

(١٩٤) قال: ضرب بعض عمال المدينة ابن أبي عتيق في الخمر، فلقيه ابو قتادة بن ربعي، فقال له: يابن اخي، افي خليلة ضربوك؟ فقال: كلا يا عمي، بل:

صرف من الداروم او من بابل ... او من بلاس يشمها المزكوم

راح ترد الروح بعد نفورها ... وبها ينال شفاءه المحموم." (١)

"[باب البومة والتومة والنومة] :

وأغفل هذه الترجمة وهي "البومة" و"التومة" و"النومة". أما الأول بالباء الموحدة المضمومة فهو:

أبو عبد الله محمد بن سليمان بن داود الحراني: يلقب بالبومة وأغفله الأمير [أبو نصر بن ماكولا] أيضا، روى عن أبيه. روى عنه أبو داود سليمان بن سيف. توفي سنة "ثلاث عشرة ومائتين". أخبرنا القاضي أبو القاسم عبد الصمد بن محمد، قراءة عليه وأنا أسمع غير مرة بدمشق، أنبأنا طاهر بن سهل بن بشر الأسفراييني قراءة عليه وأنا أسمع أنبأنا أبو الحسين محمد بن مكي بن عثمان الأزدي المصري، قدم علينا دمشق، أخبرنا القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن إسحاق الحلبي حدثني جدي إسحاق بن محمد بن يزيد أنبأنا أبو داود -يعني سليمان بن سيف- أنبأنا محمد بن سليمان أنبأنا أبي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه، فإن زاد على ثلاث فهو مزكوم، ولا يشمت بعد ثلاث" غريب من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب، تفرد به سليمان بن داود الحراني لا أعلم [أحدا] حدث به غير محمد بن سليمان ويعرف بالبومة.

وأما "التومة" بالتاء المضمومة المعجمة باثنتين من فوقها فهو:

أبو السعادات المبارك بن بقا المقري الخباز: من أهل باب البصرة، يعرف بتومة، سمع أبا السعود أحمد بن علي بن المجلي، وروى عنه، ذكر أبو بكر محمد بن المبارك بن مشق أنه سمع منه وأنه توفي يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر سنة "سبعين وخمسمائة". ذكره الحافظان أبو عبد الله بن سعيد بن الدبيثي، ومحمد بن محمود بن النجار في كتابيهما.." (٢)

"الزكام وبعد هذا فالأعمال بالنيات والناقد بصير وكم من ساكت عن غيبة المسلمين إذا اغتيبوا عنده فرح قلبه وهو آثم بذلك من ثلاثة أوجه أحدها الفرح فانه حصل بوجود هذه المعصية من المغتاب والثاني لسروره بثلب المسلمين والثالث أنه لا ينكر.

فصل: وقد لبس إبليس على الكاملين في العلوم فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم في تصانيف العلوم ويريهم إبليس أن المقصود نشر الدين ويكون مقصودهم الباطن انتشار الذكر وعلو الصيت والرياسة وطلب الرحلة من الآفاق إلى المصنف.

وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انتفع بمصنفاته الناس من غير تردد إلى أو قرئت على نظيره في العلم فرح بذلك إن كان مراده

---

(١) تعليق من أمالي ابن دريد ابن دريد ص/١٨١

(٢) تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب ابن الصابوني ص/١٣

نشر العلم وقد قال بعض السلف ما من علم علمته إلا أحببت أن يستفيده الناس من غير أن ينسب إلي ومنهم من يفرح بكثرة الاتباع ويلبس عليه إبليس بأن هذا الفرح لكثرة طلاب العلم وإنما مراده كثرة الأصحاب واستطارة الذكر ومن ذلك العجب بكلماتهم وعلمهم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انقطع بعضهم إلى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه وما هذه صفة المخلص في التعليم لأن مثل المخلص مثل الأطباء الذين يداوون المرضى لله سبحانه وتعالى فإذا شفي بعض المرضى على يد طبيب منهم فرح الآخر وقد ذكرنا آنفا حديث ابن أبي ليلى ونعيده بإسناد١ آخر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار ما منهم رجل يسأل عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه ولا يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه.

فصل: قال المصنف وقد يتخلص العلماء الكاملون من تلبيسات إبليس الظاهرة فيأتيهم بخفي من تلبيسه بأن يقول له ما لقيت مثلك ما أعرفك بمداخلي ومخارجي فان سكن إلى هذا هلك بالعجب وان سلم من المسألة له سلم وقد قال السري السقطي لو أن رجلا دخل بستانا فيه من جميع ما خلق الله عز وجل من الأشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الأطيار فخاطبه كل طائر بلغته وقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كأن في أيديها أسيرا والله الهادي لا إله إلا هو.

---

١ كذا في الأصول بدون ذكر السند.." (١)

"صفوان يقول قال الفضيل بن عياض لأبنه وقد سقط يا بني إن كنت صادقا لقد فضحت نفسك وإن كنت كاذبا فقد أهلكت نفسك.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا محمد بن أحمد النجار ثنا المرتعش قال رأيت أبا عثمان سعيد بن عثمان الواعظ وقد تواجد إنسان بين يديه فقال له يا بني إن كنت صادقا فقد أظهرت كل مالك وإن كنت كاذبا فقد أشركت بالله.

فصل قال المصنف رحمه الله: فإن قال قائل إنما يفرض الكلام في الصادقين لا في أهل الرياء فما تقول فمن أدركه الوجد ولم يقدر على دفعه فالجواب إن أول الوجد انزعاج في الباطن فإن كف الإنسان نفسه كيلا يطلع على حاله يئس الشيطان منه فبعد عنه كما كان أيوب السختياني إذا تحدث فرق قلبه مسح أنفه وقال ما أشد الزكام وان أهمل الإنسان ولم يبال بظهور وجده أو أحب إطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه كما أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله ثني أبي ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الخراز عن ابن أخي زينب عن امرأة عبد الله قالت جاء عبد الله ذات يوم وعندي عجوز ترقيني من الحموة فأدخلتها تحت السرير قالت فدخل فجلس إلى جنبي فرأى في عنقي خيطا فقال ما هذا الخيط قلت خيط رقي لي فيه رقية فأخذه وقطعه ثم قال إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن في الرقى والتمائم والتولة شركا قالت فقلت له لم

---

(١) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/١١٧

تقول هذا وقد كانت عيني تقذف وكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها فكان إذا رقاها سكنت قال إنما ذاك من عمل الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقيتها كف عنها إنما كان يكفيك أن تولي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما.

قال المصنف رحمه الله: التولة ضرب من السحر يحبب المرأة إلى زوجها أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا الحسن بن عبد الملك بن يوسف نا أبو محمد الخلال ثنا أبو عمر بن حياة ثنا أبو بكر بن أبي داود ثنا هارون بن زيد عن أبي الزرقاء ثنا أبي قال ثنا سفيان عن عكرمة بن عمار عن شعيب بن أبي السني عن أبي عيسى أو عيسى قال ذهبت إلى عبد الله بن عمر فقال أبو السوار يا أبا عبد الرحمن إن قوما عندنا إذا قرىء عليهم القرآن يركض أحدهم من خشية." (١)

"أنه قال: «بادروا بالأعمال الصالحة، قبل أن تظهر ست طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، والدابة، وخاصة أحدكم» يعني الموت.

«وأمر العامة» يعني يوم القيامة

٩٣٦ – وعن عبد الله بن ساباط ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: «إنه سيكون فيكم الخسف، والمسخ، والقذف»
.

قالوا يا رسول الله، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله.

قال: «نعم إذا ظهرت فيهم الأربع القينات، والمعازف والخمور والحرير» وعن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه ، في قوله تعالى: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ [الأنعام: ٦٥] ، قال: هي خلال أربع وهن واقعات لا محالة.

فمضت اثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة فألبسوا شيعا يعني الأهواء المختلفة وذاق بعضهم بأس بعض، واثنتان واقعتان لا محالة: الخسف والرجف.

٩٣٧ – وروي أنه لما نزلت هذه الآية دعا النبي صلى الله عليه وسلم فعفى عن اثنين الخسف والمسخ، وبقي اثنان وهما الأهواء والبأس

وروى الأعمش ، عن أبي الضحى،، عن مسروق ، قال: بينما رجل يحدث في المسجد قال: إذا كان يوم القيامة نزل دخان من السماء، فأخذ بأسماع المنافقين، وأبصارهم، وأخذ المؤمنين منه كهيئة **الزكام**، قال مسروق: فدخلت على عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، فذكرت ذلك له، وكان متكئا فاستوى قاعدا، ثم قال: أيها الناس من كان منكم عنده علم، فسئل عنه فلقيه، ومن لم يكن عنده، فليقل: الله أعلم، إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ [ص: ٨٦] ،." (٢)

---

(١) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/٢٢٨

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي أبو الليث السمرقندي ص/٥٨٠

"أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد، أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسن بن أحمد بن البناء، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد ابن المسلمة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص، حدثنا أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، حدثنا أحمد بن صالح المصري، حدثنا عنبسة بن خالد، حدثنا يونس بن يزيد، قال: سألت أبا الزناد عن بيع الثمر قبل أن يبدو صلاحه (١) وما يذكر في ذلك، فقال: كان عروة بن الزبير يحدث عن سهل بن أبي حثمة عن زيد بن ثابت، قال: كان الناس يتبايعون الثمار فإذا جد الناس، وحضر تقاضيهم قال أبو جعفر: أظنه يقاضيهم قال المبتاع: إنه أصاب الثمار الدمان وأصابه قشام، وأصابه مراض، عاهات يحتجون بها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإما لا [فلا] يتبايعوا الثمار حتى يبدو صلاحها، كالمشورة يشير بها لكثرة خصومتهم. قال أبو بكر: إني شاك لا أدري سمعت هذه الكلمة من قول أحمد وهو في كتابي مجاز عليه. قال أبو جعفر: والصواب: الدمان (٢) .

نسخة المؤلف التي بخط وهي النسخة المحفوظة في مكتبة فيض الله أفندي برقم ١٤٢٧ وهذه المكتبة ملحقة الآن في مكتبة (ملة) باستانبول، والحمد لله على منته. وقد حذفت البسملة من أول الجزء كما حذفت صيغة نهاية الجزء على الخطة التي ذكرتها في المقدمة.

(١) في الحديث الذي رواه الإمام مسلم برقم ١٥٣٤: فقيل لابن عمر: ما صلاحه؟ قال: تذهب عاهته.

(٢) قال مجد الدين ابن الاثير في (الدمان) من"النهاية": هو بالفتح وتخفيف الميم: فساد الثمر وعفنه قبل إدراكه حتى يسود، من الدمن وهو السرقين. ويقال: إذا طلعت النخلة عن عفن وسواد قيل: أصابها الدمان.

ويقال: الدمال باللام أيضا بمعناه، هكذا قيده الجوهري وغيره بالفتح.

والذي جاء في غريب الخطابي بالضم، وكأنه أشبه، لان ما كان من الادواء والعاهات فهو بالضم، كالسعال والنحاز والزكام.

وقد جاء في الحديث: القشام والمراض وهما من آفات الثمرة، ولا خلاف في ضمهما.

وقيل: هما لغتان. قال الخطابي: ويروى الدمار بالراء ولا معنى له" (٢ / ١٣٥) .

وقال ابن منظور في (دمن) من"اللسان": الدمن والدمان"عن النخلة وسوادها.

وقيل: هو أن ينسغ النخل عن عفن وسواد. الأصمعي: إذا أنسغت النخلة عن عفن وسواد قيل: قد أصابه الدمان، بالفتح.

وقال ابن الزناد: هو الادمان"وقد نقل ابن منظور بعد ذلك جميع ما ذكره ابن الاثير وترجيحه للضم.." (١)

"قال: وكان يقول: اللهم خلص خلص!

وقال علي بن الحسن الهلالي: حدثني علي بن عثام، قال: قال كهمس الهلالي: بكيت على ذنب عشرين سنة. قالوا: وما هو؟ قال: غديت رجلا فأخذت من جدار جار لي قطعة لبن ليغسل يده.

قال: وقال عطاء السليمي: بكيت على ذنب أربعين سنة، صدت حمامة، وإني أحمد الله إليكم تصدقت بثمنها على

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٣٥٠/١

المساكين!

وقال محمد بن شاذان: سمعت بشر بن الحكم يقول: كان علي بن عثام يدلنا على المشيخة وهو غلام، وفي رأسه قلنسوة طويلة.

وقال الحسين بن منصور بن جعفر: سمعت علي بن عثام يقول: أتيت غندرا، فذكر من فضله وعلمه بحديث شعبة، فقال: هات كتابك، فأبيت إلا أن يخرج كتابه، قال: فأخرجه، وقال: يزعم الناس أني اشتريت سمكا، فأكلوه ولطخوا يدي ونمت، فلما استيقظت وطلبته، قالوا: شم يدك، فما كان يدلني بطني، وكان مغفلا.

وقال أيضا: سمعت علي بن عثام، وقال له رجل: كيف حديث العقبة؟ قال: كيف يصح وهو كذب، من حدث به فهو فاسق فاجر كاذب. فلما خرج السائل، قال: كلكم يا بني حمان مزكوم، ما ذكر العقبة إنسان فيه خير، ثم قال لي: يزعم الرافضة." (١)

"بلة ولا يجلب نقع غله، وحكم المدفع الكبير على سور القلعة فقال له السور دائم النفوذ والأحكام، وانقلبوا صاغرين إلى الطاعة وقد قابلنا أنف جبلهم بالإرغام، ورجعوا عن خليلهم الكردي لما قام لهم على جهله الدليل، وقالوا طاعة السلطنة الشريفة ما يراعي فيها من العصاة خيل، وسألونا الصفح عن حديث جهلهم القديم، وسلموا القلعة لرضا خواطرنا الشريعة فاجمعوا بذلك بين الرضا والتسليم، وتنكرت أكراد كركر بسور القعلة فعرفناهم بلامات بين الرضا والتسليم، وتنكرت أكراد الكوكر بسور القلعة فعرفناهم بلامات القسي وألفات السهام، وعطست أنوف

مراميهم بأصوات مادافعنا كأن بها زكام وتبرموا من خليلهم الكردي لما شاهدوا الخطب جليلا، وقال كل منهم يا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا، وأورت عاديات المدافع ب القلعة قدحا فأمست بالزلزلة مهددة وفرار من سطواتنا إلى البروج فأدركهم الموت في بروجهم المشيدة وسألنا كرديهم في جزيل ماله ليغدو بنفسه الخبيثة ويروح، فلم نرض منه على كفره إلا بالمال والروح، وسجناه في قلعته وقد أيقن بالموت وارتفع النزاع، وجهز المفتاح لتخليص دينه فحصل على سجنه الإجماع، وأمسى بها: يهم بأصوات مادافعنا كأن بها زكام وتبرموا من خليلهم الكردي لما شاهدوا الخطب جليلا، وقال كل منهم يا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا، وأورت عاديات المدافع ب القلعة قدحا فأمست بالزلزلة مهددة وفرار من سطواتنا إلى البروج فأدركهم الموت في بروجهم المشيدة وسألنا كرديهم في جزيل ماله ليغدو بنفسه الخبيثة ويروح، فلم نرض منه على كفره إلا بالمال والروح، وسجناه في قلعته وقد أيقن بالموت وارتفع النزاع، وجهز المفتاح لتخليص دينه فحصل على سجنه الإجماع، وأمسى بها:

كريشة في ممر الريح ساقطة

وتمام البيت معروف عند من له عليه اطلاع وجاءت مفاتيح كل من ديار بكر وقد أزهرت باسمنا." (٢)

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٦١/٢١

(٢) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ٩٧/٢

"الحاصلة من اجتماع اجرام منيرة مستديرة في كل – والأداة الكاف، والغرض منه بيان حاله

تمرين

بين أنواع التشبيه فيما يأتي:

(١) الورد في أعلا الغصون كأنه ملك تحف به سراة جنوده

(٢) إذا ارتجل الخطاب بدا خليج بفيه يمده بحر الكلام

كلام بل مدام بل نظام من الياقوت بل حب الغمام

(٣) يا صاحبي تيقظا من رقدة تزري على عقل اللبيب الاكيس

هذي المجرة والنجوم كأنها نهر تدفق في حديقة نرجس

(٤) وكأن الصبح لما لاح من تحت الثريا

ملك أقبل في التا ج يفدى ويحيا

(٥) إنما النفس كالزجاجة والعل م سراج وحكمة الله زيت

فاذا أشرقت فانك حي وإذا أظلمت فانك ميت

(٦) وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوى الناس وهو مريض

(٧) إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

(٨) جمرة الخد أحرقت عنبر الخا ل فمن ذلك العذار دخان

(٩) كالبدر من حيث التفت رأيته يهدى إلى عينيك نورا كافيا

(١٠) وأشرق عن بشر هو النور في الضحا وصاف بأخلاق هي الطل في الصبح

تمرين آخر

لبيان أنواع التشبيه: البليغ، والضمني، والتمثيل، والمقلوب والمؤكد والمفصل، والمجمل.

(١) خلط الشجاعة بالحياء فأصبحا كالحسن شيب لمغرم بدلال

(٢) شقائق يحملن الندى فكأنه دموع التصابي في خدود الخرائد

(٣) عذب الفراق لنا قبيل وداعنا ثم اجترعناه كسم ناقع

فكأنما أثر الدموع بخدها طل تناثر فوق ورد يانع (١)

(٤) وترى الغصون تميل في أوراقها مثل الوصائف في صنوف حرير

(٥) وحديقة ينساب فيها جدول طرفي برونق حسنه مدهوش

يبدو خيال غصونها في مائه فكأنما هو معصم منقوش

(٦) انظر إلى حسن تكوين السماء وقد لاحت كواكبها والليل ديجور

كأنها خيمة ليست على عمد زرقاء قد رصعت فيها الدنانير

(٧) وقد سفر الدجى عن ضوء فجر منير مثلما سفر النقاب

فخلت الصبح في إثر الثريا بشيرا جاء في يده كتاب
(٨) ولقد ذكرتك والنجوم كأنها درر على أرض من الفيروزج
يلمعن من خلل السحاب كأنها شرر تطاير من دخان العرفج
(٩) ونارنجة بين الرياض نظرتها على غصن رطب كقامة أغيد
إذا ميلتها الريح مالت كأكرة بدت ذهبا من صولجان زمرد
(١٠) وحديقة غناء ينتظم الندى بفروعها كالدر في الأسلاك
والبدر يشرق من خلال غصونها مثل المليح يطل من شباك
(١١) لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا والمزن يسكب أحيانا وينحدر
والأرض مصفرة بالمزن كاسية أبصرت تبرا عليه الدر ينتشر
(١٢) وللأقاحي قصور كلها ذهب من حولها شرفات كلها درر
(١٣) كأنما النار في تلهبها والفحم من فوقها يغطيها
زنجية شبكت أناملها من فوق نارنجة لتخفيها
(١٤) والورد في شط الخليج كأنه رمد ألم بمقلة زرقاء
(١٥) هذي المجرة والنجوم كأنها نهر تدفق في حديقة نرجس
(١٦) أنظر إلى حسن هلال بدا يهتك من أنواره الحندسا (٢)
كمنجل قد صيغ من عسجد يحصد من زهر الدجى نرجسا
(١٧) والبدر يستتر بالغيوم وينجلي كتنفس الحسناء في مرآتها
كأنما الأغصان لما انثنت أمام بدر التم في غيهبه
(١٨) بنت مليك خلف شباكها تفرجت منه على موكبه
(١٩) كان شعاع الشمس في كل غدوة على ورق الأشجار أول طالع
دنانير في كف الأشل يضمها لقبض فتهوى من فروج الأصابع
(٢٠) لئن بسط الزمان يدى لئيم فصبرا للذي فعل الزمان
فقد تعلو على الرأس الذنا بي كما يعلو على النار الدخان
(٢١) دهر علا قدر الوضيع به وغذا الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سقلا وتطفو فوقه جيفه
(٢٢) لو أورقت من دم الأبطال سمرقنا لأورقت عنده سمر القنا الذبل
إذا توجه في أولي كتائبه لم تفرق العين بين السهل والجبل
فالجيش ينقض حوليه أسنته نفض العقاب جناحيه من البلل
(٢٣) لو كنت شاهدنا عشية أنسها والمزن يبكينا بعيني مذنب

والشمس قد مدت أديم شعاعها في الأرض تجنح غير أن لم تذهب
خلت الرذاذ برادة من فضة قد غربلت من فوق نطع مذهب (٣)
(٢٤) لله دولاب يفيض بسلسل في روضة قد أينعت أفنانا
قد طارحته بها الحمائم شجوها فيجيبها ويرجع الألحانا
فكأنه دنف (٤) يدور بمعهد (٥) يبكي ويسأل فيه عمن بانا (٦)
ضاقت مجاري طرفه عن دمعه فتفتحت أضلاعه أجفانا
(٢٥) أخرس ينبيك بإطراقه عن كل ما شئت من الأمر
يذرى على قرطاسه دمعه يبدى لنا السر وما يدرى
كعاشق أخفى هواه وقد نمت عليه عبرة تجري
(٢٦) الشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب
كأنها بودقة أحميت يجول فيها ذهب ذائب
(٢٧) قال الله تعالى: (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح)
(٢٨) إذا ما تردى لأمة الحرب أرعدت حشا الأرض واستدمى الرماح الشوارع
وأسفر تحت النقع حتى كأنه صباح مشى في ظلمة الليل ساطع
(٢٩) وكأن أجرام السماء لوامعا درر نثرن على بساط أزرق
(٣٠) قال الله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) .
(٣١) وقال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا)
(٣٢) وقال تعالى (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس) .
(٣٣) حمر السيوف كأنما ضربت لهم أيدى القيون صفائحا من عسجد
في فتية طلبوا غبارك إنه رهج ترفع عن طريق السؤدد
كالرمح فيه بضع عشرة فقرة منقادة خلف السنان الأصيد
(٣٤) خبريني ماذا كرهت من الشيب فلا علم لي بذنب المشيب
أضياء النهار أم وضح اللؤ لؤ أم كونه كثغر الحبيب
واذكرى لي فضل الشباب وما يجمع من منظر يروق وطيب
غدره بالخليل أم حبه للغي أم أنه كدهر الأديب
(٣٥) والبدر أول ما بدا متلثما يبدى الضياء لنا بخد مسفر

فكأنما هو خوذة من فضة قد ركبت في هامة من عنبر

(٣٦) خلتها في المعصرات القواني وردة في شقائق النعمان

(٣٧) شبهت بدر سمائنا لما دنت منه الثريا في قميص سندس

ملكا مهيبا قاعدا في روضة حياه بعض الزائرين بنرجس

(٣٨) وإني على اشفاق عيني من البكا لتجمح مني نظرة ثم أطرق

كما حلئت عن ماء بئر طريدة تمد إليها جيدها وهي تفرق

(٣٩) أنا كالورد فيه راحة قوم ثم فيه لآخرين زكام

(٤٠) يا حبذا يومنا ونحن على رؤوسنا نعقد الأكاليلا

في جنة ذللت لقاطفها قطوفها الدانيات تذليلا

كأن أترجها تميل بها أغصانها حاملا ومحمولا

سلاسل من زبرجد حملت من ذهب أصفر قناديلا

(٤١) كم والد يحرم أولاده وخيره يحظى به الأبعد

كالعين لا تنظر ما حولها ولحظها يدرك ما يبعد

(٤٢) ريم يتيه بحسن صورته عبث الفتور بلحظ مقلته

فكأن عقرب صدغه وقفت لما دنت من نار وجنته

(٤٣) وشادن أهيف حيا بنرجسة كأنها إذ بدت في غاية العجب

كف من الفضة البيضا ساعدها زبرجد حملت كأسا من الذهب

(٤٤) نثر الجو على الأرض برد أي در لنحور لو جمد

لؤلؤ أصدافه السحب التي أنجز البارق منها ما وعد

(٤٥) أبصرت طاقة نرجس في كف من أهواه غضه

فكأنها برج الزبر جد أنبتت ذهبا وفضة

(٤٦) كأن الأفق محفوف بنار وتحت النار آساد تزير

(٤٧) وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

بلاغة التشبيه (٧)

وبعض ما اثر منه عن العرب والمحدثين

تنشأ بلاغة التشبيه: من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه، إلى شيء طريف يشبهه، أو صورة بارعة تمثله وكلما كان هذا الانتقال بعيدا، قليل الخطور بالبال، أو ممتزجا بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروع للنفس، وأدعى إلى إعجابها واهتزازها فإذا قلت: فلان يشبه فلانا في الطول، أو أن الأرض تشبه الكرة في الشكل، لم يكن في هذه التشبيهات أثر

للبلاغة، لظهور المشابهة، وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة، وجهد أدبي، ولخلوها من الخيال،

---

(١) الطل، الندى.

(٢) الحندس: الظلام.

(٣) النطع: بساط من جلد.

(٤) الدنف: من برح به العشق.

(٥) المعهد: المنزل الذي إذا نأى عنه القوم رجعوا إليه.

(٦) بان: فارق.

(٧) التشبيه مع ما فيه من ميزة الايجاز في اللفظ يفيد المبالغة في الوصف، ويخرج الخفي إلى الجلي والمعقول إلى المحسوس، ويجعل التافه نفيسا، والنفيس، تافها ويدني البعيد من القريب، ويزيد المعنى وضوحا، وبكسبه تأكيدا، فيكون أوقع في النفس وأثبت، وله روعة الجمال والجلال.." (١)

"شرابا ولو اختبرها لم يجدها غير آل وسراب، ويا سعادة من أقصر، عندما أبصر، واعتبر لما اختبر، فالدهر أفصح مؤذن بالزوال، وأنصح مؤذن بالارتحال، فلما سمع الماء ما قلناه من الكلام، وتأمل ما فيه من منثور النثر وقلائد النظام، تموج وتأود، ورغا وأزبد، وجرى واضطرب، وعبس بعد القهقهة وقطب، وقال يا معشر الأكابر، أما بلغكم قول الشاعر:

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا ... فلا رأي للمضطر إلا ركوبها

وقول الآخر:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند

وقول السفاح وهو أول من وطد الخلافة العباسية حين قتل بنو عمه بني أمية

نفلق هاما من رجال أعزة ... علينا وإن كانوا أعق والأما

أما عرفتم أن الأخ المعاند، كالعضو الزائد، يشين الذات، ويمنع اللذات، فقطعه من الرشد، وإن آلم الجسد، هذا ولا يغر الهواء صفائي فكم تكدرت، ولا يثق بسلاستي فكم انعقدت واستحجرت، والذي جمعت في صفاتي الأضداد، كما قال الشاعر وأجاد:

أنا كالورد فيه راحة قوم ... ثم فيه لآخرين زكام

وحسبك ما قاله الشاعر: كالماء فيه الحياة والغرق، فإن زعم الهواء إن له علي فضيلة، فليعرضها على أسماعكم غير متعلل بعلة ولا متحيل بحيلة، فقلنا نعوذ بالله من اجتماع النفس والهوا، فمن رام منكما أن يتكلم فليجعل منبر الفخر له مستوى،

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي ص/٢٤٥

فعند ذلك ثار الهواء وله غبار، وصعد منبر الفخار، وقال الحمد لله الذي رفع فلك الهواء، على عنصر التراب والماء، ونفخ في آدم من روحه وعلمه جميع الأسماء، أما بعد." [1]

"وقد بينت هذه مع أخوات لها في كتاب "التعالم"، والحمد لله رب العالمين.

تحبير الكاغد:

كما يكون الحذر من التأليف الخالي من الإبداع في مقاصد التأليف الثمانية (١) ، والذي نهايته "تحبير الكاغد" (٢) فالحذر من الاشتغال بالتصنيف قبل استكمال أدواته، واكتمال أهليتك، والنضوج على يد أشياخك، فإنك تسجل به عارا وتبدى به شنارا.

أما الاشتغال بالتأليف النافع لمن قامت أهليته، واستكمل أدواته، وتعددت معارفه، وتمرس به بحثا ومراجعة ومطالعة وجردا لمطولاته، وحفظا لمختصراته، واستذكارا لمسائله، فهو من أفضل ما يقوم به النبلاء من الفضلاء.

ولا تنس قول الخطيب:

"من صنف، فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس".

موقفك من وهم من سبقك:

إذا ظفرت بوهم لعالم، فلا تفرح به للحط منه، ولكن افرح به لتصحيح المسألة فقط، فإن المنصف يكاد يجزم بأنه ما من إمام إلا وله أغلاط وأوهام لا سيما المكثرين منهم.

وما يشغب بهذا ويفرح به للتنقص، إلا متعالم "يريد أن يطب زكاما فيحدث به جذاما" (٣) .

---

(١) – أول من ذكرها بن حسب في: "نقط العروس"، وانظر تسلسل العلماء لذكرها في: "إضاءة الراموس" (٢/٢٨٨) مهم.

(٢) – هو القرطاس: فارسي معرب.

(٣) –"مجمع البلاغة" للراغب.." [2]

"فجئت عليه ووجأته بالخنجر، فصرعته وذبحته، وأغلقت باب الدير وصعدت إلى الغرفة، واصطليت بنار كانت موقودة هناك، وطرحت علي من رحلي ثيابا كثيرة، وأخذت كساء الراهب فنمت فيه، فما أفقت إلا قرب العصر، فلما انتبهت طفت الدير حتى وقفت على طعام فأكلت منه، وسكنت نفسي. ووقعت بمفاتيح بيوت الدير، فوقفت أفتح بيتا بيتا، فإذا أموال عظيمة، من عين وورق، وأمتعة وثياب، وآلات ورحال قوم، وأخراجهم وحمولاتهم، وإذا الراهب كان من عادته ذلك، مع كل من يجتاز به وحيدا ويتمكن منه. قال: فتحيرت في نفسي ولم أدر كيف أعمل في نقل المال فلبست

---

[1] حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٢٢٢

[2] حلية طالب العلم بكر أبو زيد ص/١٩٩

من ثياب الراهب شيئا، وأقمت في صومعته أياما، أتراءى لمن يجتاز بي من بعيد لئلا يشكوا أني أنا هو فإذا قربوا مني لم أبرز إليهم وجهي إلى أن خفي أثري، فنزعت ثياب الراهب، وأخذت جوالقين كانا في الدير من تلك الأمتعة، وجعلتهما على ظهر البغلة وذهبت إلى قرية قريبة من الدير فاكتريت بها منزلا ولم أزل أنقل إليه على البغلة حتى أخذت الصامت كله مما خف حمله وكثرت قيمته ولم أدع فيه إلا الأمتعة الثقيلة، فاكتريت عدة دواب ورجال، وجئت بهم دفعة واحدة، وحملت كل ما قدرت عليه، وسرت في قافلة عظيمة بغنيمة هائلة حتى قدمت على بلدي، وقد حصلت على مال عظيم. وقد ذكر هذه الحكاية الحافظ ابن شاكر في تاريخه عن أبي محمد البطال وفيها بعض مخالفة.

الخواص:

إذا جفف قلب البغل ونحت وسقي من نحاتته امرأة لم تحبل أبدا. وكذلك وسخ أذنه إذا تحملت به المرأة لم تحبل أبدا. وإن علقته في جلد بغل عليها لم تحبل أبدا ما دام عليها.

ورماد حافره إذا سحق وعجن بدهن الآس، وجعل على رأس الأقرع أو الموضع الذي لا ينبت فيه شعر، نبت الشعر. وإذا دفن حافر البغلة السوداء، أو دمها تحت عتبة باب لم يقربه فار. وإذا بخر البيت بحافر بغلة ذكر هرب منه الفأر وسائر الهوام. ونقل ابن زهر عن سقراطيس أن من كان عاشقا وأحب أن يزول عشقه، فليتمرغ في مراغة بغل ذكر إن كان عشقه من ذكر، وإن كان عشقه من أنثى ففي مراغة بغل أنثى. وزبله إذا شمه **المزكوم** وتفل عليه ورماه على الطريق، فمن تخطاه انتقل **الزكام** إليه وبرىء التافل عليه. وقال هرمس: إذا أخذ وسخ أذن البغل في بندقة من فضة، وعلق على الحبالى منعهن الولادة ما دام عليهن. وإذا سقي منه إنسان في نبيذ، سكر من وقته. وإن شربت امرأة من بول بغل مقدار ثلاثين درهما لم تحبل أبدا. وإن سقيت المرأة الحامل من دماغ بغل شيئا جاء ولدها مجنونا. وقال ابن بختيشوع: عرق البغلة إذا تحملت به امرأة في قطنة لم تحبل أبدا.

التعبير:

البغل في المنام يدل على السفر براكبه، وعلى طول العمر، ويعبر أيضا بولد زنا لا أصل له. فمن ركب بغلا ولم يكن من المسافرين، فإنه يقهر رجلا شديدا. والبغلة مرتبة. وقيل امرأة عاقر فالسوداء ذات مال والبيضاء ذات حسب. وقيل: البغلة سفر، فمن نزل عن بغلته نزول مفارقة نزل عن مرتبته أو فارق زوجته التي هي مركبه أو يطول سفره والله أعلم.

البغيبغ:

تيس الظباء السمين. وسيأتي إن شاء الله تعالى ما فيه في الظبي في حرف الظاء.

البقر الأهلي:

اسم جنس يقع على الذكر والأنثى وإنما دخلته الهاء للوحدة والجمع." (١)

"الصغرى، فإذا جارية كالشمس الطالعة، فجاءت حتى وقفت عليه، ونظرته فقالت: ليس بسليم. قلنا: وكيف ذلك؟ قالت: إنه خدشه عود بالت عليه حية ذكر، والدليل على ذلك أنه إذا طلعت عليه الشمس مات قال: فلما طلعت

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢١٢/١

الشمس مات. فعجبنا من ذلك وانصرفنا. وفيه أيضا في أواخره أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر بحاو يطارد حية، فقالت له الحية: يا روح الله قل له لئن لم يلتفت عني لأضربنه ضربة أقطعه قطعا! فمر عيسى عليه الصلاة والسلام ثم عاد فإذا الحية في سلة الحاوي. فقال لها عيسى عليه السلام: ألست القائلة كذا وكذا؟ فكيف صرت معه؟

فقالت: يا روح الله إنه قد حلف لي والآن غدر بي، فسم غدره أضر عليه من سمي.

وفي عجائب المخلوقات للقزويني، أن الريحان الفارسي لم يكن قبل كسرى أنو شروان، وإنما وجد في زمانه وسببه أنه كان ذات يوم جالسا للمظالم، إذا أقبلت حية عظيمة تنساب تحت سريره، فهموا بقتلها فقال كسرى: كفوا عنها فإني أظنها مظلومة، فمرت تنساب فأتبعها كسرى بعض أساورته، فلم تزل سائرة، حتى استدارت على فوهة بئر، فنزلت فيها، ثم أقبلت تتطلع فنظر الرجل فإذا في قعر البئر حية مقتولة، وهي على متنها عقرب أسود، فأدلى رمحه إلى العقرب ونخسه به وأتى إلى الملك فأخبره بحال الحية، فلما كان في العام القابل أتت تلك الحية في اليوم الذي كان كسرى جالسا فيه للمظالم، وجعلت تنساب حتى وقفت بين يديه، ونفضت من فيها بزرا أسود فأمر به الملك أن يزرع فنبت منه الريحان. وكان الملك كثير الزكام وأوجاع الدماغ فاستعمل منه فنفعه جدا.

فائدة أخرى:

في حلية الأولياء للحافظ العلامة أبي نعيم رحمه الله تعالى، في ترجمة سفيان بن عيينة، عن يحيى بن عبد الحميد قال: كنت في مجلس سفيان بن عيينة، وقد اجتمع عنده ألف إنسان أو يزيدون أو ينقصون، فالتفت في آخر مجلسه إلى رجل كان عن يمينه، وقال:

قم حدث الناس بحديث الحية، فقال الرجل: اسندوني فأسندناه فشال جفونه عن عينه، ثم قال: ألا فاستمعوا وعوا حدثني أبي عن جدي أن رجلا كان يعرف بابن الحمير، وكان له ورع وكان يصوم النهار ويقوم الليل، وكان مبتلى بالقنص، فخرج يوما يتصيد، فبينما هو سائر إذ عرضت له حية، فقالت يا محمد بن حمير أجرني أجارك الله، فقال لها: ممن؟ قالت من عدو قد ظلمني. قال لها: وأين عدوك؟ قالت له: من ورائي. قال لها: من أي أمة أنت؟ قالت: من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

قال: ففتحت لها ردائي وقلت لها ادخلي فيه. قالت: يراني عدوي. قال: فبسطت لها طمري وقلت لها: ادخلي بين طمري وبطني. قالت: يراني عدوي. قلت لها: فما الذي أصنع بك؟

قالت: إن أردت اصطناع المعروف، فافتح لي فاك حتى أنساب فيه. قلت: أخشى أن تقتليني.

فقالت: لا والله ما أقتلك، والله شاهد علي بذلك وملائكته وأنبياؤه وحملة عرشه وسكان سمواته أن لا أقلتك. قال: ففتحت لها فمي فانسابت فيه، ثم مضيت فعارضني رجل معه صمصامة فقال: يا محمد فقلت له: ما تشاء؟ قال: هل لقيت عدوي؟ قلت: ومن عدوك؟ قال: حية.

قلت: اللهم لا. واستغفرت ربي مائة مرة من قولي لا، لعلمي أين هي. ثم مضيت قليلا، فإذا بها قد أخرجت رأسها من فمي وقالت: انظر هل مضى هذا العدو؟ فالتفت فلم أر أحدا." (١)

"ألم تر أن المرء طول حياته ... معنى بأمر لا يزال يعالجه

كدود كدود القز ينسج دائما ... ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

وله أيضا وأجاد:

لا يغرنك أنني لين اللم ... س فعزمي إذا انتضيت حسام

أنا كالورد فيه راحة قوم ... ثم فيه لآخرين زكام

وقال آخر «١» في المعنى:

يفنى الحريص بجمع المال مدته ... وللحوادث ما يبقى وما يدع «٢»

كدودة القز ما تبنيه يهلكها ... وغيرها بالذي تبنيه ينتفع «٣»

لما أخذت دودة القز تنسج، أقبل العنكبوت يتشبه بها، وقال: لي نسج ولك نسج. فقالت دودة القز: إن نسجي ملابس الملوك ونسجك ملابس الذباب، وعند مس الحاجة يتبين الفرق ولذلك قيل:

إذا اشتبكت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكى

تتمة:

شجرة الصنوبر تثمر في كل ثلاثين سنة مرة، وشجرة الدبا تصعد في كل أسبوعين، فتقول لشجرة الصنوبر: إن الطريق التي قد قطعتها في ثلاثين سنة قطعتها في أسبوعين. ويقال:

لك شجرة ولي شجرة، فتقول شجرة الصنوبر لها: مهلا إلى أن تهب رياح الخريف، فحينئذ يتبين لك اغترارك بالإسم. وقال المسعودي في ترجمة الراضي إن دودة بطبرستان، تكون من المثقال إلى ثلاثة مثاقيل، تضيء في الليل كما يضيء الشمع، وتطير بالنهار فترى لها أجنحة، وهي خضراء ملساء لا جناحين لها في الحقيقة، غذاؤها التراب، لم تشبع قط منه خوفا أن تفنى تراب الأرض فتهلك جوعا. قال: وفيها منافع كثيرة وخواص واسعة انتهى. وسيأتي عن الجاحظ قريب من هذا.

الحكم:

يحرم أكله بجميع أنواعه، لأنه مستخبث إلا ما تولد من مأكول فعندنا فيه ثلاثة أوجه: أصحها جواز أكله معه لا منفردا، والثاني يجب تمييزه ولا يؤكل أصلا، والثالث يؤكل معه ومنفردا. وعلى الأصح ظاهر اطلاقهم أنه لا فرق بين أن يسهل تمييزه أو يشق. ولا يجوز بيع الدود إلا القرمز الذي يصبغ به وهو دود أحمر يوجد في شجر البلوط في بعض البلاد صدفي يشبه الحلزون. تجمعه نساء تلك البلاد بأفواههن. وأما دود القز فيجوز بيعه، ويجب إطعامه ورق الفرصاد، وهو التوت الأبيض،

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٣٩٢/١

ويجوز تشميسه، وإن هلك لتحصيل فائدته. ويجوز بيع الفيلج وفي باطنه الدود الميت لأن بقاءه فيه من مصلحته، فيجوز بيعه وزنا وجزفا، كما صرح به القاضي." (١)

"اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا، وهي سليجين وبينون وغمدان. ثم كان سليمان عليه السلام يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام يبتكر من الشأم إلى اليمن، ومن اليمن إلى الشأم على الريح، وولدت له غلاما سماه داود فمات في حياته.

وبلقيس هي بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكا عظيم الشأن قد ولده أربعون ملكا هو آخرهم، وكان ملك أرض اليمن كلها، وكان يقول لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفؤا لي وأبي أن يتزوج منهم، وأنه تزوج امرأة من الجن اسمها ريحانة بنت السكن، فولدت له بلقيس. ولم يكن له ولد غيرها. وقد جاء في الحديث ما يؤيد هذا، وهو قوله إن أحد أبوي بلقيس كان جنيا، فلما مات أبوها، طمعت في الملك، وطلبت من قومها أن يبايعوها، فأطاعها قوم وعصاها آخرون، وملكوا عليهم رجلا، وافترقوا فرقتين: كل فرقة استولت على طرف من أرض اليمن، ثم إن الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته، حتى كان يمد يده إلى حرم رعيته، ويفجر بهن، فأراد قومه خلعه، فلم يقدروا على ذلك، فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة، فأرسلت إليه تعرض نفسها عليه فأجابها وقال: ما منعني أن أبتدئك بالخطبة إلا اليأس منك، فقال: لا أرغب عنك وأنت كفء كريم، فاجمع رجال قومي واخطبني إليهم، فجمعهم فخطبها إليهم، فذكروا لها ذلك فقالت: أجبت، فزوجوها به، فلما زفت إليه ودخلت عليه، سقته الخمر حتى سكر وغلب على نفسه، ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل إلى منزلها، وأمرت بنصب رأسه على باب دارها، فلما رأى الناس ذلك علموا أن تلك المناكحة كانت مكرا وخديعة منها، فاجتمعوا إليها وملكوها عليهم.

وفي الحديث عن أبي بكرة قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى، قال «١» : «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» رواه البخاري.

تذنيب:

اعلم أن الحكماء قد ذكروا أن للحمام والنورة منافع ومضار، فمن منافعه أنه يوسع المسام، ويستفرغ الفضول، ويحلل الرياح، ويحبس الطبيعة، من هيضة ورطوبة، وينظف البدن من الوسخ والعرق، ويذهب الحكة والجرب والاعياء، ويلين الجسد، ويجيد الهضم، ويعد البدن لاستعداد الغذاء، وينشط الأعضاء المتشنجة، وينضج النزلات والزكام، وينفع من حميات يوم والدق والربع والبلغمية بعد نضجها. قلت: إذا دبر ذلك طبيب حاذق.

ومن مضاره تسهيل صب الفضول إلى الأعضاء الضعيفة، ويرخي البدن ويضعف الحرارة الغريزية، والأعضاء العصبية ويضعف الباه، ووقته بعد الرياضة، وقبل الغذاء إلا المتخلخلي الأبدان الكثيري المرار، وإياك أن تدخل الحمام وتخرج منه بحميتك، وإذا أردت الخروج، فاخرج إلى المسلخ متدرجا، وأفرغ عليك ثوبا نظيفا مبخرا، واجتنب النساء يوما وليلة. وتكره المجامعة

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٤٧٦/١

في الحمام لأنها تورث الاستسقاء وأمراضا رديئة. ويكره للانسان شرب الماء البارد عقب الطعام الحار والحلو والتعب والمجامعة والحمام والأكل، فإن ذلك مضر جدا، وأجود الحمامات القديمة الشاهقة العذبة.." (١)

"المعترض، وأنه لا يحسن الصناعة التي اعترض بها، وانتسب إليها. وكذلك القول في الماء البارد للمحموم، فإن المعترض تقول على النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقل، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل أكثر من قوله «١» : «أطفئوها بالماء» ولم يبين صفته وحاله، والأطباء يسلمون أن الحمى الصفراوية يدبر صاحبها يسقى الماء البارد الشديد البرودة، ويسقونه الثلج ويغسلون أطرافه بالماء البارد، فلا يبعد أنه صلى الله عليه وسلم أراد هذا النوع من الحمى.

وأما إنكاره الشفاء من ذات الجنب بالقسط فباطل أيضا. فقد قال بعض الأطباء: إن ذات الجنب، إذا حدثت من البلغم، كان القسط من علاجها. وقد ذكر جالينوس وغيره من حذاق الأطباء، أنه ينفع من وجع الصدر. وقال بعض قدماء الأطباء: إنه يستعمل حيث يحتاج إلى إسخان عضو من الأعضاء، وحيث يحتاج إلى جذب خلط من باطن البدن إلى ظاهره. وهكذا قال الرئيس ابن سينا وغيره من فحول الأطباء، وهذا يبطل ما زعمه هذا المعترض الملحد.

وأما قوله «٢» صلى الله عليه وسلم: «فيه سبعة أشفية» فقد أطبق الأطباء في كتبهم، على أنه يدر الطمث والبول، وينفع من السموم، ويحرك شهوة الجماع، ويقتل الدود وحب القرع، الذي في الأمعاء، إذا شرب بعسل، ويذهب الكلف، إذا طلي عليه. وينفع من برودة المعدة والكبد، ومن الحمى الورد والربع وغير ذلك. وهو صنفان: بحري وهندي، فالبحري هو القسط الأبيض، وقيل هو أكثر من صنفين ونص بعضهم على أن البحري أفضل من الهندي، وأقل حرارة منه، وقيل: هما حاران يابسان في الدرجة الثالثة، والهندي أشد حرارة منه فيها.

وقال الرئيس ابن سينا: القسط حار في الثالثة، يابس في الثانية. وقد اتفق الأطباء على هذه المنافع التي ذكرناها في القسط، وهو العود الهندي المذكور في الحديث، فصار ممدوحا شرعا وطبا.

وإنما عددنا منافع القسط من كتب الأطباء، لأنه صلى الله عليه وسلم ذكر منها عددا مجملا.

وأما قوله «٣» صلى الله عليه وسلم «في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام» فيحمل أيضا على العلل الباردة على نحو ما سبق في القسط، وهو صلى الله عليه وسلم قد يصف بحسب ما شاهده من غالب حال أصحابه، قال الإمام المازري، وقال شيخ الإسلام محيي الدين النووي، وذكر القاضي عياض كلام المازري الذي قدمناه، ثم قال: وذكر الأطباء في منفعة الحبة السوداء، التي هي الشونيز، أشياء كثيرة، وخواص عجيبة، يصدقها قوله صلى الله عليه وسلم. فذكر جالينوس أنها تحلل النفخ، وتقتل ديدان البطن، إذا أكلت أو وضعت على البطن، وتنفع الزكام إذا قليت وصرت في خرقة وشمت، وتزيل العلة التي ينقش منها الجلد، وتقطع الثآليل المعلقة والمنكسة والخيلان، وتدر الطمث المنحبس، إذا كان احتباسه من أخلاط غليظة لزجة، وتنفع الصداع إذا طلي بها الجبين، وتقطع البثور والجرب، وتدر البول واللبن، وتحلل الأورام البلغمية،

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/١٧١

إذا تضمد بها مع خل. وتنفع من الماء العارض في العين إذا سقط بها مسحوقة بدهن، وهي تنفع من انصباب المواد أيضا، ويتمضمض." (١)

"بها من وجع الأسنان، وتنفع من نهش الرتيلاء. وإذا بخر بها طردت الهوام.

قال القاضي: وذكر جالينوس أن من خاصيتها إذهاب حمى البلغم والسوداء، وتقتل حب القرع. وإذا علق الشونيز في عنق المزكوم ينفعه، وينفع من حمى الربع. قال: ولا تبعد منفعته من أدوية حارة لخواص فيها فقد نجد ذلك في أدوية كثيرة فيكون الشونيز منها لعموم الحديث، ويكون استعماله أحيانا منفردا وأحيانا مركبا.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم في الكمأة، وهي بفتح الكاف وإسكان الميم وبعدها همزة مفتوحة: و «ماؤها شفاء للعين» قيل: هو نفس الماء مجردا، وقيل: معناه أن يخلط ماؤها بدواء يعالج به العين، وقيل: إن كان لتبريد ما في العين من حرارة، فماؤها مجردا شفاء، وإن كان لغير ذلك فيركب مع غيره. قال الإمام النووي: والصحيح، بل الصواب أن ماءها مجردا شفاء للعين مطلقا، فيعصر ماؤها، ويجعل في العين منه. قال: وقد رأيت أنا وغيري في زماننا من كان أعمى وذهب بصره حقيقة، فكحل عينيه بماء الكمأة مجردا، فبرىء وعاد بصره إليه. وهو الشيخ العدل الإمام الكمال الدمشقي صاحب فقه ورواية للحديث. وكان استعماله ماء الكمأة اعتقادا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وتبركا به، فشفاه الله لذلك.

ففي هذا الحديث والأحاديث المتقدمة بيان لما حواه النبي صلى الله عليه وسلم من علوم الدين والدنيا، وصحة علم الطب، وجواز التطبب في الجملة، واستحبابه لما ذكر في الأحاديث الصحيحة من الحجامة وشرب الأدوية والسعوط، وقطع العروق والرقى وغير ذلك من الأدوية، ولا خفاء أن لله تعالى في مخلوقاته حكما وأسرارا، ولم يخلق جل جلاله داء إلا وخلق له دواء علمه من علمه وجهله من جهله والله أعلم.

وذهبت طائفة إلى أن هذه الآية «١» وأوحى ربك إلى النحل

إنما يراد بها أهل البيت من بني هاشم، وأنهم النحل وأن الشراب هو القرآن، وقد ذكر بعضهم هذا في مجلس أبي جعفر المنصور فقال له رجل: جعل الله طعامه وشرابه مما يخرج من بطون بني هاشم، فأضحك الحاضرين وأبهت القائل.

فائدة أخرى

: اعلم أن للعسل أسماء كثيرة منها السنوت كسفود وسنور، وفي الحديث «٢» «عليكم بالسنى والسنوت» ومنها السلوى لأنه يسلي عن كل حلو، قال خالد بن زهير الهذلي:

وقاسمها بالله جهد الأنتم ... ألذ من السلوى إذا ما نشورها

ومن أسمائه الحافظ والأمين، لأنه يحفظ ما يودع فيه، فيحفظ الميت أبدا واللحم ثلاثة أشهر، والفاكهة ستة أشهر.

روى «٣» أصحاب الكتب الستة، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم." (٢)

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/٤٧٠

(٢) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/٤٧١

"وإنما صار أشعر الناس عنده لذكره العروق والجس والقرح. ومن أمثال الأطباء النفيسة في صناعتهم وأحوالهم قولهم: كل كثير عدو الطبيعة ليس على الطبيب الإسفيذباج صانع الطبيب قبل أن تمرض الكرم عن أهل اللؤم كالماء في المحموم سم المبرسم في الشهد والشمس تقبح في العيون الرمد بلغني أن الأمير خلف بن أحمد، كان معجبا بقول أبي الفتح البستي: لا يغرنك أنني لين الم ... س فعزمي إذا انتضيت حسام أنا كالورد فيه راحة قوم ... ثم فيه لآخرين زكام وأنشدني أبو الفتح البستي: لنفسه: وإني لأختص بعض الرجال ... وإن كان فدما ثقيلا عباما فإن الجبن على أنه ... ثقيل وخيم يشهى الطعاما وأنشدني أيضا من أبيات: إن الجهول تضربني أخلاقه ... ضرر السعال بمن به استسقاء ومن أبيات أخر: وقد يكتسي المرء خز الثيا ... ب ومن تحتها حالة مضنيه كمن يكتسي خده حمرة ... وعلتها ورم في الريه

فصل المنجمين

سمع المعروف بغلام زحل رجلا يقرأ: " إن الله يأمر بالعدل والإحسان " " النحل: ٩٠ "." (١)

"الكمون: حار يابس يقتل الدود ويطرد الريح ويحلله، وإذا غسل الوجه بمائه صفاه، وكذلك أكله بقدر يسير، ويدمل الجراحات ويقطع الرعاف مسحوقا مع خل، وإذا مضغ وقطر ريقه في العين نفع الطرفة والدم السائل من العين.

الكمون الكرماني: وهو الشونيز الأسود، حار يابس يقطع البلغم جلاء، ويحلل الرياح والنفخ ويقطع الثآليل وينفع الزكام البارد. ويجعل مدقوقا في خرقة كتان ويطلى به جبهة من به صداع بارد.

الكراويا: حار يابس يطرد الريح ويخففه، وينفع الخفقان ويقتل الديدان ويدر البول. وقدر ما يؤخذ منه درهم.." (٢)

"فصل في خواص الحيوانات

خواص البغل، وأعضاؤه وأجزاؤه: شحم أذنه إذا سقيت منه المرأة لا تحبل أبدا. مخه إذا طعم منه الإنسان تناقص عقله وفهمه وحصل له التوهم والنسيان والسهو. قلبه تأكله المرأة فلا تحبل. حافره إذا أحرق أو أذيب بدهن الآس وطلي به رأس الأقرع أنبت الشعر. خصيته تجفف بملح وتوضع في جلد حرير وتعلق في رقبة فرس أو جمل فإنه لا يصيبه سوء ما دامت معلقة عليه. بوله إذا شربته المرأة طرحت جنينها الميت، وإن شمه المزكوم وبصق عليه وكبه في طريق فمن داس عليه انتقل الزكام إليه ويبرأ المزكوم الذي كبه. الزنبور الذي يوجد في دبر البغل، يجفف ويبخر به صاحب البواسير يبرأ. جلد جبهته إذا أحرق في مكان لا يحصل فيه اتفاق ولا صلح ولا يتم فيه شيء من الأمور.

خواص الحمار وأجزاؤه: مخه يسقى لمن غلب عليه النسيان. سنه إذا وضع تحت رأس من قل نومه نام. كبده يجفف ويعلق على من به حمى الربع تزول عنه. طحاله يجفف ويدخر، فإن قل لين ثدي المرأة سحق بماء وطلي به الثدي يكثر اللبن فيه. حافره يسحق بعد حرقه ويطلى به جبهة من به صرع أياما يزول عنه. ويخلط بالزيت ويطلي به الخنازير يجففها.

قال بلنياس: يشق حافر الحمار ويحشى قطرانا وكلسا ويحرق بشيرج زنج ويطلى به البرص يقلعه، ولو كان عتيقا. فإذا تدخنت المرأة المطلقة بحافر الحمار أسرع خروج ولدها حيا سالما بسهولة؛ وكذلك إذا كان الجنين ميتا أخرجه. ويؤخذ من

---

(١) خاص الخاص الثعالبي، أبو منصور ص/٧٨

(٢) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٣٣٩

ذنبه ثلاث طاقات شعر حين ينزو على الأتان ويشد على ساق الرجل ينتشر ذكره ويستوي على سوقه وينعظ في الحال.." (١)

"ومشرب كالنار إن يذهب به ... حضر وإن يسكن فماء سلسل

نهد إذا استنهضته لملمة ... أعطاك عفوا عدوه ما تسأل

قيد الأوابد والنواظر إن بدا ... قلت: الجواد أم الحبيب المقبل

ومفاضة زغف كأن قميصها ... ماء الغدير جرت عليه الشمأل

ترد العوالي منه شرعة حتفها ... وتعب فيه مناصل فتفلل

وعزائم بيض الوجوه كأنها ... سرج توقد أو زمان يقبل

شيم عمرن ربوع مجد قد خلت ... فأضاء معتكر وأخصب ممحل

وله:

يا ضرة الشمس قلبي منك في وهج ... لو كان بالنار لم تسكن ذرى حجر

أبيت أسهر لا أغفي وإن سنحت ... إغفاءة فكمثل اللمح بالبصر

إذا رأيت الدجى تعلو غواربها ... والنجم في قيده حيران لم يسر

أقول ما بال بازي الصبح ليس له ... وقع وما لغراب الليل لم يطر

فإن سمحت بوصل أو بخلت به ... شكوت ليلي من طول ومن قصر

لا أفقد النجم أرعاه وأرقبه ... في الوصل منك وفي الهجران من قمر

وله في الغزل أيضا:

نفسي فداك وعدتني بزيارة ... فظللت أرقبها إلى الإمساء

حتى رأيت قسيم وجهك طالعا ... لم تنتقصه غضاضة استحياء

فعلمت أنك قد حجبت وأنه ... لوراء وجهك ما سرى بسماء

وله يعرض بأحد الملوك، ويخاطب أبا أمية إبراهيم بن عصام:

امرر بقاضي القضاة إن له ... حقا على كل مسلم يجب

وقل له إن ما سمعت به ... عن سر من راء كله كذب

قد غرني مثل ما غررت به ... فجئته يستحثني الطرب

حتى إذا ما انتهيت سرت إلى ... سراب قفر من دونه حجب

وملة للسماح ناسخة ... لها نبي الاهه الذهب

وله إليه وقد كتب عين زمانه فوقعت نقطة على العين، فظن أبو أمية أنه أبهمها، واعتقدها وعددها وانتقدها:

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٣٥٠

لا تلزمني ما جنته يراعة ... طمست بريقتها عيون ثنائي

حقدت علي لزامها فتحولت ... أفعى تمج سمامها بسخاء

غدر الزمان وأهله عرف ولم ... أسمع بغدر يراعة وإناء

ومن نثره ما كتبه إلى الوزير أبي محمد ابن القاسم من رسالة: كتبت وما عندي من الود أصفى من الراح، وأضوأ من سقط الزند عند الاقتداح، وليس فيما أدعيه من ذلك لبس، وكيف وهو ما تجزي به نفسا نفس، فإن شككت فيه، فسل ما تطوي لي جوانحك عليه، أو اتهمته فارجع، إلى ما أرجع، عند الاشتباه إليه، تجده عذبا قراحا، سائل الغرة لياحا. ولم لا يكون ذلك وبيننا ذمة تجل أن تحصى بالحساب، بيض الوجوه كريمة الأنساب، لو كانت نسيما لكان بليلا، ولو كانت زمانا لم تكن إلا سحرا أو أصيلا.

فراجعه أبو محمد برقعة فيها.

كتبت عن ود ولا أقول كصفو الراح فإن فيها جناحا، ولا كسقط الزند فربما كان شحاحا، ولكن أصفى من ماء الغمام، وأضوأ من القمر في التمام.

فراجعه عنها: كتبت – دام عزك – عن ود كماء الورد نفحة، وعهد كصفائه صفحة، ولا أقول أصفى من ماء الغمام، فقد يكون معه الشرق، ولا أضوأ من القمر في التمام، فقد يدركه النقص ويمحق، وليس ما وقع به الاعتراض مختصا بصفو الراح، ولا بسقط الزند عند الاقتداح، فإن أمور العالم هذه سبيلها، وجياد الكلم تجول كيف شاء مجيلها، وإنما نقول ما قيل، ونتبع من أجاد التحصيل، وحسن التأويل، فنستعير ما استعار، ونسير في التملح في القول إلى ما أشار، وبين أنا لم نرد من الراح الجناح، ولا من الزند الشحاح، ولا من ماء الورد ما فيه مادة الزكام، ولا زيادة في بعض الأسقام.

الوزراء بنو القبطرنه

ذكر أنهم أركان المجد وأثافيه، ولهم قوادم الحمد وخوافيه، وإنهم للمعالي نجوم، وللأعادي رجوم، ولهم النظم الفائح الفائق، والنثر الشائع السابق، فمنهم: أبو محمد ذكر أنه كتب إليه وذكر منها أبياتا:

أبا النصر إن الجد لا شك عاثر ... وإن زمانا شاء بينك جائر." (١)

"أن أبا جده وكان بها ... يضن عن مثلنا إذا رقدوا

أفضى إلى ابن ابنه بأن لها ... في الدن مذ كان بيضة لبد

فحين أبدى لنا سرائرها ... حلت لنا من نقودنا العقد

وقام يمشي محدودبا وعلى ... عصاه بين الدنان يعتمد

ثم توخى بمنزل معه ... فؤاد دن لروحه زبد

فأقبلت كالدم المراق فهل ... رأيت دنا يا صاح ينفصد

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٩١١

وضاع في البيت نشر رائحة ... يهرب منها الزكام والرمد

وابتدر القوم بالرقين وبال ... عسجد لا يحفلون ما وجدوا." (١)

"وقدود الأغصان قد راسلت أهواء القلوب بالأوراق، وقيان١ حمائمها قد ترنمت وجذبت القلوب بالأطواق، والورد قد احمر خده الوسيم، وفكت أزراره من أجياد القضيب أنامل النسيم، وخرجت أكفه من أكمامه لأخذ البيعة على الأزهار بالتقديم.

ومما كتبته، في البشارة الصادرة على الملك المؤيد، عند عوده من البلاد الرومية وحلول ركابه الشريف بحلب المحروسة، المتضمنة ما من الله به من الفتح الذي صار له في الروم قصص، سنة عشرين وثمانمائة، فمن ذلك قولي عند حصار قلعة طرسوس وفتحها: ورأوا ألسن السهام في أفواه تلك المرامي، فقالوا رأينا المصائب ناطقة، وما رموا على سماء برج غيوم ستائر إلا لمعت فيها من بوارق نقوطها بارقة، وحكم عليها القضاء بالاعتقال، ولم يأتوا عند ذلك الحكم بدافع، هذا بعدما صفق مقبلهم جماد وجهه فبصقت فيه أفواه المدافع. وقولي في الاستعارة المرشحة أيضا، عند حصار قلعة دريدة وفتحها: وقررنا صدع سورها باختلاف الآلات، فجاء ما قررناه نقشا على حجر، وادعت أن صخرها أصم، فأسمعناه من آذان المرامي تنقير المدافع وتحريك الوتر، وقرعنا سن جبلها بنابات المداقع٢ وكسرنا منه السنية وأمست حلق مراميها كالخواتم في أصابع، سهامنا المستوية. ومثله قولي، عند حصار قلعة كختار وفتحها، على لسان حال القلعة في سموطها وإفراط علوها: فأنا الهيكل الذي ذاب قلب الأصيل على تذهيبه، وود دينار الشمس أن يكون من تعاويذه، والشجرة التي لولا سمو فرعها تفكهت به حبات الثريا وانتظمت في سلك عناقيده، وتشامخ هذا الحصن ورفع أنف جبله وتشامم، فأرمدنا عيون مراميه بدم القوم، وأميال سهامنا على تكحيلها تتزاحم، وغاية الغايات في هذا الباب، قولي عند حصار قلعة كركر: وتنكرت أكراد كركر بسور القلعة فعرفناهم بلامات القسي وألفات السهام، وعطست أنوف مراميها بأصوات مدافعنا وكان بها زكام. ومن حسن ختامها، ولم نخرج عما نحن فيه من بديع الاستعارة، وغريبها، قولي: فلا بكر قلعة إلا افتضينا بكارتها٣ بالفتح، وابتذلنا من سترها الحجاب، ولا كأس برج أترعوه بالتحصين، إلا توجنا رأسه من حبات مدافعنا بالحباب. انتهى.

ولم أحبس عنان القلم عن الاستطراد إلى ما وقع لي من محاسن الاستعارة نظما، إلا للتخفيف عن بيت البديعية، وقلت: تكفيه المزاحة في مناظرة الشيخ صفي الدين

١ جمع مفرده قينة وهي المغنية الحسناء.

٢ المدافع: المذلات.

٣ البكارة: عذرة الفتاة.." (٢)

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء العراق جـ ٤ المجلد الثاني ٢ العماد الأصبهاني ص/٧١٩

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ١١٧/١

"وبيت الشيخ صفي الدين الحلي فيه:

أنا المفرط أطلعت العدو على ... سري وأودعت نفسي كف مجترم١

الشيخ صفي الدين حكى أنه فرط في اطلاع عدوه على سره، وإيداع نفسه كف مجترم لا غير، وأين هو من قول شاعر الحماسة، وقد قال لنفسه على سبيل العتب والتوبيخ: لك الويل ما هذا التجلد والصبر.

والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم. وبيت الشيخ عز الدين الموصلي:

عتبت نفسي إذ أتبعتها بهوى ... مجهول سبل بلادها دولا علم٢

الشيخ عز الدين حكى أيضا أنه عاتب نفسه، وذكر أنه هو الذي أتعبها وكلفها حمل الهوى، فالعتاب هنا من كل وجه لم يترتب على غيره، وما مقدار هذا النوع حتى إن الشاعر لم يأت به على صيغته، لا سيما ونظام البديعيات قد التزموا أن ياتوا به شاهدا على نوعه. وبيت بديعيتي:

يا نفس ذوقي عتابي قد دنا من أجلي ... مني ولم تقطعي آمال وصلهم

أقول: إن هذ البيت ينظر إلى بيت شاعر الحماسة في علو طباقه، وإن كان من الفحول التي لها فضيلة السبق، فقد زاحمه في حلبة سباقه، مع أن عروس التسمية يضوع عطرها من أطواق الطروس، يقول مزكوم الذوق وقد عاد له الشم: لا عطر بعد عروس، وأين هذا النشر الواضح، والرقة التي ود النسيم لو انتظم معها وانسجم، من عقادة بيت الشيخ عز الدين، وقد أمسى بها مجهولا بلا هاد ولا علم.

---

١ المجترم: المجرم.

٢ سبل: جمع مفرده سبيل وهو الطريق، العلم: الراية أو ما يهتدى به.." (١)

"والخنان كغراب: زكام الإبل وزمن الخنان كان في عهد المنذر بن ماء السماء وماتت الإبل منه.

ووفد الجعدي على النبي صلى الله عليه وسلم مسلما وأنشده ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من اول ما أنده قوله في قصيدته الرائية:

(أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ... ويتلو كتابا كالمجرة نيرا)

(وجاهدت حتى ما أحس ومن معي ... سهيلا إذا ما لاح ثمت غورا)

(أقيم على التقوى وأرضى بفعلها ... وكنت من النار المخوفة أحذرا)

إلى أن قال:

(وإنا لقوم ما نعود خيلنا ... إذا ماالتقينا أن تحيد وتنفرا))

(وننكر يوم الروع ألوان خيلنا ... من الطعن حتى تحسب الجون أشقرا)

(وليس بمعروف لنا ان نردها ... صحاحا ولا مستنكرا أن تعقرا)

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٣٢١/١

(بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا)

وفي رواية عبد الله بن جراد:." (١)

"وقد تمكنت قواعده فى الفتيا واشتهر أمره وكان مع عراقته الطائلة وتفوقه فى الفضل والادب متواضعا دمث الاخلاق ودودا حسن العشرة طارحا للتكلف فلهذا مالت اليه القلوب وانبعثت اليه الاهواء وكان فى الاطلاع على فروع الفقه والاخذ بمحال الاحكام فى الذورة العالية ومن غريب أمره انه مع فضله الباهر لم يرو له أثر من تحرير أو تقرير وكان ينظم الشعر ومن // جيد شعره // قوله

(لله بدر قد حكى بخدوده ... ورد الربى وشقائق النعمان)

(وبثغره زهر الاقاح منضد ... وبقده المياس غصن البان)

(وبطيبه طيب الرياض ونشرها ... وبصدغه للاس والريحان)

(واذا محاسنه بدت لعيوننا ... تجلى فلا نحتاج للبستان)

وقوله

(ان غبت عن ناظرة يا من كلفت به ... فما أراك عقيب الآن فى عمرى)

(لان عينى تجرى بعد فرقتكم ... دما ويتبعه ماطل من بصرى)

وقوله

(دع الحب ان الحب للعقل سالب ... وعش خاليا فالحب فيه النوائب)

(فلا يصلحن الا لمثلى فاننى ... فتى دون نعليه السهى والكواكب)

(فمن كان مثلى كان بالحب لائقا ... والا فهب بالصبابة لاعب)

وكتب الى جدى محب الله فى غرض

(يا من أياديه سحاب ممطر ... ولديه حاتم فى السخا لا يذكر)

(وعليه من سيما الكرام دلالة ... وشواهد تبدو عليه وتظهر)

(طوقتنى من راحتيك بمنة ... أضحت على طول الليالى تنشر)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٦٩/٣

(لم أقض حق ثنائها لو أن لى ... فى كل جارحة لسانا يشكر)
ولم تطل مدته فتوفى وكانت ولادته فى سنة اثنتى عشرة وألف وتوفى فى خامس عشر المحرم سنة ثلاثة وسبعين وألف ودفن بمقبرة أجداده بنى الفرفورى لصيق مزار الشيخ أرسلان قدس الله تعالى سره العزيز وقال الامير المنجكى يرثيه
(ريحانة الافضال عاجلها الردى ... ولفقدها مس الانام زكام)

(ما كانت الايام الا مقلة ... ولها ابن فرفور ضيا ومنام)

(حيته أرواح الرضا من ربه ... وهمى عليه من الهبات غمام)

عبد الوهاب بن رجب المنعوت تاج الدين الحموى الشافعى نزيل دمشق الاديب النحو المشهور ورد دمشق مع عمه حسن واشتغل بها على جدى ابى الفدا النابلسى." (١)

"من أوصل إليه النفع، والصواب أن يقال: ما لي فيه نفع ولا منفعة، فإن توهم متوهم أنه مما جاء على المصدر، فقد وهم فيه، لأنه لم يجئ من المصادر على وزن مفعول إلا أسماء قليلة، وهي الميسور والمعسور، بمعنى اليسر والعسر.
وقولهم: ما له معقول ولا مجلود، أي ليس له عقل ولا جلد، وقولهم: حلف محلوفا، وقد ألحق به قوم المفتون، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿بأيكم المفتون﴾ أي الفتون، وقيل: بل هو مفعول، والباء زائدة وتقديره: أيكم المفتون.
[١٦٣] ويقولون للمريض: به سل، ووجه القول أن يقال: به سلال، بضم السين، لأن معظم الأدواء جاء على فعال، نحو الزكام والصداع والفواق والسعال.
[١٦٤] ويقولون: حلا الشيء في صدري وبعيني فيخطئون فيه لأن العرب تقول: حلا في فمي، وحلي في عيني، وليس الثاني من نوع الأول بل هو من الحلي الملبوس، فكان المعنى: حسن في عيني كحسن الحلي الملبوس، فهو من ذوات الياء، والأول من ذوات الواو إلا أن المصدر منهما جميعا الحلاوة، والاسم منهما حلو.
ولا يجوز أن يقال: حال، لأن الحالي، هو الذي عليه الحلي، وهو ضد العاطل.." (٢)
"(فأقذر به أنفا وأقذر بربه ... على وجهه منه كنيف معلق)
وقال غيره:
(أنت في البيت وعرنينك في الدار يطوف)
ومن أقبح ما جاء في قبح الأسنان قول جرير:
(إذا ضحكت شبهت أنيابها العلى ... خنافس سودا في صراة قليب)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ١٠١/٣
(٢) درة الغواص في أوهام الخواص الحريري ص/٢٠٠

وإنما خص الأنياب العلى دون السفلى لأنها تبدو في التبسم والتكلم وعند التثاؤب، وهو كقول الآخر:

(إذا كان يهدي برد أنيابها العلى ... لأفقر مني إنني لفقير)

فشبه أسنانها بالخنافس وسعة فمها بالقليب، والصراة: الماء الفاسد فشبه به فساد نكهتها.

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن الرياشي عن ابن سلام قال دخلت ديباجة المدنية على امرأة فقيل لها كيف رأيتها قالت لعنها الله كأن بطنها قربة وكأن ثديها دبة وكأن استها رقعة وكأن وجهها وجه ديك قد نفش عرفه يقاتل ديكا. ومن بديع الهجاء بالتبزق والتمخط والبخر قول ابن الورمي:

(تحسب مزكوما وإن لم تزكم ... من سدة في أنفك المورم)

(محشرج الصدر برطلي بلغم ... إن لم تنخع مرة تنخم)

(نخامة كالضفدع الموشم ... دكناء رقطاء بقيح أو دم ...)

(ممتخطا بالكوع أو بالمعصم ... تضرط من أنف وتفسو من فم)

(ذا نكهة من لم تمته يصدم ... حتى دعاك الملأ ارحم ترحم)

وقال جحظة في البخر:

(تنفس في وجهي فكدت أموت ... وأعرض عني جانبا فحييت)

(فتنتني حتى حسبت بأنني ... وربكما يا صاحبي خريت)

وقال بعضهم في سرعة الكلام:

(كأن بني رالان إذ جاء جمعهم ... فراريج يلقى بينهن سويق)." [1]

"(وقد أعقبت خلفي حدة ... وأورثني إلفها ضجره)

(للعبد إن غاظني لطمة ... وللحر إن ساءني زجره)

(ويربو الطحال إذا ما شبعت ... فتعلوا الترائب والصدره)

(وأمسى كأني من معدتي ... لبست ثيابي على ذكره)

(أسائل أهلي عن سحنتي ... وأمنحهم نظرة نظره)

(وأجزع إن قيل بي صفرة ... وأشفق إن قيل بي حمره)

ومن أجود ما قيل في الفصد قول ابن الرومي:

(أيها البدر لم تزل في كمال الأمر ... بدرا وفي النماء هلالا)

(كيف كانت عقبى افتصادك كانت ... صحة مستفادة واندمالا)

(واعتدلا بين المزاج كما أوتيت ... في الخلق والخلاق اعتدالا)

(فعل الله ذاك إنك ما زلت ... لمرضي ما ارتضى فعالا)

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٢٠٦/١

وفي الفصد شعر كثير ليس في أكثر ما مر بي مختار إلا ما أنشدته لعلي بن عبد العزيز الجرجاني:

(ياليت عيني تحملت ألمك ... وليت نفسي تقسمت سقمك)

(أو ليت كف الطبيب إذ فصدت ... عرقك أجرى من ناظري دمك)

(أعرته حسن وجنتيك كما ... تعيره إن لثمت من لثمك)

(طرفك أمضى من حد مبضعه ... فالحظ به العرق واغتنم ألمك)

ومن مليح ما قيل في الزكام ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن أبي ذكوان الجرمي قال دعا عيسى بن علي عبد الله بن المقفع إلى الغداء فقال: أعزك الله لست يومي هذا للكرام باكيل. قال ولم؟ قال لأني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الأحرار. قال وكانت عجوز من بني عجل تقول: حقر من يحقر الزكام. ولم يمر بي في الصداع شئ مليح أثبته لك غير أني سمعت لبعضهم أبياتا في صغر العمامة حتى أشبهت عصابة يعصب بها الصداع وهي هذه الأبيات:." [1]

"٦٠- وقع الطاعون بالكوفة، فخرج فيمن خرج صديق لشريح «١» ، فكتب إليه: أما بعد، فإنك والمكان الذي أنت به بعين من لا يعجزه هرب، ولا يفوته طلب. وإن المكان الذي خلفته لا يعجل أحدا إلى حمامه، ولا يظلمه شيء من أيامه، وأنا وإياكم لعلى بساط واحد، وإن النجف من ذي قدرة لقريب.

٦١- دعي ابن المقفع إلى الغداء، فقال: لست اليوم أكيلا للكرام، لأني مزكوم، والزكمة قبيحة الجوار، مانعة من عشرة الأحرار.

٦٢- في الحديث: قال الشيطان: ما حسدت ابن آدم إلا على شيئين الطسأة والحقوة. والطسأة «٢» الزكام، والحقوة «٣» الهيضة «٤» .

٦٣- قيل لأعرابي: ما بال الآباط أنتن موضع في الجسد؟ فقال:

كانت فقاحا فغورن.

٦٤- عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن بن عائشة: لي إبطان ترميان جليسي بشبيه السلاح أو بسلاح «٥» .

٦٥- عبد الله بن مالك الخزاعي:

ظلت علي الأرض مظلمة ... إذ قيل عبد الله قد وعكا

يا ليت ما بك بي وإن تلفت ... نفسي وقل ذاك لكا

٦٦- قيل لفيلسوف: لم صار الأحدب أخبث الناس؟ قال: لأنه قرب فؤاده من دماغه، وكبده من فؤاده.

٦٧- قالوا: من قدم أرضا فأخذه من ترابها، فجعله في مائها، ثم." [2]

"١٢٦- أبو حكيمة:

أيحسدني إبليس داءين أصبحا ... برأسي ورجلي دملا وزكاما

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٢/١٦٨

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٥/٤٣

فليتهما كانا به وأزيده ... زمانة شيخ لا يريد قياما

١٢٧- بعض أهل البيت كان إذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم وماء السماء، والعسل، واستوهب من مهر أهله شيئا.

وكان يقول: قال الله تعالى: ونزلنا من السماء ماء مباركا

«١» ، وقال: فيه شفاء للناس

، وقال عليه السلام: ماء زمزم لما شرب له، وقال تعالى: فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا

«٢» . فمن جمع بين ما بورك فيه، وما فيه شفاء، وبين الهنيء والمريء، يوشك أن يلقى العافية.

١٢٨- رجل من بني عجل:

وشى بي واش عند ليلى سفاهة ... فقالت له ليلى مقالة ذي عقل

وخبرها أني عرجت فلم تكن ... كورهاء تجتر الملامة للبعل «٣»

وما بي من عيب الفتى غير أنني ... جعلت العصا رجلا أقيم بها رجلي

١٢٩- ابن الرقاع العاملي:

لقد تباشر أعدائي بما لقيت ... رجلي وكم من كريم سيد عثرا

رجلي التي كنت أرقى في الركاب بها ... فاستقل وأرضى خطوها الشرا

محبوكة مثل أنبوب القناة لها ... عظم تكمش عنه اللحم فانحسرا

ليت الذي مس رجلي كان عارضه ... بحيث ينبت مني الحاجب الشعرا

١٣٠- في ديوان المنثور «٤» : كم من أعرج في ديوان المعالي أعرج، وكم من صحيح قدم ليس له في الخير قدم. يصبح للأسقام كالغرض." (١)

"(أرفعه طورا على أصبعي ... ورأسه مضطرب أسفله)

(كالحنش المقتول يلقى على ... عود لكي يطرح في مزبله)

وقال:

(عدمت من إيرى قوي حسه ... يا حسرة المرء على نفسه)

(تراه قد مال على أصله ... كحائط خر على أسه)

وقائل:

(أيحسدني إبليس فأين أصبحا ... برجلي ورأسي دملا وزكاما)

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٥/٥٢

(فليتهما كانا به وأزيده ... رخاوة أير لا يطيق قياما)

(إذا نهضت للنيك أرباب معشر ... توسد إحدى خصيتيه وناما)

وقال:

(أقول لا يرى وهو يرقب فتكه به ... خبت من أير وغالتك داهية)

(إذا لم يكن للأير بخت نعذرت ... عليه وجوه ... من كل ناحية)

وقائل:

(تعقب فوق الخصيتين كأنه ... رشا إلى جنب الركية ملتف)

(كفرخ ابن ذي يومين يرفع رأسه ... إلى أبويه ثم يدركه الضعف)

وقائل:

(تكرش أيري بعد ما كان أملسا ... وكان غنيا من قواه فأفلسا)

(وصار جوابي للمها أن مررن بي ... مضى الوصل إلا منية تبعث الأسا)

وقائل:

(بنفسي من حيبته فاستخف بي ... ولم يخطر الهجران يوما على بال)

(وقابلني بالهزء والنجه بعد ما ... حططت به رجلي وجردت سربال)

(وما ارتجى من موسر فوق دكة ... عرضت له شيئا من الحشف البال)

هموم لا تزال تبكي، وعلل على الدهر تشكى، وأحاديث تقص وتحكى، فإن ذلك العضو على شهرته، وعظم قدرته، يستمد من الميرة، وحركته لا تقوم إلا بالمؤن الكثيرة، من حيا يرتفع، وبلادة بها في الغالب ينتفع، وفكر يعقد، وشبق على اصله يعقد، ورياح تنفخ، ورطوبة ترضخ، وعضل شديد، وعمر جديد، ومزاج في عرض الجو، طويل مديد، وهو غير مطاوع للإرادة،." (١)

"وصح عنه: («إنه عطس عنده رجل فقال له: " يرحمك الله ". ثم عطس أخرى، فقال: الرجل **مزكوم»**) . هذا لفظ مسلم أنه قال في المرة الثانية، وأما الترمذي: فقال فيه عن سلمة بن الأكوع: («عطس رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شاهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يرحمك الله "، ثم عطس الثانية والثالثة فقال رسول الله صلى

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٢/٢٣٠

الله عليه وسلم: " هذا رجل مزكوم») .

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقد روى أبو داود عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة موقوفا عليه (شمت أخاك ثلاثا، فما زاد، فهو زكام)

وفي رواية عن سعيد، قال: لا أعلمه إلا أنه رفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه. قال أبو داود: رواه أبو نعيم، عن موسى بن قيس، عن محمد بن عجلان، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى. وموسى بن قيس هذا الذي رفعه هو الحضرمي الكوفي يعرف بعصفور الجنة. قال يحيى بن معين: ثقة. وقال أبو حاتم الرازي: لا بأس به.

وذكر أبو داود، عن عبيد بن رفاعة الزرقي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: («تشمت العاطس ثلاثا، فإن شئت فشمته، وإن شئت فكف») ، ولكن له علتان:

إحداهما: إرساله فإن عبيدا هذا ليست له صحبة

والثانية: أن فيه أبا خالد يزيد بن عبد الرحمن الدالاني، وقد تكلم فيه.." (١)

"وفي الباب حديث آخر عن أبي هريرة يرفعه («إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه فإن زاد على الثلاثة فهو مزكوم، ولا تشمته بعد الثلاث») وهذا الحديث هو حديث أبي داود الذي قال فيه: رواه أبو نعيم، عن موسى بن قيس، عن محمد بن عجلان، عن سعيد، عن أبي هريرة، وهو حديث حسن.

فإن قيل: إذا كان به زكام، فهو أولى أن يدعى له ممن لا علة به؟ قيل: يدعى له كما يدعى للمريض، ومن به داء ووجع. وأما سنة العطاس الذي يحبه الله، وهو نعمة، ويدل على خفة البدن، وخروج الأبخرة المحتقنة، فإنما يكون إلى تمام الثلاث وما زاد عليها يدعى لصاحبه بالعافية.

وقوله في هذا الحديث: (الرجل مزكوم) تنبيه على الدعاء له بالعافية؛ لأن الزكمة علة، وفيه اعتذار من ترك تشميته بعد الثلاث، وفيه تنبيه له على هذه العلة ليتداركها ولا يهملها، فيصعب أمرها، فكلامه صلى الله عليه وسلم كله حكمة ورحمة، وعلم وهدى.

وقد اختلف الناس في مسألتين: إحداهما: أن العاطس إذا حمد الله فسمعه بعض الحاضرين دون بعض، هل يسن لمن لم يسمعه تشميته؟ فيه قولان، والأظهر: أنه يشمته إذا تحقق أنه حمد الله، وليس المقصود سماع المشمت للحمد، وإنما المقصود نفس حمده، فمتى تحقق ترتب عليه التشميت، كما لو كان المشمت أخرس ورأى حركة شفتيه بالحمد. («والنبي صلى الله عليه وسلم قال: فإن حمد الله فشمتوه») هذا هو الصواب.

الثانية: إذا ترك الحمد فهل يستحب لمن حضره أن يذكره الحمد؟ قال ابن العربي: لا يذكره، قال: وهذا جهل من فاعله. وقال النووي: أخطأ من زعم." (٢)

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٢/٤٠٢

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٢/٤٠٣

"واعلم أنه كما يرتفع من الأرض إلى الجو بخاران، أحدهما: حار يابس، والآخر حار رطب، فينعقدان سحابا متراكما، ويمنعان أبصارنا من إدراك السماء، فكذلك يرتفع من قعر المعدة إلى منتهاها مثل ذلك، فيمنعان النظر، ويتولد عنهما علل شتى، فإن قويت الطبيعة على ذلك ودفعته إلى الخياشيم، أحدث الزكام، وإن دفعته إلى اللهاة والمنخرين أحدث الخناق، وإن دفعته إلى الجنب، أحدث الشوصة، وإن دفعته إلى الصدر أحدث النزلة، وإن انحدر إلى القلب أحدث الخبطة، وإن دفعته إلى العين أحدث رمدا، وإن انحدر إلى الجوف أحدث السيلان، وإن دفعته إلى منازل الدماغ أحدث النسيان، وإن ترطبت أوعية الدماغ منه وامتلأت به عروقه أحدث النوم الشديد، ولذلك كان النوم رطبا، والسهر يابسا. وإن طلب البخار النفوذ من الرأس، فلم يقدر عليه أعقبه الصداع والسهر، وإن مال البخار إلى أحد شقي الرأس، أعقبه الشقيقة، وإن ملك قمة الرأس ووسط الهامة، أعقبه داء البيضة، وإن برد منه حجاب الدماغ، أو سخن أو ترطب وهاجت منه أرياح، أحدث العطاس، وإن أهاج الرطوبة البلغمية فيه حتى غلب الحار الغريزي، أحدث الإغماء والسكات، وإن أهاج المرة السوداء حتى أظلم هواء الدماغ، أحدث الوسواس، وإن فاض ذلك إلى مجاري العصب أحدث الصرع الطبيعي، وإن ترطبت مجامع عصب الرأس وفاض ذلك في مجاريه أعقبه الفالج، وإن كان البخار من مرة صفراء ملتهبة محمية للدماغ، أحدث البرسام، فإن شركه الصدر في ذلك كان سرساما، فافهم هذا الفصل.

والمقصود أن أخلاط البدن والرأس تكون متحركة هائجة في حال الرمد، والجماع مما يزيد حركتها وثورانها، فإنه حركة كلية للبدن والروح والطبيعة. فأما البدن فيسخن بالحركة لا محالة، والنفس تشتد حركتها طلبا للذة واستكمالها." (١)

"وإن سخن بالخل، وطلي على البطن، قتل حب القرع، فإن عجن بماء الحنظل الرطب، أو المطبوخ، كان فعله في إخراج الدود أقوى، ويجلو ويقطع، ويحلل، ويشفي من الزكام البارد إذا دق وصير في خرقة، واشتم دائما، أذهبه.

ودهنه نافع لداء الحية، ومن الثآليل والخيلان، وإذا شرب منه مثقال بماء، نفع من البهر وضيق النفس، والضماد به ينفع من الصداع البارد، وإذا نقع منه سبع حبات عددا في لبن امرأة، وسعط به صاحب اليرقان، نفعه نفعا بليغا.

وإذا طبخ بخل، وتمضمض به، نفع من وجع الأسنان عن برد، وإذا استعط به مسحوقا، نفع من ابتداء الماء العارض في العين، وإن ضمد به مع الخل، قلع البثور والجرب المتقرح، وحلل الأورام البلغمية المزمنة، والأورام الصلبة، وينفع من اللقوة إذا تسعط بدهنه، وإذا شرب منه مقدار نصف مثقال إلى مثقال، نفع من لسع الرتيلاء، وإن سحق ناعما وخلط بدهن الحبة الخضراء، وقطر منه في الأذن ثلاث قطرات، نفع من البرد العارض فيها والريح والسدد.

وإن قلي، ثم دق ناعما، ثم نقع في زيت، وقطر في الأنف ثلاث قطرات أو أربع، نفع من الزكام العارض معه عطاس كثير.

وإذا أحرق وخلط بشمع مذاب بدهن السوسن، أو دهن الحناء، وطلي به القروح الخارجة من الساقين بعد غسلها بالخل، نفعها وأزال القروح.

وإذا سحق بخل، وطلي به البرص والبهق الأسود، والحزاز الغليظ، نفعها وأبرأها.." (٢)

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٩٩/٤

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٢٧٤/٤

"الغليظة، ومن السدد إذا شرب، أو طلي به من خارج، وإذا تبخر به، نفع من الزكام والصداع، والشقيقة الباردة.

[عود]

: العود الهندي نوعان، أحدهما: يستعمل في الأدوية وهو الكست، ويقال له: القسط وسيأتي في حرف القاف. الثاني: يستعمل في الطيب، ويقال له: الألوة. وقد روى مسلم في " صحيحه ": عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه («كان يستجمر بالألوة غير مطراة، وبكافور يطرح معها، ويقول: هكذا كان يستجمر رسول الله صلى الله عليه وسلم،») وثبت عنه في صفة نعيم أهل الجنة («مجامرهم الألوة») والمجامر: جمع مجمر وهو ما يتجمر به من عود وغيره، وهو أنواع. أجودها: الهندي، ثم الصيني، ثم القماري، ثم المندلي، وأجوده: الأسود والأزرق الصلب الرزين الدسم، وأقله جودة ما خف وطفا على الماء، ويقال: إنه شجر يقطع ويدفن في الأرض سنة، فتأكل الأرض منه ما لا ينفع، ويبقى عود الطيب، لا تعمل فيه الأرض شيئا، يتعفن منه قشره وما لا طيب فيه.

وهو حار يابس في الثالثة، يفتح السدد، ويكسر الرياح، ويذهب بفضل الرطوبة، ويقوي الأحشاء والقلب ويفرحه، وينفع الدماغ، ويقوي الحواس، ويحبس البطن، وينفع من سلس البول الحادث عن برد المثانة.

قال ابن سمجون: العود ضروب كثيرة يجمعها اسم الألوة، ويستعمل." (١)

"البحري») .

وفي " المسند ": من حديث أم قيس، عن النبي صلى الله عليه وسلم («عليكم بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب») .

القسط: نوعان أحدهما: الأبيض الذي يقال له: البحري. والآخر الهندي، وهو أشدهما حرا، والأبيض ألينهما، ومنافعهما كثيرة جدا.

وهما حاران يابسان في الثالثة، ينشفان البلغم، قاطعان للزكام، وإذا شربا نفعا من ضعف الكبد والمعدة ومن بردها، ومن حمى الدور والربع، وقطعا وجع الجنب، ونفعا من السموم، وإذا طلي به الوجه معجونا بالماء والعسل، قلع الكلف، وقال جالينوس: ينفع من الكزاز، ووجع الجنبين، ويقتل حب القرع.

وقد خفي على جهال الأطباء نفعه من وجع ذات الجنب، فأنكروه ولو ظفر هذا الجاهل بهذا النقل عن جالينوس لنزوله منزلة النص، كيف وقد نص كثير من الأطباء المتقدمين على أن القسط يصلح للنوع البلغمي من ذات الجنب، ذكره الخطابي عن محمد بن الجهم.

وقد تقدم أن طب الأطباء بالنسبة إلى طب الأنبياء أقل من نسبة طب الطرقية والعجائز إلى طب الأطباء، وأن بين ما يلقى بالوحي، وبين ما يلقى بالتجربة والقياس من الفرق أعظم مما بين القدم والفرق.

ولو أن هؤلاء الجهال وجدوا دواء منصوصا عن بعض اليهود والنصارى والمشركين من الأطباء، لتلقوه بالقبول والتسليم، ولم

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٣١٥/٤

يتوقفوا على تجربته.

نعم نحن لا ننكر أن للعادة تأثيرا في الانتفاع بالدواء وعدمه، فمن اعتاد." (١)

"والماء وإن كان في الأصل باردا رطبا فإن قوته تنتقل وتتغير لأسباب عارضة توجب انتقالها، فإن الماء المكشوف للشمال، المستور عن الجهات الأخر يكون باردا وفيه يبس مكتسب من ريح الشمال، وكذلك الحكم على سائر الجهات الأخر.

والماء الذي ينبع من المعادن يكون على طبيعة ذلك المعدن، ويؤثر في البدن تأثيره والماء العذب نافع للمرضى والأصحاء والبارد منه أنفع وألذ، ولا ينبغي شربه على الريق، ولا عقيب الجماع ولا الانتباه من النوم، ولا عقيب الحمام ولا عقيب أكل الفاكهة وقد تقدم.

وأما على الطعام، فلا بأس به إذا اضطر إليه بل يتعين ولا يكثر منه بل يتمصصه مصا، فإنه لا يضره البتة بل يقوي المعدة، وينهض الشهوة ويزيل العطش.

والماء الفاتر ينفخ ويفعل ضد ما ذكرناه، وبائته أجود من طريه وقد تقدم. والبارد ينفع من داخل أكثر من نفعه من خارج والحار بالعكس، وينفع البارد من عفونة الدم وصعود الأبخرة إلى الرأس ويدفع العفونات، ويوافق الأمزجة والأسنان والأزمان والأماكن الحارة، ويضر على كل حالة تحتاج إلى نضج وتحليل **كالزكام** والأورام، والشديد البرودة منه يؤذي الأسنان والإدمان عليه يحدث انفجار الدم والنزلات، وأوجاع الصدر.

والبارد والحار بإفراط ضاران للعصب ولأكثر الأعضاء، لأن أحدهما محلل والآخر مكثف والماء الحار يسكن لذع الأخلاط الحادة ويحلل وينضج ويخرج الفضول، ويرطب ويسخن، ويفسد الهضم شربه، ويطفو بالطعام إلى أعلى المعدة ويرخيها ولا يسرع في تسكين العطش، ويذبل البدن، ويؤدي إلى أمراض رديئة ويضر في أكثر الأمراض على أنه صالح للشيوخ وأصحاب الصرع والصداع البارد والرمد. وأنفع ما استعمل من خارج.

ولا يصح في الماء المسخن بالشمس حديث ولا أثر، ولا كرهه أحد من." (٢)

"أن يحرم ويوم النحر قبل أن يطوف بالبيت بطيب فيه مسك») .

المسك: ملك أنواع الطيب، وأشرفها وأطيبها، وهو الذي تضرب به الأمثال، ويشبه به غيره، ولا يشبه بغيره، وهو كثبان الجنة، وهو حار يابس في الثانية، يسر النفس ويقويها، ويقوي الأعضاء الباطنة جميعها شربا وشما، والظاهرة إذا وضع عليها. نافع للمشايخ، والمبرودين، لا سيما زمن الشتاء جيد للغشي والخفقان، وضعف القوة بإنعاشه للحرارة الغريزية، ويجلو بياض العين، وينشف رطوبتها، ويفش الرياح منها ومن جميع الأعضاء ويبطل عمل السموم وينفع من نهش الأفاعي، ومنافعه كثيرة جدا، وهو من أقوى المفرحات.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٣٢٤/٤

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٣٥٨/٤

[مرزنجوش]

: ورد فيه حديث لا نعلم صحته: («عليكم بالمرزنجوش، فإنه جيد للخشام») . والخشام الزكام.

وهو حار في الثالثة يابس في الثانية، ينفع شمه من الصداع البارد، والكائن عن البلغم، والسوداء، والزكام، والرياح الغليظة، ويفتح السدد الحادثة في الرأس والمنخرين، ويحلل أكثر الأورام الباردة، فينفع من أكثر الأورام والأوجاع الباردة الرطبة، وإذا احتمل، أدر الطمث، وأعان على الحبل، وإذا دق ورقه اليابس، وكمد به، أذهب آثار الدم العارض تحت العين، وإذا ضمد به مع الخل نفع لسعة العقرب.

ودهنه نافع لوجع الظهر والركبتين، ويذهب بالإعياء، ومن أدمن شمه لم ينزل في عينيه الماء، وإذا استعط بمائه مع دهن اللوز المر، فتح سدد المنخرين، ونفع من الريح العارضة فيها، وفي الرأس.." (١)

"وزهره معتدل الحرارة، لطيف ينفع الزكام البارد، وفيه تحليل قوي، ويفتح سدد الدماغ والمنخرين، وينفع من الصداع الرطب والسوداوي، ويصدع الرءوس الحارة، والمحرق منه إذا شق بصله صليبا، وغرس، صار مضاعفا، ومن أدمن شمه في الشتاء أمن من البرسام في الصيف، وينفع من أوجاع الرأس الكائنة من البلغم والمرة السوداء وفيه من العطرية ما يقوي القلب والدماغ وينفع من كثير من أمراضها. وقال صاحب التيسير: شمه يذهب بصرع الصبيان.

[نورة]

: روى ابن ماجه: من حديث أم سلمة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم: («كان إذا اطلى بدأ بعورته فطلاها بالنورة، وسائر جسده أهله») وقد ورد فيها عدة أحاديث هذا أمثلها.

قيل: إن أول من دخل الحمام، وصنعت له النورة، سليمان بن داود، وأصلها: كلس جزءان، وزرنيخ جزء، يخلطان بالماء، ويتركان في الشمس أو الحمام بقدر ما تنضج، وتشتد زرقته، ثم يطلى به، ويجلس ساعة ريثما يعمل، ولا يمس بماء ثم يغسل ويطلى مكانها بالحناء لإذهاب ناريتها.

[نبق]

: ذكر أبو نعيم في كتابه " الطب النبوي " مرفوعا: («إن آدم لما أهبط إلى الأرض كان أول شيء أكل من ثمارها النبق») .

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم النبق في الحديث المتفق على صحته أنه («رأى سدرة المنتهى ليلة أسري به وإذا نبقها مثل قلال هجر») .

والنبق: ثمر شجر السدر يعقل الطبيعة، وينفع من الإسهال، ويدبغ المعدة، ويسكن الصفراء، ويغذو البدن، ويشهي الطعام، ويولد بلغما، وينفع." (٢)

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٣٦٣/٤

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٣٦٧/٤

"[للمتنبى فى حمى أصابته بمصر]

نالت أبا الطيب المتنبى علة بمصر، فكان بعض إخوانه من المصريين يكثر الإلمام «١» به: فلما أبل قطعه، فكتب إليه: وصلتنى أعزك الله معتلا، وقطعتنى مبلا، فإن رأيت ألا تسكدر الصحة على، وتحبب العلة إلى، فعلت.

وفى هذه العلة يقول:

أقمت بأرض مصر؛ فلا ورائى ... تخب بى الركاب، ولا أمامى

عليل الجسم ممتنع القيام ... شديد السكر من غير المدام

وزائرتى كأن بها حياء ... فليس تزور إلا فى الظلام

بذلت لها المطارف والحشايا ... فعافتها، وباتت فى عظامى

يضيق الجلد عن نفسى وعنها ... فتوسعه بأنواع السقام

إذا ما فارقتنى غسلتنى ... كأنا عاكفان على حرام

كأن الصبح يطردها فتجرى ... مدامعها بأربعة سجام

أراقب وقتها من غير شوق ... مراقبة المشوق المستهام

ويصدق وعدها والصدق شر ... إذا ألقاك فى الكرب العظام

ألفاظ لأهل العصر فى العيادة وما جانسها من ذكر التشكى والمرض وتلونه، وسوء أثره، والانزعاج لعوارضه

عرض لى مرض أساء بالنجاة ظنى، وكاد يصرف وجه الإفاقة عنى.

هو شورى بين أمراض أربعة: صداع لا يخف، وحمى لا تغب «٢» ، وزكام لا يجف، وسعال لا يكف. علة هو فى أسرها معتقل، وبقيدها مكبل.." (١)

"غيره: خير من الحياة ما لا تطيب الحياة إلا به، وشر من الموت ما يتمنى الموت له.

قال المتنبى فى مرثية أم سيف الدولة:

أطاب النفس أنك مت موتا ... تمنته البواقى والخوالى

وزلت ولم ترى يوما كريها ... تسر النفس فيه بالزوال

رواق العز فوقك مسبطر ... وملك على ابنك فى كمال

الموت باب الآخرة الحسن: ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت.

ابن المعتز: الموت سهم مرسل إليك، وعمرك بقدر سفره نحوك أخذه بعض أهل العصر فقال:

لا تأمن الدهر الخؤو ... ن وخف بوادر آفته

فالموت سهم مرسل ... والعمر قدر مسافته

البستى:

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٤/٩٢٨

لا يغرنك أنني لين الم ... س فعزمى إذا انتضيت حسام

أنا كالورد فيه راحة قوم ... ثم فيه لآخرين زكام

وقال آخر:

إن الجهول تضرنى أخلاقه ... ضرر السعال لمن به استسقاء

ولآخر، وهو البستي:

فلا تكن عجلا فى الأمر تطلبه ... فليس يحمد قبل النضج بحران

وقال آخر:

لا تعتمد إلا رئيسا فاضلا ... إن الكبار أطب للأوجاع

وقال آخر:

وإنى لأختص بعض الرجال ... وإن كان فدما ثقيلا عباما «١»." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العيادة وما يجانسها

ذكر التشكي والمرض

عرض لي مرض أساء بالنجاة ظني، وكاد يصرف وجه الإفاقة عني. لو رآني لرآني خلالا، ولو شئته لطرقته خيالا. هو شورى بين أمراض أربعة: حمى لا تغب، وصداع لا يخف، وزكام يكد، وسعال لا يكف. علة هو في أسرها معتقل، وبقيدها مكبل. أمراض توالت علي، وأساءت بي وإلي، فأنا أشكوها وأشكر الله تعالى إذ جعلها عظة وتذكيرا، ولم يبق منها حتى الآن إلا يسيرا. أحسب الأمراض قد أقسمت على أن تجعل أعضائي مرابعها، وآلت على أن تصير جوارحي مراتعها. علل لا يصدر منها آت إلا لتكرير ورد، ولا يعزل فيها وال إلا بولي عهد. قد كرت تلك العلة فعادت عللا، وسقاني بعد نهل عللا، حليف علة أقعدتني عن الحركة، وألزمتني من المنزل عرصة العجزة. علة برته بري الأخلة، ونقصته نقص الأهلة. تركته حرضا، وأوسعته مرضا، وغادرته والخيال أكثف منه جثة، والطيف أوفر قوة.

اشتداد العلة وسوء الظن بها

عرض له من المرض ما صار له القنوط يغاديه ويراوحه، واليأس يخاطبه ويصافحه، ورد من سوء الظن أوخم المناهل، وبات من حسن الرجاء." (٢)

"برودته، ولعطارد بيوسته. وربما اشترك في الشيء الواحد عدة كواكب لحصول عدة كيفيات فيه، وقد يكون الجنس الواحد مضافا إلى كوكب واحد بحسب جنسية آخر، كالزهرة الدالة على جهة الرياحين لأجل طيب روائحها، ثم شركها المريخ في الورد: الشوك في شجرته، والحمرة في لونه، والحدة المثيرة للزكام في رائحته، ويشاركها المشتري في النرجس، وزحل

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٩٣٤/٤

(٢) سحر البلاغة وسر البراعة الثعالبي، أبو منصور ص/٨٦

في الآس، والشمس في اللينوفر، وعطارد في الشاهسفرم، والقمر في البنفسج، وقد تنقسم أبعاض الشيء الواحد على الكواكب مثل شجرة واحدة، فإن أصلها للشمس، وعروقها لزحل، وأغصانها وشوكها وقشورها للمريخ، وزهرها للزهرة، وثمرها للمشتري، وورقها للقمر، وحبها لعطارد، فهذا هو القول الكلي في هذا الباب. ونذكر الآن ما لكل واحد على التفصيل وهو مقسوم إلى ثلاثين نوعا.

١ – النوع الأول: في الطعوم (١) .

زحل: له البشاعة والعفوصة والحموضة الكريهة والنتن.

المشتري: له الحلاوة والمذاقة الطيبة.

المريخ: له المرارة.

الشمس: لها الحرافة.

الزهرة: لها الدسومة.

عطارد: له ما اختلط من طعمين (٢) .

القمر: له الملوحة والتفه (٣) والحموضة اليسيرة.

٢ – النوع الثاني: في الألوان:

زحل: له السواد الحالك وما مازج سواده صفرة واللون الرصاصي والظلام.

المشتري: له الغبرة والبياض المشوب بصفرة وسمرة والضياء والبريق.

المريخ: له الحمرة المظلمة.

---

(١) ما جاء في هذه الأنواع يتفق والجداول التي أوردها البيروني في كتابه ((التفهيم لأوائل صناعة التنجيم)) انظر الجدول المقابل للصفحة: ٢٤٠ وقد جمع كتاب غاية الحكيم ص: ١٥٠ – ١٥٦ جميع الدلالات في كل الأنواع تحت كل اسم كوكب بمفرده، فتحت زحل مثلا يجيء كل ما له من الأولان والصنائع والبقاع والمعادن والنبات ... الخ، وانظر كذلك ص ١٩٨ – ٢٠٢.

(٢) ص: الطعمين.

(٣) ص: والتفاهة.." (١)

"الألوان، ويضعف الهضم، وتعرض فيه الحميات المحرقة والغب والرمد وما أشبهه، ويجب أن لا يستعمل فيه القيء أكثر لمن، يسهل عليه، وتقلل فيه الرياضة، ويمال إلى الراحة والسكون، وتستعمل فيه الأشياء المطفئة المبردة أكثر مما تستعمل في الربيع.

٥٩٨ – فصل الخريف: أوله نزول الشمس أول الميزان، وهو سبعة عشر يوما من أيلول، ويوافق من شهور القبط توت،

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/١٧٥

ومن شهور الروم شتنبر، وآخره نزولها آخر القوس؛ وفيه تعود الشمس إلى الاعتدال، وطبعه بارد يابس باعتدال لتقدم فصل الصيف عليه، وقربه من الشتاء، وهو مضاد لمزاج الدم، وتكثر فيه الأمراض لاختلاف أحواله، وتكثر فيه حميات الربع والسرطانات القوابي، ويعظم فيه الطحال لتوليده السوداء ولذلك يجب أن لا يستعمل فيه الاسهال والقيء بل تسكن الأخلاط ويقلل الغذاء، ويلزم التدبير الجيد، وتحذر الفواكه، ويتجنب الجماع والاستحمام بالماء البارد والنوم على الامتلاء.

٥٩٩ - فصل الشتاء (١) : أوله نزول الشمس الجدي، وهو في خامس عشر كانون الأول، ويوافق من شهور القبط كهك، ومن شهور الروم دجنبر، وهو نهاية انحطاط الشمس، وآخره نزولها آخر جزء من الحوت، وطبعه بارد رطب لبعد الشمس عن سمت الرؤوس، وهو أبرد الفصول وأعونها على الهضم لتقويته الحرارة الغريزية بحصره إياها، وأكثر الأمراض الحادثة فيه البلغمية وأمراض العصب ووجع الحلق والنحوحة والزكام وذات الجنب، ولذلك يزاد في الرياضات والغذاء وتكون الأغذية فيه إلى الغلظ والقوة كاللحمان وغيرها، وإن اضطر إلى استفراغ فالإسهال فيه خير من الفصد.

القول في الفصول بالتفصيل.

١ - الربيع:

أفرد له المصنف مقالة قائمة بذاتها في سابع جزء من هذا الكتاب تتضمن تفضيله على سائر الفصول، وجعلها أبوابا عدة رأيت إيرادها في هذا المكان للجمع بينه وبين بقية الفصول مما تقدم القول عليها.

٦٠٠ - روي (٢) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاث يحيين

---

(١) قارن بنهاية الأرب ١: ١٧٦.

(٢) محاضرات الراغب: (٢: ٢٥٣) .." (١)

"وليس بالحار الذي يعرق البدن منه، ولا بالبارد الذي يقشعر منه، بل يكون سريع التغير إلى البرد إذا غابت الشمس، سريع التغير إلى الحر إذا طلعت، وما كان من الهواء حاله هذه الحال فإنه يعدل المزاج، ويقوي الأبدان، ويصفي الأخلاط والأرواح، ويعين على جودة الهضم، وأما الهواء الخارج من الاعتدال في كيفيته فيكون أحر أو أبرد، وأرطب أو أيبس من المعتدل، وأما في ذات جوهره فمثل الهواء الوبائي.

١٠١٨ - آراء الأطباء في الرياح والأهوية على التفصيل:

١ - الريح التي تهب من ناحية القطب الشمالي، وهي ناحية الفرقدين وبنات نعش، باردة تصلب الأبدان وتقويها، وتضعف الرأس، وهي أصلح الرياح وأدفعها للعفن، غير أنها تهيج العلل التي تكون في الرئة والحلق والننزلات والزكام، وتعقل البطن وتدر البول.

٢ - والهابة من ناحية القطب الجنوبي، وهي ناحية سهيل، ترخي الجسد، وتكدر الحواس، وتهيج الصداع والرمد، ونوائب الصرع، والحميات العفنة، غير أنها لا تخشن الحلق والصدر، وهي أجلب الرياح للأمراض، لا سيما إذا كثر هبوبها في الصيف

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/٢١٨

وآخر الربيع.

٣ – وأما الريح التي تهب من حد المشرق الصيفي إلى المشرق الشتوي والتي تهب من حد المغرب الشتوي إلى المغرب الصيفي فمعتدلتان في الحر والبرد، إلا أن أصحهما وأصلحهما الهابة من المشرق، وأردأهما وأغلظهما الهابة من المغرب.

٤ – وأما الهواء فأصلحه الصافي اللطيف الذي ليس فيه بخارات كثيرة، ولا هو راكد مختنق، بل متحرك بهبوب الرياح، لذيذ المستنشق، يسرع إلى البرد إذا غابت الشمس عنه، وأشره ما كان بالضد مما وصفنا، وما كان لغلظه كأنه يقبض على الفؤاد ويمسك النفس، وما كان فيه بخارات من مجاورة بخارات وآجام فيها ماء راكد، وكان فيه عفونات وجيف، وكان شديد الحر ملتهبا، وكان مختنقا لا تخترقه الرياح، فإن هذه الأهوية كلها رديئة. ويكون الهواء مختنقا في المساكن التي في الجوبات، وحيث يحيط بها جبال شاهقة وآجام، وحيث لا تهب رياح كثيرة.

١٠١٩ – ومذاهب العرب والمنجين في الرياح وفعلها في الأجسام: فقد ذكرنا أن أصول الرياح أربعة الصبا والدبور والشمأل والجنوب:." (١)

"فيا من لم أقل بنداه إلا ... وانحلت الورى بدوا وحضرا

تركت بحبك الأحشاء بحرا ... وقلت بمدحك الألفاظ درا

أطعت الحب فيك وكنت مراء ... أبيا لم يطع للحب أمرا

فدم واقصر هواك على المعالي ... وطل بدوامها باعا وعمرا

وقال مادحا السيد حسين بن علي بن شدقم الحسيني المدني

زفت إلى ابن المزنة الخمر ... والشرط أن عقولنا مهر

حمراء يلقاك الحباب بها ... متبسما فكأنه ثغر

وكأنه شمس يطوف بها ... زاهي الجبين كأنه بدر

وكأنه ما بيننا قمر ... دارت عليه الأنجم الزهر

ساق تكاد تسيل من سرف ... أعضاؤه وفؤاده صخر

أنفقت عمري في سياسته ... وبمثل ذلك ينفق العمر

غنى وقال لي اصغ مستمعا ... إن كان يحفظ قلبك الصدر

واسرق مرادك آمنا فلقد ... أغفي على تفريدي الدهر

ما زال يسقيني ويشربها ... حتى تسهل خلقه الوعر

فحتى إذا أخذت مآخذها ... منه ومال بقده السكر

قبض الحجاب من الحياء يدا ... فمضى به وتهتك الستر

فتلمست شفتاي وجنته ... خلسا كما يتلمس الجمر

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/٣٣٤

وجرى لنا سر أضن به ... والسر لم يسمح به الحر
حتى أمال البدر حجفته ... عنا وسل حسامه الفجر
يوم هو الأضحى وصلت به ... من وصله ليلا هو القدر
في بقعة تزهو جوانبها ... فكأنهن مطارف خضر
عشق السماء رياضها فبكي ... فيها الحيا وتبسم الزهر
يجري بها نهر تدفقه ... ويد الحسين كلاهما غمر
للجود ذا ماء براحته ... وبكل راجية له نهر
ما ضر سبروتا يمر بها ... إلا بصوب بحيها القطر
أنست در كلامه فأنا ... بالله أشهد أنه بحر
زره تعد صبا بحضرته ... قد يتمتك فعاله الغر
وانظر سحابا فطر جبهته ... ماء الحياء وبرقه البشر
واغضض جفونك إذ تقابله ... كيلا يطيش بلبك الذعر
كم نلت منه يدا خدلجة ... جاءت تخلخل شوقها العذر
يا دوحة والمكرمات لها ... فرع نما والمصطفي عتر
تنظيم وصفك فوق مقدرتي ... والشهب لا يصطادها الصقر
وصف يطل به الحجى دمه ... ويضل بين شعابه الفكر
كن في السماء فتلك مرتبة ... جلت وأوجبها لك القدر
شهدي مشاهدتي جمالكم ... والصبر عنكم كاسمه صبر
أنا مغرم ذابت ضمائره ... حبا ووافق سره الجهر
نطقت بما تولى قريحته ... مدحا كما يتنظم الدر
دخرت لجودك شكرها زمنا ... ولمثل جودك يدخر الشكر
كم حاولت تثني عليك هوى ... فإذا ذكرتك هابك الشعر
واستدعيته ليلة إلى مجلس اجتمع فيه جمع من الأجلا وانتظم فيه عقد شمل من الأخلا فكتب إلي معتذرا ولأفنان البلاغة مهتصرا قوله
يا بارعا في حيازة الحسب ... وبارزا في شرافة النسب
وحاويا نور كل مكرمة ... فضيها بين نرجس الشهب
عز على عبدك المتيم إن ... دعوته مكرما فلم يجب
عارضه من زكامه حصر ... أصبح منه الفؤاد في لهب

فخاف إن زاركم بعارضه ... يمنعه من رعاية الأدب

فأجبته بقولي وكانت أبياته الغراء مكتوبة في ورقة صفراء

يا بالغا من بلاغة العرب ... أقصى الأماني ومنتهى الأرب

ويا بليغا حوت بلاغته ... در المعاني وجوهر الأدب

ويا اماما سمت فصاحته ... قيسا وقسا في الشعر والخطب

ما الراح في صفوها ورقتها ... مفترة عن مباسم الحبب

ولا عروس الكعاب ضاحكة ... تبسم عن لؤلؤء من الشنب." (١)

"زلال بتلميح تقبيح الابتذال ومن يتذل عينيه في الناس لم يزل يرى حاجة محجوبة لا ينالها فقلت لبشار إن كنت ريحا فقد لاقيت أعطارا فالزم الصمت وغض أبصارا لكن الريح كان يحرك العباب والهوى يلعب بالالباب والجنون شعبة من الشباب فقال له بشار يا مطلع البشاره أريد القعود جنبك حتى أعينك تارة فتارة فإن على الجار عونا لجاره فقال ليس بعشك فادرجي واخطاءت استك فلا تبهرجي فقلت له يا ألطف الخليقه وأطرف ذوي السليقه لا تخيبه فإنه لا يتنشم في الحقيقه الاشمة من أردافك الأنيقه فقال متبسما تسألني برامتين شلجما ثم أنشد وذاك له إذا العنقاء صارت مربية وشب ابن الخصى فأبى أبو عمرة إلا ما أتاه وتاه في منزعه وما تاه فقال يا زلال ويا منبع الأوس والافضال أجرينا إلى ميسرة نضيره مياؤها غزيره ورياضها للجنان نظيره فقال سقطت على صاحب الخبرة والعوان لا تعلم الخمره فأذهبنا إلى أن خرجنا بموضع يفعم نفحات أزهاره المشام وألقينا المراسي بذي رمرام فأعطيته شيئا مما تيسر فأحرزه ولاح في وجهه الحفر فنأولني تفاحة أبرزها من جيبه الظريف على نهج التعريض والتلطيف تفاحة تتسور العنبر والغاليه ويغبن من استبدلها بقرطي مارية ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها وفي الغرب مزكوم لعاد له الشم فقلت له يا علالة الروح وطلالة الغبوق والصبوح لغيري زكاة من جمال فإن يكن زكاة جمال فاذكرا بن سبيل كأني أردت به التعريض لقبلة الوداع فقال لا تطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع ثم فاه وأنفاسه مطيبة برامك السبيل أمامك فامش طالبا مرامك ثم ودع وأنشد كأن غراب البين غرد

إذا ما دعتك النفس يوما لحاجة ... وكان عليها للخلاف طريق

فخالف هواها ما استطعت فإنما ... هواها عدو والخلاف صديق

فقلت له من غاب عنكم نسيتموه وروحه عندكم رهينه أظنكم في الوفاء ممن صحبته صحبة السفينة ثم انصرفت وداعي الشوق يهتف بي.

ارفق بقلبك قد عزت مطالبه، ثم قلت لبشار وهو أحير مني من أوضاع ذلك الطرير الطرار تنقل فلذات الهوى في التنقل ورد كل صاف لا تقف عند منهل هلم نتفيأ ظلال هذه الحدائق ونتفرج بتلون الأزهار وتموج الخلائق عسى أن يرشنا بدل

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٣٢٣

الزلال بلل بمفهوم إن لم يكن وابل فطل فأنشد فتظن سلمى أنني أبغي بها بدلا أراها في الضلال تهيم هيهات يبدل العنبر." (١)

"قوله: ينفث صاحبه مثل العصب، وفي المزهر العقب إن لم يكن تصحيفا وأنشد ذبلا ذبيلا

ع البيت لكثير بن الغريزة النهشلي وهو كثير بن عبد الله بن مالك ابن هبيرة بن صخر بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة. والغريزة أمه أوجدته شاعر مخضرم بقي إلى أيام الحجاج. والكلمة التي منها هذا البيت تروي لبشامة بن الغدير النهشلي أيضا وهو جاهلي ومر وروى غيره وقول الحواصن، ولكن لا يوجد البيت فيها وأنشد لبشير بن النكث الكلبي ع وفي المؤلف ٦١ اليربوعي، والأبيات كلها تروي لجرير من كلمة في ٢٣ بيتا وذكر بقية ألفاظهم في الدعاء على الإنسان ع قوله بالذبحة يعقوب، وغيره بالزلخة، وهو وجع في الظهر. والطسأة التخمة، والهيضة والطشة **كالزكام**، لأن صاحبه يطش كطش المطر وهو القليل منه. الأزهري طش أصيب بالطشاش، وهو **كالزكام**، والمعروف فيه طشيء اه. وقطع الله لهجته، ومثله قطع الله مطاه عند يعقوب. وعليه العفاء؛ وزيد والكلب العواء. وقد فسر." (٢)

"وبه حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي، حدثنا حماد بن زيد: كان أيوب لا يقف على آية إلا إذا قال: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [الأحزاب: ٥٦] سكت سكتة.

وحدثنا أحمد، حدثنا حماد، عن أيوب، قال: أدركت الناس ها هنا، وكلامهم: إن قضي وإن قدر. وكان يقول: ليتق الله رجل فإن زهد فلا يجعلن زهده عذابا على الناس، فلأن يخفي الرجل زهده خير من أن يعلنه.

وكان أيوب ممن يخفي زهده دخلنا عليه، فإذا هو على فراش مخمس أحمر، فرفعته- أو رفعه بعض أصحابنا- فإذا خصفة محشوة بليف.

وبه حدثنا علي بن مسلم، حدثنا أبو داود، قال: قال شعبة: ما واعدت أيوب موعدا قط إلا قال حين يفارقني ليس بيني وبينك موعد فإذا جئت وجدته قد سبقني.

وبه حدثنا إسحاق بن إبراهيم المروزي، حدثنا النضر بن شميل، أخبرني الخليل بن أحمد قال: لحن أيوب في حرف، فقال: أستغفر الله.

وبه حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا حماد بن زيد أخبرني رجل: أنه رأى أيوب بين قبري الحسن ومحمد قائما يبكي ينظر إلى هذا مرة وإلى هذا مرة.

وبه حدثنا أحمد حدثنا حماد حدثنا أيوب قال: رأيت الحسن في النوم مقيدا ورأيت ابن سيرين مقيدا في سجن قال: كأنه أعجبه ذلك.

قال مخلد بن الحسين قال أيوب ما صدق عبد قط فأحب الشهرة.

روى مؤمل، عن شعبة قال: من أراد أيوب فعليه بحماد بن زيد.

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٧٦/١

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٢٨/٢

قلت صدق أثبت الناس في أيوب هو.

وقال حماد: لم يكن أحد أكرم على ابن سيرين من أيوب.

وقال يونس بن عبيد ما رأيت أحدا أنصح للعامة من أيوب والحسن.

وروى سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد قال: كان أيوب في مجلس فجاءته عبرة فجعل يمتخط ويقول ما أشد **الزكام**.

وقال ابن عون: مات ابن سيرين فقلنا: من ثم؟ قلنا أيوب.

قال محمد بن سعد الكاتب: كان أيوب ثقة ثبتا في الحديث جامعا كثير العلم حجة عدلا.." [1]

"ليعوده، فقلت: داود على الباب، فقال: ينتظر موتي؟! وانزعج، وخرجت، فنزل داود إلى دار سامة، ثم دخلت إلى السلطان، فوجدته قد مات وهو مكبوب على المخدة.

وقال ابن واصل: حكى لي طبيبه، قال: أخذه **زكام**، فدخل الحمام، وصب على رأسه ماء شديد الحرارة اتباعا لما قال ابن زكريا الرازي: إن ذلك يحل الزكمة في الحال، وهذا ليس على إطلاقه، قال: فانصب من دماغه إلى فم المعدة مادة فتورمت وعرضت الحمى، وأراد القيء، فنهاه الأطباء، وقالوا: إن تقيأ هلك، فخالف وتقيأ.

وقال الرضي الحكيم: عرضت له خوانيق انفقأت، وتقيأ دما ومدة، ثم أراد القيء ثانيا، فنهاه والدي، وأشار به آخر، فتقيأ، فانصب ذلك إلى قصبة الرئة سدتها، فمات.

قال المنذري: مات بدمشق، في الحادي والعشرين من رجب، سنة خمس وثلاثين وست مائة، ودفن في تابوت.

قلت: ثم بعد سنتين عملت له التربة، وفتح شباكها إلى الجامع. وخلف ابنين: العادل أبا بكر، والصالح نجم الدين، فملكوا العادل بمصر، وتملك الجواد دمشق، فلم تطل مدتهما.." [2]

"وقال ابن واصل: حكى لي طبيبه، قال: أخذه **زكام**، فدخل الحمام، وصب على رأسه ماء شديد الحرارة اتباعا لما قال ابن زكريا الرازي (١) : إن ذلك يحل الزكمة في الحال، وهذا ليس على إطلاقه، قال: فانصب من دماغه إلى فم المعدة مادة، فتورمت، وعرضت الحمى، وأراد القيء، فنهاه الأطباء، وقالوا: إن تقيأ هلك، فخالف، وتقيأ.

وقال الرضي الحكيم: عرضت له خوانيق انفقأت، وتقيأ دما ومدة، ثم أراد القيء ثانيا، فنهاه والدي، وأشار به آخر، فتقيأ، فانصب ذلك إلى قصبة الرئة سدتها، فمات.

قال المنذري (٢) : مات بدمشق، في الحادي والعشرين من رجب، سنة خمس وثلاثين وست مائة، ودفن في تابوت.

قلت: ثم بعد سنتين عملت له التربة، وفتح شباكها إلى الجامع.

وخلف ابنين: العادل أبا بكر، والصالح نجم الدين، فملكوا العادل بمصر، وتملك الجواد دمشق، فلم تطل مدتهما.

٨٦ - الأوحد أيوب ابن الملك العادل بن أيوب الدويني *

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ١٩٩/٦

(٢) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ١٢٩/١٦

الملك الأوحد، نجم الدنيا والدين، أيوب ابن الملك العادل.

تملك خلاط ونواحيها خمس سنين، فظلم وعسف وسفك الدماء، فابتلي

---

(١) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب المشهور المتوفى سنة ٣١١.

(٢) التكملة: ٣ / الترجمة ٢٨٢٢.

(*) ذكره ابن واصل في حوادث سنة ٦٠٧ من " مفرج الكروب "، وترجمه الذهبي مرتين في تاريخه الأولى سنة ٦٠٧ (الورقة ٤٦ من نسخة أيا صوفيا ٣٠١١) ، والثانية سنة ٦٠٩ (في الورقة: ٦٨ من المجلد المذكور) ، وقد تابع في الأولى ابن واصل، وسيرته في الموارد التي تناولت سيرة أبيه الملك العادل، وانظر العبر: ٥ / ٣١.." (١)

"الخليل بن أحمد، قال:

لحن أيوب في حرف، فقال: أستغفر الله.

وبه: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا حماد بن زيد، أخبرني رجل:

أنه رأى أيوب بين قبري الحسن ومحمد، قائما يبكي، ينظر إلى هذا مرة، وإلى هذا مرة.

وبه: حدثنا أحمد، حدثنا حماد، حدثنا أيوب، قال:

رأيت الحسن في النوم مقيدا، ورأيت ابن سيرين مقيدا في سجن.

قال: كأنه أعجبه ذلك.

قال مخلد بن الحسين: قال أيوب: ما صدق عبد قط، فأحب الشهرة.

روى: مؤمل، عن شعبة، قال: من أراد أيوب، فعليه بحماد بن زيد.

قلت: صدق، أثبت الناس في أيوب هو.

وقال حماد: لم يكن أحد أكرم على ابن سيرين من أيوب.

وقال يونس بن عبيد: ما رأيت أحدا أنصح للعامة من أيوب والحسن.

وروى: سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد، قال:

كان أيوب في مجلس، فجاءته عبرة، فجعل يمتخط ويقول: ما أشد **الزكام!**

وقال ابن عون: مات ابن سيرين، فقلنا: من ثم؟

قلنا: أيوب.

قال محمد بن سعد الكاتب: كان أيوب ثقة، ثبتا في الحديث، جامعا، كثير العلم، حجة، عدلا.

وقال أبو حاتم، وسئل عن أيوب، فقال: ثقة، لا يسأل عن مثله.

قلت: إليه المنتهى في الإتقان.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٣١/٢٢

قال ابن المديني: له نحو من ثمان مائة حديث.

وأما ابن علية، فقال:

كنا نقول: حديث أيوب ألفا حديث، فما أقل ما ذهب علي منها.

وسئل ابن المديني عن أصحاب نافع، فقال:

أيوب وفضله، ومالك." (١)

"سنة أربعين ومائتين

فيها كما قاله في «الشذور» أخذ أهل الذمة بتعليم أولادهم العبرانية، والسريانية، ومنعوا من العربية، ونادى المنادي بذلك، فأسلم منهم خلق كثير.

وفيها خرجت ريح من بلاد الترك، فمرت بمرو، فقتلت خلقا كثيرا **بالزكام**، ثم صارت إلى نيسابور، وإلى الري، وإلى همذان، وحلوان، ثم إلى العراق، وأصاب أهل بغداد، وسر من رأى، حمى، وسعال، **وزكام**.

وقال محمد بن حبيب: جاءت الكتب من المغرب أن ثلاثة عشر قرية من القيروان خسف بها، فلم ينج من أهلها إلا اثنان وأربعون رجلا سود الوجوه، فأتوا القيروان، فأخرجهم أهلها، فقالوا أنتم مسخوط عليكم [١] ، فبنى لهم العامل حظيرة خارج المدينة فنزلوها. انتهى ما ذكره في «الشذور» .

وفيها توفي أحمد بن أبي دواد- على وزن فؤاد- قاضي القضاة أبو عبد الله الإيادي، وله ثمانون سنة. وكان فصيحا، مفوها، شاعرا، جوادا، ممدحا، رأسا في التجهم، وهو الذي شغب على الإمام أحمد بن حنبل وأفتى بقتله. قاله في «العبر» [٢] .

---

[١] في الأصل: «عليهم» ، وأثبت ما في المطبوع وهو الصواب.

[٢] (١/ ٤٣١) .." (٢)

"بالسلامة في حال الأمن، وبحسن تصرفهم في فنون القول، وأن لهم المنظر الحسن دون المخبر، ثم لا وفاء لهم في الذمم والعقود ولا نصرة في الدفاع عند الحروب. ومعنى يروعك يعجبك. يريد: اعطوا البسطة في الأجسام، فإذا خبرتهم صغرهم الخبر، فأورثك الزهد فيهم. ويقال: لي بهم خبر وخبرة.

وقال آخر:

أعاريب ذوو فخر بإفك ... وألسنة لطاف في المقال

رضوا بصفات ما عدموه جهلا ... وحسن القول من حسن الفعال

يقول: إنهم يفتخرون بمفاخر مأفوكة مكذوبة، ولهم ألسنة يلطفون بها، ويصورون الباطل من مفاخرهم بصورة الحق، فهم أصحاب مقال لا فعال، وأرباب كذب وزور، لاحق وصدق، ولجهلهم يرضون من أنفسهم ولها بأن يصفوها بما هو معدوم

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٦/ ٢٠

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٣/ ١٧٩

فيهم، وقنعوا بحسن الصفات من أنفسهم بقولهم، وإن عدموا شهادة الأشهاد على دعواهم، اعتقادا منهم أن القول يغني عن الفعل، وأن الخبر يكتفي به عن الخبرة، وأن الكرم في الدعاوي لا في الحقائق.

وقال مالك بن أسماء

لو كنت أحمل خمرا حين زرتكم ... لم ينكر الكلب أني صاحب الدار

لكن أتيت وريح المسك تفغمني ... وعنبر الهند مشبوبا على النار

فأنكر الكلب ريحي حين أبصرني ... وكان يعرف ريح الزق والقار

قوله تفغمني، أي تسد خياشيمي وتملؤها. ويقال: الريح الطيبة تفغم المزكوم. وقوله مشبوبا على النار، يقال: رأيت شبة النار، أي اشتعالها، وقد." (١)

"- الإعراب درع ضرب الإضافة بمعنى اللام لا بمعنى من الغريب شبه الآثار الدقيقة على سيفه بالنسج الدقيق والحاسر الذى لا درع عليه وملتهب الحواشى بريق السيف المعنى يقول لقوة حاسرا لا درع عليه فى درع ضرب يريد أن ضربه الأعداء بالسيف يحميه منهم ولما جعله درعا جعله دقيق النسج ولهذا قال

(ملتهب الحواشى ...)

لأنه أراد به السيف الذى كان يضرب به كأنه نار تلتهب والمعنى أن ضربه الأبطال يصد عنه كما يصد الدرع

٩ - الغريب الجماجم جمع جمجمة والفراش جمع فراشة وهو ما يطير فى الليل كالذباب وهو يلقى نفسه فى النار ومنه قول الشاعر

(ظن الفراش عقارها لهبا ... يبدو فألقى نفسه فيها)

المعنى يقول هو يحرق الرءوس بضربه إياه لأن سيفه يلمع كالنار وشبه أيدى القوم المتطايرة حوله بالفراش حول النار لأن الأيدى تطاير بضربه إياها

١٠ - الغريب المهجة دم القلب وجمعها مهج ومهجات والعطاش شدة العطش وهو من الفعال كالصداع والزكام وقيل هو داء يصيب الظباء فتشرب الماء فلا تروى والمهند السيف المعنى شبه ما يجرى من دم الأعداء بماء وجعل السيف يعاوده مرة بعد أخرى كالعطشان يعاود الماء يعنى أن سيفه لا يزال يعاود دماء الأعداء كما يعاود العطشان الماء

١١ - الغريب مفات مفعل من الفوت وهو الذى حيل بين روحه وبينه والرمق بقية النفس وطاش عقله يطيش طيشا وأطشته أطيشه إطاشة المعنى يقول انهزموا عنه وهم بين مقتول قد فات وبين ذى رمق أى فيه نفس وآخر قد طاش عقله أى ذهب وتحير لما لاقى من الأهوال

١٢ - الإعراب توارى مصدر وأسكن الياء لأنه فى موضع رفع بالابتداء وخبره لنصل الغريب المنعفر الذى يتلطخ بالعفر

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٠٦٤

وهو التراب والاحتراش صيد الضب المعنى يريد أن السيف قد غاب وتوارى فى هذا المنعفر توارى الضب فى جحره خوفا من الصائد." (١)

"أي نسي اسمه العلم بما سموه به من ردى الأبطال أي هلاك الشجعان أو غيث العطاش يعني أ، هذين غلبا على اسمه المشهور حتى ترك ذلك فلا يسمى إلا بأحد هذين.

لقوه حاسرا في درع ضرب ... دقيق النسج ملتهب الحواشي

الحاسر الذي لا درع عليه وأراد أنه من ضربه الأعداء في درع لأن ضربه بالسيف يحميه ولما جعل ذلك درعا له جعله دقيق النسج وإن لم يكن هناك نسج أو شبه الآثار الدقيقة على سيفه بالنسج الدقيق ولهذا قال ملتهب الحواشي لأنه أراد به السيف الذي كأنه نار تلتهب وذكر الدرع على اللفظ

كأن على الجماجم منه نار ... وأيدي القوم أجنحة الفراش

أي كأنه يحرق الجماجم لشدة ضربه إياها ولن سيفه يلمع كالنار عليها وكأن أيدي القوم أجنحة الفراش لأنها تطير بضربه إياها فشبه أيدي القوم المقطعة حوله بالفراش حول النار

كأن جواري المهجات ماء ... يعاودها المهند من عطاش

المهجة دم القلب والعطاش شدة العطش وهي من الفعال الذي للأدواء كالصداع والزكام يعاود الماء يقول سيفه لا يزال يعاود دماء أعدائه بماء وجعل سيفه يعاوده مرة بعد مرة كالعطشان يعاود الماء يقول سيفه لا يزال يعاود دماء أعدائه فكأنه عطشان يعاود شرب الماء

فولوا بين ذي روح مفات ... وذي رمق وذي عقل مطاش

أي إنهزموا عنه وهم من بين مقتول قد أفات عليه روحه فروحه مفات وآخر به رمق وآخر قد طاش عقله وتحير يقال طاش عقله أي ذهب واطاشه الله

ومنعفر لنصل السيف فيه ... توارى الضب خاف من احتراش

المنعفر المتلطخ بالتراب والاحتراش صيد الضب يقول قد غاب السيف في هذا المنعفر كما يغيب الضب في جحره إذا خاف احتراشا.

يدمى بعض أيدي الخيل بعضا ... وما بعجاية أثر ارتهاش

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٢/٢٠٩

العجاية عصبة في اليد فوق الحافر والارتهاش اصطكاك اليدين حتى تنعفر الرواهش وهي عصب الذراع يقول ازدحمت الخيل عادية بين يديه في سوق انطاكية فدمت أيدي بعضها أيدي بعض ولم يكن ثم ارتهاش ويجوز أن تكون التدمية من دماء القتلى

ورائعها وحيد لم يرعه ... تباعد جيشه والمستجاش
يعني بالرائع الممدوح الذي راعهم أي افزعنم أي لم يفزعه انفراده من جيش وبعده من سيف الولة وهو المستجاش يعني المطلوب منه الجيش

كأن تلوى النشاب فيه ... تلوى الخوص في سعف العشاش
الخوص ورق النخل والسعف اغصانها والعشاش جمع عشة وهي الدقيقة من النخل وكان قد رمى بسهم فتلوت فيه كتلوى الخوص في أغصان النخل

ونهب نفوس أهل النهب أولى ... بأهل المجد من نهب القماش
النهب الغارة وأهل النهب الجيش والقماش متاع البيت يقول الاغارة على نفوس أهل الغارة أحق بالأشراف من الإغارة على الأقمشة وهو من قول أبي تمام، أن الأسود أسود الغاب، البيت

تشارك في الندام إذا نزلنا ... بطان لا تشارك في الجحاش
الندام المنادمة والبطان جمع بطين وهو الكبير البطن الرغيب والجحاش المجاحشة وهي المدافعة في القتال يقول يشاركنا في شرب الخمر إذا نزلنا عن الخيل رجال يكثرون الأكل ولا يشاركون في القتال

ومن قبل النطاح وقبل يأنى ... يبين لك النعاج من الكباش
النطاح مناطحة ذوات القرون ثم يستعمل في الحرب وقبل رواه الخوارزمي نصبا على الظرف ورواه غيره خفضا بالعطف على ما قبله ويأنى يحين من قولهمأني الشيء يأنى أنى يقول قبل المناطحة وقبل أوانها يتبين من يناطح ممن لا يناطح ومن يقاتل ممن لا يقاتل وذلك إن الكباش تتلاعب بقرونها وإن لم ترد الطعن بها وكذلك يتلاعب الناس بالأسلحة في غير الحرب فيعرف من يحسن استعمالها ممن لا يحسن.

فيا بحر البحور ولا أورى ... ويا بدر البدور ولا أحاشي
أكثر الرواية ويا ملك الملوك والتورية الاخفاء والستر يقول لا استر قولي بل أجهر به ولا أحاشي أي لا أدع أحدا ولا استثنى انسانا كما قال النابغة، وما أحاشي من الأقوام من أحد،

كانك ناظر في كل قلب ... ولا يخفى عليك محل غاش." (١)

"حدثنا أبو خيثمة قال: حدثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق قال: "كنا عند عبد الله جلوسا وهو مضطجع بيننا نراه، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إن قاصا عند أبواب كندة يزعم أن آية الدخان تجئ فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة **الزكام**، فقال عبد الله -وجلس وهو غضبان-: يأيها الناس اتقوا الله فمن علم منكم شيئا فليقل بما يعلم، ومن لا يعلم فليقل: الله أعلم، فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله تعالى قال لنبيه - عليه السلام-: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ [(٨٦) سورة ص] ".

نعم، وهذا من ابن مسعود -رضي الله عنه- توجيه للعلماء وطلاب العلم ألا يتكلفوا ما لا علم لهم به؛ لأن بعض الناس إذا سئل يحاول يعصر ذهنه ويتمحل ويتكلف لا بد أن يجيب، لا، لا الأمر أهون من ذلك، ما تعرف، قل: الله أعلم، ما أنت مكلف.

فهذا مثال، أن قاصا -القصاص الوعاظ- الوعاظ وهم في الغالب عمدتهم على القصص والأخبار والحكايات، ويغفلون عن نصوص الكتاب والسنة؛ لأنها معروفة لدى الخاص والعام فلا تجذب الناس، لكن بالحكايات والقصص والأخبار ينبسط الناس ويجتمعون، يطربون لذكر القصص.

فهذا القاص يزعم أن آية الدخان المشار إليها في سورة الدخان، نعم ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ [(١٠) سورة الدخان]، هذا الدخان يجيء فيأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين، وعلى الخلاف بين أهل العلم هل هو حصل أو ما حصل؟ والمسألة معروفة.." (٢)

""ويأخذ المؤمنين منه كهيئة **الزكام**، فقال عبد الله -وجلس وهو غضبان-: يأيها الناس اتقوا الله فمن علم منكم شيئا فليقل بما يعلم": نعم، قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، من عنده شيء من العلم يقوله به، من لا علم عنده يمسك، "ومن لا يعلم فليقل: الله أعلم": يكل العلم إلى عالمه ويرده إلى مصدره، "فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم": هو أعلم، هو أسلم وأحكم، أن يقول: الله أعلم، قد يقول قائل: كلمة الله أعلم كل يتقنها ويستطيعها إذن ليست بعلم، نقول: هي علم، ولو لم تكن إلا علم الإنسان بقدر نفسه فهي علم، ولو لم يكن من ذلك إلا حرص الإنسان على سلامة نفسه فهي أسلم، والحكيم الذي يسعى لخلاص نفسه، ولذا يقرر أهل العلم أن المفتي يكون حرصه على خلاص نفسه، أشد من حرصه على خلاص المستفتي.

"فإن الله تعالى قال لنبيه -عليه السلام-: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر﴾ ": إنما يريد الأجر والثواب من الله -جل وعلا- ، ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ [(٨٦) سورة ص] ": جاءني علم، جاءني شيء عن الله -جل وعلا- بلغته، والذي لم يأت لا أتكلفه، وهكذا ينبغي للعالم وطالب العلم إن كان عنده علم متأكد منه محقق، يفتي به وإلا يقول: الله أعلم، نعم.

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/١٨٠

(٢) شرح كتاب العلم لأبي خيثمة - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ١٣/٤

حدثنا أبو خيثمة قال: حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي قال: سمعت أبا جعفر يذكر عن الربيع بن أنس قال: "مكتوب في الكتاب الأول: ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا".

هنا يقول: حدثنا أبو خيثمة قال: حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي قال: سمعت أبا جعفر: الرازي، عيسى بن ماهان؟

طالب: ابن أبي عيسى.

هاه؟

طالب: عيسى بن أبي عيسى.

هو، هو؟

طالب: أبو عيسى اسمه عبد الله.

هو أبو جعفر الرازي نعم، لكنه ضعيف عند أهل العلم، هو هو؟

طالب: هذا الثاني أبو جعفر. . . . .

إيه صحيح، صحيح معروف.." (١)

"مستقيم

«١» ؛ وهو قبضة من آثار البيعة النبوية، وشعار يتشرف به من مشى تحت ألويته العباسية، وما أرسل هذا العهد النبوي إلى أحد من ملوك الأرض إلا عمه الشرف من جميع جهاته، والله أعلم حيث يجعل رسالته

«٢» وشدت أعواد منبره طربا، وأزهرت رونقا وأثمرت أدبا، واستطالت بيد الخلافة لإقامة الحد، وكيف لا ويد الخلافة لا تطاولها يد؛ وكان المقام الأشرف (إلى آخر الألقاب المذكورة في التعريف واسمه المكتتب في الطرة) «٣» هو الذي رغب في التمسك بهذا العهد الشريف ليزيل عن ملكه الالتباس، واستند إليه ليروي بسنده العالي عن ابن عباس؛ فإنه الملك الذي ظفره الله بأعداء هذا الدين وسماه مظفرا ولقبه بالشمسي واختار له أن يقارن من الطلعة المستعينية قمرا؛ أينع زهر العدل من حضرة «دهلى» فعطر الآفاق، وضاع نشره بالهند فعاد الشم إلى **المزكوم** بالعراق، وصارت دمن «سمنات» «٤» عامرة بقيام الدين، وأيده الله فيها بعد القتال بالفتح المبين، ولم يترك للعدو في بيت بيت ليلة، وأبطل ما دهره أهل دهلى بحسن اليقظة وقوة الصولة، وأباد الكفرة من أهل ديو ولم يقبل لهم دية، وفاءوا إلى غير أمر الله فأبادهم بسيفه الهندي فلم تقم لهم فية «٥» ، وفطر أكباد من ناوأه بها فلازموا عن رؤيتها الصوم، ونادى منادي عدله بالبلاد الهندية: لا ظلم اليوم، ودانت له تلك الممالك برا وبحرا، وسهلا ووعرا، ما نظم الأعداء على البحر المديد بيتا إلا أبان زحافه وأدار عليه دوائره، فكم نظم شمل الرعايا بالعدل ونثر رؤوس الطغاة بالسيف فلا عدم الإسلام ناظمه وناثره؛ سئلت الركبان في البر عن مناقبه الجميلة وعم." (٢)

---

(١) شرح كتاب العلم لأبي خيثمة - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ١٤/٤

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٣٨/١٠

"والكبريت الأحمر، وأقل وجودا من بيض الأنوق «١» بل بيض الأنوق في الوجدان أكثر.

فقال «علم الفراسة» : على الخبير سقطت، وبابن بجدتها حططت؛ أنا بذلكم زعيم، وبمظنته عليم؛ فللعلم عرف ينم على صاحبه، وتلوح عليه بوارقه وإن أكنه بين جوانبه؛ فحامل المسك لا تخفى ريحه على غير ذي زكام، والنهار لا يخفى ضوءه على ذي بصر وإن تسترت شمسه بأذيال الغمام؛ ولقد تصفحت وجوه العلماء الكملة، الذين طواياهم على أجمل العلوم منطوية وعلى تفاصيلها مشتملة، وسبرت وقسمت، وتفرست وتوسمت، فلم أجد من يليق لهذا المقام، ويصلح لقطع الجدال والخصام، ويعرف بلغة كل علم فيجيب بلسانه، ويحكم فلا ينقض حكمه غيره لانحطاطه عن بلوغ مكانه، إلا البحر الزاخر، و [الفاضل] «٢» الذي لا يعلم لفضله أول ولا يدرك لمداه آخر؛ حبر الأمة، وعلامة الأئمة، وناصر السنة وحاميها، وقامع البدعة وقاميها «٣» ، نجل شيخ الإسلام، وخلاصة غرر الأيام، جلال الدين، بقية المجتهدين، أبو الفضل عبد الرحمن البلقيني الشافعي، الناظر في الحكم العزيز بالديار المصرية، وسائر الممالك الإسلامية وما أضيف إلى ذلك من الوظائف الدينية، لا زالت فواضل الفضائل معروفة: فهو العالم الذي إذا قال لا يعارض، والحاكم الذي إذا حكم لا يناقض، والإمام الذي لا يتخلل اجتهاده خلل، والمناظر الذي ما حاول قطع خصم إلا كان لسانه أمضى من السيف أذا يقال: «سبق السيف العذل» :." (١)

"٤٣٨ - عمرو بن قيس الملائي

إسحاق بن خف قال: أقام عمرو بن قيس الملائي عشرين سنة صائما ما يعلم به أهله يأخذ غداءه ويغدو إلى الحانوت فيتصدق بغذائه ويصوم، وأهله لا يدرون.

قال: وكان إذا حضرته الرقة يحول وجهه إلى الحائط ويقول لجلسائه: هذا الزكام، وإذا نظر إلى أهل السوق قال: ما أغفل هؤلاء عما أعد لهم.

مفضل بن غسان قال: قال عمرو: حديث أرقق به قلبي وأتبلغ به إلى ربي عز وجل أحب غلي من خمسين قضية من قضايا شريح.

أبو خالد الأحمر قال: سمعت عمرو بن قيس الملائي يقول: إذا بلغك شيء من الخير فاعمل به ولو مرة تكن من أهله.

عبد الرحمن بن الحكم بن بشير بن سليمان قال: أنبأ أبي قال: رأيت سفيان يجيء إلى عمرو بن قيس يجلس بين يديه ينظر إليه لا يكاد يصرف بصره عنه. أظنه يحتسب في ذلك.

صالح بن أحمد بن عبد الله العجلي قال: حدثني أبي عن أبيه عبد الله قال: جاءت امرأة

---

٤٣٨ - هو: عمرو بن قيس الملائي، بضم الميم وتخفيف اللام والمد - أبو عبد الله الكوفي، ثقة متقن عابد، من السادسة، مات سنة بضع وأربعين.." (٢)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٥٨/١٤

(٢) صفة الصفوة ابن الجوزي ٧٢/٢

"عن أبي بكر بن الفضل قال: سمعت أيوب يقول: والله ما صدق عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه.

عن سلام بن أبي مطيع قال: قال رجل من أهل الأهواء لأيوب: ألا أكلمك بكلمة؟ قال: لا، ولا نصف كلمة.

عن هشام بن حسان عن أيوب السختياني قال: ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا زاد من الله عز وجل بعدا.

محمد بن عمر الباهلي قال: سمعت ابن عيينة يقول: قال أيوب: إنه ليبلغني موت الرجل من أهل السنة فكأنما يسقط عضو من أعضائي.

حماد بن زيد قال: كان أيوب ربما حدث بالحديث فيرق فيلتفت فيمتخط ويقول: ما أشد **الزكام**.

الحسن بن عمرو قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: دخل بديل على أيوب السختياني، أظنه قال: يعوده وقد مد على فراشه سبنية حمراء يدفع بها الرثاء، فقال له بديل: ما هذا؟ فقال أيوب: هذا خير من هذا الصوف الذي عليك.

يحيى العبدي قال: سمعت حماد بن زيد يقول: كان أيوب يطلب العلم حتى مات.

أسند أيوب عن أنس بن مالك وعمرو بن سلمة الجرمي وروى عن أبي عثمان النهدي وأبي رجاء العطاردي وأبي العالية والحسن وابن سيرين وأبي قلابة. وتوفي في الطاعون بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومائة.

حنبل قال: سمعت سليمان بن حرب يقول: مات أيوب وهو ابن ثلاث وستين.." (١)

"، ولما بلغة موت أخيه السلطان الملك الأشرف موسى صاحب دمشق ركب وجاء فأخذها فنزل قلعتها فأصابه **زكام**، وتولد منه داء وبقي بعد أن دخلها سنتين، ومات إلى رحمة الله تعالى في الحادي والعشرين من رجب سنة خمس وثلاثين وست مائة، ودفن بالقلعة في تابوت ثم حول إلى تربته سنة سبع وثلاثين، وتربته مشهورة شمالي جامع دمشق شرقي خانقاه السمسطانية لها شباك كبير، وباب إلى الحائط الشمالي من الجامع.

محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي القاسم بن صدقة بن حفص قاضي القضاة بالديار المصرية شرف الدين أبو المكارم ابن القاضي الرشيد أبي الحسن ابن القاضي أبي الحديق الصفراوي الإسكندراني ثم المصري الشافعي ويعرف بابن عين الدولة

من بيت علم وقضاء، وحكم بالإسكندرية بين أعمامه وأقربائه ثمانية أنفس، ولد بالإسكندرية في سنة إحدى وخمسين وخمس مائة، وقدم القاهرة في سنة ثلاث وسبعين، فكتب لقاضي القضاة صدر الدين بن درباس ثم ناب عنه في القضاء سنة أربع وثمانين، وناب أيضا عن قاضي القضاة ابن أبي عصرون، وعن غيرهما أيضا ثم استقل بقضاء الديار المصرية وبعض الشامية سنة سبع عشرة وست مائة.." (٢)

"وكثر تكاوس والتف واستجلس واعلنكس: تجان. وتجان الرجل إذا تكلف الجنون وليس بمجنون. وكذلك تحامق وتناوم وتكاسل، قال العجاج:

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ٢/١٧٥

(٢) طبقات الشافعيين ابن كثير ص/٨٣٩

إذا تجازرت وما بي جزر ... ثم كسرت العين من غير عور

وكل هذا يؤول إلى معنى الاستتار، فالمجنون المستور العقل، والفعل منه جن يجن جنونا وهو مجنون، وأجنه الله فهو مجنون، وهذا الباب نادر في اللغة ونظيره أزكمه الله فهو **مزكوم**، وأحمه فهو محموم، وأضأده فهو مضؤود أي أزكمه، وأحببت فلانا فهو محبوب، وهذا هو السائر وقد قالوا محب. قال عنترة العبسي:

ولقد نزلت فلا تظني غيره ... مني بمنزلة المحب المكرم." (١)

"النساء للطشة والخافية والإقلات؛ قال عبد الله سألت ابن مناذر فقال: الطشة: شيء يصيب الصبيان **كالزكام**. والخافية: الجن. والإقلات قلة الولد. يريد أن المرأة إذا ولدت يموت أولادها فلا يبقى لها ولد؛ يقال: امرأة مقلات.

بلغني عن شيخ من بني نمير أنه قال: أضللت أباعر لي بالشريف «١» فخرجت في بغائها فدأبت أياما فأمسيت عشية بواد موحش وقد كددت راحلتي فاختليت «٢» لها من الشجر وأصبت لها من الماء ثم قيدتها واضطجعت مغموما، فلما جرى وسن النوم في عيني إذ همس قدم قريبا مني، فانتبهت فزعا وإذا شيخ يتنحنح وهو يقول: لا ريعة «٣» عليك! ثم سلم وجلس؛ ثم جاء آخر وآخر حتى تألفوا أربعة فقالوا: ما بك أيها المسلم؟ فقلت: أضللت أباعر «٤» لي وأنا في طلبها منذ أيام؛ فقال لي الأول منهم: كن لك ما كن، وقد ودعن فبن، وصرن حيث صرن، فلا تتعنين؛ فاجترأت على المسألة فقلت: أمن الخافية أنتم نشدتكم بإلهكم؟ قالوا: نعم وإلهنا وإلهكم واحد؛ فقلت: علموني مما علمكم الله شيئا أنتفع به؛ قالوا: إذا أردت حفظ مالك فاقرأ عليه: إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش «٥» إلى آخر ثلاث الآيات، وآية الكرسي، وإذا أمسيت في خلاء وحدك فاقرأ المعوذتين، وإن أحببت ألا يعبث بك ولا بأهلك وولدك عابث منا فعليك بالديك الأبيض؛ واجعل في حجور صبيانك بريما، يعني خيطا من صوف." (٢)

"من يتوهم أن الكواكب ليست في نهاية الاستدارة وغير ذلك

كتاب في أنه لا يتصور لمن لا دربة له بالبرهان إن الأرض كرية وأن الناس حولها

رسالة يبحث فيها عن الأرض الطبيعية طين هي أم حجر داخل سمع الكيان

كتاب يوضح فيه أن التركيب نوعان وغير ذلك

مقالة في العادة وأنها تكون طبيعية

مقالة في المنفعة في أطراف الأجفان دائما

مقالة في العلة التي من أجلها تضيق النواظر في النور وتتسع في الظلمة

مقالة في العلة التي لها تزعم الجهال أن الثلج يعطش

مقالة في العلة التي لها يحرق الثلج ويقرح

---

(١) عقلاء المجانين لابن حبيب النيسابوري النيسابوري، ابن حبيب ص/١٨

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ١٢٩/٢

كتاب أطعمة المرضى

مقالة فيما استدركه من الفصل في الكلام في القائلين بحدوث الأجسام وعلى القائلين بقدمها كتاب في أن العلل اليسيرة بعضها أعسر تعرفا وعلاجا وغير ذلك

كتاب العلة التي لها تذم العوام الأطباء الحذاق

رسالة في العلل المشكلة وعذر الطبيب وغير ذلك

رسالة في العلل القائلة لعظمها والقاتلة لظهورها بغتة مما لا يقدر الطبيب على صلاحها وعذره في ذلك

كتاب في أن الطبيب الحاذق ليس هو من قدر على إبراء جميع العلل فإن ذلك ليس في الوسع ولا في صناعة أبقراط وأنه قد يستحق أن يشكر الطبيب ويمدح وأن تعظم صناعة الطب وتشرف وإن هو لم يقدر على ذلك بعد أن يكون متقدما لأهل بلده وعصره

رسالة في أن الصانع المتعرف بصناعته معدوم في جل الصناعات لا في الطب خاصة والعلة التي من أجلها صار ينجح جهال الأطباء والعوام والنساء في المدن في علاج بعض الأمراض أكثر من العلماء وعذر الطبيب في ذلك

كتاب الممتحن في الطب على سبيل كناش

كتاب في أن النفس ليست بجسم

كتاب في الكواكب السبعة في الحكمة

رسالة إلى الحسن بن إسحق بن محارس القمي

كتاب في النفس المغترة

كتاب في النفس الكبيرة

مقالة في العلة التي من أجلها يعرض الزكام لأبي زيد البلخي في فصل الربيع عند شمه الورد

رسالة في محنة الطبيب وكيف ينبغي أن يكون حاله في نفسه وبدنه وسيرته وأدبه

رسالة في مقدار ما يمكن أن يستدرك من أحكام النجوم على رأي الفلاسفة الطبيعيين ومن لم يقل منهم أن الكواكب أحياء وما يمكن أن تستدرك على رأي من قال أنها أحياء

كتاب في العلة التي لها صار يحدث النوم في رؤوس بعض الناس شبيها بالزكام

كتاب في الشكوك التي على برقلس

كتاب في تفسير كتاب أفلوطرخس لكتاب طيماوس

رسالة في علة خلق السباع والهوام

كتاب في إتمام ما ناقض به القائلين بالهيولي

كتاب في أن المناقضة التي بين أهل الدهر وأهل التوحيد في سبب أحداث العالم إنما جاز من نقصان السمة في أسباب الفعل بعضه على التمادية وبعضه على القائلين بقدم العالم

كتاب في نقضه على علي بن شهيد البلخي فيما ناقضه به في أمر اللذة
كتاب في الرياضة
كتاب في النقض على الكيال في الإمامة
كتاب في إنه لا يجوز أن يكون سكون وافتراق
كتاب في إتمام كتاب أفلوطرخس
كتاب في نقض كتاب التدبير
اختصار كتاب حلية البرء لجالينوس
اختصار كتاب النبض الكبير لجالينوس
تلخيص كتاب العلل والأعراض لجالينوس
تلخيص كتاب الأعضاء الآلمة لجالينوس
كتاب الانتقاد على أهل الاعتزال
كتاب في نقض كتاب البلخي لكتاب العلم الإلهي والرد عليه
كتاب في أنه يجوز أن يكون سكون واجتماع ولا يجوز أن يكون حركة واجتماع لم يزل رسالة." (١)

"كلام جرى بينه وبين المسعودي في حدوث العالم
كتاب المدخل إلى الطب
مقالة في المذاقات
مقالة في البهق والبرص
كتاب زينة الكتاب
كتاب برء ساعة ألفه للوزير أبي القاسم ابن عبد الله
مقالة في البواسير والشقاق في المقعدة
كلام في الفروق بين الأمراض
مقالة في الحرقة الكائنة في الاحليل والمثانة
كتاب طب الفقراء
رسالة إلى الوزير أبي الحسن علي ابن عيسى بن داؤد بن الجراح القنائي في الأعلال الحادثة على ظاهر الجسد
رسالة إلى تلميذه يوسف بن يعقوب في أدوية العين وعلاجها ومداواتها وتركيب الأدوية لما يحتاج إليه من ذلك
كتاب صيدلة الطب

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٤٢٥

كتاب في جواهر الأجسام

كتاب في سيرته

مقالة في **الزكام** والنزلة وامتلاء الرأس ومنع النزلة إلى الصدر والريح التي تسد المنخرين ومنع التنفس بهما

مقالة في إبدال الأدوية المستعملة في الطب والعلاج وقوانينها وجهة استعمالها

كتاب صفة البيمارستان

مقالة في الأغذية مختصر مقالة فيما سئل عنه في أنه لم صار من قل جماعة من الإنسان طال عمره ألفها للأمير أبي العباس أحمد بن علي

مقالة في العلة التي لها إذا أكلت الحيوانات سخنت أبدانها ما خلا الإنسان فإنه يجد عند أكله فتورا

مقالة في الكيفيات رسالة في الحمام ومنافعه ومضاره

كتاب في الدواء المسهل والمقيء

مقالة في علاج العين بالحديد

أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري

من أهل طبرستان فاضل عالم بصناعة الطب وكان طبيب الأمير ركن الدولة

ولأحمد بن محمد الطبري من الكتب الكناش المعروف بالمعالجات البقراطية وهو من أجل الكتب وأنفعها وقد استقصى فيه ذكر الأمراض ومداواتها على أتم ما يكون وهو يحتوي على مقالات كثيرة

أبو سليمان السجستاني

هو أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني المنطقي كان فاضلا في العلوم الحكمية متقنا لها مطلعا على دقائقها واجتمع بيحيى بن عدي ببغداد وأخذ عنه وكان لأبي سليمان المنطقي السجستاني أيضا نظر في الأدب والشعر ومن شعره قال

(لا تحسدن على تظاهر نعمة ... شخصا تبيت له المنون بمرصد)

(أو ليس بعد بلوغه آماله ... يفضي إلى عدم كان لم يوجد)

(لو كنت أحسد ما تجاوز خاطري ... حسد النجوم على بقاء مرصد) الكامل." [1]

"(أبا جعفر أبقيت حيا وميتا ... مفاخر في طهر الزمان عظاما)

(رأيت على زاد المسافر عندنا ... من الناظرين العارفين زحاما)

(فأيقنت أن لو كان حيا لوقته ... يحنا لما سمى التمام تماما)

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٤٢٧

(سأحمد أفعالا لأحمد لم تزل ... مواقعها عند الكرام كراما) الطويل

ولابن الجزار من الكتب كتاب في علاج الأمراض ويعرف بزاد المسافر مجلدان

كتاب في الأدوية المفردة ويعرف باعتماد كتاب في الأدوية المركبة ويعرف بالبغية كتاب العدة لطول المدة وهو أكبر كتاب وجدناه له في الطب

وحكى الصاحب جمال الدين القفطي أنه رأى له بقفط كتابا كبيرا في الطب اسمه قوت المقيم وكان عشرين مجلدا

كتاب التعريف بصحيح التاريخ وهو تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه وقطعة جميلة من أخبارهم

رسالة في النفس وفي ذكر اختلاف الأوائل فيها كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها

كتاب طب الفقراء

رسالة في إبدال الأدوية

كتاب في الفرق بين العلل التي تشتبه أسبابها وتختلف أعراضها

رسالة في التحذر من إخراج الدم من غير حاجة دعت إلى إخراجه

رسالة في الزكام وأسبابه وعلاجه

رسالة في النوم واليقظة

مجربات في الطب مقالة في الجذام وأسبابه وعلاجه

كتاب الخواص

كتاب نصائح الأبرار

كتاب المختبرات

كتاب في نعت الأسباب المولدة للوباء في مصر وطريق الحيلة في دفع ذلك وعلاج ما يتخوف منه رسالة إلى بعض إخوانه في الاستهانة بالموت

رسالة في المقعدة وأوجاعها

كتاب المكلل في الأدب

كتاب البلغة في حفظ الصحة

مقالة في الحمامات

كتاب أخبار الدولة يذكر فيه ظهور المهدي بالمغرب

كتاب الفصول في سائر العلوم والبلاغات

ابن السمينة

ومن أطباء الأندلس يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة من أهل قرطبة

قال القاضي صاعد ابن أحمد بن صاعد في كتاب التعريف في طبقات الأمم أنه كان بصيرا بالحساب والنجوم والطب

متصرفا في العلوم متفننا في ضروب المعارف بارعا في علم النحو واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والأخبار والجدل

وكان معتزلي المذهب

ورحل إلى المشرق ثم انصرف

وتوفي سنة خمس عشرة وثلثمائة

أبو القاسم مسلمة بن أحمد

المعروف بالمرحيطي من أهل قرطبة وكان في زمن الحكم

وقال القاضي صاعد في كتاب." (١)

"وللألسنة بعد في هذا الفتح سيح طويل وقول جليل

وللعماد رحمه الله قصائد يذكر فيها وقعة حطين لم يذكر منها شيئا هنا بل ذكر بعضها عند ذكر فتح نابلس وبعضها عند ذكر فتح القدس فنقلت منها إلى هذا المكان ما يتعلق به والباقي يذكر في مكانه إن شاء الله قال

(يا يوم حطين والأبطال عابسة ... وبالمعجاجة وجه الشمس قد عبسا)

(رأيت فيه عظيم الكفر محتقرا ... معفرا خده والأنف قد تعسا)

(يا طهر سيف برى رأس البرنس فقد ... أصاب اعظم من بالشرك قد نجسا)

(وغاص إذ طار ذاك الرأس في دمه ... كأنه ضفدع في الماء قد غطسا)

(ما زال يعطس مزكوما بغدرته ... والقتل تسميت من بالغدر قد عطسا)

(عرى ظباه من الأغماد مهرقة ... دما من الشرك رداها به وكسا)

(من سيفه في دماء القوم منغمس ... من كل من لم يزل في الكفر منغمسا)

(أفناهم قتلهم والأسر فانتكسوا ... وبيت كفرهم من خبثهم كنسا)

وقال أيضا يخاطب صلاح الدين رحمه الله

(سحبت على الأردن ردنا من القنا ... ردينية ملدا وخطية ملسا)

(حططت على حطين قدر ملوكهم ... ولم تبق من أجناس كفرهم جنسا)." (٢)

"ونفحة الشمامة تهدي من ليس له زكام إلى حمى بعض أولئك العلماء الأعلام) وفي الروض النضر (أريج فضلاء منهم ارتدوا رداء أحسن عصر ولا يكاد يحيط نطاق بجميع من فاق منهم علماء الآفاق والأمر من البديهيات الأولية عند منصفي علماء العراق فهيهات أن يكون فيه بين اثنين نزاع وشقاق) وبعد يومين (ودعنا أم الربيعين وسرنا مع رفقائنا الغرر)

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٤٨٢

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٣٠١/٣

حتى أتينا جزيرة ابن عمر (وهي بلدة هلالية الشكل لكن لا نور فيها ولا فضل وذلك لو خامة هوائها ودمامة أرجائها ولولا أن تكون دجلة عليها شفيقة لجعلتها بمجازها جزيرة على الحقيقة) وابن عمر (الذي تنسب إليه وتعول في الشهرة عليه قيل هو يوسف بن عمر الثقفي وفي معجم البلدان جزيرة ابن عمر أحسب أن أول من عمرها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي وكان له إمرة بها سنة مائتين وخمسين انتهى. وفي تاريخ ابن المستوفي ابنا عمرهما أوس وكامل ابنا عمر ابن أوس التغلبي وإليهما تنسب الجزيرة المشهورة انتهى. وفي تاريخ ابن خلكان ما يتعلق بذلك) وأنا (أعول على ما في المعجم والله تعالى أعلم ويبعد ما في تاريخ ابن المستوفي في الجملة أفراد ابن) وسألي (رجل ذو ذقن طويل عريض وذهن عليل مريض عن معنى قول العلامة ابن حجر في شرح المنهاج الذي غدا بين المحققين كالسراج الوهاج ليس له من هاج قيل والإيجاز لكونه حذف طول الكلام وهو الإطناب غير الاختصار لأنه حذف تكريره مع اتحاد المعنى ويشهد له) فذو دعاء عريض (وفيه تحكم واستدلال بما لا يدل إذ ليس في الآية حذف ذلك العرض فضلا عن تسميته فالحق ترادفهما كما في الصحاح انتهى. فقرأت عليه ما كتبه العلامة) أحمد حيدر (والفهامة) صبغة الله أفندي الحيدري (والمحقق) الشيخ عبد الله السويدي (والمدقق) الشيخ إبراهيم أفندي الراوي (فما رأيته هش ولا بش.) ثم (تلوت عليه ما حررته فأوضحته لديه وقررته فأحسست أن تكاثف شعر ذقنه حال بينه وبين وصوله إلى ذهنه) ولما (عييت عن التفهيم أنشدت قول الشاعر القديم:

على نحت القوافي من معادنها ... وما على إذا لم تفهم البقر." (١)

"ما في الركاب أخو وجد نطارحه ... حديث نجد ولا خل نجاوبه

) فبينما (أنا في ذلك الحال أترقب أن تميط بنان العناية عن لبي قشر البلبال هبت علي من جانب أرزن الروم نسمة نداء عطس منها عرنين فؤادي المزكوم فجعلت أشمشم جيوبها وقد استطيبت هبوبها وأسألها عن مهبها ومعطر أردان ثوبها فقالت مهبي فجر الوفاء ومعطر أردان ثوبي فخر الوزراء) حضرة محمد حمدي باشا (لا أنتعش معاديه ولا عاشا وهو يدعوك للقدوم إلى جنابه الفسيح فإن أردت شرح حواشي صدرك فاركب إليه ولو متن الريح فعندما تحققت ذلك نشرت جناحي وطويت لأجله سباسب المسالك لكني لم أصل إليه إلا بعد مقاساة أخطار وأشرفت غير مرة على أودية تيار حيث غدا معظم سيري على مناطق جبال غدت في الارتفاع معادلة لمنطقة معدل النهار لو رآها راء في منامه لفزع أو تهدد بسلوكها جان من الجان لجزع ولعمري لولا فسحة الأجل لنر أن يقال سلم البائس أو وصل ولصفق على أهل الوداد صفقة المغبون ولا التحقت بألف ألف ألف ألف هالك أو يزيدون ولما حللت مغناه وحققت صورته ومعناه وجدت ما شغلني عن الأهل والوطن وأذهلني عن كل صفي وسكن وإنساني طوق إحسانه الذي طوقنيه هاتيك المناطق وصغر في عيني كبيرا إكرامه الذي أكرمنيه ما عاينته من البوائق وظفرت منه بضالتي المنشودة وبغية نفسي المفقودة:

ونلت مرادي فوق ما كنت راجيا ... وليس ورا ذاك الذي نلت مطمع

) وأرزن الروم (بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الزاي المعجمة وبعدها نون وهي مضافة إلى الروم بلدة من الخامس من أرمينية وهي آخر بلاد الروم من جهة الشرق وفي شرقها وشمالها منبع الفرات ذات قلعة حصينة في الجملة ودور ظريفة

---

(١) غرائب الاغتراب الألوسي، شهاب الدين ص/٣٢

وجوامع جليلة جيدة الهواء شديدة الشتاء وهو فيها ثمانية أشهر. ومن الناس من يقول امتداد شتائها كامتداد صيف بغداد. وأهلها على ما في التقريبات تسعة وسبعون ألفا. وقال بعض المعاصرين من الجغرافيين أنهم يزيدون على مائة ألف وطولها على ما في الأطوال) سط (وعرضها) ما (وفي الرسم طولها) مو (وعرضها) لطية (وقال ابن سعيد طولها) سد (وعرضها ميل (وفي بعض كتب الجغرافيا لبعض المعاصرين طولها) نطيا (وعرضها) مرا (وأيضا الصحيح) وفاتحها (عياض بن غنم الأشعري أرسله أبو عبيدة بعد أن فتح الشامات في زمن عمر رضي الله تعالى عنه سنة عشرين بعد الهجرة وهو الذي فتح أيضا بلاد الأكراد وسعرد وبدليس وما حولها والناس اليوم يسمونها أرضروم وأرزروم والأصل ما ذكرناه كما في القاموس وغير كتاب من كتب الجغرافيا. وبالإضافة إلى الروم تميزت عن أرزن غير مضافة فإنها من آخر الرابع من أطراف أرمينية عن خلاط ثلاثة أيام وطولها على ما في الأطوال) سه (وعرضها) لح (وقال ابن سعيد طولها) سو (وعرضها) لطى (ولم يتعرض لها المعاصر لأنها خراب وغير مشهورة ومثلها في الخرابية خلاط المشهورة بين العوام بأخلاط فهي اليوم يتجاوب في نواحيها اليوم وتتناوح في أراجيها الريح السموم. يستوحش فيها الأنيس. ويرثى لمصابها إبليس. ويوشك أن يساويها غيرها في ذلك. لعظم ما قد حل من البلاء لسوء معاملة المأمورين في أكثر الممالك. وفي بعض الكتب أن أرزن الروم كانت تسمى قاليقلا فليراجع.) ومحمد حمدي باشا (هو رجل من رجال إسلامبول. ولد على أيدي قوابل الاعتبار والقبول. وارتضع لبان المجد. وامتهد حجور السعد. حتى ترعرع وبرع. وورد منهل المجرة وشرع. وفاق الأقران. وزاحم منكبه كيوان. فهو اليوم لا يجارى بكرم. ولا يبارى بمحاسن شيم. ذو وفاء وافي. وطبع من كل غش صافي.

أريحي في العلى آثاره ... شامة لاحت على وجه جميل

آصفي الرأي كم أبدى لنا ... في الملمات جواز المستحيل

لم يزل صبا بأبكار العلى ... غير مصغ لأحاديث العذول

لا يرى مثلا له في عصره ... غير آحاد لدى التحقيق حول

ورد بغداد في معية حضرة فاتحة قرآن العرفاء. وخاتمة قرون الوزراء) علي رضا باشا (. كان له رضى مولاه سبحانه غطاءا وفراشا. فنلت إذ ذاك تفضله. ورقيت إلى ما رقيت بإخلاصي له. فأنا ربيب نعمته. وغرس أيادي أياديه وهمته.

فها أنا شاكر ما دمت حيا ... أيادي منه لا تجزى بشكر." (١)

"مروياته. وكتب لي في ذلك أبياتا من منشآته. وقد ضاعت مني جزاء الله تعالى خير الجزاء عني.

) ومنهم ذو الحظ الجلي. مصطفى أفندي الودين لي (نسبة تركية إلى ودين بكسر الواو والدال المهملة بعدها ياء مثناة تحتية مكسورة بعدها نون بلدة محكمة رصينة واقعة على ساحل نهر طونة تشتمل اليوم على نحو عشرين ألف نفس. وهذا ثاني الرجلين اللذين وعدنا بترجمتيهما. وبيان صفتيهما. وهو وكيل الدرس اليوم. وله شهرة تامة بين القوم. وقد أجمعوا على أنه في المجالس بأقل. وفي المدارس سحبان وائل. وقد اجتمعت به مرارا فلم أشم منه رائحة العلوم. مع أني بفضل الله تعالى لست بالمزكوم. ولم أجتمع به في مدرسة. ولا سمعت تقريره ودرسه. نعم اجتمعت به عند حضرة شيخ الإسلام. فجرى

---

(١) غرائب الاغتراب الألوسي، شهاب الدين ص/٤٧

بحث ما قاله في دلالة القرآن العلماء الأعلام. فقلت أنه قال غير واحد القرآن قطعي الورود ظني الدلالة. فقال لي قد غلطت في نقلك. وصدر منك ما لا ينبغي أن يصدر من مثلك. فقلت ما الذي صدر. ومعاذ الله تعالى أن أجيء بالصقر والبقر. فقال أنهم يقولون القرآن قطعي الثبوت. وأنت قلت قطعي الورود. فكان يلزمك أن تقول كما قالوا ولا تعدل إلى لفظ غير معهود. فتبسمت من قوله. وعجبت من ذلك على ما يزعمون من فضله. فقلت لا حظر علي في تغيير التعبير. ورواية الحديث بالمعنى جائزة للعالم البصير. على أنه إن أردت بضمير الجمع. في أنهم يقولون جميع العلماء فهو في حيز المنع. والاستقراء التام. ما لا يكاد يتحقق في مثل هذا المقام. وإن أردت بعض العلماء. فذاك مما ليس لك فيه غناء. على أن اللائق بمثلك. والأهم لمن فضله كفضلك. أن يتكلم في تحقيق هذا المطلب. وتمييز الأصوب فيه عن غير الأصوب. فإن كون القرآن ظني الدلالة يقتضي تقديم الدليل العقلي على السمعي. والحال قد قال الشيخ الأكبر قدس سره:

على السمع عوننا فكنا أولي النهى ... ولا علم فيما لا يكون عن السمع

وقال أيضا:

فقل لعقلي اقصر فنقلي ... يهدي إلى العلم والرشاد

وقال أيضا:

كيف للعقل دليل والذي ... قد بناه العقل بالكشف انهدم

فنجاة النفس في الشرع فلا ... تك إنسانا رأى ثم حرم

واعتصم بالشرع في الكشف فقد ... فاز بالخير عبيد قد عصم

أهمل الفكر ولا تحفل به ... واتركنه مثل لحم في وضم

إن للفكر مقاما فاعتضد ... به فيه تك شخصا قد رحم

كل علم يشهد الشرع له ... هو علم فيه فلتعتصم

وإذا خالفه العقل فقل ... طورك الزم ما لكم فيه قدم." (١)

"قال الذهبي رحمه الله في حق الجار:

فإن كان جارك يهوديا أو نصرانيا في الدار أو في السوق أو في البستان فجاوره بالمعروف ولا تؤذه كما جاء في الحديث: (الجيران ثلاثة جار له ثلاثة حقوق وهو القريب المسلم الجار وجار له حقان حق الإسلام وحق الجوار وجار له حق واحد وهو غير المسلم له حق الجوار).

فأما من جعل إجابة دعوتهم ديدنه وعاشرهم وباسطهم فإن إيمانه يرق وقد قال الله تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه).

---

(١) غرائب الاغتراب الألوسي، شهاب الدين ص/٨٩

آداب العطاس والتثاؤب:

آداب العطاس والتثاؤب:

للعطاس والتثاؤب آداب ينبغي لطالب العلم أن يحيط بها علما وأن يتبعها حتى يكون متأسيا بالنبي – صلى الله عليه وسلم –، وهاك آداب العطاس والتثاؤب جملة وتفصيلا:

أولا آداب العطاس والتثاؤب جملة:

أولا: آداب العطاس:

(١) تشميت العاطس (١) مأمور به، ومندوب إليه:

(٢) تشميت العاطس يكون عند سماع حمد العاطس:

(٣) السنة أن يقول العاطس أولا: الحمد لله أو الحمد لله على كل حال:

(٤) السنة أن يقول المشمت (يرحمك الله):

(٥) السنة أن يقول العاطس ثانيا بعد تشميت المشمت: يهديكم الله ويصلح بالكم أو يرحمنا الله وإياكم، ويغفر لنا ولكم.

(٦) استحباب خفض العاطس صوته:

(٧) التشميت ثلاثا، فما زاد فهو زكام:

(٨) جواز تشميت أهل الذمة:

ثانيا: آداب التثاؤب:

(١) استحباب كظم التثاؤب وهو من الشيطان:

ثانيا آداب العطاس والتثاؤب تفصيلا:

أولا: آداب العطاس:

---

(١). . تشميت العاطس: الدعاء له. قال ابن سيده: شمت العاطس، وسمت عليه، دعا له أن لا يكون في حال يشمت به فيها؛ والسين لغة عن يعقوب. وكل داع لأحد بخير فهو مشمت له، ومسمت، بالشين والسين، والشين أعلى وأفشى في كلامهم. (لسان العرب: ٢/ ٥٢) مادة: شمت." [١]

"(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح أبي داوود) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال وليقل أخوه أو صاحبه يرحمك الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم.

(٤) السنة أن يقول المشمت (يرحمك الله):

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٠٣/١٠

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله فإذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم.

(٥) السنة أن يقول العاطس ثانيا بعد تشميت المشمت: يهديكم الله ويصلح بالكم أو يرحمنا الله وإياكم، ويغفر لنا ولكم.

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله فإذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم.

أو يقول يرحمنا الله وإياكم ويغفر لنا ولكم، جاء ذلك صريحا في حديث نافع عن ابن عمر: (أن عبد الله بن عمر كان إذا عطس فقيل له يرحمك الله. قال: يرحمنا الله وإياكم ويغفر لنا ولكم) (١).

(٦) استحباب خفض العاطس صوته:

وفائدته أنه لما كان العاطس –غالبا– يحدث صوتا رفيعا مزعجا أستحب له أن يخفض من صوته بوضع يده على وجهه أو بثوبه. وفي وضع اليد أو الثوب على الفم فائدة أخرى وهي: أن العاطس لا يأمن–غالبا– من خروج شيء من فمه، فاستحب له أن يضع يده على فيه. وفي هذا سنة.

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي – صلى الله عليه وسلم –كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه وغض بها صوته.

(٧) التشميت ثلاثا، فما زاد فهو زكام:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح أبي داوود) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: شمت أخاك ثلاثا فما زاد فهو زكام.

---

(١). رواه مالك (١٨٠٠). وقال محققوا زاد المعاد: إسناده صحيح. (٢/ ٤٣٧) (حاشية ٢)." [١]

"(حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه الثابت في صحيح ابن ماجه) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: يشمت العاطس ثلاثا فما زاد فهو مزكوم.

قال النووي رحمه الله: واختلف العلماء فيه، فقال ابن العربي المالكي: قيل: يقال له في الثانية: إنك مزكوم، وقيل: يقال له في الثالثة، وقيل: في الرابعة، والأصح أنه في الثالثة. قال: والمعنى أنك لست ممن يشمت بعد هذا؛ لأن هذا الذي بك زكام ومرض، لا خفة العطاس (١). وقوله في الحديث: (الرجل مزكوم) تنبيه على الدعاء له بالعافية، لأن الزكمة علة، وفيه اعتذار من ترك التشميت بعد الثلاث، وفيه تنبيه له على هذه العلة ليتداركها ولا يهملها، فيصعب أمرها، فكلامه صلى الله عليه وسلم كله حكمة ورحمة، وعلم وهدى، قاله ابن القيم (٢).

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٠٦/١٠

(٨) جواز تشميت أهل الذمة:

(حديث أ أبي موسى رضي الله عنه الثابت في صحيح أبي داوود) قال: كانت اليهود تعاطس عند النبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول لها يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله ويصلح بالكم.

وعلى هذا يجوز الدعاء لأهل الذمة –إذا حمدوا الله بعد عطاسهم– بالهداية والتوفيق للإيمان، ولا يدعى لهم بالرحمة والمغفرة، فهم ليس أهل لذلك.

ثانيا: آداب التثاؤب:

(١) استحباب كظم التثاؤب وهو من الشيطان:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال ها ضحك الشيطان.

(حديث أبي سعيد رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إذا تثاوب أحدكم فليمسك بيده على فيه فإن الشيطان يدخل.

قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم:

والتثاؤب يكون غالبا مع ثقل البدن وامتلائه واسترخائه وميله إلى الكسل، وإضافته إلى الشيطان لأنه الذي يدعو إلى الشهوات، والمراد التحذير من السبب الذي يتولد منه ذلك وهو التوسع في المأكل وإكثار الأكل (٣).

---

(١). الأذكار (٣٩٣)

(٢). زاد المعاد (٢/ ٤٤١)

(٣). شرح صحيح مسلم. المجلد التاسع (١٨/ ٩٧)." [1]

"* أتى الحسن البصرى بكوز من ماء ليفطر عليه فلما أدناه إلى فيه بكى وقال ذكرت أمنية أهل النار قولهم [أن أفيضوا علينا من الماء] وذكرت ما أجيبوا به [إن الله حرمهما على الكافرين].

[*] وعن إبراهيم بن الأشعث قال كنا إذا خرجنا مع الفضيل في جنازة لا يزال يعظ ويذكر ويبكى حتى لكأنه يودع أصحابه ذاهب إلى الآخرة حتى يبلغ المقابر فيجلس فكأنه بين الموتى جلس من الحزن والبكاء حتى يقوم وكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها.

[*] وعن عاصم قال: سمعت شقيق بن مسلمه يقول وهو ساجد رب اغفر لي رب اغفر لي إن تعف عنى تعف عنى تطولا من فضلك وإن تعذبني تعذبني غير ظالم لي قال ثم يبكى حتى أسمع نحيبه من وراء المسجد.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢٠٧/١٠

ذاك والله هو الإيمان الحق الذي ليس بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقة العمل وهؤلاء هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون وإن لم يكن هؤلاء أولياء الله فليس لله ولى.

خفاء البكاء:

وبالتأمل في سيرة هؤلاء الصالحين الباكين من خشية الله تعالى نجد أنهم اشتركوا في صفة واحدة على تنوع عباداتهم واجتهاداتهم في طاعة الله تعالى تلك الصفة هي الإخلاص المنافي للرياء فلقد كانوا رضي الله عنهم أبعد الناس عن أن يراهم أحد حال البكاء حرصا منهم أن لا يدخل العجب قلوبهم فتبطل عبادتهم وتراهم شددوا بلسان الحال والمقال على هذه الصفة ابتغاء نيل الأجر كاملا غير منقوص من رب العالمين لا من مدح المادحين.

[*] قال الحسن البصري:

إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها فإذا خشي أن تسبقه قام.

وقال عبد الكريم بن رشيد: كنت في حلقه الحسن فجعل رجل يبكى وارتفع صوته فقال الحسن إن الشيطان ليبكى هذا الآن.

[*] وكان أيوب السختيانى في ثوبه بعض الطول لستر الحال وكان إذا وعظ فرق فرق من الرياء فيمسح وجهه ويقول: ما أشد الزكام.

[*] وقال حماد بن زيد: دخلنا على محمد بن واسع في مرضه نعودة قال فجاء يحيى البكاء يستأذن عليه فقالوا: يا أبا عبد الله هذا أخوك أبو سلمه على الباب قال: من أبو سلمه؟ قالوا: يحيى قال: من يحيى؟ قالوا: يحيى البكاء قال حماد: وقد علم أنه يحيى البكاء فقال شر أيامكم يوم نسبتم فيه إلى البكاء.

[*] وعن القاسم بن محمد قال:." (١)

"الغني: الغني عن الناس

الخفي: من لا يريد علوا في الأرض ولا مناصب ولا جاه. الخامل المنقطع إلى العبادة والانشغال بأمور نفسه.

(المجاهدة في إخفاء العمل:

[*] أخرج الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء عن سفيان الثوري قال: بلغني أن العبد يعمل العمل سرا فلا يزال به الشيطان حتى يغلبه فيكتب في العلانية، ثم لا يزال الشيطان به حتى يحب أن يحمد عليه فينسخ من العلانية فيثبت في الرياء.

[*] أخرج الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء عن فضيل بن عياض قال: لا يترك الشيطان الإنسان حتى يحتال له بكل وجه، فيستخرج منه ما يخبر به من عمله، لعله يكون كثير الطواف فيقول: ما كان أجلي الطواف الليلة، أو يكون صائما فيقول ما أثقل السحور أو ما أشد العطش، فإن استطعت أن لا تكون محدثا ولا متكلما ولا قارئا، وإن كنت بليغا، قالوا: ما أبلغه وأحسن حديثه وأحسن صوته، فيعجبك ذلك فتنتفخ، وإن لم تكن بليغا ولا حسن الصوت قالوا ليس يحسن يحدث

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٥٨/١٠

وليس صوته بحسن أحزنك وشق عليك، فتكون مرائيا، وإذا جلست فتكلمت ولم تبال من ذمك ومن مدحك من الله فتكلم.

[*] يقول حماد بن زيد: كان أيوب ربما حدث في الحديث فيرق وتدمع عيناه، فيلتفت و ينتخط ويقول ما أشد **الزكام!!**، فيظهر **الزكام** لإخفاء البكاء.

[*] قال الحسن البصري: ((إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها فإذا خشي أن تسبقه قام وذهب وبكى في الخارج)).

[*] يقول محمد بن واسع التابعي: ((إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته لا تعلم)).

(وللإمام الماوردي قصة في الإخلاص في تصنيف الكتب، فقد ألف المؤلفات في التفسير والفقه وغير ذلك ولم يظهر شيء في حياته لما دنت وفاته قال لشخص يثق به: الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي وإنما إذا عاينت الموت و وقعت في النزع فاجعل يدك في يدي فإن قبضت عليها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء فاعمد إليها وألقها في دجلة بالليل وإذا بسطت يدي فاعلم أنها قبلت مني وأني ظفرت بما أرجوه من النية الخالصة، فلما حضرته الوفاة بسط يده، فأظهرت كتبه بعد ذلك.

(وكان علي بن الحسن يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين بالظلمة، فالصدقة تطفيء غضب الرب، وكان أهل بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم، فلما مات عرفوا، و رأوا على ظهره آثارا مما كان ينقله من القرب والجرب بالليل فكان يعول مائة بيت.." (١)

"وبالتأمل في سيرة هؤلاء الصالحين الباكين من خشية الله تعالى نجد أنهم اشتركوا في صفة واحدة على تنوع عباداتهم واجتهاداتهم في طاعة الله تعالى تلك الصفة هي الإخلاص المنافي للرياء فلقد كانوا رضي الله عنهم أبعد الناس عن أن يراهم أحد حال البكاء حرصا منهم أن لا يدخل العجب قلوبهم فتبطل عبادتهم وتراهم شددوا بلسان الحال والمقال على هذه الصفة ابتغاء نيل الأجر كاملا غير منقوص من رب العالمين لا من مدح المادحين.

[*] قال الحسن البصري:

إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها فإذا خشي أن تسبقه قام.

وقال عبد الكريم بن رشيد: كنت في حلقه الحسن فجعل رجل يبكى وارتفع صوته فقال الحسن إن الشيطان ليبكى هذا الآن.

[*] وكان أيوب السختيانى في ثوبه بعض الطول لستر الحال وكان إذا وعظ فرق فرق من الرياء فيمسح وجهه ويقول: ما أشد **الزكام**.

[*] وقال حماد بن زيد: دخلنا على محمد بن واسع في مرضه نعودة قال فجاء يحي البكاء يستأذن عليه فقالوا: يا أبا عبد الله هذا أخوك أبو سلمه على الباب قال: من أبو سلمه؟ قالوا: يحي قال: من يحي؟ قالوا: يحي البكاء قال حماد: وقد علم أنه يحي البكاء فقال شر أيامكم يوم نسبتم فيه إلى البكاء.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٤/٢

[*] وعن القاسم بن محمد قال: كنا نسافر مع ابن المبارك فكثيرا ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي بأي شيء فضل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة إن كان يصلى آنا نصلى وإن كان يصوم آنا نصوم وإن كان يغزو فآنا نغزو وإن كان يحج آنا لنحج قال فكنا في بعض مسيرتا في طريق الشام ليله نتعشى في بيت إن طفئ السراج فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح فمكث هنيهة ثم جاء بالسراج فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع فقلت في نفسي بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا ولعله حين فقد السراج فصار إلى ظلمه ذكر القيامة.

باب ذم المعاصي وقبح آثارها:

[*] عليه السلام عناصر الباب:

عليه السلام ذم المعاصي:

عليه السلام قبح آثار المعاصي:

عليه السلام توبيخ العاصي:

عليه السلام الأدوية التي تزهدك في المعاصي:

عليه السلام كيفية الوقاية من الذنوب:

عليه السلام كيف أتخلص من المعاصي:

عليه السلام التحذير من المجاهرة بالمعصية:

عليه السلام مفاسد المجاهرة بالمعاصي:

عليه السلام صور من المجاهرة بالمعاصي والعياذ بالله:

وهاك تفصيل ذلك في إيجاز غير مخل:

عليه السلام ذم المعاصي:

عليه السلام أخي الحبيب:." (١)

"(ومن عجائب المخلصين ما حصل لصاحب النفق، حاصر المسلمون حصنا واشتد عليهم رمي الأعداء، فقام أحد المسلمين وحفر نفقا فانتصر المسلمون، ولا يعرف من هو هذا الرجل، وأراد مسلمة أن يعرف الرجل لمكافأته، ولما لم يجده سأله بالله أن يأتيه، فأتاه طارق بليل وسأله شرطا وهو أنه إذا أخبره من هو لا يبحث عنه بعد ذلك أبدا، فعاهده، و كان يقول: ((اللهم احشرني مع صاحب النفق)).

(وعمل الخلوة كان أحب إلى السلف من عمل الجلوة، وكان السلف يستحبون أن يكون للرجل خبيئة من عمل صالح لا يعلم عنها زوجة ولا غيرها، امتثالا للحديثين الآتيين:

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٢١/٣

(حديث الزبير بن العوام في صحيح الجامع أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل.

خبء من عمل صالح: أي من الأعمال الخفية التي لا يطلع عليها أحد من الناس، خالية من الرياء، فتكون خالصة لله تبارك و تعالى مثل صلاة النافلة في جوف الليل أو صدقة السر أو أي عمل آخر من الأعمال الصالحة.

(حديث سعد ابن أبي وقاص في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي.

الغني: الغني عن الناس

الخفي: من لا يريد علوا في الأرض ولا مناصب ولا جاه. الخامل المنقطع إلى العبادة والانشغال بأمور نفسه.

(المجاهدة في إخفاء العمل:

[*] أخرج الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء عن سفيان الثوري قال: بلغني أن العبد يعمل العمل سرا فلا يزال به الشيطان حتى يغلبه فيكتب في العلانية، ثم لا يزال الشيطان به حتى يحب أن يحمد عليه فينسخ من العلانية فيثبت في الرياء.

[*] أخرج الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء عن فضيل بن عياض قال: لا يترك الشيطان الإنسان حتى يحتال له بكل وجه، فيستخرج منه ما يخبر به من عمله، لعله يكون كثير الطواف فيقول: ما كان أجلي الطواف الليلة، أو يكون صائما فيقول ما أثقل السحور أو ما أشد العطش، فإن استطعت أن لا تكون محدثا ولا متكلما ولا قارئا، وإن كنت بليغا، قالوا: ما أبلغه وأحسن حديثه وأحسن صوته، فيعجبك ذلك فتنتفخ، وإن لم تكن بليغا ولا حسن الصوت قالوا ليس يحسن يحدث وليس صوته بحسن أحزنك وشق عليك، فتكون مرائيا، وإذا جلست فتكلمت ولم تبال من ذمك ومن مدحك من الله فتكلم.

[*] يقول حماد بن زيد: كان أيوب ربما حدث في الحديث فيرق وتدمع عيناه، فيلتفت و ينتخط ويقول ما أشد **الزكام!!**، فيظهر **الزكام** لإخفاء البكاء.." (١)

"(٣) الإكثار من ذكر الموت والدار الآخرة.

(٤) تشييع الجنائز والتفكر في مصارع الآباء والإخوان وأنهم لم يأخذوا في قبورهم شيئا من الدنيا ولم يستفيدوا غير العمل الصالح.

(٥) التفرغ للآخرة والإقبال على طاعة الله وإعمار الأوقات بالذكر وتلاوة القرآن.

(٦) إيثار المصالح الدينية على المصالح الدنيوية:

(٧) البذل والإنفاق وكثرة الصدقات:

(٨) ترك مجالس أهل الدنيا والاشتغال بمجالس الآخرة:

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣١٢/٥

(٩) الإقلال من الطعام والشراب والنوم والضحك والمزاح.

(١٠) مطالعة سير الزاهدين وبخاصة سيرة النبي وأصحابه:

(إخفاء البكاء:

وبالتأمل في سيرة هؤلاء الصالحين الباكين من خشية الله تعالى نجد أنهم اشتركوا في صفة واحدة على تنوع عباداتهم واجتهاداتهم في طاعة الله تعالى تلك الصفة هي الإخلاص المنافي للرياء فلقد كانوا رضي الله عنهم أبعد الناس عن أن يراهم أحد حال البكاء حرصا منهم أن لا يدخل العجب قلوبهم فتبطل عبادتهم وتراهم شددوا بلسان الحال والمقال على هذه الصفة ابتغاء نيل الأجر كاملا غير منقوص من رب العالمين لا من مدح المادحين.

[*] قال الحسن البصري:

إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها فإذا خشي أن تسبقه قام.

وقال عبد الكريم بن رشيد: كنت في حلقه الحسن فجعل رجل يبكى وارتفع صوته فقال الحسن إن الشيطان ليبكى هذا الآن.

[*] وكان أيوب السختيانى في ثوبه بعض الطول لستر الحال وكان إذا وعظ فرق فرق من الرياء فيمسح وجهه ويقول: ما أشد **الزكام**.

[*] وقال حماد بن زيد: دخلنا على محمد بن واسع في مرضه نعودة قال فجاء يحي البكاء يستأذن عليه فقالوا: يا أبا عبد الله هذا أخوك أبو سلمه على الباب قال: من أبو سلمه؟ قالوا: يحي قال: من يحي؟ قالوا: يحي البكاء قال حماد: وقد علم أنه يحي البكاء فقال شر أيامكم يوم نسبتم فيه إلى البكاء.

[*] وعن القاسم بن محمد قال:." (١)

"(ومن عجائب المخلصين ما حصل لصاحب النفق، حاصر المسلمون حصنا واشتد عليهم رمي الأعداء، فقام أحد المسلمين وحفر نفقا فانتصر المسلمون، ولا يعرف من هو هذا الرجل، وأراد مسلمة أن يعرف الرجل لمكافأته، ولما لم يجده سأله بالله أن يأتيه، فأتاه طارق بليل وسأله شرطا وهو أنه إذا أخبره من هو لا يبحث عنه بعد ذلك أبدا، فعاهده، و كان يقول: ((اللهم احشرني مع صاحب النفق)).

(وعمل الخلوة كان أحب إلى السلف من عمل الجلوة، وكان السلف يستحبون أن يكون للرجل خبيئة من عمل صالح لا يعلم عنها زوجة ولا غيرها، امتثالا للحديثين الآتيين:

(حديث الزبير بن العوام في صحيح الجامع أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل.

خبء من عمل صالح: أي من الأعمال الخفية التي لا يطلع عليها أحد من الناس، خالية من الرياء، فتكون خالصة لله

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٩٦/٥

تبارك و تعالى مثل صلاة النافلة في جوف الليل أو صدقة السر أو أي عمل آخر من الأعمال الصالحة.

(حديث سعد ابن أبي وقاص في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي.

الغني: الغني عن الناس

الخفي: من لا يريد علوا في الأرض ولا مناصب ولا جاه. الخامل المنقطع إلى العبادة والانشغال بأمور نفسه.

(المجاهدة في إخفاء العمل:

[*] أخرج الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء عن سفيان الثوري قال: بلغني أن العبد يعمل العمل سرا فلا يزال به الشيطان حتى يغلبه فيكتب في العلانية، ثم لا يزال الشيطان به حتى يحب أن يحمد عليه فينسخ من العلانية فيثبت في الرياء.

[*] أخرج الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء عن فضيل بن عياض قال: لا يترك الشيطان الإنسان حتى يحتال له بكل وجه، فيستخرج منه ما يخبر به من عمله، لعله يكون كثير الطواف فيقول: ما كان أجلي الطواف الليلة، أو يكون صائما فيقول ما أثقل السحور أو ما أشد العطش، فإن استطعت أن لا تكون محدثا ولا متكلما ولا قارئا، وإن كنت بليغا، قالوا: ما أبلغه وأحسن حديثه وأحسن صوته، فيعجبك ذلك فتنتفخ، وإن لم تكن بليغا ولا حسن الصوت قالوا ليس يحسن يحدث وليس صوته بحسن أحزنك وشق عليك، فتكون مرائيا، وإذا جلست فتكلمت ولم تبال من ذمك ومن مدحك من الله فتكلم.

[*] يقول حماد بن زيد: كان أيوب ربما حدث في الحديث فيرق وتدمع عيناه، فيلتفت و ينتخط ويقول ما أشد **الزكام!!**، فيظهر **الزكام** لإخفاء البكاء.." (١)

"* أتى الحسن البصرى بكوز من ماء ليفطر عليه فلما أدناه إلى فيه بكى وقال ذكرت أمنية أهل النار قولهم [أن أفيضوا علينا من الماء] وذكرت ما أجيبوا به [إن الله حرمهما على الكافرين].

[*] وعن إبراهيم بن الأشعث قال كنا إذا خرجنا مع الفضيل في جنازة لا يزال يعظ ويذكر ويبكى حتى لكأنه يودع أصحابه ذاهب إلى الآخرة حتى يبلغ المقابر فيجلس فكأنه بين الموتى جلس من الحزن والبكاء حتى يقوم وكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها.

[*] وعن عاصم قال: سمعت شقيق بن مسلمه يقول وهو ساجد رب اغفر لي رب اغفر لي إن تعف عنى تعف عنى تطولا من فضلك وإن تعذبني تعذبني غير ظالم لي قال ثم يبكى حتى أسمع نحيبه من وراء المسجد.

(ذاك والله هو الإيمان الحق الذي ليس بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقة العمل وهؤلاء هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون وإن لم يكن هؤلاء أولياء الله فليس لله ولى.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٦/١٠٠

(خفاء البكاء:

وبالتأمل في سيرة هؤلاء الصالحين الباكين من خشية الله تعالى نجد أنهم اشتركوا في صفة واحدة على تنوع عباداتهم واجتهاداتهم في طاعة الله تعالى تلك الصفة هي الإخلاص المنافي للرياء فلقد كانوا رضي الله عنهم أبعد الناس عن أن يراهم أحد حال البكاء حرصا منهم أن لا يدخل العجب قلوبهم فتبطل عبادتهم وتراهم شددوا بلسان الحال والمقال على هذه الصفة ابتغاء نيل الأجر كاملا غير منقوص من رب العالمين لا من مدح المادحين.

[*] قال الحسن البصري:

إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها فإذا خشي أن تسبقه قام.

وقال عبد الكريم بن رشيد: كنت في حلقه الحسن فجعل رجل يبكى وارتفع صوته فقال الحسن إن الشيطان ليبكى هذا الآن.

[*] وكان أيوب السختياني في ثوبه بعض الطول لستر الحال وكان إذا وعظ فرق فرق من الرياء فيمسح وجهه ويقول: ما أشد الزكام.

[*] وقال حماد بن زيد: دخلنا على محمد بن واسع في مرضه نعودة قال فجاء يحيى البكاء يستأذن عليه فقالوا: يا أبا عبد الله هذا أخوك أبو سلمه على الباب قال: من أبو سلمه؟ قالوا: يحيى قال: من يحيى؟ قالوا: يحيى البكاء قال حماد: وقد علم أنه يحيى البكاء فقال شر أيامكم يوم نسبتم فيه إلى البكاء.

[*] وعن القاسم بن محمد قال:." (١)

"إذا ظفرت بوهم لعالم، فلا تفرح به للحط منه، ولكن افرح به لتصحيح المسألة فقط، فإن المنصف يكاد يجزم بأنه ما من إمام إلا وله أغلاط وأوهام لا سيما المكثرين منهم.

وما يشغب بهذا ويفرح به للتنقص، إلا متعالم "يريد أن يطب زكاما فيحدث به جذاما".

نعم، ينبه على خطأ أو وهم وقع لإمام غمر في بحر علمه وفضله، لكن لا يثير الرهج عليه بالتنقص منه والحط عليه فيغتر به من هو مثله.

[٦] دفع الشبهات:

لا تجعل قلبك كالسفنجه تتلقى ما يرد عليها، فاجتنب إثارة الشبه وإيرادها على نفسك أو غيرك، فالشبه خطافة، والقلوب ضعيفة، وأكثر م يلقيها حمالة الحطب – المبتدعة – فتوقهم.

[٧] احذر اللحن:

ابتعد عن اللحن في اللفظ والكتب، فإن عدم اللحن جلالة، وصفاء ذوق ووقوف على ملاح المعاني لسلامة المباني:

فعن عمر رضي الله عنه أنه قال:

"تعلموا العربية؛ فإنها تزيد في المروءة".

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٢٧/٧

وقد ورد عن جماعة من السلف أنهم كانوا يضربون أولادهم على اللحن.
وأسند الخطيب عن الرحبي قال:
"سمعت بعض أصحابنا يقول: إذا كتب لحان، فكتب عن اللحان لحان آخر؛ صار الحديث بالفارسية "!
وأنشد المبرد:
النحو يبسط من لسان الألكن
والمرء تكرمه إذا لم يلحن
فإذا أردت من العلوم أجلها
فأجلها منها مقيم الألسن
وعليه؛ فلا تحفل بقول القاسم بن مخيمرة رحمه الله تعالى:
"تعلم النحو: أوله شغل، وآخره بغي".
ولا بقول بشر الحافي رحمه الله تعالى:
"لما قيل له: تعلم النحو قال: أضل، قال: قل ضرب زيد عمرا.
قال بشر: يا أخي! لم ضربه؟ قال: يا أبا نصر! ما ضربه وإنما هذا أصل وضع. فقال بشر: هذا أوله كذب، لا حاجة لي فيه".
رواهما الخطيب في"اقتضاء العلم العمل".
[٨] احذر (الإجهاض الفكري)؛ بإخراج الفكرة قبل نضوجها.
الإسرائيليات الجديدة:
[٩] احذر الإسرائيليات الجديدة في نفثات المستشرقين؛ من يهود ونصارى؛ فهي أشد نكاية وأعظم خطرا من الإسرائيليات القديمة؛ فإن هذه قد وضح أمرها ببيان النبي – صلى الله عليه وسلم – الموقف منها، ونشر العلماء القول فيها، أما الجديدة المتسربة إلى الفكر الإسلامي في أعقاب الثورة الحضارية واتصال العالم بعضه ببعض، وكبح المد الإسلامي؛ فهي شر محض، وبلاء متدفق، وقد أخذت بعض المسلمين عنها سنة، وخفض الجناح لها آخرون، فاحذر أن تقع فيها. وفي الله المسلمين شرها.
[١٠] احذر الجدل البيزنطي:." (١)
"[*] وعن عاصم قال: سمعت شقيق بن مسلمه يقول وهو ساجد رب اغفر لي رب اغفر لي إن تعف عنى تعف عنى تطولا من فضلك وإن تعذبني تعذبني غير ظالم لي قال ثم يبكى حتى أسمع نحيبه من وراء المسجد.
(ذاك والله هو الإيمان الحق الذي ليس بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقة العمل وهؤلاء هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون وإن لم يكن هؤلاء أولياء الله فليس لله ولى.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١٠٧/٨

(إخفاء البكاء:

وبالتأمل في سيرة هؤلاء الصالحين الباكين من خشية الله تعالى نجد أنهم اشتركوا في صفة واحدة على تنوع عباداتهم واجتهاداتهم في طاعة الله تعالى تلك الصفة هي الإخلاص المنافي للرياء فلقد كانوا رضي الله عنهم أبعد الناس عن أن يراهم أحد حال البكاء حرصا منهم أن لا يدخل العجب قلوبهم فتبطل عباداتهم وتراهم شددوا بلسان الحال والمقال على هذه الصفة ابتغاء نيل الأجر كاملا غير منقوص من رب العالمين لا من مدح المادحين.

[*] قال الحسن البصري:

إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها فإذا خشي أن تسبقه قام.

وقال عبد الكريم بن رشيد: كنت في حلقه الحسن فجعل رجل يبكى وارتفع صوته فقال الحسن إن الشيطان ليبكى هذا الآن.

[*] وكان أيوب السختياني في ثوبه بعض الطول لستر الحال وكان إذا وعظ فرق فرق من الرياء فيمسح وجهه ويقول: ما أشد الزكام.

[*] وقال حماد بن زيد: دخلنا على محمد بن واسع في مرضه نعودة قال فجاء يحيى البكاء يستأذن عليه فقالوا: يا أبا عبد الله هذا أخوك أبو سلمه على الباب قال: من أبو سلمه؟ قالوا: يحيى قال: من يحيى؟ قالوا: يحيى البكاء قال حماد: وقد علم أنه يحيى البكاء فقال شر أيامكم يوم نسبتم فيه إلى البكاء.

[*] وعن القاسم بن محمد قال: كنا نسافر مع ابن المبارك فكثيرا ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي بأي شيء فضل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة إن كان يصلى آنا نصلى وإن كان يصوم آنا نصوم وإن كان يغزو فآنا نغزو وإن كان يحج آنا لنحج قال فكنا في بعض مسيرتا في طريق الشام ليله نتعشى في بيت إن طفئ السراج فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح فمكث هنيهة ثم جاء بالسراج فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع فقلت في نفسي بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا ولعله حين فقد السراج فصار إلى ظلمه ذكر القيامة.

(٢٠) التضرع إلى الله في الدعاء:

(تعريف التضرع:." (١)

"احذر ما يتسلى به المفلسون من العلم، يراجع مسألة أو مسألتين، فإذا كان في مجلس فيه من يشار إليه، أثار البحث فيهما، ليظهر علمه! وكم في هذا من سوءة، أقلها أن يعلم أن الناس يعلمون حقيقته.

وقد بينت هذه مع أخوات لها في كتاب "التعالم"، والحمد لله رب العالمين.

[٤] تحبير الكاغد:

كما يكون الحذر من التأليف الخالي من الإبداع في مقاصد التأليف الثمانية، والذي نهايته "تحبير الكاغد" فالحذر من

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٣٦/٨

الاشتغال بالتصنيف قبل استكمال أدواته، واكتمال أهليتك، والنضوج على يد أشياخك، فإنك تسجل به عارا وتبدى به شنارا.

أما الاشتغال بالتأليف النافع لمن قامت أهليته، واستكمل أدواته، وتعددت معارفه، وتمرس به بحثا ومراجعة ومطالعة وجردا لمطولاته، وحفظا لمختصراته، واستذكارا لمسائله، فهو من أفضل ما يقوم به النبلاء من الفضلاء.

ولا تنس قول الخطيب:

"من صنف، فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس".

[٥] موقفك من وهم من سبقك:

إذا ظفرت بوهم لعالم، فلا تفرح به للحط منه، ولكن افرح به لتصحيح المسألة فقط، فإن المنصف يكاد يجزم بأنه ما من إمام إلا وله أغلاط وأوهام لا سيما المكثرين منهم.

وما يشغب بهذا ويفرح به للتنقص، إلا متعالم "يريد أن يطب زكاما فيحدث به جذاما".

نعم، ينبه على خطأ أو وهم وقع لإمام غمر في بحر علمه وفضله، لكن لا يثير الرهج عليه بالتنقص منه والحط عليه فيغتر به من هو مثله.

[٦] دفع الشبهات:

لا تجعل قلبك كالسفنجه تتلقى ما يرد عليها، فاجتنب إثارة الشبه وإيرادها على نفسك أو غيرك، فالشبه خطافة، والقلوب ضعيفة، وأكثر م يلقيها حمالة الحطب – المبتدعة – فتوقهم.

[٧] احذر اللحن:

ابتعد عن اللحن في اللفظ والكتب، فإن عدم اللحن جلالة، وصفاء ذوق ووقوف على ملاح المعاني لسلامة المباني:

فعن عمر رضي الله عنه أنه قال:

"تعلموا العربية؛ فإنها تزيد في المروءة".

وقد ورد عن جماعة من السلف أنهم كانوا يضربون أولادهم على اللحن.

وأسند الخطيب عن الرحبي قال:

"سمعت بعض أصحابنا يقول: إذا كتب لحان، فكتب عن اللحان لحان آخر؛ صار الحديث بالفارسية "!

وأنشد المبرد:

النحو يبسط من لسان الألكن

والمرء تكرمه إذا لم يلحن

فإذا أردت من العلوم أجلها

فأجلها منها مقيم الألسن

وعليه؛ فلا تحفل بقول القاسم بن مخيمرة رحمه الله تعالى:

‘‘تعلم النحو: أوله شغل، وآخره بغي".

ولا بقول بشر الحافي رحمه الله تعالى:

"لما قيل له: تعلم النحو قال: أضل، قال: قل ضرب زيد عمرا.." (١)

"(ومن عجائب المخلصين ما حصل لصاحب النفق، حاصر المسلمون حصنا واشتد عليهم رمي الأعداء، فقام أحد المسلمين وحفر نفقا فانتصر المسلمون، ولا يعرف من هو هذا الرجل، وأراد مسلمة أن يعرف الرجل لمكافأته، ولما لم يجده سأله بالله أن يأتيه، فأتاه طارق بليل وسأله شرطا وهو أنه إذا أخبره من هو لا يبحث عنه بعد ذلك أبدا، فعاهده، و كان يقول: ((اللهم احشرني مع صاحب النفق)).

(وعمل الخلوة كان أحب إلى السلف من عمل الجلوة، وكان السلف يستحبون أن يكون للرجل خبيئة من عمل صالح لا يعلم عنها زوجة ولا غيرها، امتثالا للحديثين الآتيين:

(حديث الزبير بن العوام في صحيح الجامع أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل.

خبء من عمل صالح: أي من الأعمال الخفية التي لا يطلع عليها أحد من الناس، خالية من الرياء، فتكون خالصة لله تبارك و تعالى مثل صلاة النافلة في جوف الليل أو صدقة السر أو أي عمل آخر من الأعمال الصالحة.

(حديث سعد ابن أبي وقاص في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي.

الغني: الغني عن الناس

الخفي: من لا يريد علوا في الأرض ولا مناصب ولا جاه. الخامل المنقطع إلى العبادة والانشغال بأمور نفسه.

(المجاهدة في إخفاء العمل:

[*] أخرج الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء عن سفيان الثوري قال: بلغني أن العبد يعمل العمل سرا فلا يزال به الشيطان حتى يغلبه فيكتب في العلانية، ثم لا يزال الشيطان به حتى يحب أن يحمد عليه فينسخ من العلانية فيثبت في الرياء.

[*] أخرج الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء عن فضيل بن عياض قال: لا يترك الشيطان الإنسان حتى يحتال له بكل وجه، فيستخرج منه ما يخبر به من عمله، لعله يكون كثير الطواف فيقول: ما كان أجلي الطواف الليلة، أو يكون صائما فيقول ما أثقل السحور أو ما أشد العطش، فإن استطعت أن لا تكون محدثا ولا متكلما ولا قارئا، وإن كنت بليغا، قالوا: ما أبلغه وأحسن حديثه وأحسن صوته، فيعجبك ذلك فتنتفخ، وإن لم تكن بليغا ولا حسن الصوت قالوا ليس يحسن يحدث وليس صوته بحسن أحزنك وشق عليك، فتكون مرائيا، وإذا جلست فتكلمت ولم تبال من ذمك ومن مدحك من الله

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١٠٢/٩

فتكلم.

[*] يقول حماد بن زيد: كان أيوب ربما حدث في الحديث فيرق وتدمع عيناه، فيلتفت و ينتخط ويقول ما أشد **الزكام!!**، فيظهر **الزكام** لإخفاء البكاء.." (١)

"إلى أمي فأخبرتها، فلما جاءها قالت: عطس عندك ابني فلم تشمته، وعطست فشمتها، فقال: إن ابنك عطس، فلم يحمد الله فلم أشمته، وعطست فحمدت الله فشمتها، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه"١.

والتشميت ثلاث مرات، وما زاد فهو **زكام** يدعى لصاحبه بالشفاء والعافية، روى مسلم في صحيحه عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وعطس رجل عنده، فقال له: "يرحمك الله"، ثم عطس أخرى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الرجل **مزكوم**"٢، ورواه الترمذي وفيه: ثم عطس الثانية والثالثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذا رجل **مزكوم**"٣.

وروى أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا وموقوفا: "شمت أخاك ثلاثا ثلاثا، فما زاد فهو **زكام**" ٤.

قال ابن القيم رحمه الله: "وقوله في هذا الحديث: "الرجل **مزكوم**" تنبيه على الدعاء له بالعافية؛ لأن الزكمة علة، وفيه اعتذار من ترك تشميته بعد الثلاث، وفيه تنبيه له على هذه العلة ليتداركها ولا يهملها فيصعب أمرها، فكلامه صلى الله عليه وسلم كله حكمة ورحمة وعلم وهدى"٥.

ومن السنة خفض الصوت بالعطاس حتى لا يزعج الناس، روى أبو

---

١ صحيح مسلم (رقم:٢٩٩٢) .

٢ صحيح مسلم (رقم:٢٩٩٣) .

٣ سنن الترمذي (رقم:٢٧٤٣) .

٤ سنن أبي داود (رقم:٥٠٣٤) ، وصححه الألباني ـ رحمه الله ـ في السلسلة الصحيحة (رقم:١٣٣٠) .

٥ زاد المعاد (٢/٤٤١) .." (٢)

"الفراخ. العجير١ من الخيل كالسريس من الإبل والعنين٢ من الرجال. ربوض الغنم مثل بروك الإبل وجثوم الطير وجلوس الإنسان. خلف الناقة بمنزلة ضرع البقرة وثدي المرأة. البراثن من الكلب بمنزلة الأصابع من الإنسان. الكرش من الدابة كالمعدة من الإنسان والحوصلة من الطائر. الصهر من الخيل بمنزلة الفصيل من الإبل والجحش من الحمير والعجل من البقر. الحافر للدابة كالفرسن للبعير. المنسم للبعير بمنزلة الظفر للإنسان والسنبك للدابة والمخلب للطير. الخنان في الدواب **كالزكام** في الناس. اللغام للبعير كاللعاب للإنسان. المخاط من الأنف كاللعاب من الفم. النثير للدواب كالعطاس للناس.

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٤٥/٩

(٢) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٢٨٧/٣

الناقة اللقوح٣ بمنزلة الشاة اللبون والمرأة المرضعة. الودج للدابة كالفصد٤ للإنسان. خلاء٥ البعير مثل حران الفرس. نفوق الدابة مثل موت الإنسان. الزهلقة٦ للحمار بمنزلة الهملجة للفرس. سنق الدابة بمنزلة إتخام الإنسان وهو في شعر الأعشى٧. الغدة للبعير كالطاعون للانسان. الحاقن للبول كالحاقب٨ للغائط. الحصر من الغائط كالأسر من البول. الهمج فيما يطير كالحشرات فيما يمشي. الصيق من الدابة كالفسو من الإنسان. الناتج للإبل بمنزلة القابلة للنساء إذا ولدن. صبارة الشتاء بمنزلة حمارة٩ القيظ

الفصل الثاني "في الإبل"

"عن المبرد"

البكر بمنزلة الفتى. والقلوص بمنزلة الجارية. والجمل بمنزلة الرجل. والناقة بمنزلة المرأة. والبعير بمنزلة الإنسان.

---

١ العجيز: العنين من الرجال والخيل القاموس ٥٦١.

٢ العنين: من لا يأتي النساء عجزا أو لا يريدهن القاموس ١٥٧٠.

٣ اللقوح: الناقة الحلوب أو التي نتجت لقوح إلى شهرين أو ثلاثة ثم هي لبون القاموس ٣٠٦.

٤ الفصد: شق العرق القاموس ٣٩١.

٥ الخلاء والحران: العصيان عن الانقياد.

٦ زهلوق: حمر زهالق: السريع الخفيف منها القاموس ١١٥٢.

٧ الأعشى: ميمون بن قيس أبو بصير وكان أعمى كان جاهليا قديما وأدرك الإسلام في آخر عمره ورحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل له إنه يحرم الخمر فأراد أن يمتنع سنة ثم يسلم فمات قبل ذلك وسمي صناجة العرب الشعر والشعراء ١٥٩ – ١٦٥.

٨ الحقب: الحبس تعسر عليه البول من وقوع الحقب على ثيله القاموس ٩٧.

٩ الحمارة: شدة الحر القاموس ٤٨٥.." (١)

"الباب السادس عشر في صفة الأمراض والأدواء سوى ما مر منها في فصل أدواء العين وذكر الموت والقتل.

الفصل الأول "في سياق ما جاء منها على فعال".

أكثر الأدواء والأوجاع في كلام العرب على فعال. كالصداع. والسعال. والزكام. والبحاح. والقحاب١. والخنان. والد وار. والنحاز. والصد ام. والهلاس. والسلال. والهيام. وا لرد اع. والكباد. والخمار. والزحار. والصفار. والسلاق. والكزاز. والفواق. والخناق. كما أن أكثر أسماء الأدوية على فعول. كالوجور. واللدود. والسعوط. واللعوق. والسنون. والبرود. والذر ور. والسفوف. والغسول. والنطول.

الفصل الثاني "في ترتيب أحوال العليل".

---

(١) فقه اللغة وسر العربية الثعالبي، أبو منصور ص/٣٢

عليل. ثم سقيم ومريض. ثم وقيذ. ثم دنف. ثم حرض ومحرض وهو الذى لا حى فيرجى ولا ميت فينسى.
الفصل الثالث "في تفصيل أوجاع الأعضاء وأدوائها على غير استقصاء".
إذا كان الوجع في الرأس فهو صداع. فإذا كان في شق الرأس فهو شقيقة. فإذا كان في العين فهو عائر. فإذا كان في اللسان فهو قلاع. فإذا كان في الحلق فهو عذرة وذبحة. فإذا كان في العنق من قلق وساد أو غيره فهو لبن وإجل. فإذا كان في الكبد فهو كباد. فإذا كان في البطن فهو قداد عن الأصمعي. فإذا كان في المفاصل واليدين والرجلين فهو رثية. فإذا كان في الجسد كله فهو رداع٢ ومنه قول الشاعر: [من الوافر] :

١ القحاب: السعال.
٢ انظر لسان العرب [ردع] والبيت للشاعر قيس بن الذريح.." (١)
"باب السينات.
"افتعل"
يكون بمعنى فعل نحو اشتوى أي شوى واقتنى أي قنى واكتسب أي كسب. ويكون لحدوث صفة نحو افتقر وافتتن.
وأما "انفعل"
فهو فعل المطاوعة نحو كسرته فانكسر وجبرته فانجبر وقلبته فانقلب وقد تقدم له ذكر في باب النونات.
الفصل الثاني والستون: في أبنية دالة على معان في الأغلب الأكثر وقد تختلف.
ما كان على "فعلان" دل على الحركة والإضطراب كالنزوان والغليان والضربان والهيجان. وما كان على "فعلان" دل على صفات تقع من أحوال كالعطشان والغرثان والشبعان والريان والغضبان. وما كان على "أفعل" دل على صفات بالألوان نحو أبيض وأحمر وأسود وأصفر وأخضر وكذلك العيوب تكون على أفعل نحو أزرق وأحول وأعور وأقرع وأقطع وأعرج وأخنف. وتكون الأدواء على "فعال" كالصداع والزكام والسعال والخناق والكباد. والأصوات أكثرها على هذا كالصراخ والنباح والضباح والرغاء والثغاء والخوار. وفصل آخر منها على "فعيل" كالضجيج والهرير والصهيل والنهيق والضغيب والزئير والنعيق والنعيب والخرير والصرير. وحكايات الأصوات على "فعلة" كالصرصرة والقرقرة والغرغرة والقعقعة والخشخشة. وأطعمة العرب على "فعيلة" كالسخينة والعصيدة واللفيتة والحريرة والنقيعة والوليمة والعقيقة. وأكثر الأدوية على "فعول" كاللعوق والسموط والوجور واللدود والذرور والقطور والنطول. وأكثر العادات في الاستكثار على "مفعال" نحو مطعان ومطعام ومضراب ومضياف ومكثار ومهذار وامرأة معطار ومذكار ومئنات ومتئام.
الفصل الثالث والستون: في التشبيه بغير أداة التشبيه.

(١) فقه اللغة وسر العربية الثعالبي، أبو منصور ص/٩٩

وهذه طريقة أنيقة غلب عليها المحدثون المتقدمين فأحسنوا وظرفوا ولطفوا وأرى أبا نواس السابق إليها في قوله: [من السريع]

تبكي فتلقي الدر من نرجس ... وتلطم الورد بعناب.." [1]

"رمزية لا تدون على الورق، ولكنها لغة يصنعها الإنسان بجهازه الصوتي، ثم تنتقل عن طريق الإلقاء إلى المستمع.

وتعددت فروع الدراسات اللغوية، فاللغة في ذاتها عبارة عن أصوات ذات دلالة.

والأصوات يتولاها بالدراسة علم خاص هو علم الأصوات ويشتمل على مستويين من الدراسة:

١- علم الأصوات العام.

٢- علم الأصوات في سياقها أو علم الأصوات التشكيلي.

علم الأصوات العام أو المجرد:

هو العلم الذي يبدأ بدراسة التكوين التشريحي للجهاز النطقي دراسة تشريحية للتعرف على ما يتكون منه ودوره في عملية النطق.

ثم يدرس وظيفة الأجزاء التشريحية المباشرة في إنتاج الأصوات سواء بحركة عضوية لدفع الهواء أو حبسه أو السماح للهواء أن يمر محتكا في موضع الصوت.

كما يدرس وظيفة العضو غير المباشر مثل وجود بعض التجاويف التي هي أشبه ما تكون بغرف الرنين التي تجمع الصدى وتشكل الصوت وتعطيه نغمته.

بل إن أي عطب في غرف الرنين الإنسانية يؤثر على طابع الصوت من: الزكام أو الرشح أو اللحمية التي تصيب الأنف.

فكل عضو من أعضاء النطق له وظيفته، وهذا يجعلنا أن نتعرف على:." [2]

"يكون مملا لا ترتاح إليه النفس، ثقيلا في السمع.

وهذا يحدث من اندفاع صاحبه في القول دون ترو أو تمهل، أو نتيجة غرور أصاب المتكلم فدفعه هذا الصوت المندفع في حماس إلى القول بهذه النغمة التي قد تتصلب معها أعصاب الرقبة والحنجرة.

الصوت الحلقي Throaty Tutiral tone:

إنه صوت يصدر من الحلق أو الحنجرة أو الرقبة أو الزور وذلك نتيجة التصلب أو الارتفاع في مؤخرة الرأس أو عدم الجلسة الطبيعية أو الوقفة المناسبة.

ويخرج الصوت في هذه الحالة مغرغرا تغلب عليه نغمة العين؛ لأن هذا التصلب في منطقة الرأس قد يؤدي إلى ارتفاع مؤخرة اللسان مما يجعل الكلام قريبا من مخرج حرف الغين.

الصوت الأنفي Nosal tone:

وسببه عاهة عضوية أو زكام يصيب الإنسان أو ضغط اللسان إلى الداخل أو انكماشه فيكون عائقا أمام خروج الصوت

---

(١) فقه اللغة وسر العربية الثعالبي، أبو منصور ص/٢٥٩

(٢) فن الإلقاء طه عبد الفتاح مقلد ص/٢٦

كله من الفم فيخرج من الأنف، وهو أقرب إلى أن يقال عنه: إنه صوت أخنف؛ لتسربه من الأنف.

الصوت المكتوم Wooly tone:

وهو صوت تشعر معه أنه مكتوم أو مغطى بالصوف -كما يعبر عنه الإنجليز- فيأتي الصوت خافتا نتيجة لمرض عضوي أو لطبيعة ينتج عنه ابتعاد الأوتار الصوتية عن بعضها ويمكن علاج ذلك بكثرة استعمال حروف المد.." (١)

"Gilbert Highet سيرة أوسلر بقوله:

" منذ ما يزيد على ثلاثين عاما يوم كانت أكسفورد مدينة هادئة جميسلة، مات رجل كبير ذو وجه في خضرة الزيتون، بعد أن ظل يعاني آلام **الزكام** والتهاب الشعبتين طوال حياته، ولما أن هاجمه الالتهاب الرئوي الهجوم الأخير عرف أنه هموما كان حينئذ " صديقه القديم "؟ كان رجلا على حظ من القوة فدافع المرض عدة أسابيع، حتى أعجزه التهاب ذات الجنب والأنفلونزا، عندئذ أدرك أن النهاية قد دنت، وكان هو نفسه طبيبا فلما أراد الطبيب الذي يتعهده أن يشرح له بعض الأعراض قال له: يا لك من مجنون، لقد ظللت أرقب هذه الحالة شهرين، وأنا آسف لأني لا أستطيع أن أقوم بالتشريح بعد الموت. وبعد بضعة أيام توفي مخلفا وراءه ما تخلفه شخصية غريبة، لكنها كثيرا ما كانت محببة إلى النفوس ".

واذن فلا قيد على الكاتب من هذه الناحية، فذلك جزء من حريته التي لا ينازع فيها؛ وللكاتب أيضا أن يرسم للسيرة طولا يسمح باكتمالها، ولكن الطول في السيرة ليس شيئا صارما كما هي الحال في المسرحية والقصة، على أن الإتقان في تقدير الطول أمر هام أيضا، ولكن استفاضة السير، وخاصة عند الغربيين، أمر ملحوظ. ومن النادر أن تجد سيرة قصيرة، فبعضها يتجاوز المجلدين، ويصل أحيانا ستة مجلدات ضخمة، ومن عرف " نابليون " أو " بسمارك " لاميل لدفيج، يدرك أن." (٢)

"التفعيلة "فاعلن" وهو "فعلن" وقد ألف الشعراء أن يعزلوه في قصائد كاملة، وقلما يستعملون فيها أصل التفعيلة "فاعلن" إلا في النادر. ومن وزن المتدارك الأصلي "فاعلن" في شعرنا المعاصر قول ميخائيل نعيمة:

هللي هللي يا رياح ... وانسجي حول نومي وشاح١

وبعد فما الزحاف، إذا أردنا أن ننظر إليه نظرة بسيطة، ونخرج عن تعريفات العروضيين؟ إنه علة تعتري البيت وليس أساسا فيه. أو هو مرض يصيب التفعيلة، واختلال صغير نحبه لأنه لا يرد كثيرا. تماما كما قد نحب خصاما صغيرا مع أصدقاء نعزهم، أو **زكاما** يداهمنا يومين ثم ينصرف تاركا لنا إحساسا أقوى بعذوبة العافية وجمالها. فماذا يحدث لنا لو أن حياتنا استحالت كلها إلى خصومات **وزكامات** لا تنتهي؟ ألن يكون طعم الحياة إذ ذاك يشبه وقع قصيدة كل تفعيلاتها زحاف؟ ومن المؤسف أن يكون النادر اليوم في قصائد الرجز هو التفعيلة السليمة. إن شعرنا صار من المرض بحيث كدنا ننسى طعم العافية. وقد تفشى الزحاف الذي هو، في نظرنا، مسئول إلى حد كبير عن شناعة الإيقاع، والنثرية، وغيرهما مما يشكو الجمهور وجوده في الشعر الحر. والحق مع الجمهور.

---

(١) فن الإلقاء طه عبد الفتاح مقلد ص/١٠٩

(٢) فن السيرة إحسان عباس ص/٩٥

١ ترد هذه التفعيلة في شعري غير قليل. ومنها في شظايا ورماد القصيدتان "الأفعوان" و"تواريخ قديمة جديدة" وفي قرارة الموجة القصائد "أغنية" و"سخرية الرماد" و"يحكى أن حفارين".." (١)

"ودخل حارثة بن بدر الغداني على زياد، وكان مدمنا للشراب وبوجهه أثر، فقال له زياد: ما هذاالأثر بوجهك؟ فقال: أصلح الله الأمير، ركبت فرسا أشقر فجمح بي حتى صدمني الحائط، فقال زياد: [لو] ركبت الأشهب لم يصبك مكروه.

وسقى قوم أعرابيا فقالوا له: ألا تمزج كأسك، فقال: حسبها ما شربت في كرمها.

دعا أعرابي فقال: اللهم أسألك ميتة كميتة أبي خارجة، قيل له: وما ميتته؟ قال: أكل لحم جمل وشرب نبيذ عسل ونام في الشمس، فمات شبعان ريان دفآن.

وقال يحيى بن خالد: الأيام أربعة؛ ويوم الغيم للصيد، ويوم المطر للشرب، ويوم الشمس للحوائج.

وكان رجل من الأزد يكنى أبا شملة قد تتابع في الخمر وغلبت عليه، فأتي به رسول الله (ص) وهو سكران، فأخذ رسول الله (ص) قبضة من تراب فضربه بها وقال: اضربوا الخبيث، فضربه الناس بأيديهم وبالنعال وأطراف النخل، فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه، أتي بسكران، فسأل: كم ضرب رسول الله (ص) أبا شملة؟ قالوا: ما ندري، قال: كم كنتم؟ قالوا: عشرين رجلا، قال: فكم ضرب كل رجل؟ قالوا: الضربة والربتين والثلاث، قال: فلو رددنا قليل ذلك على كثيره فجعلنا لكل رجل ضربتين، فضربه أربعين.

فلما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كتب إليه أبو عبيدة ابن الجراح (رض) من الشام: إن الناس قد تتايعوا في شرب الخمر، وقد ضربت فيها الأربعين فلم تغن شيئا، فجمع عمر رجالا من أصحاب رسول الله (ص) فشاورهم، فقال علي: إني لا أرى حدا أشبه بحد الفرية منه، إن الرجل إذا سكر وإذا هذى افترى، فقال عمر للرسول: قد سمعت ما قال فمر أبا عبيدة أن يضربها، فضرب أبو عبيدة بالشام ثمانين، وضربها عمر بالمدينة.

وعرض عبد الملك بن مروان على الأخطل الإسلام، فقال: يا أمير المؤمنين إني مشغوف بالخمر، أفرأيت إن أسلمت تدعني وشربها؟ قال: لا يا أخطل، لا أحل لك ما حرم الله عليك، وإن أسلمت ثم شربتها حددتك، قال: لا حاجة لي في الإسلام، ودين آبائي أحب إلي، فقال عبد الملك: وما تبلغ الخمر منك؟ قال:

فلسن بصائم رمضان طوعا ... ولست بآكل لحم الأضاحي

ولست بقائم أبدا أنادي ... كمثل العير، حي على الفلاح

ولكني سأشربها شمولا ... وأسجد عند منبلج الصباح

ودخل الأخطل على عبد الملك وهو سكران، فقال: ما هذا يا أبا مالك فقال:

إذا شرب الفتى منها ثلاثا ... بغير الماء حاول أن يطولا

مشى قرشية لا عيب فيها ... وأرخى من بنائقه فضولا

---

(١) قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة ص/١١١

قال أبو أمية التميمي: دخلت على الأخطل وبين يديه شراب، فناولني منه كأسا، وقال: أنعم حياك الله، فقلت: إني حنيف، ولا تحل لي الخمر، فكلح في وجهي ثم قال: ما أدخلك علي؟ قلت: إني رجل أحب أحاديث العرب وأشعارها فأحببت الاجتماع بك، قال: فسري عنه، ثم قال: أما والله ما نعتها أحد نعتي لها، يعني الخمر، فقلت: وما صلت يا أبا مالك، قال: قلت:

وإذا تعاورت الأكف زجاجتها ... نفحت فنال رياحها المزكوم

وكأن شاربها أصاب لسانه ... من دار خيبر أو تهامة موم

قال: قلت ولابن عمك الأعشى (مثلها) قال: وكيف قال؟ قلت: قال:

من خمر عانة قد أتى لعصيرها ... حول تسل غمامة المزكوم

قال: فضرب بكأسه الأرض وقال: أنا والله ما رأيت كاليوم قط، أني جعلته يجد ريحها، وأنه استلها استلالا.

وحكى ربعي الأنصاري: أن عجوزا من الأعراب جلست في طريق مكة إلى فتيان يشربون نبيذا لهم فسقوها قدحا، فطابت نفسها، وتبسمت، ثم سقوها قدحا آخر، فاحمر وجهها وضحكت فسقوها قدحا ثالثا فقالت: خبروني عن نسائكم بالعراق أيشربن من هذا الشراب؟ قالوا: نعم، قالت: زنين ورب الكعبة، والله لئن صدقتم لما فيكم أحد يعرف من أبوه.." (١)

"قد ذكرنا من منافعه هذه الجملة فينبغي أن نذكر جملة من مضاره لئلا يحمل الجاهل على الانهماك به. ومن مضاره العظام الإضرار بالدماغ والعصب إذا أدمن [شاربه] ، ولا سيما إذا كان الشارب ضعيف العصب أو متهيئا للأمراض الكائنة من ضعف العصب والدماغ، فإن إدمان الشرب يوقعه في الفالج والرعشة سريعا، وقد يوقع بعضهم في الهذيان والوسواس، ويجلب أيضا إحماء الكبد وورمها والحميات الحارة والصداع والرمد والأورام والجرب والخوانيق والشوصه ونحو ذلك من الأمراض التي تحدث من حدة الدم أو من كثرته. وذلك أن الشراب في الجملة يزيد في الدم وفي سخونته وحدته لا سيما إذا كان المزاج متهيئا لذل.

وقال: يحتاج إلى شرب الشراب ضرورة من إذاا لم يشربه أبطأ هضمه وتجشأ جشاء حامضا وقلت شهوته للغذاء. وإذا شرب الماء ثقل عليه، وثقل الطعام في جوفه وكثر النفخ والقراقر في بطنه، فإذا أمسك هؤلاء عن الشراب وقعوا في الأمراض الباردة. ويحتاج إلى تركه ضرورة من إذا شرب وحمي جسده أصابه صداع أو عطش شديد وتجشأ جشاء دخانيا وخمر عليها خمارار شديدا وأصابه الغشي وسقوط الشهوة وفساد الطعام في معدته، فأما شربه للسكر فلا خير فيه فإنه لم يعقب قط إلا مضرة أو علة عظيمة كالسكتة والاختناق وفساد الكبد والرعشة والفالج ونحو ذلك، فأما السكرة، تقع في الأيام الكثيرة ولا تكون مع ذلك مفرطة جدا، فإنها تنفع في الأكثر لأنها تفتح مجاري الدم وتذيب خلطا منعقدا أو جامدا وتنشر الحرارة الغريزية وتدفع الفضول غاية الدفع فيكون ذلك سببا لدفع الأمراض الباردة ولانفتاح المجاري والمسام وذلك ينفع في حفظ الصحة. وأحوج الأسنان إلى استعمال الشراب المشائخ، وذلك أن أبدانهم تبرد وتجف والشراب يسخنها ويرطبها، ونومهم قليل فالشراب يعينهم ويذهب عنهم الحكة التي تعتري المشايخ في أجسادهم لترصيقة لجلودهم وتوسيعه مسامهم وتجويد هضمهم.

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/٤٨

ويمنع سرعة الهرم ويدفع عنهم النزلة والزكام والسعال الذي لا يزال يعتريهم ويبسط من أنفسهم. وهم بالجملة أحوج الأسنان إليه وأكثرهم عليه سلامة من الكهول والشيوخ ولا سيما من كان منهم حار المزاج ملتهبا فإنه يحمي كبده ويكثر صداعه ويسقط شهوته، فالماء لهم أوفق من الشراب، فأما الصبيان فغير محتاجين إلى الشراب.." (١)

"فأما الصيف كله فليشرب فيه رقيقه ويكثر مزاجه ويتنقل الفواكه الحامضة ويشرب السكنجبين الساذج الحامض بعد الإفاقة منه، ويتوقى السكر في هذا الزمان فإنه يجلب الأمراض الحادة. وأما في الخريف فيستعمل العتيق منه بمزاج كثير، وإن كان حديثا فليختر أرقه. فإذا برد أول النهار وآخره، فأصلح الشراب له ما يطيب نفسه، فإن ذلك أمان من التسكير والقشعريرة. وإذا جاء الشتاء فليكن الشراب أقوى وأكث مقدارا مما يستعمل في سائر الأزمان، فإن الأبدان تحتمل في هذا الزمان ما لا تحتمل في غيره. ليس للخمار فيه سورة، والخمار في الصيف داء، وفي الشتاء دواء. وأما استعمال الشراب بحسب مزاج الأبدان، فالبدن النحيف أحوج الأبدان إليه، ولكن يكثر المزاج ويجدد القوى، واللحيم من الأبدان، أقلها حاجة إلى الشراب، فقد يعتريها منه حما وأمراض حادة، وأما الشحمية فتحتاج إلى المقدار اليسير من الشراب القوي الصرف منه ويضرهم المزاج الكثير ويؤديهم إلى الأمراض البلغمية. وينبغي أن يجتنب الشراب بعقب الخروج من الحمام سريعا، وبعقب التعب إلا بعد ساعتين وأكثر، وبعقب الصداع والرمد والزكام والتثاؤب والتمطي، وعند الغضب وهم النفس المفرط، وبعقب كثرة الجماع وطول السهر وإسهال عنيف ولا يكثر حين يسكر، وبعقب أخذ الغسل أو الرطب أو الدواء أو غذاء حاد حريف ووجع لا يعرف سببه. وأوفق الأحوال له إذا كان البدن هادئا ساكنا في حركاته الجسدانية وهمومه النفسانية، وفي حال نشاط النفس وانشراحها وشوقها إلى الطعام الذي يتقدم الشراب، وينبغي أن يشرب المحرورون والشباب، في الأزمان الحارة، على الأطعمة الباردة الحامضة، مثل ما أتخذ من ماء الحصرم وماء الرمان والسكباج ونحو ذلك. ولا ينبغي أن يخلو هذا الطعام من لدونة أو دهن، وليكن الطعام في الشتاء للمبرودين، الأغذية التي معها أدنى حرارة كاللفتية والكرنبية والمغمومة الكثيرة البصل والمطجنات والمالح ونحو هذا. ولا يشرب على طعام ليس فيه دسم كمن يقتصر على الخبز والزيتون والكوامخ والسمك المالح فإن ذلك رديء جدا يودع العروق أخلاطا رديئة تفسد الدم، وأضر ما يكون ذلك بالأبدان النحيفة. والنقل لأصحاب الأبدان النحيفة، السفرجل المز والرمان الحامض والأترج، وأما الحصرم فيفسد الشراب في المعدة ويمنعه من النفوذ إلا أن يقل منه، وأما أصحاب الأبدان المعتدلة فالرمان والسكر الطبرزد الأبيض واللوز المقشر. وأما المشايخ والمبردون، فالفستق وحب الصنوبر وبزر الكتان والسمسم المقلو والجوز والكعك. وأما العشاء على الشراب فإنه في أكثر الأمر مضر إلا أن يكون الطعام قبله قليل المقدار أو رقيق القوام سريع النفوذ. ولكن لا ينبغي أن يشرب بعد الأكل والعشاء البتة. فإن كان، وحدث في البطن قراقر ونفخ وغثى فليبادر إلى القيء وطول النوم والإمساك عن الطعام ثم الاستحمام بعد ذلك وتلطيف الغداء وترك الشراب. وأما الطيب على الشراب فمن كان محرورا وافقه اشتمام الصندل والكافور وماء الورد. والبخور ليس بموافق لمن يسرع إليه الصداع، ومن كانت به الرعشة نفعه شم الغالية والمسك على الشراب، وذلك أضر الأشياء لمن يتأذى بالشراب، والبخور بالجملة يملأ الرأس ويسرع السكر ويسقط شهوة الطعام، وأما الجماع فمضر في أكثر

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/٦٠

الأوقات وعظم ضرره بمن يعتريه النقرس وأوجاع المفاصل وضعف العصب فإنه يجلب التشنج، وبحسب بطء إنزالهم وجهدهم أنفسهم في ذلك، يكون قد ضررهم ولا سيما إن كان في نهاية السكر، والبطن ممتلئ يتخضخض فيه الشراب. وأما إذا كان على تناول شيء من الشراب مع خفة في البطن فليس بضار إلا أصحاب الأبدان النحيفة، لأن الجماع يضر بهم ليبس أبدانهم، فإن فعل فبعد مداعبة طويلة ليسرع إنزاله وليستلق بعده على قفاه ساعة ثم يتطهر بالماء البارد إن لم يكن في زمان بارد، وإلا فالماء الفاتر.." (١)

"كيف وهو ما تجزي به نفسا نفس، فإن شككت فيه فسل ما تنطوي لي جوائحك عليه، أو اتهمته فارجع إلى ما أرجع عند اشتباه الأمر إليه، تجده عذبا قراحا، سائل الغرة تياجا، ولك لا يكون ذلك وبيننا ذمة تجل أن تحصى بالحساب، بيض الوجوه كريمة الأحساب، لو كانت نسيما لكانت بليلا، أو كانت زمانا لم تكن إلا سحرا أو أصيلا، فراجعه أبو محمد برقعة فيها، كتبت عن ود لا أقول كصفو الراح فإن فيها جناحا، ولا كسقط الزند فربما كان شحاحا، ولكن أقول أصفى من ماء الغمام، وأضوأ من قمر متوافي التمام، فراجعه عنها،، كتبت دام عزك عن ود كماء الورد نفحة، وعهد كصفائه صفحة، ولا أقول أصفى من صوب الغمام، فقد يكون معه الشرق، ولا أضوأ من قمر التمام، فقد يدركه النقص ويمحق، وليس ما وقع فيه الاعتراض مختصا بصفو الراح، ولا بسقط الزند عند الاقتداح، فإن أمور العالم هذه سبيلها، وجياد الكلام كيف شاء مجيلها، وإنما نقول ما قيل، ونتبع ما أجاد التحصيل، وحسن التأويل، فنستعير ما استعاروا، ونسير من التلميح في القول إلى ما ساروا، وبين أنا لم نرد من الراح الجناح، ولا من الزند الشحاح، ولا من ماء الورد ما فيه من مادة الزكام، ولا زيادة في بعض الأسقام، وله متغزلا، وهو مما تبوأ فيه الإحسان منزلا، بسيط

يا ضرة الشمس قلبي منك في وهج ... لو كان بالنار لم تسكن ذرى حجر

أبيت أسهر لا أغفى فإن سبحت ... أغفاءة فكمثل اللمح بالبصر

إذا رأيت الدحى تعلو غواربها ... والنجم في قيدة حيران لم يسر

أقول ما بال بازي الصبح ليس له ... وقع وما الغراب الليل لم يطر

فإن سمحت بوصل أو بخلت به ... شكوت ليلي من طول ومن قصر

لا أفقد النجم أرعاه وأرقبه ... في الوصل منك وفي الهجران من قمر

وله فصل من رقعة، عمادي الأعلى أعزه الله شهاب إذا ظلم أفق، ووفاء إذا ضاع عند كريم حق، لا جرم أنه لسرو منار، ولمسيل الصفو قرار، به أنار ما أظلم، واستكمل من نقص من بهاء أدب واستتم، هذا ولم يبلغ أشدة، ولا استوفى في اكتهال حده، فكيف إذا أثمر زهره، وأبدر قمره، وتجاوز في الانتهاء رتبة، وحاز إلى طبع الكريم دربة، قسما ليحرزن المعالي، وإن أبى ذلك آب، ونبا فيه عن فهم الحقيقة ناب، ومجله أنا إن لم أراجعه." (٢)

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/٦١

(٢) قلائد العقيان الفتح بن خاقان، أبو محمد ص/١٣٨

"– لا تحمل الكرة الأرضية على رأسك، ولا تظن أن الناس يهمهم أمرنا إن زكاما يصيب أحدكم ينسيهم موتي وموتك.

– السرور كفاية ووطن، وسلامة وسكن، وأمن من الفتن، ونجاة من المحن، وشكر على المنن، وعبادة طيلة الزمن.

– ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)) ، ((وصل صلاة المودع)) ، ((ولا تكلم بكلام تعتذر منه)) ، ((وأجمع اليأس عما في أيدي الناس)) .

– ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس، واقنع بالقليل واعمل بالتنزيل واستعد للرحيل، وخف الجليل.

– لا عيش لممقوت، ولا راحة لمعاد، ولا أمن لمذنب، ولا محب لفاجر، ولا ثناء على كاذب، ولا ثقة بغادر.

– ((عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وأن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)) .

– الابتسامة مفتاح السعادة، والحب بابها، والسرور حديقتها، والإيمان نورها، والأمن جدارها.

– البهجة: وجه جميل، وروض أخضر، وماء بارد، وكتاب مفيد مع قلب يقدر النعمة ويترك الإثم ويحب الخير.

– ينام المعافى على صخر كأنه على ريش حرير، ويأكل خبز الشعير كالثريد، ويسكن الكوخ كأنه في إيوان كسرى.

– البخيل يعيش فقيرا أو يموت غنيا خادما لذريته، حارسا لماله، بغيضا عند الناس، بعيدا من الله، سيئ السمعة في العالم.." (١)

"يقلبن أساطين ... ويلعبن بثعبان

عليهن تجافيف ... يشهرن بألوان

أبو الفتح علي بن البستي

من غرر نوادره قوله:

لما أتاني كتاب منك مبتسم ... عن كل بر وفضل غير محدود

حكت معانيه في أثناء أسطره ... آثارك البيض في أحوالي السود

وقوله:

إذا ملك لم يكن ذا هبه ... فدعه فدولته ذاهبه

وقوله:

لا يغرنك أنني لين المس ... فعزمي إذا انتضيت حسام

أنا كالورد فيه راحة قوم ... وفيه لآخرين زكام

---

(١) لا تحزن عائض القرني ص/٥٣٥

وقوله في مؤلف هذا الكتاب:

أخ لي ذكي الأصل والنفس والطبع ... يحل محل العين مني والسمع

تمسكت منه إذ بلوت إخاءه ... على حالتي رفع النوائب والوضع

وقوله:

إذا ازدرى ساقط كريما ... فلا يطولن ضيق صدره

فأكثر الناس مذ كانوا ... ما قدروا الله حق قدره." (١)

"العلاء بن أبي العباس شيعي لنا عن أبي جعفر عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال الحسين بن علي لا يحيك فيه السلاح وروى ابن عيينة عن لبطة١ بن الفرزدق عن أبيه عن عبد الله بن عمرو مثله وقال ابن عدي لا يضره السلاح لما سبق له من الخير.

[٤٨٦] "العلاء" بن عمرو الحنفي الكوفي متروك عن أبي إسحاق الفزاري وسفيان الثوري وقال ابن حبان لا يجوز الإحتجاج به بحال [وقال] عبد الله بن عمر بن أبان سمعت أنا والعلاء بن عمرو من رجل حديثا عن سعيد بن سلمة فسألوا العلاء عنه بحضرتي فقال حدثنا سعيد بن سلمة٢ وقال العقيلي حدثنا مطين حدثنا العلاء ابن عمرو حدثنا يحيى بن يزيد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: "أحبوا العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي" هذا موضوع قال أبو حاتم هذا كذب [ابن خزيمة] حدثنا عمر بن حفص السياري حدثنا العلاء بن عمرو عن أبي إسحاق الفزاري عن سفيان عن آدم بن علي عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس وعنده أبو بكر عليه عباء قد خللها على صدره بخلال إذ نزل جبرائيل فاقرأه من الله السلام فقال ما لي أرى أبا بكر عليه عباء قد خللها قال يا جبرائيل: "أنفق ماله علي" قال فاقرأه من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض عني أنت في فقرك أم ساخط وذكر الحديث وهو كذب انتهى وبقية الحديث فبكى أبو بكر وقال أعلى ربي أغضب أنا راض وقال الأزدي لا يكتب حديثه وذكره ابن حبان في الثقات فقال يروي عن ابن إدريس ربما خالف وقال النسائي ضعيف نقله عنه أبو العرب في تأليفه ونقل الحاكم في تاريخ

---

١ في القاموس اللبطة الزكام وابن الفرزدق أخو كلطة وحبطة ١٢ شريف الدين.

٢ مسلمة – ميزان.." (٢)

"نزلة أو زكام بشر بن الوليد حدثنا محمد بن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا لا يفتح أحد على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر مجبر هو ابن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب وهو بجيم انتهى وهو بفتح الموحدة الثقيلة وأصله في الأصل عبد الرحمن وإنما قيل له المجبر لأنه وقع فتكسر فأتي به عمته حفصة فقالت هو المجبر وقال جزرة

---

(١) لباب الآداب للثعالبي الثعالبي، أبو زيد ص/٢١٤

(٢) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ١٨٥/٤

عنده المناكير عن نافع وغيره وقال أبو داود ترك حديثه وقال ابن عدي: ضعيف يكتب حديثه.
٨٥١ – "ز – محمد" بن عبد الرحمن بن عمير عن أبيه عن مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه بحديث منكر جهله الخطيب هو وأباه والمعروف محمد بن عبد الرحمن بن مجبر آخر كلام شيخنا.
٨٥٢ – "محمد" بن عبد الرحمن بن مجبر ١ بن عبد الرحمن بن معاوية بن مجبر بن ريسان عن أبيه عن مالك اتهمه أبو أحمد بن عدي قال ابن يونس ليس بثقة وقال أبو بكر الخطيب كذاب ومن حديثه عن أبيه عن مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة في٢ تركته وبه ما قضى لله على مؤمن قضاء إلا الذي هو خير وهذان باطلان قلت: روى عنه علي بن محمد البصري الواعظ وغيره انتهى والذي في كتاب بن يونس محمد بن عبد الرحمن بن مجبر بن عبد الله بن معاوية بن مجبر بن ريسان الكلاعي يكنى أبا بكر متروك الحديث وقال في ترجمة أبيه روى عنه ابنه محمد وابنه غير مأمون وقال مسلمة بن قاسم في الصلة مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكان كذابا وقال ابن عدي: يروي عن الثقات المناكير وعن أبيه عن مالك البواطيل وأخرج الدارقطني في غرائب مالك من طريق محمد بن أحمد بن عبد العزيز الحراني امام مسجد الفسطاط عنه عن أبيه عن مالك عن الزهري عن أبي سلمة عن معاوية

---

١ بجير.
٢ على.." (١)

"الجوزي عقب هذا الخبر هذا حديث موضوع بلا شك والمتهم به يحي أبو زكريا قال يحيي بن معين هو دجال هذه الأمة وقال ابن عدي كان يضع الحديث ويسرق هكذا نقل عن يحيي بن معين ولم نجد ذلك عنه ونظر في حكمه على هذا الحديث بالوضع وقد وجدت له شاهدا أخرجه البزار في مسنده عن السكن بن سعيد عن عمر بن يونس عن إسماعيل بن حماد عن مقاتل بن سليمان عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده فذكر بمعناه.
[٨٩٩] "يحيي" بن زكريا بن أبي الحواجب عن الأعمش قال الدارقطني ضعيف قلت يحتمل أن يكون الذي قبله انتهى وذكره ابن حبان في الثقات.
[٩٠٠] "يحيي" بن زهدم بن الحارث الغفاري قال ابن حبان روى عن أبيه نسخة موضوعة قلت روى عنه محمد بن عدي الأيلي وأحمد بن علي بن الأفطح وقال ابن عدي هو من أهل المغرب حدث عن أبيه وغيره وأرجو أنه لا بأس به بن الأفطح حدثنا يحيي بن زهدم عن أبيه قال حدثني أبي عن أنس رضى الله عنه مرفوعا لا تكرهوا أربعة فإنها لأربعة لا تكرهوا الرمد فإنه يقطع عرق العمى ولا تكرهوا **الزكام** فإنه يقطع عرق الجذام ولا تكرهوا السعال فإنه يقطع عرق الفالج ولا تكرهوا الدماميل فإنه يقطع عرق البرص هذا باطل انتهى وبقية كلام بن حبان من أهل مصر روى عنه أحمد بن علي بن الأفطح والبصريون عنه عن أبيه عن العرس بن عميرة نسخة موضوعة لا تصح أرجو أن يكون صدوقا قلت وكان الآفة من شيخه

---

(١) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ٢٤٦/٥

وقد تقدمت ترجمة يحيى بن الحارث الطائي عن أخيه زهدم بن الحارث الطائي وهو غير هذا الغفاري.

[٩٠١] "يحيى" بن زياد بن عبد الرحمن أبو سفيان الثقفي عن سعيد بن أبي بردة قال." (١)

"ولم يذكر أحد من الشعراء وصفا لبغل أجود من أبي عبادة البحتري قال:

واقب نهد للصواهل شطره ... يوم الفخار وللشج

وخرق يتيه على أبيه ويدعي ... عصبية لبني الضبيب وأعوج

مثل المذرع جاء بين عمومة ... في غافق وخؤوله للخزرج

طرائف في ذم البغال: المثل المضروب في ذلك ببغلة أبي دلامة، وأهل الأدب ينسبون إليه أبياتا ساقطة يصف فيها عيوب بغلته، اخترت منها:

أبعد الخيل أركبها كراما ... وبعد الفر من محضر البغال

رزقت بغيلة شوهاء فيها ... عيوبا ليس في المقال

وغني إن ركبت آذيت نفسي ... بضرب باليمين وبالشمال

برر فليس تبرح قدر شهر ... وقل لها على ذاك احتيالي

وتضرط أربعين إذا وقفنا ... على أهل المجالس والموالي

فتقطع منطقي وتحول بيني ... وبين كلامهم مما توالي

ويدبرها ظهرها من مسح كف ... ويهزل في البراقع والجلال

ويخفي لو تمر على الحشايا ... ولو تمشي على دهش الرمال

إذا استعجلتها راثت وبالت ... وقامت ساعة عند المبال

وكانت قارحا أيام كسري ... وتذكر تبعا عند النصال

وقد ولدت ونعمان صبي ... وآخر عمرها لهلاك مالي

القول في طبائع الحمال الأهلي

قال المتكلمون في طبائع الحيوان ليس في الحيوان شيء ينزو إلى غير نوعه، ويأتي فيه شبيهه إلا الحمار، وهو ينزو إذا مضى له ثلاثون شهرا، ولا يولد له قبل أن يتم ثلاث سنين ونصف، قالوا: هذا النوع صنفان صنف جاس عاس يصلح لحمل الأثقال، والآخر لدن دمث أحر وأيبس من نفس الفرس فتراه كبير الشعب، والحركة بمنزلة النار المتوقدة لا يهدأ اضطرامها، فهذا يصلح أن يرفه للركوب في قضاء الأوطار والحاجات، وأجود الحمير المصرية، وأهلها يعتنون بتربيتها والقيام عليها لما يجدون فيها من الفراهة، وسرعة الحضر، والمجابة ويتغالون في أثمانها بحسب فراهتها حتى بيع منها في بعض السنين حمار بمئة دينار، وعشرة دنانير، وكان صاحبه يسمع أذان المغرب بالقاهرة فيركبه ويسوقه ويلحقها بمصر، وبينهما ثلاثة أميال، ومن عادة الحمار أنه إذا شم رائحة الأسد رمى نفسه عليه من شدة خوفه له يريد بذلك الفرار منه.

---

(١) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ٢٥٥/٦

قال حبيب بن أوس الطائي في أبيات يخاطب بها عبد الصمد بن. . . . وقد هجاه وحيث يقول:

أقدمت ويلك من هجري علي خطر ... والعير تقدم من خوف على الأسد

وفي الحمار داء الحلاق كالخنزير، وبعض أصحاب الحديث في الطبائع ينطر ذلك ويقول الحلاق داء يصيب قضيب الحمار يقال له حلق الحمار يحلق حلقا إذا احمر قضيبه وتقشر فإن لم يخص وإلا مات وقال قطرب الحلاق في الإناث إذا أصابها ذلك، ويوصف بالهداية لأنه لا يضل عن طريق سلكه ولو لمرة واحدة، ولا يخطئه وفإن ضل راكبه الطريق هداه وحمله على الحجة، ويوصف بحدة حاسة السمع بحيث أنه ينذر راكبه بما يتوقع خوفه فيحذر منه، وإن بعد مثواه، وهذا الحيوان يحس بالبرد، ويؤذيه أكثر من غيره، ولهذا لا يوجد في بلاد موغلة في الشمال، وبلاد الصقالبة، ويعتريه مرض في الدماغ مثل الزكام يعرض له لبرد دماغه، ويسيل من منخريه بلغم حار، فإن انحط إلى الرئة مات والظريف العجيب إذا نهق أضر بالكلب حتى يقال إن نهيقه يحدث بالكلب مغصا، ولذلك يطول نباحه.

الوصف والتشبيه

وللناس في مدحه وذمه أقوال متباينة بحسب الأغراض في الحب والبغض أما المدح، قال الرقاشي لما قيل له: إنك تكثر ركوب الحمير، قال: لأنها أكثر مرفقا قيل له: وما ذلك قال: لأنها تستدل بالمكان على اختلاف الزمان، وهي اقل المراكب داء، وأيسر دواء وأسلمها صريعا وأحفظها مهوى، وأقربها مرتقى، وأقلها جماحا، واشهرها فارها، يزهي به راكبه، وقد تواضع بركوبه ويكون مقتصدا وإن أسرف في ثمنه.

وأما الذم فإن أعرابية سئلت عنه فقالت لعنه الله لا يذكي ولا يزكي إن أطلقته ولى، وإن ربطته أدلى، عظيم الحرارة بطيء في الغارة لا تقرى به الدماء، ولا تمهر به النساء ولا يحلب في الإناء وقال جرير بن عبد الحميد: لا يركب الحمار فإنه إن كان فارها أتعب يديك وإن كان بليدا أتعب رجليك.." (١)

"في العلاج. فكم لك في منهاج الطب من هاج. فاحفظ حرمتك. وإلا كسرت بقائم سيفي شوكتك. ويكفيك قول البستي فيك:

لا يغرنك أنني لين الم ... س لأني إذا انتضيت حسام

أنا كالورد فيه راحة قوم ... ثم فيه لآخرين زكام

ولكن أنا القائم لله في الدياجي على ساقي. ألساهر طول الليل في عبادة ربي فلا تطرف أحداقي. وأنا مع ذلك المعد للحروب. ألمدعو عند تزاحم الكروب. ألا ترى وسطي لا يزال مشدودا. وسيفي لا يزال مجرودا. وأنا فريد الزمان. في المحاسن والإحسان. ولهذا قال في كسرى أنوشروان: النرجس ياقوت أصفر. بين در أبيض على زمرد أخضر. وأنا المقرون في مهمات الأدواء بالصلاح. أنفع غاية النفع. من داء الثعلب والصرع. ومن الدليل على صلاحي. أن أبا نواس غفر له أثنى علي بأبيات قالها في امتداحي:

تأمل في رياض الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك

---

(١) مباهج الفكر ومناهج العبر الوطواط ص/٥٥

عيون من لجين شاخصات ... بأحداق كما الذهب السبيك

على قضيب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

ولقد أحسن ابن الرومي حيث قال. مبينا فضلي على كل حال:

أيها المحتج للور ... د بزور ومحال

ذهب النرجس بالفض ... ل فأنصف في المقال

(فقام الياسمين) وقال: آمنت برب العالمين. لقد تجبست." (١)

"يا جبس. وأكثرك رجس ننجس. وأنت قليل الحرمة. واسمك مشمول بالعجمة. وكيف تطلب الملك وأنت بعد قائم مشدود الوسط في الخدمة رأسك لا يزال منكوس. وأنت المهيج للقيء المصدع من المحرورين للروس. أصفر من غير علة. مكسو أحقر حلة. ويكفيك بعض واصفيك.

أرى النرجس الغض الزكي مشمرا ... على ساقه في خدمة الورد قائم

وقد ذل حتى لف من فوق رأسه ... عمائم فيها لليهود علائم

ولكن أنا زين الرياض. والموسوم في الوجه بالبياض. شطر الحسن كما ورد. وأنا ألطف من ورد جاورد. ونشري أعبق من نشرك صباحا وندا. فأنا أحق بالملك منك منصورا ومؤيدا. وأنا النافع من أمرض العصب الباردة. والملطف للرطوبات الجامدة. أنفع من اللقوة والشقيقة **والزكام**. ومن وجع الرأس البلغمي والسوداوي. ودهني نافع من الفالج ووجع المفاصل. ويحلل الأعضاء ويجلب العرق الفاضل. يقول لي لسان الحال: لست الهزيل مقاما ياسمين. ويشهد لسان الألثغ بأني الدر الغالي إذا قال: يا ثمين

أنا الياسمين الذي ... لطفت فنلت المنى

فريحي لمن قد نأى ... وعيني إلى من دنا

وقد شفت حضرتي ... لصبري على من جنى

(فقام البان) وأبدى غاية الغضب وأبان وقال: لقد تعديت." (٢)

"العلوم الإلهية شيئا فشيئا من صدور الرجال حتى تواردت ولم يبق منها غلا الاسم

وإن خطرت يوما على خاطر امرئ ... أقامت به الأفراح وارتحل الهم

يقول أن تجلي العزة الإلهية يبدد كل غم ويشمل القلوب بكل فرح.

ولو نظر الندمان ختم إنائها ... لأسكرهم من دونها ذلك الختم

يقول أن أثر التجلي الرباني في قلب السالكين جدير بتبديد سقامهم

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٩٣/٥

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٩٤/٥

ولو نضحوا منها قبر ميت ... لعادت إليه الروح وانتعش الجسم

ولو طرحوا في فيء حائط كرمها ... عليلا وقد أشفى لفارقه السقم

ولو قربوا من حانها مقعدا مشى ... وتنطق من ذكرى مذاقتها البكم

ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها ... وفي الغرب مزكوم لعاد له الشم

ولو خضبت من كأسها كف لامس ... لما ضل في ليل وفي يده النجم

ولو جليت سرا على أكمه غدا ... بصيرا ومن راووقها تسمع الصم

ولو أن ركبا يمموا ترب أرضها ... وفي الركب ملسوع ملا ضره المس

ولو رسم الراقي حروف اسمها على ... جبين مصاب جن أبرأه الرسم

وفوق لواء الجيش لو رقم اسمها ... لأسكر من تحت اللوا ذلك الرقم

تهذب أخلاق الندامى فيهتدي ... بها لطريق العزم من لا له عزم

ويكرم من لم يعرف الجود كفه ... ويحلم عند الغيظ من لا له حلم

ولو نال فدم القوم لثم فدامها ... لأكسبه معنى شمائلها اللثم

أراد الشاعر بهذه الأبيات صفة ما تنتجه الحضرة الإلهية في البشر وذوي العاهات من برء أسقامهم أن شملت قلوبهم الحقائق العرفانية وأن أرادوا نهج المسالك الربانية

يقولون لي صفها فأنت بوصفها ... خبير أجل عندي بأوصافها علم

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا ... ونور ولا نار وروح ولا جسم." (١)

"١٦٥٤- رماه الله بالصدام والأولق والجذام.

الصدام: داء يأخذ في رؤوس الدواب قال الجوهري: هو الصدام بالكسر، وقال الأزهري: بالضم. قلت: وهذا هو القياس، لأن الأدواء على هذه الصيغة وردت مثل الزكام والسعال والجذام والصداع والخراع وغيرها، والأولق: الجنون، وهو فوعل، لأنه يقال "رجل مؤولق" أي مجنون، قال الشاعر:

ومؤولق أنضجت كية رأسه ... فتركته ذفرا كريح الجورب

ويجوز أن يكون وزنه أفعل، لأنه يقال: ألق الرجل فهو مألوق، أي جن فهو مجنون. والجذام: داء تتقرح منه الأعضاء وتتعفن، وربما تساقط، نعوذ بالله منه ومن جميع الأدواء.

والمثل من قول كثير بن المطلب بن أبي وداعة.

قال الرياشي: كتب هشام إلى والي المدينة أن يأخذ الناس بسب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، فقال كثير:

لعن الله من يسب حسينا ... وأخاه من سوقة وإمام

ورمي الله من يسب عليا ... بصدام وأولق وجذام

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٦/١٦٠

طبت بيتا وطاب أهلك أهلا ... أهل بيت النبي والإسلام

رحمة الله والسلام عليكم ... كلما قام قائم بسلام

يأمن الطير والظباء ولا يأ ... من رهط النبي عند المقام

قال: فحبسه الوالي، وكتب إلى هشام -[٣١٠]- بما فعل، فكتب إليه هشام يأمره بإطلاقه، وأمر له بعطاء.." (١)

"٢١٨٤- أصعب من وقوف على وتد.

هذا من قول الشاعر:

ولي صاحبان على هامتي ... جلوسهما مثل حد الوتد

ثقيلان لم يعرفا خفة ... فهذا الزكام وهذا الرمد." (٢)

"-كم حكمة عند الغبي كأنها ... ريحانة في راحة المزكوم

- بسمت محاسنها لوجه كالح ... ما أضيع المرآة عند البوم

أحمد الكيواني." (٣)

"هل يقرأ القرآن في غير الصلاة؟ ويصلي ورده بالليل؟ وهل للمرأة الجنب أو الحائض أن تقرأ على ولدها الصغير؟ ومن لم يجد ترابا هل يتيمم على البساط أو الحصير إذا كان فيهما غبار؟ .

فأجاب: الحمد لله رب العالمين، من أصابته جنابة من احتلام أو جماع حلال أو حرام فعليه أن يغتسل ويصلي فإن تعذر عليه الاغتسال لعدم الماء أو لتضرره باستعماله: مثل أن يكون مريضا يزيد الاغتسال في مرضه أو يكون الهواء باردا وإن اغتسل خاف أن يمرض بصداع أو زكام أو نزلة فإنه يتيمم ويصلي. سواء كان رجلا أو امرأة وليس له أن يؤخر الصلاة عن وقتها وليس للمرأة أن تمنع زوجها من الجماع. بل له أن يجامعها فإن قدرت على الاغتسال وإلا تيممت. وكذلك الرجل إن قدر على الاغتسال وإلا تيمم وله أن يجامعها قبل دخول الحمام فإن قدرت على أن تغتسل وتصلي خارج الحمام فعلت وإن خافت أن تفوتها الصلاة استترت في الحمام وصلت ولا تفوت الصلاة والجمع بين الصلاتين بطهارة كاملة بالماء خير من أن يفرق بين الصلاتين بالتيمم كما أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - المستحاضة أن تجمع بين الصلاتين بغسل واحد وجعل ذلك خيرا من التفريق بوضوء.." (٤)

"لأهل أن يعاد صاحبه. وقيل: حبنك يؤذن بمالك، وقال بعض الأدباء: إنما يؤذن بمالك بفتح اللام أي يقتضي أن يقال أي شيء لك.

قال شاعر:

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ١/٣٠٩

(٢) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ١/٤١٤

(٣) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي أحمد قبش ٣/١٤٢

(٤) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢١/٤٥١

وبي دمل في كل يوم يزورني ... فيقلق أحشائي ويسهر مقلتي

يقول لي العواد مال وصحة ... فيا ليتهم آبوا بمالي وصحتي «١»

وقال أبو حكيمة:

أيحسدني إبليس داءين أصبحا ... برأسي ورجلي دملا وزكاما

فليتهما كانا وأزيده ... زمانة أير لا يطيق قياما «٢»

الجرب

في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا دعوى فقيل: إن البعير يجرب في القطيع فيجرب بجربه الإبل كلها، قال فمن أجرب الأول. ويسمى الجرب حبيبات الطرب. وقيل:

صاحب الجرب شاكر لأنه أبدا يقول قد ذهب، قال الصنوبري:

الشيب عندي والإفلاس والجرب ... هذا هلاك وذا شؤم وذا عطب

وقال عبدان:

ومستخبر حالتي إذ رأى ... أقض على جنبي المضجع

فقلت مجيبا له إنني ... لضري كما قال لي أسجع «٣»

إذا الليل ألبسني ثوبه ... يقلب فيه فتى موجع

الزكام

روي أنه قيل: ثلاثة لا يعدن المزكوم والرمد والجرب، وقالت عائشة رضي الله عنها: من لا يعودني في الزكام لا أبالي أن لا يعودني في مرض آخر. وقيل مؤنة أنف المزكوم أعظم من مؤنة استين. ودعا عيسى بن علي بن المقفع إلى الغداء، فقال: لست اليوم بمؤاكل للكرام لأنني مزكوم، والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الأحرار. ويقال: إن الشيطان قال ما حسدت ابن آدم إلا على شيئين الطشاءة والحقوة، أي الزكام والهيضة.

قال الوزير الرئيس الكافي الأوحد:

ونزلة كنت أحمي وجه موردها ... ففاجأتني على ضرب من الحمر." (١)

"هما ذوبان لو جمدا جميعا ... إذا صارا معا ورقا وعينا «١»

وقال الصنوبري:

ناهيك من فضة تجري على ذهب ... ماء من النور في ماء من اللهب

طيب رائحتها

قال الأخطل:

وإذا تعاورت الأكف زجاجها ... نفحت ونال رياحها المزكوم «٢»

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٥١٠/١

وقال الرفاء:

فض النديم ختامها فكأنما ... فض الختام عن العبير ففاحا

نبيذ ردي ءق أو أسود

قال الصوفي، وفي يده قدح: وشاب هذا الليل إذا عسعس، وأومأ إلى قدح صاف وقال: وذاك الصبح إذا تنفس. قال أبو تمام:

وكأن الأنامل اعتصرتها ... بعدكد من ماء وجه البخيل «٣»

وقال البحتري:

فجاء نبيذ له حامض ... يشق على الكبد المقفرة

إذا صب مسوده في الزجا ... ج كان النديم به محبره «٤»

وقال ابن المعتز:

كأن بأيدي شاربيها إذا اتكوا ... محابر وراقين قد ملئت حبرا

ودفع إلى رجل شراب غليظ، وقيل له: كيف تراه؟ فأنشد:

هو في الجوع طعام ... وهو في الظمء شراب

سقى بعضهم ضيفا له نبيذا رديئا، وقال: هذا نبيذ من عانة، فقال الضيف: بل من العانة على أربع أصابع

استيهاب الشراب للأضياف

كتب أبو تمام إلى صديق له يستوهب منه مشروبا لصديق. يزعم أنه نزل به:

جعلت فداك عبد الله عندي ... بعقب الصد منه والبعاد

فأحسن يومنا إن لم تجدنا ... مصادف دعوة منا جماد." (١)

"قال ابن بشير المدني: وفدت إلى بعض ملوك بني أمية، فمررت بقرية فإذا رجل مرنح بالشراب، قائم يبول فسألته عن الطريق فقال: أمامك. ثم لحقني فقال: انزل، فنزلت فقال: ادن وعليك الحانة، فدخلت فأحضر سفرة واستل سلة فأخرج منها رغفا ووذرا من لحم، فقال: أصب فأصبت، ثم صقاني خمرا، فإذا أبو مالك! ثم قال لي: كيف علمك بالشعر؟ قلت: قد زويت، فأنشدني قصيدته: من الكامل

صرمت حبالك زينب ورعوم

فلما انتهى إلى قوله:

حتى إذا أخذ الزجاج أكفنا ... نفحت فأدرك ريحها **المزكوم**

قال: ألست تزعم أنك تبصر الشعر؟ قلت: بلى، قال: فكيف لم تشقق بطنك فضلا عن ثوبك عند هذا البيت! قال: قلت قد فعلت عند البيت الذي سرقت هذا منه، قال: وما هو؟ قلت: بيت الأعشى: من الكامل

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٩١/١

من خمر عانة قد أتى لختامها ... حول تفض غمامة المزكوم

قال: أنت تبصر الشعر، فلما صرت إلى سليمان سمرت معه بهذا أول بدأتي.." (١)

"قال المصنف: وللأعشى في هذا المعنى بيت أبلغ من هذا في كلمة أخرى وهو: من الوافر

من اللاتي حملن على الروايا ... كريح المسك تستل الزكاما

واستلال الزكام أبلغ من فضه، لأن استلاله نزعه وإخراجه، وفضه نشره وتفريقه وكسره، كفض الخاتم، وفي فضه مع هذا إزالته وتنحيته كما يزول الختام عند فضة، فيفارق ما كان حالا فيه ولازما له؛ وفي قول الأخطل: "..فأدرك ريحها المزكوم " من البلاغة أنه إنما يقويه إدراك المشموم بحلول الزكام به وغلبته إياه، فإذا أدرك ريح الخمر التي كان الزكام حائلا بينه وبينها عند نفحتها، فإنما ذلك لزوال الزكام المانع الحائل بينه وبين إدراكها، وقد تدرك الرائحة بعد خفة الزكام وزوال بعضه وإن لم يزل بكليته، فمن هاهنا كان الفض والاستلال أبلغ وأبين في المعنى.

غيث بن علي بن عبد السلام

ابن محمد بن جعفر أبو الفرج بن أبي الحسن الصوري المعروف بابن الأرمنازي الكاتب خطيب صور، قدم دمشق وكان ثقة ثبتا.

حدث بدمشق سنة سبع وخمس مئة عن أبي القاسم رمضان بن علي بن عبد الساتر بن أحمد بن رمضان بسنده إلى أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء، وأتى المسجد ولم يلغ ولم يجهل كانت هذه كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى. والصلاة تكفر ما بينها وبين صاحبتها.

ولد أبو الفرج غيث سنة ثلاث وأربعين مئة، وتوفي سنة تسع وخمس مئة.." (٢)

"فأحسن، وما امتدح رجلا قط إلا تركه مذكورا، هذا عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة وهما من بيت واحد، هجا علقمة فأخمله وكان شريفا مذكورا، ومدح عامر بن الطفيل فرفعه.

قيل لمحمد بن مروان: من أشعر الناس؟ فقال: امرؤ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا عجب، والأعشى إذا طرب.

دخل الشعبي على الأخطل فوجده ثملا وحوله لخالخ ورياحين، فقال: يا شعبي، فعل الأخطل، وذكر أمهات الشعراء. فقال الشعبي: بماذا يا أبا مالك؟ قال: بقوله: " من الكامل "

وإذا تعاورت الأكف زجاجها ... نفحت فنال رياحها المزكوم

فقال الشعبي: أشعر منك الذي قال: " من الوافر "

من اللائي حملن على الروايا ... كريح المسك تستل الزكاما

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٢٠/٢٠

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٢١/٢٠

فقال له الأخطل: من يقول هذا؟ قال: الأعشى، قال: قدوس قدوس، فعل الأعشى، وذكر أمهات الشعراء.

قال الخطابي: تأمل أين منزلة أحدهما من الآخر؟! لم يزد الأخطل حين احتشد على أن جعل رائحتها لذكائها تنفذ حتى تخلص إلى الرأس فينالها **المزكوم**، وجعلها الأعشى لحدتها وفرط ذكائها مستلة **للزكام** طاردة له.

كان سفيان يتمثل بأبيات الأعشى: " من الطويل "." (١)

"روى في المحرم سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة، عن سليمان بن سيف، بسنده عن عثمان بن عفان، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المحرم لا ينكح ولا ينكح ".

وعنه، بسنده عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه، فإن زاد على ثلاث فهو **مزكوم**، ولا يشمت بعد ثلاث ".

إسحاق بن محمد بن إبراهيم

ابن حكيم بن أسيد أبو الحسن الأصبهاني، المعروف بابن ممك أخو أبي عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن حيك، وهو الأكبر.

سمع وأسمع.

روى عن الحسن بن عثمان، بسنده عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: " ويمنعون الماعون " قال: " ما تعاون الناس بينهم، الفأس والقدر والدلو وأشباهه ".

وعن عبد الواحد بن شعيب، بسنده عن أبي الدرداء، قال: ما دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى لحم إلا أجاب، ولا أهدي له إلا قبله.

قال أبو نعيم الحافظ: توفي في شهر رمضان، سنة اثنتي عشرة وثلاثمئة، شيخ ثبت صدوق، عارف بالحديث أديب، لا يحدث لا من كتابه؛ كتب بالشام والحجاز وبالعراق، صنف الشيوخ.." (٢)

"فتأمل قول الأم: لا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة والشفقة.

وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم «لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها» وأين تقع رحمة الوالدة من رحمة الله التي وسعت كل شيء؟

فإذا أغضبه العبد بمعصيته فقد استدعى منه صرف تلك الرحمة عنه، فإذا تاب إليه فقد استدعى منه ما هو أهله وأولى به.

فهذه نبذة يسيرة تطلعك على سر فرح الله بتوبة عبده أعظم من فرح هذا الواجد لراحلته في الأرض المهلكة، بعد اليأس منها.

ووراء هذا ما تجفو عنه العبارة، وتدق عن إدراكه الأذهان.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٥٨/٢٦

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٣١٠/٤

وإياك وطريقة التعطيل والتمثيل، فإن كلا منهما منزل ذميم، ومرتع على علاته وخيم، ولا يحل لأحدهما أن يجد روائح هذا الأمر ونفسه، لأن زكام التعطيل والتمثيل مفسد لحاسة الشم، كما هو مفسد لحاسة الذوق، فلا يذوق طعم الإيمان، ولا يجد ريحه، والمحروم كل المحروم من عرض عليه الغنى والخير فلم يقبله، فلا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

[فصل مراتب الذل والخضوع]

فصل

هذا إذا نظرت إلى تعلق الفرح الإلهي بالإحسان والجود والبر.

وأما إن لاحظت تعلقه بإلهيته وكونه معبودا فذاك مشهد أجل من هذا وأعظم منه، وإنما يشهده خواص المحبين.

فإن الله سبحانه إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لمحبته والخضوع له وطاعته، وهذا هو الحق الذي خلقت به السماوات والأرض، وهو غاية الخلق والأمر، ونفيه -كما يقول أعداؤه - هو الباطل، والعبث الذي نزه الله نفسه عنه، وهو السدى الذي نزه نفسه عنه أن يترك الإنسان عليه، وهو سبحانه يحب أن يعبد ويطاع ولا يعبأ بخلقه شيئا لولا محبتهم له، وطاعتهم له، ودعاؤهم له.." (١)

"التلبيس في هذه الدرجة راجع إلى فعل العبد، وفي الأولى إلى فعل الرب، ولهذا لما كان تسمية الدرجة الأولى تلبيسا شنيعا جدا، وطأ له بذكر قوله تعالى ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ [الأنعام: ٩] أي لا تستوحش من إطلاق ذلك على الله، فإنه قد أطلقه على نفسه، وقد عرفت ما فيه.

والمقصود: أن العبد يقوى إخلاصه لله، وصدقه ومعاملته، حتى لا يحب أن يطلع أحد من الخلق على حاله مع الله ومقامه معه، فهو يخفي أحواله غيرة عليها من أن تشوبها شائبة الأغيار، ويخفي أنفاسه خوفا عليها من المداخلة، وكان بعضهم إذا غلبه البكاء، وعجز عن دفعه قال: لا إله إلا الله، ما أمر الزكام! فالصادق إذا غلب عليه الوجد والحال، وهاج من قلبه لواعج الشوق؛ أخلد إلى السكون ما أمكنه، فإن غلب؛ أظهر ألما ووجعا؛ يستر به حاله مع الله، كما أظهر إبراهيم الخليل - صلى الله عليه وسلم - لقومه أنه سقيم، حين أراد أن يفارقهم، ويرجع بذلك الوارد وتلك الحال إلى الآلهة الباطلة، فيجعلها جذاذا.

فالصادقون يعملون في كتمان المعاني، واجتناب الدعاوي، فظواهرهم ظواهر الناس، وقلوبهم مع الحق تعالى، لا تلتفت عنه يمنة ولا يسرة، فهم في واد، والناس في واد.

فقوله: " تلبيس أهل الغيرة على الأوقات بإخفائها "، يعني: أنهم يغارون على الأوقات التي عمرت لهم بالله، وصفت لهم أن يظهروها للناس، وإن اطلع غيرهم عليها من غير قصدهم لكشفها وإظهارها؛ لم يقدح ذلك في طريقهم فلا يفزعون إلى الجحد والإنكار، وشكاية الحال، بل يسعهم الإمساك عن الإظهار والجحد.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٢٣٠

قوله: " وعلى الكرامات بكتمانها "، يعني: أنهم يغارون على كراماتهم أن يعلم بها الناس، فهم يخفونها أبدا غيرة عليها، إلا إذا كان في إظهارها مصلحة راجحة؛ من حجة أو حاجة، فلا يظهرونها إلا لحجة على مبطل، أو حاجة تقتضي إظهارها.
قوله: " والتلبيس بالمكاسب والأسباب معناه، وتعليق الظواهر بالشواهد والمكاسب تلبيس على العيون الكليلة والعقول العليلة "، يعني: أن التلبيس المذكور إنما يكون على العيون الكليلة، أي أهل الإحساس الضعيف، و " العقول العليلة " هي المنحرفة التي لا تدرك الحق لمرض بها.." (١)

"قال: ولقد رأيته يوما وقد خنقته «١» العبرة، فغمض عينيه يمنعها وقال:
ما أشد الزكام! ثم غلبته أيضا، فالتفت لما بكى وقال لعينيه: يا «٢» مرائيتان!
وقال أيوب: كان أبو الحسن يجيء إلى النهر وقد جمد من الثلج، والدواب تمر عليه، فإذا وصل إليه يريد أن يتطهر نظر «٣» إلى نقرة صغيرة، وكلما «٤» مال إليها ذهب البرد منها وثار الحر «٥» ، وليس عليه من ذلك أثر. ولقد جئت من ورائه يوما- من حيث لا يعلم- لأنظر ما يكون من أمره، فلما وصل إلى النهر هدأ جريانه، ولم أسمع له صوتا «٦» ، فتقدمت، فلما سمع حسى التفت إلي وقال: مالك ولهذا؟!
وقال فارس الجمال: أصابنى فى وجهى ورم شديد فأتيت إليه، فتفل فى وجهى «٧» ، فأصبحت وليس فى وجهى منه شىء.
وقال أيضا: كنت معه يوما فى سفر، فلحقنا عطش شديد، وأتى وقت صلاة الفرض، فجاءت سحابة وأمطرت حتى ملأت بركة، فقال لى: اشرب يا عطشان، فشربت حتى رويت، وتوضأت للصلاة.
وقال بعض أصحابه: نزلت مع أبي الحسن إلى البحر ومعى فتى من المتعبدين، فجاز أبو الحسن البحر، فلما رآه الفتى صعق وخر مغشيا عليه، فملأ أبو الحسن «فياشة» «٨» ولم يكن فيها إلا ماء البحر «٩» ، ورش على الفتى." (٢)

"الخوان، كرعت في الجفان، وأسرعت إلى الرغفان، وأمعنت في الألوان؛ وجعل هذا الفاضل يتناول الطعام بأطراف الأظفار، فلا يأكل إلا قضما، ولا ينال إلا شما، وهو مع ذلك ينطق عن كبد حرى، ويغيض عن نفس ملآى؛ فقلت: يا أبا بكر، بقيت لك منة وفيك مسكة: [البسيط]
يا قوم إني أرى الأموات قد نشروا ... والأرض تلفظ موتاكم إذا قبروا
فأخبرني يا أبا بكر: لم غشي عليك؟ فقال: لحمى الطبع وحمى الفرو؛ فقلت: أين أنت عن السجع؟ هلا قلت: حمى الطبع، وحمى الصفع.
وقال السيد أبو القاسم: أيها الأستاذ، مع الحديث فاعزل، يعنيه «١» ، فقلت:
لا تظلموه، ولا تطعموه طعاما يصير في بطنه مغصا، وفي عينه رمصا، وفي جلده برصا، وفي حلقه غصصا؛ فقال أبو بكر: هذه أسجاع كنت حفظتها، فقل كما أقوله: يصير في عينك قذى، وفي حلقك أذى، وفي صدرك شجى؛ فقلت: يا أبا

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣٧٤/٣

(٢) مرشد الزوار الى قبور الابرار زين الدين ابن الموفق ٥٧٧/١

بكر، على الألف تريد؟ خذ الآن؛ بفيك البرى، وعلى هامتك الثرى، ولا أطعمك الخرا إلا من ورا، كما ترى؛ فقالوا: أيها الأستاذ، السكوت أولى؛ ومالوا إلي وقالوا: ملكت فأسجح؛ فأبى أبو بكر أن يبقي لنفسه حمة لم يفضها، أو يدخر عنا كلمة لم يعرضها؛ فقال: والله لا تركتك من الميمات، فقلت: ما معنى الميمات؟ فقال: ما بين مهزوم ومهذوم ومهشوم ومغموم ومحموم ومرجوم؛ فقلت: وأتركك بين الميمات أيضا؛ بين الهيام والصدام والجذام والحمام والزكام والسام والبرسام والهام والسقام، وبين السينات فقد علمتنا طريقة؛ بين منحوس منخوس منكوس معكوس متعوس محسوس مغروس؛ وبين الخاءات، فقد فتحت علينا بابا؛ بين مطبوخ مشدوخ منسوخ ممسوخ مفسوخ؛ وبين." (١)

"ومنه قوله:

وأسلم البلد، وقطع زنار خندقه، وأبيح حمى حماته، واستولى الفرق على فرقه، وتطايرت الصخور في نصرة الصخرة المباركة، وحجرت على حكم السور بسفه أحجارها المتداركة، وطهرت الصخرة بمياه العيون التي ببعدها قذيت، وصقلت بالشفاه وطالما كانت بأيدي المشركين قد صدئت.

* ومن شعره قوله من قصيدة أولها «١» : [الطويل]

وأسأل عنكم عافيات دوارسا ... غدت بلسان الحال ناطقة خرسا

ومنها:

مضى أمس مني في انتظار غد لكم ... وكل غد لا شك منقلب أمسا

وقيل لنا: في الأرض سبعة أبحر ... ولسنا نرى إلا أنا ملك الخمسا

ومنه قوله «٢» : [البسيط]

ما طبت نفسا ولا استحسنت بعدكم ... شيئا نفيسا ولا استعذبت لي نفسا

وكيف يصبح أو يمسي محبكم ... وشوقكم يتولاه صباح مسا

نادمته وأخوه النجم يحسدني ... فإنني كنت أرعاه إذا خنسا

ومنها قوله يصف مقتولا:

ما زال يعطس مزكوما بغدرته ... والقتل تشميت من بالغدر قد عطسا." (٢)

"المزمنة العارضة في المفاصل، وإذا خلط البزر الذي يقال له فيديوس «١» والخل نقى البهق والكلف، وإذا خلط بالكرسنة «٢» والعسل نقى أوساخ القروح وفجر الدبيلات العسرة النضج.

ويتضمد به مع دقيق الشيلم «٣» فيخرج السلي «٤» وما أشبهه. وإذا شم نفع من وجع الرأس الكائن من البلغم والمرة السوداء، ويفتح سدد الرأس، وشمه ينفع الزكام البارد، وفيه تحليل قوي، وبصله يجفف وينقي وينضج ويسيل القيح من القروح ويجففها.

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٢/١١٢

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٢/٢٦٣

وإذا شرب منه مثقالان بعسل قيأ، ويقتل الحيات في البطن، وزهره معتدل محل، ويصدع رؤوس المحرورين إذا شم.
وأصله نافع من داء الثعلب «٥» طلاء بخل، وإذا شرب منه مثقالان بعسل أسقط الأجنة الأحياء والموتى، وإذا نقعت ثلاثة من أصوله في لبن حليب يوما وليلة، ثم أخرجت وسحقت، وطلي بها دكن العينين دون الرأس، وضمد به، أقامه وفعل معه فعلا عجيبا. وإذا دلك القضيب بأصله ساذجا زاد في غلظه كثيرا. وبزره إذا سحق وخلط بخل وطلي به أذهب الكلف والنمش والبهق.." (١)

"ويقوي الأعضاء هو وماؤه ودهنه، ويبرد أنواع اللهيب الكائنة في الرأس، ولا سيما الأحمر منه، والأبيض دون ذلك.
والورد جيد للمعدة، والكبد، يفتح السدد من الكبد الحارة، جيد للحلق إذا طبخ مع العسل وتغرغر به، ويهيج العطاس لمن كان حار الدماغ والمعدة، ويسكن الحمى ويهيج **الزكام**. والنوم عليه يقطع الباه، ويسهل إسهالا كثيرا، وهو مفتح جدا، ويسكن حركة الصفراء. ويقال إنه يقطع الثآليل كلها إذا استعمل مسحوقا. وينفع من القروح السحجة بين الأفخاذ والمغابن «١» ، وينبت اللحم في القروح العتيقة. وادعى قوم أنه يخرج الشوك والسلي مسحوقا ضمادا. وطبيخ يابسه صالح لغلظ الجفون، وهو بعطريته ملائم لجوهر الروح، وخصوصا إذا سخن مزاجه فينفعه ببرده ويمسه بقبضه. وكذلك هو نافع من الغشي والخفقان الحارين إذا تجرع ماؤه يسيرا، وهو نافع للأحشاء.
والورد ينفع القلاع والبثر في الفم. وإذا ربب الورد بالعسل جلا ما في المعدة من البلغم وأذهب العفونات من المعدة والأحشاء، وإذا ربب بالسكر فعل دون ذلك. والجلنجبين «٢» صالح للمعدة التي فيها رطوبة إذا أخذ على الريق وأجيد مضغه وشرب عليه الماء الحار، ولا ينبغي أن يأخذه من يجد حرارة والتهابا- وخاصة في القيظ- فإنه يسخن ويعطش إلا أن يكون سكريا. وإذا ضمدت العين بورقه الطري نفع من انصباب المواد إليها، وإذا." (٢)

"وينفع من اللقوة ومن الشقيقة. وإذا دق رطبا ويابسا ووضع على الكلف أذهبه، والأصفر منه محلل مسخن لكل عضو بارد، ونافع **للمزكومين**، مصدع للمحرورين. ويصلح استعمال دهنه في الشتاء، وإذا سحق زهره وشرب ثلاثة أيام من مائه كل يوم مقدار أوقية قطع نزف الأرحام، مجرب. وإذا سحق يابسا وذر على الشعر الأسود بيضه.
يبروح «١»
قال ديسقوريدوس في الرابعة: هو صنفان أحدهما يعرف بالأنثى ولونه إلى السواد، ويقال له يرنوفس أي الخنثى «٢» ، في ورقه مشاكلة لورق الخس إلا أنه أدق من ورق الخس وأصغر، وهو زهم ثقيل الرائحة، ينبسط على وجه الأرض.
وعند الورق ثمر شبيه بالغبيراء وهو اللفاح، طيب الرائحة، وفيه حب شبيه بحب الكمثرى، وله أصول صالحة العظم، اثنان أو ثلاثة، يتصل بعضها ببعض، ظاهرها أسود وباطنها أبيض وعليها قشر غليظ. وهذا الصنف من اليبروح لا يكون له ساق.
والصنف الآخر يعرف بالذكر، وهو أبيض، يقال له: موريون، وله ورق ملس كبار عراض، شبيه بورق السلق. ولونه ولفاحه

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٦٧/٢٢
(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٨٣/٢٢

ضعف لفاح الصنف الأول، ولونه يشبه لون الزعفران، طيب الرائحة مع ثقل، ويأكله الرعاة فيعرض لهم سبات يسير. وله أصل شبيه بالأول إلا أنه أكبر منه وأشد بياضا، وليس له ساق أيضا.." (١)

"**الزكام**، ويصلح الرحم الذي يتقلص ويصير «١» إلى فوق.

وقال ماسرجويه «٢» : والثياب تختلف قواها بقدر الأصل التي تصنع منه، وثياب الكتان معتدلة في الحر والبرد والرطوبة واليبس، وهي أجدى أن تستعمل في الدواء وخاصة للقروح فإنها تجففها وتنشف البلة والعرق من الجسد.

وقال عيسى بن ماسه «٣» والرازي: الكتان أبرد الملابس على البدن وأقلها لزوقا به وتعلقا، ولذلك هو أقلها احتمالا «٤» ، ومن أراد ضمار بدنه فليشعره في الشتاء الجديد الناعم، وفي الصيف الغسيل الناعم، وإن أراد استبقاه، فبالعكس، لأنه ليس يلصق بدنه جدا فيحميه، وهو أفضل لملابسة «٥» الأبدان من ثياب القطن.

وأما بزره فقال جالينوس في السابعة: بزر الكتان إن أكل وحده ولد نفخة، ولو كان مقلوا، وإذا كان ذلك فهو يمتلئ من الرطوبة الزائدة الداخلة في جنس الفضول بحسب ذلك، وهو مع هذا حار في الدرجة الأولى، وسط فيما بين الرطوبة واليبس.

وقال في كتاب أغذيته: بزر الكتان رديء للمعدة عسر الانهضام، والذي يناله البدن منه من الغذاء مقدار يسير، وليس لنا بذلك أن نمدحه ولا أن نذمه في إطلاق البطن، ويخالطه أيضا شيء يسير من القوة المدرة للبول، وإذا أكله." (٢)

"اختلاط بعضها بالبعض، بسبب حرارة قوية ونضج تام، حتى يصير مثل الدهن، وينعقد بسبب برودة حرسه «١»

.

قال: الكبريت له ألوان، فمنه الأحمر الجيد الجوهر، وليس هو بصافي اللون، ومنه الأبيض الذي هو كالغبار. فأما الأحمر فمعدنه في مغرب الشمس، لا ساكن في موضعه، بقرب بحر أقيانوس، على فراسخ؛ (فإذا أخذ من موضعه لم تر «٢» له خاصية في الحال) . وهو نافع من الصرع «٣» والسكتات والشقيقة، ويدخل في أعمال الذهب. والأبيض منه يسود الأجسام البيض، وقد يكون كامنا في العيون التي يجري منها الماء الجاري مشوبا بالماء، ويوجد لتلك المياه رائحة منتنة، فمن اغتمس في هذه المياه في أيام معتدلة الهواء، برأ من الدماميل والجراحات كلها، والأورام والجرب والسلع «٤» التي تكون من المرة «٥» السوداء، وينفع من رياح الأرحام.

وقال الشيخ الرئيس: إن الكبريت من أدوية البرص ما لم تمسه النار، وإذا خلط بصمغ البطم قلع الآثار التي على الأظفار، وبالخل على البهق، ويجلو القوباء، خصوصا مع علك البطم. وهو دواء النقرس مع النطرون والماء، (٢٠٨) ويحبس **الزكام** بخورا، وتهرب من رائحته البراغيث والحيات والعقارب، سيما مع شيء من الدهن وحافر حمار. وهو يبيض الشعر بخورا، وإذا دخن به تحت شجرة الأترج يسقط الأترج كله من الشجرة «٦» .." (٣)

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٨٥/٢٢

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٤٩/٢٢

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٦٠/٢٢

"ملصق «١» والمواضع التي يقال لها لينارا «٢» . والصنف الأول يسخن ويحلل وينضج السعال ويخرج القيح الذي في الصدر سريعا، وإذا صير في بيضة وشرب أو تدخن به نفع من الربو، وإذا تدخنت به المرأة طرح الجنين، وإذا خلط بصمغ البطم قلع الجرب والقوابي والبهق، وإذا خلط بالراتينج أبرأ لسعة العقرب، وإذا خلط بالنطرون وغسل به البدن سكن الحكة العارضة فيه. (٢١٠) وإذا أخذ منه مقدار فوجلياريوس «٣» وشرب بماء، أو بيضة حسوا، نفع من اليرقان. ويصلح الزكام والنزلة، وإذا ذر على البدن قطع العروق «٤» ، وإذا لطخ على النقرس مع النطرون والماء نفع منه، وإذا تدخن به نفع من الطرش، وقد يقطع النزيف. وإذا خلط بالعسل والخمر ولطخ على شدخ «٥» الآذان أبرأه.

وقال أرسطوطاليس: والكبريت الأحمر ينفع من داء الصرع والسكتات والشقيقة إذا أسعط به.

وقال الدمشقي: وقوة الكبريت في الحرارة واليبوسة من الدرجة الرابعة يذهب بالبرص ويجلو الكلف ويذهب بضربان الآذان.

وقال في التجربتين: الكبريت إذا خلط بأدوية قروح الرأس العتيقة جلاها وأدملها، وإذا حل في زيت قد غلي فيه إشقيل «٦» ، وغلظ «٧» بشيء من الشمع،." (١)

"الملك الكامل وتعوض عنها بعلبك والبقاع مضافا إلى بصرى، وكان قد ورد من الخليفة المستنصر محيي الدين يوسف ابن جمال الدين بن الجوزي «١» للتوفيق بين الملوك، فتسلم الملك الكامل دمشق لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى، وكان الملك الكامل شديد الحنق على شير كوه صاحب حمص فأمر العسكر فبرزوا لقصد حمص، وأرسل إلى صاحب حماة وأمره بالمسير إليها، فبرز الملك المظفر من حماة ونزل على الرستن، واشتد خوف شير كوه صاحب حمص، وتخضع للملك الكامل وأرسل نساءه إليه، ودخلن على الملك الكامل فلم يلتفت إلى ذلك، ثم بعد استمرار الملك الكامل في دمشق لم يلبث إلا [أياما] «٢» حتى مرض واشتد مرضه، وكان سببه أنه لما دخل قلعة دمشق أصابه زكام ودخل الحمام وسكب عليه ماء شديد الحرارة فاندفعت النزلة إلى معدته (٢٤٠) وتورمت منها، وحصلت له حمى فنهاه الأطباء عن القيء وخوفوه منه فلم يقبل وتقيأ فمات لوقته وعمره نحو ستين سنة، وكانت وفاته لتسع بقين من رجب من سنة خمس وثلاثين وست مئة «٣» وكان بين موته وموت أخيه الأشرف ستة أشهر، وكانت مدة ملكه لمصر من حين مات أبوه عشرين سنة، وكان نائبا بها قبل ذلك عشرين سنة فتحكم في مصر نائبا وملكا أربعين سنة، وأشبه حاله حال معاوية بن أبي سفيان أنه تحكم في الشام نائبا نحو عشرين سنة وملكا نحو عشرين سنة.." (٢)

"وإن خطرت يوما على خاطر امرئ ... أقامت به الأفراح وارتحل الهم «١»

ولو نظر الندمان ختم إنائها ... لأسكرهم من دونها ذلك الختم «٢»

ولو طرحوا في فيء حائط كرمها ... عليلا وقد أشفى، لفارقه السقم

ولو قربوا من حانها مقعدا مشى ... وينطق من ذكرى مذاقتها البكم

ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها ... وفي الغرب مزكوم لعاد له الشم

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٦٣/٢٢

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٠٥/٢٧

ولو خضبت من كأسها كف لامس ... لما ضل في ليل وفي يده النجم

ولو جليت سرا على أكمه غدا ... بصيرا ومن راووقها تسمع الصم «٣»

ولو أن ركبا يمموا ترب أرضها ... وفي الركب ملسوع لما ضره السم «٤»

ولو رسم الراقي حروف اسمها على ... جبين مصاب جن، أبرأه الرسم

تهذب أخلاق الندامى فيهتدي ... بها لطريق العزم من لا له عزم

ويكرم من لم يعرف الجود كفه ... ويحلم عند الغيظ من لا له حلم

ولو نال فدم القوم لثم مدامها ... لأكسبه معنى شمائلها اللثم

يقولون لي صفها فأنت بوصفها ... خبير، أجل، عندي بأوصافها علم

صفاء ولا ماء، ولطف ولا هوا ... ونور ولا نار، وروح ولا جسم «٥»." (١)

"الفصل: الخمسون في الاستحمام ومنافع الحمام ومضاره وكيفية استعماله منافع الحمام كثيرة وذلك لموافقتها لسائر الأمزجة من الحارة والباردة والرطبة واليابسة إذا استعملت على ما ينبغي وقد أشار جالينوس إلى ذلك بقوله أن الحمام نافع في الشتاء والصيف ولمن مزاجه حار أو بارد أو رطب أو يابس وقال أيضا: إن الحمام علاج البدن من الضدين أن أخذه حار المزاج عدله بترطيبه وأن أخذه بارد المزاج أدفأه بحرارته وهي توسع المسام وتستفرغ الفضول وتحلل الرياح وتدر البول وتحبس الطبيعة وتنظف الوسخ والعرق وتذهب الحكة والجرب والإعياء وتلين بشرة البدن وتجود الهضم وتنشط الأعضاء المتشنجة وينضج الزلات والزكام وينفع من حميات يوم ومن الدق والربع والبلغمية بعد نضجها وينفع من وجع الجنب والصدر وينضج الربو ويسمن المهزول ويهزل السمين ويرقق الدم والفضول الغلظة اللزجة بحرارته ويرطب الأبدان اليابسة الخشنة برطوبته وقد قال جالينوس أن الحمام يحلل الكيموس اللذاع ويفيد البدن والأعضاء الأصلية نداوة ورطوبة صافية كل ذلك إذا استعمل على القانون الطبي ولها أيضا مضار وهي أنها تسهل انصباب الفضول إلى الأعضاء الضعيفة وترخى الجسد وتضعف الحرارة الغزيزية والأعضاء العصبية وتسقط الشهوة وتضعف الباءة، قال وأفضل الحمام ما كان قديم البناء كثير الضواء مرتفع السقوف واسع البيوت عذب الماء طيب الرائحة وكانت حرارته بقدر كزاج الداخل إليه وكان وقوده بما ليس له كيفية ردئة وقد أحسن الذي قال: خير الحمام ما قدم بناؤه واتسع فناؤه وعذب ماؤه وقدر الأتان وقوده بحسب مزاج من أراد وروده، وقد قسم الحمام إلى ثلاث بيوت كل بيت أسخن من الذي قبله لئلا يكون الانتقال من البرد إلى الحر أو من الحر إلى البرد فجأة: فالبيت الأول مبرد مرطب والثاني مسخن مرطب والثالث مسخن مجفف وكذلك أن يكون الانتقال في بيوتها على تدرج، قال بختيشوع إياك أن تدخل الحمام أو خرج بغتة بل البث في كل بيت هنيئة واغسل رأسك بالسدر والطخه بقليل ملح وادخل الحمام كل جمعة مرة فإنك تأمن انتشار الشعر واستعمل المشط فإنه يقوى البصر ويحدث أريحة وزهوا وأخرج إلى المسلخ متدرجا ثم صب عليك ثوبا نظيفا طيب الرائحة وتجنب النساء يوما وليلة، وقال ابن جميع فأما أصحاب الأمزجة الحارة فينبغى أن يقعدوا في البيت الأول قليلا وفي الثاني دون الأول وفي الثالث دون الثاني وأصحاب

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٧٥/٨

البلغم والسوداء بالضد فإن يقصد بالحمام الترطيب أطيل المقام في الحوض ويكثر من رش الماء على أرض الحمام ليكثر البخار فيترطب الهواء وليتمرخ بالدهن ليزيد في الترطيب ويكون الخروج من الحمام قبل أن تلحقه منه مشقة مثل ضعف أو غثيان أو غشى أو شذر أو دوار أو سكتة أو صرع أو ما شابهها مثل هذه الأعراض الردئة فإن كان القصد بالحمام التجفيف أطيل المقام في البيت الحار ويقتصر على هوائه دون مائه ولاستعمال الماء البارد عقيب الحار منافع عظيمة وقال جالينوس: الاغتسال بالماء البارد عقيب الحار يقوى الأعضاء حتى القوى الجوهرية التي في الأعضاء لكن ينبغي أن لا يكون استعمال الماء البارد عقيب الحار بغتة بل بتدريج يستعمل الماء أولا ممزوجا بالبارد ثم ينتقل بعده إلى البارد ومن قصد تسمين بدنه فيدخل الحمام بعد تناوله الطعام ومن قصد تهزيله يدخل الحمام على خلو المعدة ويطيل الليث فيه ومن قصد حفظ صحته فيدخل الحمام عند آخر الهضم بحيث أنه إذا خرج منها يكون محتاجا إلى الغذاء ويجب أن يجتنب الجماع في الحمام والنوم والفصد والحجامة فإن ذلك خطرا بينا وكذلك ينبغي أن يجتنب في الحمام وبعده استعمال الأشياء الباردة بالفعل لأن المسام حينئذ تكون مفتوحة فلا يلبث يندفع البرد إلى جوهر الأعضاء الرئيسية فيفسد قواها وكذلك ينبغي اجتناب استعمال الأشياء الحارة الشديدة الحرارة بالفعل أيضا وخصوصا الماء فإن ذلك يورث السل والقوى يصلب الأعضاء ويحلل الرطوبات والمعتدل يجلب الدم إلى ظاهر الجلد وأما التمريخ بالدهن بغير ذلك فيسد المسام ويمنع ما يتحلل وبعد الماء الحار يحفظ الحرارة من التحلل ويسخن ويرطب وبعد الماء يبرد ويرطب، وقال مهذب الدين بن هبل في كتاب المختار: خير الحمام ما كان قديم البناء فإن الحمام قريب العهد بالبناء تكون حيطانه ندية فتكون أراييح صهاريجه مضرة، قال بعض الشراح لهذا." (١)

"الفصل الحمام الجديد البناء يتحلل من حيطانه رطوبات ممتزجة بجوهر الكلس والجص والقار ويتبخر بحرارة الحمام فيضر استنشاقها بالروح والنفس لأنها كيفيات رديئة خانقة يستصحب النفس ويهجم به على القلب فيغير قوام صحته بسبب ردأة الهواء الواصل به بهذه الكيفيات الرديئة الجوهر فأما إذا عتقت الحمام قبل تحليل الأبخرة الرديئة منها ومن حيطانها فيؤمن من الضرر الحاصل منها ومن الواجب أيضا أن يكون الفناء متسعا لأن أبخرة الحمام رديئة وكثيرة ومحتبسة لأنها تتحلل من أبخرة أبدان الناس ومن أنفاسهم ومن مجارى الحمام النافذة إلى فضاء الحمام فيكثر ويتراكم ويختلط بهواء الحمام فيزيده رداءة إلى رداءته المكتسبة بحرارة الحمام فإذا استنشقه الإنسان أضر بحرارته الغريزية وأنهكها بسبب خروجه لها عن الاعتدال في كمه وكيفيته أما كمه فهو كثرة الأبخرة المخالطة له وأما كيفيته فرداءات الأبخرة مع سخونة هواء الحمام فإذا كانت الحمام واسعة الفضاء تعلقت الأبخرة بأعالي الحمام وتبددت وتفرقت فتلطف الهواء المستنشق فيها فيكون أقل ضررا من الحمام الصغير ويجب أيضا أن تكون الحمام عالية البناء فإن ذلك معين على تقليل ضرر أبخرتها المستنشقة قال: وأما عذوبة مائها فلا تحتاج إلى تعليل لظهوره لن المياه إذا كانت عذبة طيبة ليس فيها شيء من الكيفيات الغريبة عدلت غالب الأمزجة وصححتها فإن كانت كيفية غريبة مثل أن تكون مالحة أو كبريتية أو نحاسية أو حديدية أو لها مرور على معادن رديئة الجوهر أو على منابت أشجار جبيثة أو على مطابخ وأجام مبنية كثيرة الحيوانات الرديئة كأنواع الدود والضفادع والحيات

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/١٤٠

وما أشبه ذلك أخرجت المزاج عن اعتداله إلى حكم هذه الكيفيات الرديئة قال الشارح ومنافع الحمام كثيرة وأعظمها منفعة هو أنها إذا كانت معتدلة الهواء والماء فإنها تفتح مسام البدن فيسهل بذلك خروج الفضل منه ويكسبه رطوبة عذبة يصير بها البدن إلى نشاط وقوة وتفريح، وقال الرئيس أبو علي الحسين بن سينا رحمه الله في كتاب سماه حفظ الصحة لم يذكر فيه سوى أحكام الأسباب الستة الضرورية لا غير وينبغي أن يكون للحمام ثلاثة بيوت بيت معتدل وهو الذي لا يحسن فيه بحر ولا برد وبيت يحس فيه بحرارة معتدلة وبيت يحس فيه بحرارة زائدة عن الثانية بشرط أن يكون النفس فيه مستقيما غير متواتر فالبيت الأول يضر كبير مضرة والثاني والثالث فلا يمكث فيهما إلا بقدر ما يتحلل من الرطوبة ما من شأنه أن يتحلل فإن طال المكث بها أكثر من المقدار المعتدل وخصوصا أن اقترن معه حركات قوية فإنه يوقع في الدق لاشتداد سخونة القلب أو الاستسقاء لتحلل الحار الغريزي فيبرد مزاج الاحشاء قال وينبغي أن يجتنب الحمام على الامتلاء من الطعام فإنه يولد سددا في الكبد والعروق لانجذاب المواد الغذائية غير منهضمة إلى ظاهر البدن فيكون ذلك سببا لحدوث أنواع الحميات العفينة والإسهال الكائن بأدوار ويجتنب فيه الأشياء الباردة مثال فقاع والماء البارد لأن فيه خطرا عظيما جدا لأن الشئ البارد السيال إذا حصل في المعدة هجم دفعة على الكبد والقلب فبرودهما وأنهك حرارتها الغريزية وأضعف الاحشاء وهيأها للاستسقاء ويجتنب فيه الجماع أيضا فإنه يسقط القوة ويوقع في أمراض خطرة واعلم أن الحمام الحار جدا يسيل الأخلاط الجامدة إلى أعماق الأعضاء فيحدث أما سددا وأما أوراما ويصعدها إلى الدماغ ويحدث أما صداعا شديدا أو برساما، والحمام البارد يحرك المادة التي تحركت بالعرق حركة ناقصة فتنجذب المواد إلى جهة سطح البدن فربما أحدثت شبيها بالورم والحكة وربما أحدث الزكام والمغص، ورش الماء البارد أو بله بعد الحمام فإنه ينعش القوة المسترخية من الكرب ومن لهيب الحميات وعند المغشى وخصوصا بماء الورد والخل وربما صحح الشهوة وآثارها ونصر أصحاب النوازل والصداع وأما سكب الماء البارد على الرجلين فأحكامه أحكام ما تقدم في الرش على الوجه والحمام النافع على سبيل الإجمال وهو الحمام المعتدل في حره وبرده الطيب الرائحة العذب الماء والتي أضواؤه كثيرة مشرقة وفناؤه واسع وفيه تصاوير بديعة الصنعة بينة الحسن مثل عاشق معشوق ومثل رياض وبساتين وطرد خيل ووحوش فإن في تصوير مثل هذه تقوية قوية بليغة لجميع قوى البدن الحيوانية والطبيعية والنفسانية وقال الحكيم بدر الدين بن مظفر." (١)

"يجري فلمع البرق في آثاره ... من كثرة الكبوات غير مفيق

ويكاد يجرى سرعة من ظله ... لو كان يرغب في فراق رفيق

القول الشائع في طبائع البغل قال أصحاب الكلام البغل حيوان مركب من الفرس والحمار ومتولد من فساد منيهما ولما كان ممتزجا بينهما صار له صلابة الحمار وعظم آلات الخيل وكذا سحيحه مولد بين نهيق الحمار وصهيل الفرس، وقال الجاحظ: الغل يخرج بين حيوانين يلدان مثلهما ويعيش نتاجهما ويبقى بقاءهما وهو لا ييش له ولد وليس بعقيم ولا يبقى للبغلة ولد وليست بعاقر وهو أطول عمرا من أبويه وأصبر على الأفعال من طرفيه كابن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال فإنه يكون نتاجهما أخبث من البغل وأفسد أعراقا من السبع وأكثر عيوبا من الثعبان وشر الطباع ما تجاذبته الأعراق المتضادة

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/١٤١

والأخلاق المتعادية والعناصر المتباعدة ويقال إن أول من أنتجها قارون وقيل أفريدون ومن أخلاقه الألف لكل دابة ويذكر بالهداية في كل طريق يسلكه مرة واحدة ويقول أصحاب الكلام في الطبائع أن أبوال إناث الأبغال تنقية لأجسادنا كما تنقى النساء بدم الطمث.

مخائل النجابة في هذا النوع: قال بعضهم إذا اشتريت بغلة فاشترها طويلة العنق تجده في نجابتها مشرقة الهادي تجده في طباعها مجفرة الجوف تجده في صدرها، والأحسن في مدحها قول عبد الرحمن بن أبي ربيعة بن الحرث بن عبد المطل جوابا لصفوان بن عمرو بن الأهتم وقد أنكر عليه ركوب البغل قال: تطأطأت عن خيلاء الخيل وارتفعت عن ذلة العير وخير الأمور أوسطها، ويقال كم في السواحج من أسحج الخدين شهير الحدين شؤمه شؤم العناق ويومه شهر لذوات الأعناق راكبه يركب أبدأ وطيا وتحسبه وهو يمر مر السحاب طيا، والإناث منها أحمد أثرا ولذلك قيل: عليك بالبغلة دون البغل فإنها جامعة للشمل مركب قاض وغمام وعالم وسيد وكهل تصلح للرحل وغير الرحل.

وساير عبد الحميد مروان بن محمد الجعدي على بغلة فقال له طالت صحبة هذه الدابة لك فقال يا أمير المؤمنين من بركة الدواب طول صحبتها، فقال صفها فقال: همها أمامها وسوطها زمامها وما ضربت قط إلا ظلما.

القول في طبائع الحمار الأهلي: قال المتكلمون في طبائع الحيوان ليس في الحيوان شيء ينزو في غير نوعه ويلقح ويأتي فيه شبهه إلا في الحمار وهو ينزو إذا مضى له ثلاثون شهرا ولا يولد له قبل أن يتم ثلاث سنين ونصف قالوا وهذا النوع صنفان: صنف عاس حاس وهو يصلح لحمل الأثقال، والآخر لدن دمث أحر وأيبس من نفس الفرس فتراه كثير الشغب والحركة بمنزلة النار المتوقدة التي لا يهدأ اضطرابها فهذا يصلح أن يرفه للركوب في قضاء الأوطار والحاجات وأجود الحمر المصرية وأهلها يعتنون بتربيتها والقيام عليها لما يجدونه من لافراهة وسرعة الحصر والنجابة ويبالغون في أثمانها بحسب فراهيتها حتى بيع منها في بعض السنين حمار بمائة دينار وعشرة دنانير فقد كان صاحبه ويسمع أذان المغرب بالقاهرة فيركب ويسوقه فبلحقها بمصر وبينهما ثلاث أميال، ومن عادة الحمار أنه إذا شم رائحة الأسد رمى بنفسه عليه من شدة خوفه له يريد بذلك الفرار منه قال حبيب بن أوس الطائي في أبيات يخاطب بها عبد الصمد بن المعدل وقد هجاه حيث يقول:

أقدمت ويلك من هجوى على خطر ... كالعير يقدم من خوف على الأسد

ويوصف بالهداية لأنه لا يضل عن طريق سلكه ولو مرة واحدة ولا يخطئه فإن ضل راكبه هذه إلى طريق وحمله على المحجة وربما غاب عن الموضع الذي كان فيه السنين العديدة فإذا مر بالزقاق الذي فيه الموضع دخله وربما سرق فتكون معرفته للموضع عونا لصاحبه على معرفة من سرقة، ويوصف بحدة حاسة السمع بحيث أنه ينذر راكبه بما يتوقع خوفه فيحذر منه وإن بعد مثواه، وهذا الحيوان يحسب البرد ويؤذيه أكثر من غيره ولهذا لا يوجد في بلاد موغلة في الشمال وبلاد الصقالبة ويعتريه داء الدماغ **كالزكام** يعرض له البرد في دماغه ويسيل من منخره بلغم كثير حار فان انحط إلى الرئة مات والطريق العجيب أنه إذا نهق أضر بالكلب حتى يقال أن أ÷ون نهيقه يحدث بالكلب مغسا فلذلك يطول نباحه: طريقتان رأيت ألا أتركهما لأنهما أعجوبتان:." (١)

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٢٤٠

"فدعاني إلى الغذاء فأبيت فقال ما حاجتك قلت أحب أن أسمع من شعرك فأنشدني

(صرمت أمامة حبلها ورعوم ...) // الكامل //

فلما انتهى إلى قوله

(وإذا تعاورت الأكف ختامها ... نفخت فنال رياحها **المزكوم**) // الكامل //

قال لي يا شعبي ناك الأخطل أمهات الشعراء بهذا البيت فقلت الأعشى في هذا أشعر منك يا أبا مالك قال وكيف قلت لأنه قال

(من خمر عانة قد أتى لختامه ... حول تسل غمامة **المزكوم**) // الكامل //

فقال وضرب بالكأس الأرض هو والمسيح أشعر مني ناك والله أمهات الشعراء إلا أنا

وحدث هشام بن القاسم الغزي وكان علامة بأمر الأعشى أنه وفد." [١]

"أقل: من الإقالة من العثرة، والعفو عن الزلل. أنل: من الإنالة، وهو إسداء العطية. أقطع من الإقطاع. أحمل: من حملته على فرسي، ومنه قوله تعالى: " ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ". عل: من إعلاء المحل. يقال: عليت منزلته، وأعليتها. سل: من تسلية الهموم أعد: من الإعادة إلى العادة الأولى. زد: من الزيادة. وهش بش من الهشاشة، والبشاشة، وهما: التهلل، واللقاء بالبشر، والطلاقة. تفضل: من تفضل فلان على صاحبه. أدن: من الإدناء وهو التقريب. وسر: من سررته أسره. صل: من الصلة وهي العطية، أو من المواصلة وهي المقاربة.

ومعنى هذه الكلمات: إما دعاء لسيف الدولة. أي لا زلت أبدا تقيل عثرة من يبغي من أصحابك وتنيل أولياءك وتقطعهم ضياعك، وتحملهم على خيلك إلى آخر البيت.

وإما للسؤال والطلب، فالمعنى: أقلني من عثرتي، وأنلني من فضلك، وأقطعني ضيعة من ضياعك، واحملني على فرس من خيلك، وعل منزلتي عندك، وسل ما حصل في قلبك من غش، أو سل ما في قلبي من الهم بإعراضك عني، وأعدني ما كنت عليه من المنزلة، وسرني إلى الإجابة إلى ما سألتك وقيل سر قلبي برضاء عني، وصلني بصلة من صلاتك، أو صل ما بيني وبينك.

ويحكى أن سيف الدولة وقع بخطه تحت أقل أقلناك. وتحت أنل يحمل إليه كذا وكذا ألف درهم، وتحت أقطع أقطعناك الضيعة الفلانية بباب حلب، وتحت أحمل يقاد إليه فرس مركب وتحت عل قد فعلنا وتحت سل قد فعلنا فاسأل، وتحت أعد أعدناك إلى حالك من حسن رأينان وتحد زد يزاد كذا وكذا، وتحت تفضل قد فعلنا، وتحت أدن قد أدنيناك وتحت سر قد سررناك.

فقال أبو الطيب: إنما قلت هب سرية لي فأمر بجارية له، وتحت سل قد فعلنا.

ويحكى أن المعقلي وكان شيخا ظريفا قال لسيف الدولة: قد فعلت به كل شيء سألك، فهلا قلت: لما قال: هش بش هئ هئ: يحكى الضحك، فضحك سيف الدولة وقال: اذهب يا ملعون.

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ١/٢٠٠

لعل عتبك محمود عواقبه ... فربما صحت الأجسام بالعلل

يقول: لعلي أتأدب بعد عتبك علي، ثم بعد عفوك عني هذه الكرة، فيكون عتبك علي تهذيبا لأدبي، ويؤدي إلى العاقبة المحمودة، كما أن بعض العلل يكون محمود العاقبة، لما يؤمن معه من الأمراض، **كالزكام**، فإنه يؤمن معه من أدواء كثيرة من أدواء الرأس، ويعقبه الصحة. كالفتور الذي ينال شارب الدواء ثم يتعقبه صحة كثيرة وكضرب المؤدب للغلام.

قال ابن جني: وهذا من الكلام الذي يقضي بفضله كل من فهمه.

وما سمعت ... ولا غيري بمقتدر أذب منك لزور القول عن رجل

عن رجل: عني به نفسه، كأنه كان قد كذب عليه بعض حاسديه عند سيف الدولة، ولم يقبل قوله، ولكنه عاتبه على ذلك من غير علم هذا الحاسد. فقال: لم أسمع أنا ولا غيري بملك يقتدر على الانتقام. أذب منك لزور القول عن رجل سعى إليك بزور القول.

لأن حلمك حلم لا تكلفه ... ليس التحكل في العينين كالكحل

الكحل: أن تكون أشفار العين سودا خلقة. والتكحل: استعمال الكحل.

يقول: إنما توقف على أمر من يسعى عندك، لن حلمك في طباعك غير متكلف، فلا يتغير بسعاية ساع، كما يتغير الحكم التكلفي. فحلمك ثابت لا يزول، كما أن الحكل في العين إذا كان خلقة لا يزول ولا يحول، وحلم غيرك من الملوك متكلف سريع الانتقال، كما أن التكحل لا دوام له.

وما ثناك كلام الناس عن كرم ... ومن يسد طريق العارض الهطل؟!

ما ثناك: ما صرفك. والهطل: المتتابع، وروى: ومن يرد ومن يسد شبه كرمه بالعارض الهطل فقال: فكما أن أحدا لا يمكنه سد طريق العارض الهطل، كذلك لا يمكن أحد أن يمنعك من استعمال الكرم.

أنت الجواد بلا من ولا كدر ... ولا مطال وى وعد ولا مذل

المذل: الضجر من الشيء.

يقول: أنت الجواد الذي لا يمن بعطائه، ولا يكدر معروفه بالمن وغيره، وليس في عطائه مطل ولا مدافعة ولا وعد، بل يعطى العطية ابتداء، ولا يضجر من جوده ولا يندم.

وقيل: معناه أن يجود بالتثبت والسكون، لا بالطيش والخفة.

أنت الشجاع إذا ما لم يطأ فارس ... غير السنوز والأشلاء والقلل

السنور: قيل: جميع السلاح، وقيل: ما يلبس من السلاح، كالدروع ونحوها، والأشلاء: جمع شلو، وهو جسد المقتول. والقلل: الرءوس." (١)

"ما زلت مذ كنت مسموم السهام وما ... قصرت عن غرة القرطاس في الهدف

إني أعيذك بي من مجتنى غضبي ... كما أعوذ بود منك مؤتنف

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٢٨٤

لي منك في كل من أحببته خلف ... وليس مني لو استخلفت من خلف

حدث أحمد بن أبي طاهر قال: لما قدم أبو هفان من البصرة اشتملنا عليه فلم يكن يفارقنا، وكنا إذا تمازحنا ذهب بنفسه وقال: أنا لا أمزح باليدين ولا الوالدين، فغاظنا ذلك منه، وكنا نجله لمكانه من الأدب والرواية، فلما كثر ذلك علينا من قوله شربنا معه يوما حتى عمل فينا النبيذ وفيه، وكنا نتهيب الإقدام عليه، فلم نزل حتى صفعناه وصافعنا وترك ما كان عليه.

ومن شعر أبي هفان في إبراهيم بن المدبر «١» :

يا ابن المدبر أنت علمت الورى ... بذل النوال وهم به بخلاء

لو كان مثلك في البرية آخر ... في الجود لم يك بينهم فقراء

ومن شعره من أبيات:

ألا يا عاشق الظبيات جهلا ... أترضى أن تكون أبا السفول «٢»

أترضى للهوى من ليس يرضى ... على ضيق الهوى ألفي خليل

ومن شعره «٣» :

لعمري لئن بيعت في دار غربة ... ثيابي لما أعوزتني المآكل

فما أنا إلا السيف يأكل جفنه ... له حلية من نفسه وهو عاطل

وله:

ومغن يورث الندمان ... بالبرد زكاما

لو تغنى في حريق ... صار بردا وسلاما

وجدت «٤» في بعض الكتب أن دعبل بن علي الخزاعي دعا أبا هفان في دعوة أطعمه ألوانا كثيرة من الحبوب، وسقاه نبيذا حلوا، وغمز الجواري أن لا يدللنه على." (١)

"عصيما: الوافر:-: ٢٢٧٧

تعمى: الوافر: روح المؤدب: ١٣١٢

الجسيمة: الوافر: البارع الزوزني: ٦٣٢

دما: الكامل: علي بن همام: ٣٠٤

ارقما: الكامل: أبو علي المنطقي: ٢٠٣٩

اينما: الكامل: عياض بن وزر: ٢١٣٤

سما: الكامل: ابن زيادة: ٢٨١٧

ناظما: الكامل: ابن هندو: ١٧٢٤

ناعما: الكامل: أبو عبد الله ابن بلبل: ٢٥٦٩

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١٤٨٨/٤

معلوما: الكامل:-: ٥٦٦

أتعلما: الكامل: الطغرائي: ١١١٥

حراما: الكامل: يعقوب بن الربيع: ٢٨٤٣

الغما: الكامل: الجوهري: ٦٥٩

اسراهما: الكامل:-: ١٨٨٦

وغيهما: الكامل: أبو الفضائل الأخسيكثي: ٥١٤

ونظامه: الكامل: ابن طباطبا أبو الحسن: ٢٣١٥

خيامه: مجزوء الكامل: بديع الزمان: ٢٤٢

فهما: مجزوء الكامل: ابن قادوس: ٤٠٢

ألمى: مجزوء الكامل: المظفر بن ابراهيم: ٢٧٠٠

أخاكما: مجزوء الكامل: أبو فراس: ١٩٥٥

القوام (ما) : مجزوء الكامل: البلطي: ١٦١٨

وشما: مجزوء الرمل: أبو القاسم الدينوري: ١٥٣٨

وسمى: مجزوء الرمل: أبو سهل القطان: ٢٣٣٠

زكاما: مجزوء الرمل: أبو هفان: ١٤٨٨

يعمى: السريع: ابن لنكك: ١٨٤

يدمى: السريع: ابن خيران: ٣٨١

الانجما: السريع: ابن الحجاج: ١٠٤٦

ناظما: السريع:-: ١٨

قادمه: السريع: يحيى بن علي المهلبي: ٢٣١٥

سمسمه: السريع: الحريري: ١٦١٦

محلمه: السريع: البلطي: ١٦١٦

ملاءمه: السريع: ابن المنقبة: ٢٢٠٨." (١)

"وطلب الهرمزان الأمان فأبى أبو موسى أن يعطيه ذلك إلا على حكم عمر، رضي الله عنه، فنزل على ذلك، فقتل أبو موسى من كان في القلعة جهرا ممن لا أمان له وحمل الهرمزان إلى عمر فاستحياه إلى أن قتله عبيد الله بن عمر، إذ اتهمه بموافقة أبي لؤلؤة على قتل أبيه وينسب إلى تستر جماعة، منهم:

سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله التستري شيخ الصوفية، صحب ذا النون المصري، وكانت له كرامات،

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٣٠٦٥/٧

وسكن البصرة، ومات سنة ٢٨٣ وقيل سنة ٢٧٣ وأما أحمد بن عيسى بن حسان أبو عبد الله المصري يعرف بالتستري، قيل إنه كان يتجر في الثياب التسترية، وقيل كان يسافر إلى تستر، حدث عن مفضل بن فضالة المصري ورشيد بن سعيد المهري، روى عنه مسلم بن الحجاج النيسابوري وإبراهيم الحربي وابن أبي الدنيا وعبد الله بن محمد البغوي، وسمع يحيى بن معين يحلف بالله الذي لا إله إلا هو أنه كذاب، وذكره أبو عبد الرحمن النسائي في شيوخه وقال: لا بأس به، ومات بسامرا سنة ٢٤٣.

التستريون:

جمع نسبة الذي قبله: محلة كانت ببغداد في الجانب الغربي بين دجلة وباب البصرة عن ابن نقطة، يسكنها أهل تستر، وتعمل بها الثياب التسترية ينسب إليها أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر الحريري التستري المقري، سمع أبا طالب العشاري وأبا إسحاق البرمكي وغيرهما، وانفرد بالرواية عن ابن شيخ الحروري، روى عنه خلق كثير، آخرهم أبو اليمن الكندي، مولده سنة ٤٣٥ وشجاع بن علي الملاح التستري، حدث عن أبي القاسم الحريري، سمع منه محمد بن مشق وعبد الرزاق بن أحمد بن محمد البقال التستري، كان ورعا صالحا، توفي في شهر رمضان سنة ٤٦٨ حدثا وبركة بن نزار بن عبد الواحد أبو الحسين التستري، حدث عن أبي القاسم الحريري وغيره، وتوفي سنة ٦٠٠ وأخوه عبد الواحد بن نزار أبو نزار، حدث عن عمر بن عبد الله الحربي وأبي الحسن علي بن محمد ابن أبي عمر البزاز بالمجلس الأول من أمالي طراد، سمع منه الإمام الحافظ ابن نقطة وذكر ذلك من شجاع إلى هنا.

التسرير:

بالفتح ثم السكون، وكسر الراء، وياء ساكنة، وراء قال أبو زياد الكلابي: التسرير ذو بحار، وأسفله حيث انتهت سيوله سمي السر قال: وقال أعرابي طاح في بعض القرى لمرض أصابه فسأله من يأتيه أي شيء تشتهي؟ فقال:

إذا يقولون: ما يشفيك؟ قلت لهم: ... دخان رمث من التسرير يشفيني

مما يضم إلى عمران حاطبه ... من الجنينة، جزلا غير موزون

الرمث: وقود وحطب حار ودخانه ينفع من **الزكام** وقال أبو زياد في موضع آخر: ذو بحار واد يصب أعلاه في بلاد بني كلاب ثم يسلك نحو مهب الصبا ويسلك بين الشريف شريف بني نمير وبين جبلة في بلاد بني تميم حتى ينتهي إلى مكان يقال له التسرير من بلاد عكل، قال: وفي التسرير أثناء، وهي المعاطف، فيه منها ثني لغني بن أعصر وثني نمير بن عامر، وفيه ماء يقال له الغريفة وجبل يقال له الغريف، وثني لبني ضبة لهم فيه مياه ودار واسعة، ثم سائر التسرير إلى أن ينتهي في بلاد تميم قال الراعي:

حي الديار، ديار أم بشير، ... بنو يعتين فشاطئ التسرير." (١)

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٣١/٢

"أخذت خيار ابني طفيل فأجهضت أخاه وقد كادت تنال مقاتله

وقال نصر: صلعاء النعام رابية في ديار بني كلاب وأيضا في ديار غطفان حيث ذات الرمث بين النقرة والمغيثة والجبل إلى جانب المغيثة يقال له ماوان والأرض الصلعاء، وقال أبو محمد الأسود: أغار دريد بن الصمة على أشجع بالصلعاء وهي بين حاجر والنقرة فلم يصبهم، فقال دريد قصيدة منها:

قتلت بعبد الله خير لداته ... ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

وعبسا قتلناهم بجو بلادهم ... بمقتل عبد الله يوم الذنائب

جعلنا بني بدر وشخصا ومازنا ... لها غرضا يزحمنهم بالمناكب

ومرة قد أدركتهم فرأيتهم ... يروغون بالصلعاء روغ الثعالب

صلفيون:

بالفتح ثم السكون، والفاء، والياء المشددة للنسبة، وآخره نون، وما أراه إلا أعجميا: بلد ذكره الجاحظ.

صلوب:

فعول من الصلب: مكان.

الصليب:

بلفظ تصغير الصلب، وقد تقدم اشتقاقه:

جبل عند كاظمة كانت به وقعة بين بكر بن وائل وبني عمرو بن تميم، قال المخبل السعدي:

غرد تربع في ربيع ذي ندى ... بين الصليب فروضة الأحفار

وقال الأعشى:

وإنا بالصليب وبطن فلج ... جميعا واضعين به لظانا

الصليبة:

ماء من مياه قشير.

الصليعاء:

تصغير صلعاء، وقد مر تفسيره: موضع كانت به وقعة لهم.

الصليق:

مواضع كانت في بطيحة واسط بينها وبين بغداد كانت دار ملك مهذب الدولة أبي نصر المستولي على تلك البلاد وقبله

لعمران بن شاهين، وقد خربت الآن، وكانت ملجأ لكل خائف ومأوى لكل مطرود إذا هرب الخائف من بغداد، وهي دار ملك بني العباس وآل بويه والسلجوقية، لجأ إلى صاحبها فلا سبيل إليه بوجه ولا سبب ولا يمكن استخلاصه بالغلبة أبدا، وقد نسب إليه أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الله بن قاذويه البزاز يعرف بابن العجمي، قدم بغداد وأقام بها، وسمع أبا جعفر محمد بن أحمد بن مسلمة المعدل وأبا الحسين أحمد بن محمد بن البقور وغيرهما، وجد بخط أبي الفضل بن العجمي: ومولدي سنة ٤٣١ بالصليق، ومات بواسط في ثاني عشر صفر سنة ٥١١ ودفن بتربة المصلى بواسط.

الصلي:

ناحية قرب زبيد باليمن، قال شاعرهم:

فعجت عناني للحصيب وأهله ... ومور ويممت الصلي وسرددا

باب الصاد والميم وما يليهما

صماخ:

بكسر الصاد: من نواحي اليمامة أو نجد، عن الحفصي، قال: وهو جبل وقريب منه قرية يقال لها خليف صماخ.

الصماخ:

بالضم، وآخره خاء معجمة، يجوز أن يكون مشتقا من وجع يكون في الصماخ وهو خرق الأذن لأنه على وزن الأدواء كالسعال **والزكام** والحلاق والشخاخ: وهو ماء على منزل واحد من واسط." (١)

"سائل الدعاء له فقال لا جعل الله لك حاجة عند بر ولا فاجر حتى تشكره عليها من دون الله عز وجل

١٣٧٢ - ناجي هذا كان كهلا من أهل الخير مالكي المذهب ولد بطرابلس ثم سكن الإسكندرية وكان محبا لأهل العلم والسنة ويحضر عندي كثيرا لسماع الحديث رحمه الله

١٣٧٣ - أنشدني أبو الحسن نجيب بن سلمان بن الحسن الواعظ البصري بالبصرة ولم يسم لي قائله وذكر أنه سمع الحديث على ابن شعبة وعلى المناديلي وأقرانهما من شيوخ البصرة وأن كتبه كلها ذهبت في النهب قال ومولدي سنة أربع وخمسين وأربعمائة

(ولي صاحبان على هامتي ... جلوسهما مثل حد الوتد)

(ثقيلان لن يعرفا خفة ... فهذا **الزكام** وهذا الرمد) // المتقارب //

١٣٧٤ - أنشدني أبو الحسن نفيس بن عبد الخالق بن محمد الهاشمي القشبي المقرئ بالإسكندرية بعد رجوعه من الحجاز وتوجهه إلى الأندلس وقشب حصن من نظر سرقسطة قال أنشدني أبو حفص القرطبي بالأندلس ولم يسم قائله

(أفوض إن أراد الله أمرا ... وأترك ما أريد لما يريد)

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٤٢٢/٣

(وما لإرادتي معنى إذا ما ... أراد الله بي ما لا أريد) // الوافر //

١٣٧٥ - نفيس هذا رجل دين من أهل القرآن والمعرفة بالقراءات وقد قرأ بالأندلس والحجاز على شيوخ وسمع الحديث وقرأ علي رسالة ابن أبي زيد وغيرها بعد رجوعه من مكة وتوجهه إلى الأندلس وكان قد جاور بمكة مدة.." (١)

"وفي ليلة الثلاثاء سادس عشره عقد جلال الدين محمد بن علاء الدين البصروي، عقد ولديه محمود وأحمد، على ابنتي محمد بن عبد الله الطواقي، من أهل محلة مسجد الطالع، وأولم على ذلك، وحضر النائب والقضاة، وقرأ له الشمسي بن المبيض الواعظ، مولدا.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشريه تجهز النائب وسافر، ومكث على جسر زينون، وقد تواترت الأخبار بمجيء الدوادار الكبير بمصر، طومان باي، من مصر، ثم تبين أن النائب إنما سافر ليقبض على نائب بيروت، فهرب في البحر.

وفي هذه الأيام طلب القاضي الشافعي من شهاب الدين الرملي، ألف درهم، فتقاعد، ثم أكد عليه، فأتى بخمسمائة، ثم طلب خطه بذلك، فاغتاظ، فعزله، وولي نيابة الإمامة بالأموي لتقي الدين القاري، وقد وعده فيها بمبلغ كبير.

وفيها ورد المرسوم الشريف بإعادة الحجوبية الكبرى لصنطباي، بعد أن وليت لغيره، وأتى متسلمه وحكم؛ وقد كان ملك الأمراء بجسر زينون، فسافر الساعي إليه بالمرسوم ليعلم ذلك.

وفيها كثرت علة الزكام في الناس، وفي بعضهم بزيادة سعال. - وفي يوم الجمعة خامس عشريه، بعد صلاتها بالأموي، نادى مناد على السدة بالصلاة غائبة على قاضي القضاة عبد البر بن الشحنة الحنفي، فصلينا عليه تقليدا للشافعي، ولم يثن الناس عليه خيرا، ولا قوة إلا بالله.

وفي يوم الأربعاء ثاني رمضان منها، رجع النائب إلى دمشق، بعد أن قبض على جماعة من أكابر بيروت، لهروب نائبها منه. - وفي ليلة يوم الاثنين سابعه توفي فجأة السيد عمر البوصيني ثم المزي ثم الدمشقي الحبال، بحانوته بباب الجابية، الساكن بزقاق ابن العلاف بميدان الحصى، في بيت الصالح محمد القلم، الذي أيد له شيخه ومحبه تقي الدين الحصني البوصيني بالعلم بالعين، ثم وقفها قبل موته على ولده العالم الصالح عمر الموله، ثم على ذريته على زاوية شيخ الإسلام تقي الدين الحصني بالشاغور جوار المزار؛ وهذا الرجل المتوفى من أقارب الشيخ تقي الدين المذكور، فأسكن بها إلى أن توفي ليلتئذ، وغسل وكفن وحمل وصلي عليه بباب هذه الزاوية، التي أحدثها المحب ابن أخي الشيخ تقي الدين الحصني، ثم حمل." (٢)

"٨٥- (موعظة)

الإخلاص مسك مصون في القلب ينبه ريحه على حامله، العمل صورة والإخلاص روح، إذا لم تخلص العمل لله وحده فلا تتعب، لو قطعت المنازل لم تكن حاجا إلا بشهود الوقوف بالموقف، ولا تغتر بصورة الطاعات.

كان أيوب السختياني إذا تحدث فرق قلبه وجاء الدمع قال ما أشد الزكام.

وكان إبراهيم بن أدهم إذا مرض يجعل عند رأسه ما يأكل الأصحاء كيلا يتشبه بالشاكين.

---

(١) معجم السفر أبو طاهر السِّلَفي ص/٤٠٥

(٢) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٣١٣

وكان ابن أبي ليلى يصلي فإذا أحس بداخل نام على فراشه.

وكان النخعي يقرأ في المصحف فإذا دخل عليه أحد غطاه.

وكان الواحد من السلف تأتيه العبرة والخشوع فيقوم خشية أن يفطن له.

وكان بعضهم يصلي ويبكي وإذا جاءه زائر غسل وجهه عن الدموع لئلا يتنبه له.

كل هذا من الإخلاص بلغ يا أخي معشر المرائين الذين إذا ساهموا في مشروع ديني نشروا أسماءهم في الجرائد والمجلات والإذاعات والذين يعددون كم حجوا من سنة وهم ما سئلوا ويقولون نحن نعتمر كل سنة وأهلنا وأولادنا ويجلس بالحرم ويهمل عائلته ولا يحافظ عليهم ولا يدري أين يذهبون في الليل والنهار وربما حصل له بسببهم إثم عظيم لأن سيئة الحرم عظيمة ليست كغيرها.." (١)

"المواضع فعند ذلك ينتهي منتهاه فإذا زال القمر من مغرب ذلك الموضع ابتدأ المد من تحت الأرض ولا يزال زائدا إلى أن يصل القمر إلى وتد الأرض فحينئذ ينتهي المد منتهاهمنتهاه ثم يبتديء الجزر ثانيا ويرجع الماء كما كان وسكان البحر كلما رأوا في البحر انتفاخا وهيجان رياح عاصفة وأمواج شديدة علموا أنه ابتدأ المد فإذا ذهب الانتفاخ وقلت الأمواج والرياح علموا أنه وقت الجزر وأما أصحاب الشطوط والسواحل فانهم يجدون عندهم في وقت المد للماء حركة من أسفله إلى أعلاه فإذا رجع الماء ونزل فذلك وقت الجزر وكذلك أيام بحرانات الأمراض بحسب زيادة القمر ونقصانه منطبقة عليها وكذلك الأخلاط التي في بدن الإنسان مادام القمر آخذا في الزيادة فإنها تكون أزيد ويكون ظاهر البدن أكثر رطوبة وحسنا فإذا نقص ضوء القمر صارت الأخلاط في غور البدن والعروق وأزداد ظاهر البدن يبسا وكذلك ألبان الحيوانات تتزايد من أول الشهر إلى نصفه فإذا أخذ القمر في النقصان نقصت غزارتها وكذلك أدمغة الحيوانات في أول الشهر أزيد منها في نصفه الأخير وإن حدث في أجواف الطيور بيض في النصف الأول من الشهر كان بياضه أكثر من بياض الحادث في نصفه الثاني وكذلك الإنسان إذا نام أو قعد في ضوء القمر حدث في بدنه الاسترخاء والكسل وهاج عليه الزكام والصداع وإذا وضعت لحوم الحيوانات مكشوفة تحت ضوء القمر تغيرت طعومها وتعفنت وكذلك السمك في البحار والآجام الجارية توجد من أول الشهر إلى وقت الامتلاء أكثر وخروجها من قعور البحار والآجام أظهر ومن بعد الامتلاء إلى الاجتماع فإنها تدخل قعور البحار والآجام الذي يظهر من سمين السمك فالنصف الأول أكثر من الذي يظهر في الثاني منه وكذلك حرشة الأرض يكون خروجها من إجحرتها في النصف الأول من الشهر أكثر من خروجها في النصف الثاني وأصحاب الغراس يزعمون أن الأشجار والغروس إذا غرست والقمر زائد الضوء كان نشؤها وكمالها وإسراعها في النبات أحمد من التي تغرس في محاقة وذهاب نوره وكذلك تكون الرياحين والبقول والأعشاب من الاجتماع إلى الامتلاء أزيد نشوا وأكثر نموا وفي النصف الثاني بالضد من ذلك وكذلك القثاء والقرع والخيار والبطيخ ينمو نموا بالغا عند ازدياد الضوء وأما في وسط الشهر عند حصول الإمتلاء فهناك يعظم النمو حتى يظهر التفاوت للحس في الليلة الواحدة وكذلك الينابيع تزداد في النصف الأول من الشهر وتنقص في النصف الثاني إلى غير ذلك من الوجوه التي تؤثر فيها الشمس والقمر في هذا العالم فنحن لم ندفعكم

---

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ٢٧/٢

عن هذه التأثيرات وإضعافها إنما الذي أنكره عليكم العقلاء من أهل الملل وغيرهم أن جملة الحوادث في هذا العالم خيرها وشرها وصلاحها وفسادها وجميع أشخاصه وأنواعه وصوره وقواه ومدد بقاء أشخاصه وجميع أحوالها العارضة لها وتكون الجنين ومدة لبثه في بطن أمه وخروجه إلى الدنيا." (١)

"الجاهلية كانوا يعتقدون فيه أنه داء ويكره أحدهم أن يعطس ويود أنه لم يصدر منه لما في ذلك من الشؤم وكان العاطس يحبس نفسه عن العطاس ويمتنع من ذلك جهده من سوء اعتقاد جهالهم فيه ولذلك والله أعلم بنوا لفظه على بناء الأدواء كالزكام والسعال والدوار والسهام وغيرها فاعلموا أنه ليس بداء ولكنه أمر يحبه الله وهو نعمة منه يستوجب عليها من عبده أن يحمده عليها وفي الحديث المرفوع أن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب والعطاس ريح مختنقة تخرج وتفتح السد من الكبد وهو دليل جيد للمريض مؤذن بانفراج بعض علته وفي بعض الأمراض يستعمل ما يعطس العليل ويجعل نوعا من العلاج ومعينا عليه هذا قدر زائد على ما أحبه الشارع من ذلك وأمر بحمد الله عليه وبالدعاء لمن صدر منه وحمد الله عليه ولهذا فالله أعلم يقال شمته إذا قال له يرحمك الله وسمته بالمعجمة والمهملة وبهما روى الحديث فأما التسميت بالمهملة فهو تفعيل من السمت الذي يراد به حسن الهيئة والوقار فيقال لفلان سمت حسن فمعنى سمت العاطس وقرته وأكرمته وتأدبت معه بأدب الله ورسوله في الدعاء له لا بأخلاق أهل الجاهلية من الدعاء عليه والتطير به والتشاؤم منه وقيل سمته دعا له أن يعيده الله إلى سمته قبل العطاس من السكون والوقار وطمأنينه الأعضاء فإن في العطاس من انزعاج الأعضاء واضطر ابها ما يخرج العاطس عن سمته فإذا قال له السامع يرحمك الله فقد دعا له أن يعيده إلى سمته وهيئته وأما التشميت بالمعجمة فقالت طائفة منهم ابن السكيت وغيره أنه بمعنى التسميت وأنهما لغتان ذكر ذلك في كتاب القلب والإبدال ولم يذكر أيهما الأصل ولا أيهما البدل وقال أبو علي الفارسي المهملة هي الأصل في الكلمة والمعجمة بدل واحتج بأن العاطس إذا عطس انتفش وتغير شكل وجهه فإذا دعا له فكأنه أعاده إلى سمته وهيأته وقال تلميذه ابن جنى لو جعل جاعل الشين المعجمة أصلا وأخذه من الشوامت وهي القوائم لكان وجها صحيحا وذلك أن القوائم هي التي تحمل الفرس ونحوه وبهما عصمته وهي قوامه فكأنه إذا دعا له فقد أنهضه وثبت امره وأحكم دعائمه وأنشد للنابغة

طوع الشامت من خوف ومن صرد ... وقالت طائفة منهم ابن الأعرابي يقال مرضت العليل أي قمت عليه ليزول مرضه ومثله قذيت عينه أزلت قذاها فكأنه لما دعا له بالرحمة قد قصد إزالة الشماته عنه وينشد في ذلك:

ما كان ضر الممرضي بجفونه ... لو كان مرض منعما من أمرضا

وإلى هذا ذهب ثعلب

والمقصود أن التطير من العطاس من فعل الجاهلية الذي أبطله الإسلام وأخبر النبي أن الله يحب العطاس كما في صحيح البخاري حديث أبي هريره عن النبي قال إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فإذا تثاءب أحدكم فليستره ما استطاع فإنه إذا فتح فاه فقال آه آه ضحك منه الشيطان." (٢)

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ١٦٥/٢

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ٢٦٣/٢

"الدرجة في الجنة لا يبلغها بشيء من عمله. (قوله: الحمر الضالة) أراد به حمر الوحش وقال صلى الله عليه وسلم: ان الله ليكفر عن المؤمن خطاياه كلها بحمى ليلة، وقال صلى الله عليه وسلم: الشهداء خمسة:
المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله وقال: لا تكرهوا أربعة فإنها لاربعة، لا تكرهوا الرمد فإنه يقطع عروق العمى، ولا تكرهوا الزكام فإنه يقطع عروق الجذام، ولا تكرهوا السعال فإنه يقطع عروق الفالج، ولا تكرهوا الدماميل فإنه يقطع عروق البرص وقيل لابي ذر: إنا نحب أن نصح ولا نمرض فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الصداع والمليلة لا يزالان بالمؤمن وإن كان ذنبه مثل أحد حتى لا يدعان عليه من ذنبه مثقال حبة من خردل. ودخل اعرابي على أبي الدرداء رضي الله عنه وهو أمير، فقال: ماله؟ قلنا: هو شاك قال: والله ما شكيت قط أو قال: ما صدعت قط فقال أبو الدرداء: أخرجوه عني ليمت بخطاياه ما أحب ان لي بكل وصب حمر النعم، إن وصب المؤمن يكفر خطاياه، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعرابي: هل أخذتك أم ملدم؟ فقال: وما هي؟ قال حر بين الجلد واللحم، قال: فما وجدت هذا قط قال: فهل أخذك الصداع؟ قال: لا فلما ولى قال صلى الله عليه وسلم: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر الى هذا، وقال رجل: ما رزئت." (١)

"الأعراض.

ومن جيد التشبيه قول ابن الخوارزمي فيه:

أما ترى الزعفران الغصن تحسبه ... جمرا بدي في رماد الفحم مضطرما

كأنه بين أوراق تحف به ... طرايف الخال في خدين قد نظما

وما عيانا ومسكا نشر رائحة ... في طيبه وكذال المسك كان دما

الزباد

وأما أنت أيها الزباد وإن اشتهرت في كل ناد، بين كل حاضر وباد، فلست تعد مع هؤلاء الأقران، لأنه لم يرد ذكرك في آية من القرآن، ولا في حديث عن سيد ولد عدنان، ولا في الصحاح ولا في الضعاف ولا في الحسان، ولا في أثر عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، فلا تتعد طورك، ولا تبعد غورك، ومتى أدعيت أنك رابعهم قيل لك إخساء، ومتى جاريتهم في ميدان السبق فكبا لك وتعسا، وأخرى أنبئك بها من الفقهاء من قرر نجاستك وذلك مما يسقط في سوق الطيب نفاستك، وقصارى أمرك أنك عرق هد بري، أو لبن سنور بحري، فلا نسب لك ولا حسب، ولا سلف ولا خلف، وأنك أقل شرفا، وأذل سلفا، ومتى إنتتف معك من شعر أصلك ما يجاوز حد العفو فعليك العفا، غير أنا نجبر كسرك ونغني فقرك قد رزقك الله تعالى أنواعا من المنفعة، وجعل فيها أسرارا مودعة إذا شمك المزكوم نفعته من الزكام، وإذا ضمخ بك الدماميل خففت عنها الآلام وإذا سقي منك درهم مع مثله زعفران في مرقة دجاجة سمينة، سهلت ولادة المرأة وحفظت الدرة السمينة، وحرارتك في الدرجة الثالثة، وفيك رطوبة معتدلة لمن أراد المثاقبة والمثافتة والمنافثة.

---

(١) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخُوَارِزْمي، أبو بكر ص/٢٨١

ثم رأيت في خبر مرسل عن أم حبيبة زوج خير مرسل، أن نسوة النجاشي أهدين لها من الزباد الكثير، وأنها قدمت به على النبي البشير النذير.

فإذن حصل للزباد من ذلك الشرف، وارتقى إلى طبقة عالية الغرف، وصار في أنواع الطيب رابعا، وللأمراء الثلاثة رابعا.

وأستغفر الله تعالى مما وقع من تنقيصه وأسعفيه من الجهل. بتمييزه وتخصيصه." (١)

"في الحكم إذا غبت طول الزمان، فلهذا رفعت من أغصاني الأشاير، ودقت في داراتي البشاير وأعلمت في المشاعر.

وقال في الشاعر

للورد عندي محل ... ورتبة لا تمل

كل الرياحين جند ... وهو الأمير الأجل

إن جاء عزوا وتاهوا ... حتى إذا غاب ذلوا

وقال آخر

مليك الورد أضحى في جيوش ... من الأنهار في حلل بهية

فوافته الأزاهر طائعات ... لان الورد شوكته قوية

النرجس

فقام النرجس على ساق، ورمى الورد منه بالأحداق، وقال لقد تجاوزت الحد يا ورد وزعمت أنك جمع في فرد، إن اعتقدت أن لك بحمرتك فخرة، فإنها منك فجرة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الشيطان يحب الحمرة، فإياكم والحمرة، وكل ثوب ذي شهرة) .

وإن قلت أنك النافع في العلاج فكم لك في مهاج الطب من هاج، ألست الضار **للمزكوم**، المعطش المحرور الدماغ عند المشموم المضعف للباه، النائم بلا انتباه، أتغتر ببردك القشيب، وأنت الجالب للمشيب، فحفظ بالصمت حرمتك، وإلا كسرت بقائم سيفي شوكتك، ويكفيك قول ابن الرومي فيك.

يا مادح الورد لا ينفك من غلطه ... ألست تنظره في كف ملتقطه

كأنه صرم بغل حبيس سكرجه ... عند البراز وباقي الروث في وسطه

ولكن أنا القائم لله عز وجل في الدياجي على ساقي، الساهر طول الليل في عبادة ربي فلا تطرف أحداقي، وأنا مع ذلك المعد للحروب، المدعو عند تزاحم الكروب ألا ترى وسطي لا يزال مشدودا، وسيفي لا يبرح مجردا وأنا فريد الزمان في المحاسن والإحسان، ولهذا قال في كسرى أنو شروا ن النرجس ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرد أخضر، وأنا المشبه بي عيون الملاح." (٢)

---

(١) مقامات السيوطي السيوطي ص/١٠

(٢) مقامات السيوطي السيوطي ص/١٣

"المعروف في مهمات الأدواء بالصلاح، أنفع غاية النفع من داء الثعلب والصرع.
وقد روي في حديث رواية غير مقل ولا مفلس (شموا النرجس فإن في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها إلا شم النرجس) .
وفي أصلي قوة تلحم الجراحات العظيمة، وتنفع ذكر العنين وتجيد تقويمه وشمي ينفع من وجع الرأس والزكام البارد، وفي تحليل قوي لمن هو قاصد ودهني نافع لأوجاع العصب والأرحام، وأوجاع المثانة والأذن والصلب من الأورام، ولولا اشتهاري بالنفع من الجوى ما أكثر النحاة التمثيل بقولهم نرجس الدواء، ومن الدليل على صلاحي أن أبا نواس غفر له بأبيات قالها في امتداحي.

تأمل في رياض الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين فاخرات ... بأحداق كما الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك
وقال آخر
عيون إذا عاينتها كأنها ... دموع الندا وما فوق أجفانها ور
محاجرها بيض وأحداقها صفر ... وأجسامها خضر وأنفاسها عطر
وقد أحسن ابن الرومي حيث قال
فبينا فضلي على كل حال ... أيها المحتج للورد بزود محال
وذهب النرجس بالفض ... ل فانصف في المقال
لا تقاس الأعين النج ... ل بأصرام البغال

الياسمين
فقام الياسمين: وقال آمنت برب العالمين لقد تجبست يا جبس وأكثرك رجس نجس، وأنت قليل الحرمة، واسمك مشمول بالعجمة، وكيف تطلب الملك وأنت بعد قائم مشدود الوسط في الخدمة، رأسك لا يزال منكوس، وأنت المهيج للقيء المصدع من المحرورين للرؤوس، تسقط الجنين، ولا ترثي للحنين، أصفر من غير علة، مكسو أحقر حلة، ويكفيك بعض واصفيك.

أرى النرجس الغض الزكي مشمرا ... على ساقه في خدمة الورد قائم." (١)
"وقد ذل حتى لف من فوق رأسه ... عمائم فيها لليهود علائم
ولكن أنا زين الرياض، والموسوم في الوجه بالبياض والبياض شطر الحسن كما ورد وأنا ألطف ورد جاء ورد.

---
(١) مقامات السيوطي السيوطي ص/١٤

وجاء ذكري في حديث فاح بنشره (أن قارئ القرآن يؤتى بياسمين الجنة في قبره) .

فحديثي أصح من حديثك سندا، ونشري أعبق من نشرك صباحا وندا، فأنا أحق بالملك منك منصورا ومؤيدا، وأنا النافع من أمراض العصب الباردة والملطف للرطوبات الجامدة، والصالح للمشايخ القاعدة، أنفع من اللوقة والشقيقة **والزكام**، ومن وجع الرأس البلغمي والسوداوي وأقطع نزف الأرحام، ودهني نافع من الفالج ووجع المفاصل، ويحلل الأعياء ويجلب العرق الفاضل، ويقول لي لسان الحال ليس الهزيل مقام السمين، ويشهد لسان الألثغ بأني الدر الغالي إذا قال يا ثمين، وقول بعض البلغاء في

أنا الياسمين الذي لطفت فنلت المنا ... فريحي لمن قد نأى وعيني إلى من دنا

وقد شرفت حضرتي ... بصبري على من جنى

البان

فقام البان وأبدى غاية الغضب وأبان، وقال لقد تعديت يا ياسمين طورك وأبعدت في المدى غورك، وكونك أضعف الكون، وكثرة شمك يصفر اللون وإذا سحق اليابس منك ورض، ودر على الشعر الأسود ابيض، وإذا قسم اسمك قسمين صار ما بين يأس ومين، وإن ذكرت نفعك، فأنت كما قيل لا تساوي جمعك ولقد صدق القائل من الأوائل.

لا مرحبا بالياسمين ... وإن غدا في الروض زينا

صحفته فوجدته ... متقلدا ياسا ومينا

ولكن أنا ذو الإسمين، والظافر من الأصل والفرع بالقسمين والقريب من الباز والمضروب بقدي المثل في الاهتزاز، إنها ري عالية،." (١)

"زهر إذا ما أنا صحفته ... وجدته بشرى وبشرين

البنفسج

فقام البنفسج: وقد التهب ولاحت عليه زرقة الغضب، وقال أيها النسرين لست عندنا من المعدودين، ولا في الصلاح من المحمودين، لأنك حار يابس إنما توافق المبرودين، ولا تصلح إلا للمشايخ المبلغمين، وأنت كثير الإذاعة فلست على حفظ الأسرار بأمين، ويعجبني ما قاله فيك بعض المتقدمين:

لم أنس قول الورد لا تركنوا إلى ... معاهدة النسرين فهو يمين

ألا تنظروا منه بنانا مخضبا ... وليس لمخضوب البنان يمين

ولكن أنا اللطيف الذات، البديع الصفات، المشبه بزرقة اليواقيت وأعناق الفواخيت، مزاجر رطب بارد، ومنافعي كثيرة الموارد، أولد دما في غاية الاعتدال، وأنفع الحار من الرمد والسعال وأسكن الصداع الصفراوي والدموي لمن شم أو ضمد،

---

(١) مقامات السيوطي السيوطي ص/١٥

وألين الصدر وأنفع من التهاب المعد، وأنفع من ورم العين ومن كل ورم حاد، ومن نتؤ المقعدة إذا تضمد به على التكرار، وشرابي لذات الجنب والرئة والكلى وللسعال، والشوصة ويدر البول مخللا ويابس يستعمل للصفراء ليسهل غاية الإسهال، والمربى منه بالسكر يلين الحلق والبطن وينفع من السعال، وورقي طلاء جيد للجرب الصفراوي والدموي، وزهري ينفع من النزلات الصدرية والزكام القوي، وإذا شرب بالماء نفع من أم الصبيان وهو الخناق أو سفه من به إطلاق صفراوي لداغ أجد ر بقية الخلط وأقطع الإطلاق.

وكفاني ما بين الإخوان ما روي عن سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم (أن دهني سيد الأدهان) . بارد في الصيف حار في الشتاء فهو صالح في كل زمان، وذلك لأنه يسكن القلق وينوم أصحاب الأرق، وينفع المصطكي من الورم الصفراوي بين أصابع الإنسان، ويجذب الصداع من الرأس إذا دهن به الرجلان ويلين صلابة المفاصل والعصب، وهو طلاء جيد للجرب،." (١)

"من حدة الأخلاط الصفراوية في الحميات، وذا ضمد به شيء من الأورام الحادة بردها وأطفأها، وسواء في ذلك الدماغ والعين والنقرس وما سواها، وماؤه إذا شرب أو غسل به الرأس سكن الصداع، وينوم من يبس دماغه من مرض الزكام تقطيرا في الأنف بلا نزاع، وإذا لطخ بعجين وشوي واستخرج ماؤه سكن حرارة الحمى الملتهبة، وقطع العطش، وحسن غذاؤه وان شرب بخيار شنبر وبنفسج مربى، أحدر صفرا محضة، وأزال كربا، وان كحل بمائه المذكور العينان اذهب عنهما صفرة اليرقان، وجرادة القرع إذا لطخ به الرأس سكن من الصداع، أو ضمدت به العين من الرمد الحاد سكن منه الأوجاع، أو الحمرة حصل لمادتها الإرداع، وماء قشر القرع إذا استعط به نفع من وجع الأسنان، أو قطر مع دهن ورد نفع الوجع الحاد في الآذان، وإذا طبخ القرع بالخل نقص من غلظه وانهضم، وكان اشد تطفية للصفراء والدم، وسو يقه نافع من السعال ووجع الحلق والصدر الصادرين حرا، ومن الكرب الحادث من الصفراء، ودهن القرع نحو دهن البنفسج والنيلوفر جيد للحر والسهر، وهو مناجل الأدوية لتنويم المحمومين والمسلولين. كيف ما استعمله البشر، وإذا اكتحل بماء زهرة اذهب الرمد الحاد واقلعه، وقشر القرع اليابس إذ احرق وزر على الورم المنبعث قطعه، وإذا عجن والحالة هذه بخل وطلى به على البرص نفعه، وينفع من قروح الذكر والأعضاء اليابسة المزاج، وهو جيد لتطهير الصبيان ولحرق النار معجونا بسمن النعاج، وإذا قشر حبه ودق واستخرج منه الأدهان نفع وجع الأمعاء الحادة ووجع الآذان. ولب بزره ينفع من السعال الحاد المواد، ويرطب الصدر ويبرئ حدقة المثانة المتولدة من خلط حاد. ولو لم من فضله المبين إلا أنه." (٢)

"بضرب تظل الطير فيه جوانحا ... وطعن كأفواه المزاد المخرق

فعزتنا ليست بشعب بحرة ... ولكنها بحر بصحراء فيهق

تقمص بالبوصي منه غوارب ... متى ما يخضه ماهر القوم يغرق

ومجد معد كان فوق علاية ... سبقنا به إذ يرتقون ونرتقي

---

(١) مقامات السيوطي السيوطي ص/١٧

(٢) مقامات السيوطي السيوطي ص/٣٨

إذا الهندوانيات كن عصينا ... بها نتأيا كل شأن ومفرق

يخلي مصاع بالسيوف طريقنا ... إذا ما التقت أقدامنا عند مأزق

فجرتم علينا أن طردتم فوارسا ... وقول بحير هاج قولي ومنطق

عجلتم علينا حجتين عليكم ... وما يشاء الرحمن يعقد ويطلق

هو الكاسر العظم الأمين وما يشأ ... من الأمر يجمع بيننا ويفرق

هو المدخل النعمان بيتا سماؤه ... نحور الفيول بعد بيت مسردق

وبعد مصاب المزن كان يسوسه ... ومال معد بعد مال محرق

علقمة بن عبدة

وقال علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وقرأتها على ابن الخشاب: البسيط

هل ما علمت وما استودعت مكتوم ... أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته ... إثر الأحبة يوم البين مشكوم

لم أدر بالبين حتى أزمعوا ظعنا ... كل الجمال قبيل الصبح مزموم

رد الإماء جمال الحي فاحتملوا ... فكلها بالتزيديات معكوم

عقلا ورقما تظل الطير تخطفه ... كأنه من دم الأجواف مدموم

يحملن أترجة نضخ العبير بها ... كأن تطيابها في الأنف مشموم

كأن فارة مسك في مفارقها ... للناشط المتعاطي وهو مزكوم

فالعين مني كأن غرب تحط به ... دهماء حاركها بالقتب مخزوم

تسقي مذانب قد طارت عصيفتها ... حدورها من أتي الماء مطموم

صفر الوشاحين ملء الدرع بهكنة ... كأنها رشاء في البيت ملزوم

هل تلحقني بأخرى الحي إذ شحطوا ... جلذية كأتان الضحل علكوم

قد عريت زمنا حتى استقل لها ... كتر كحافة كير القين ملموم

بمثلها تقطع الموماة عن عرض ... إذا تبغم في ظلمائها البوم

تلاحظ السوط شزرا وهي ضامزة ... كما توجس طاوي الكشح موشوم

كأنها خاضب زعر قوادمه ... أجنى له باللوى شري وتنوم

يظل في الحنظل الخطبان ينقفه ... وما استطف من التنوم مخذوم

فوه كشق العصا لأيا تبينه ... أسك ما يسمع الأصوات مصلوم

فلا تزيده في شده نفق ... ولا الزفيف دوين الشد مسؤوم

وضاعة لعصي الشرع جؤجؤه ... كأنه بتناهي الروض علجوم

يأوي إلى حسكل حمر حواصله ... كأنهن إذا بركن جرثوم
فطاف طوفين بالأدحي يقفره ... كأنه حاذر للنخس مشهوم
يوحي إليه بأنقاض ونقنقة ... كما تراطن في أفدانها الروم
صعل كأن جناحيه وجؤجؤه ... بيت أطافت به خرقاء مهجوم
بل كل قوم وإن عزوا وإن كثروا ... عريشهم بأثافي الشر مرجوم
والحمد لا يشترى إلا له ثمن ... مما يضن به الأقوام معلوم
والجود نافية للمال يهلكه ... والبخل مبق لأهليه ومذموم
والمال صوف قرار يلعبون به ... على نقادته واف ومجلوم
ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه ... أنى توجه والمحروم محروم
ومن تعرض للغربان يزجرها ... على سلامته لا بد مشؤوم
وكل حصن وإن طالت سلامته ... على دعائمه لا بد مهدوم
قد أشهد الشرب فيه مزهر رنم ... والقوم تصرعهم صهباء خرطوم
كأس عزيز من الأعناب عتقها ... لبعض أحيانها حانية حوم
عانية قرقف لم تطلع سنة ... يجنها مدمج بالطين مختوم
وقد أروح إلى الحانوت يصحبني ... برز أخو ثقة بالخير موسوم." (١)

"وما سواه إن أعان على هذا المطلوب فرح به وسر به. وإن حجب عنه فهو بالحزن به والوحشة منه واضطراب القلب بحصوله له أحق منه بأن يفرح به، فلا فرحة ولا سرور إلا به، أو بما أوصل إليه وأعان على مرضاته. وقد أخبر سبحانه أنه لا يحب الفرحين بالدنيا وزينتها.

شعرا: ... كفلت لطالب الدنيا بهم ... طويل لا يؤول إلى انقطاع
وذل في الحياة بغير عز ... وفقر لا يدل على اتساع
وشغل ليس يعقبه فراغ ... وسعي دائم مع كل ساعى
وحرص لا يزال عليه عبدا ... وعبد الحرص ليس بذى ارتفاع

٢

وأما الفرح بفضله ورحمته، وهو الإسلام والإيمان والقرآن كما فسره الصحابة والتابعون. والمقصود أن من اتصلت له هذه الأمور بالله سبحانه فقد وصل، وإلا فهو مقطوع عن ربه متصل بحظه ونفسه، فلبس عليه معرفته وإرادته وسلوكه.

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/١٢

(موعظة)

الإخلاص مسك مصون في القلب ينبه ريحه على حامله، العمل صورة والإخلاص روح، إذا لم تخلص العمل لله وحده فلا تتعب، لو قطعت المنازل لم تكن حاجا إلا بشهود الوقوف بالموقف، ولا تغتر بصورة الطاعات.

كان أيوب السختياني إذا تحدث فرق قلبه وجاء الدمع قال ما أشد الزكام.

وكان إبراهيم بن أدهم إذا مرض يجعل عند رأسه ما يأكل الأصحاء كيلا يتشبه بالشاكين.

وكان ابن أبي ليلي يصلي فإذا أحس بداخل نام على فراشه.." (١)

"وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج» . أخرجه البخاري.

ومن العلامات العظمى هدم الكعبة المشرفة. أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة» ، وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما نحوه وزاد: «ويسلبها حليها، ويجردها من كسوتها، فلكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته أو معوله» ، وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كأني أنظر إليه - يعني ذا السويقتين - أسود أفحج ينقضها حجرا حجرا» يعني الكعبة. رواه أحمد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «في آخر الزمان يخرج ذو السويقتين على الكعبة» ، قال: حسبت أنه قال: «فيهدمها» . رواه أحمد.

وروى البزار عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت» .

ومن علامات الساعة العظمى: الدخان، قال العلماء: آية الدخان ثابتة بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ ، قال ابن عباس وابن عمر والحسن وزيد بن علي رحمهم الله تعالى: هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في أسماع الكفار والمنافقين، ويعتري المؤمن كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت." (٢)

"أوقد فيه، وأما السنة فأخرج مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون» ؟ قالوا: الساعة يا رسول الله، قال: «إنها لن تقوم حتى تروا فيها آيات» فذكر منها الدخان. ورواه الترمذي، وابن ماجة، وأنه يمكث في الأرض أربعين يوما، وفي حديث حذيفة بن إليمان رضي الله عنه: «إن من أشراط الساعة دخانا يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث في الأرض أربعين يوما، فأما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فيه ومنخريه، وعينيه وأذنيه ودبره» . رواه الطبراني.

ومن علامات الساعة العظمى رفع القرآن العظيم من الصدور والسطور، وهي من أشد معضلات الأمور، فأخرج الديلمي

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٦٦/٤

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٣٤٠/٥

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «يسرى على كتاب الله ليلا فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف في جوف إلا نسخت» ، وعند الديلمي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء، له دوي حول العرش كدوي النحل، فيقول الله عز وجل: ما لك؟ فيقول: منك خرجت وإليك أعود، أتلى فلا يعمل بي» ، وأخرج ابن ماجة من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعا: «يدرس الإسلام حتى لا يدرون ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية» .

فعليك يا أخي بالإكثار من تلاوته قبل أن يرفع.

شعرا: ... أعز ما كان في الدنيا بيت ربنا ... وخير جليس في الزمان كتابه

آخر: ... عليك بذكر الله في كل ساعة ... فما خاب عبد للمهيمن يذكر." (١)

"الفصل الحادي والعشرون: ابتعد عن المعاصي

إلى متى تميل إلى الزخارف، وإلى كم ترغب لسماع الملاهي المعازف، أما آن لك أن تصحب سيدا عارف، قد قطع الخوف قلبه، وهو على علمه عاكف، يقطع ليله قياما، ونهاره صياما، لا يميل ولا آنف، دائم الحزن، والبكاء متفرغ له، ومنه خائف، ومع ذلك يخشى القطيعة والانتقال إلى صعب المتالف، وأنت في غمرة هواك وعلى حب دنياك واقف، كأني بك وقد هجم عليك الحمام العاسف، وافترسك من بين خليلك وصديقك المؤالف، وتخلى عنك حبيبك وقريبك ومن كنت عليه عاطف، لا يستطيعون رد ما نزل بك، ولا تجد له كاشف، وقد نزلت بفناء من له الرحمة والإحسان واللطائف، فلو عاتبك لكان عتبه على نفسك من أخوف المخاوف، وإن ناقشك في الحساب، فأنت تألف، أين مقامك من مقام الأبطال يا بطال، يا كثير الزلل والخطايا، يا قبيح الفعال، كيف قنعت لنفسك بخساسة الدون يا معنون، وغرتك أمانيك بحب الدنيا يا مفتون، هلا تعرضت لأوصاف الصدق فاستحليت بها القالب الحق: ﴿التائبون العابدون الحامدون﴾ إلى متى أنت مريض بالزكام؟ ومتى تستنشق ريح قميص يوسف عليه السلام يا غلام؟ لعله يرفع عن بصيرتك حجاب العمى، وتقف متذللا على باب إله الأرض والسماء، خرج قميص يوسف مع يهوذا من مصر إلى كنعان، فلا أهل القافلة علموا بريحه، ولا حامل القميص علم، وإنما قال صاحب الوجد: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ ، كل واحد منكم في فقد قلبه كيعقوب في فقد يوسف، فلينصب نفسه في مقام يعقوب، ويتحسر وليبك على ما سلف، ولا ييأس، كيف طريق التحسس قطع مراحل الليل وركوب نجائب العزم إنضاء بعيرالجسم ومصاحبة رفقة الندم والمستغفرين بالأسحار.." (٢)

"ومن أقدم من عقد لهذه الأفعال بابا، وأشار إلى إماتة أصولها، المبنية للمعلوم: سيبويه، إذ قال: "هذا باب ما جاء فعل منه على غير فعلته، وذلك نحو: جن وسل وزكم وورد، وعلى ذلك قالوا: مجنون ومسلول مزكوم ومحموم مورود.

وإنما جاءت هذه الأفعال على جننته وسللته وإن لم يستعمل في الكلام، كما أن يدع على ودعت ويذر على وذرت وإن

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٣٤١/٥

(٢) مواعظ ابن الجوزي - الياقوتة ابن الجوزي ص/١٠٩

لم يستعملا، استغنى عنهما بتركت، واستغنى عن قطع بقطع، وكذلك استغنى عن جننت ونحوها بأفعلت، فإذا قالوا: جن وسل فإنما يقولون جعل فيه الجنون والسل"١.

وذكر ثعلب٢ طائفة من هذه الأفعال، وأشار إلى أنها لا تبني للمعلوم، وتبعه جماعة من العلماء، كابن قتيبة٣، والسيوطي٤، وأفردها بعض المتأخرين بتأليف مستقل جمع فيه متفرقها، ومن هؤلاء: ابن أبي السعود بن ظهيرة القرشي المخزومي المكي "من علماء القرن العاشر" في "المنهل المأهول في الفعل المبني للمجهول" وابن علان الصديقي (١٠٥٧هـ) في "اتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل".

وهذه الأفعال من حيث الإماتة والإحياء على نوعين:

أحدهما: ما لازم صيغة المجهول، نحو حم الأمر، بمعنى قضي، وحم الرجل بمعنى أصابته الحمى، وسل: أصيب بذات الرئة، وامتقع لونه؛ أي: تغير، من حزن أو فزع، وهذا النوع هو الذي أميت أصله المبني للمعلوم، وأمثلته كثيرة مذكورة في الكتابين المشار إليهما آنفا، ولا حاجة إلى سردها هنا.

---

١ الكتاب ٤/٦٧.

٢ ينظر: الفصيح ٢٦٩ - ٢٧١.

٣ ينظر: أدب الكاتب ٤٠١ - ٤٠٣.

٤ ينظر: المزهر ٢/٢٣٣ - ٢٣٦.." [1]

"ﷺ وقال عبد الله: حدثني أبي. قال: حدثنا خالد بن خداش. قال: حدثنا حماد بن زيد. قال: مات أيوب سنة إحدى وثلاثين ومئة، في رمضان. «العلل» (٥٢٥ و٢٤٤٤) .

ﷺ وقال عبد الله: وقال (يعني أباه) في حديث وكيع، عن هشام بن عروة، عن أيوب بن ميسرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ اهد لمن لا يهدي لك، وعد من لا يعودك. قال بعضهم: كذا قال هشام بن عروة، أيوب بن ميسرة، هو السختياني. وقال غيره: ابن كيسان. «العلل» (٥٩٢) .

ﷺ وقال عبد الله: قال أبي: حدثنا يونس. قال: حدثنا حماد بن زيد، كان كم أيوب أربعة أشبار. قال أبو عبد الرحمن عبد الله أحمد: يعني طوله. «العلل» (٦١٧) .

ﷺ وقال عبد الله: سمعت أبي يقول: قال عبد الوارث: كان أيوب إذا قدم من مكة، أو الحجاز، يقول: احفظوا، فإني أنسى. «العلل» (٦٩١) .

ﷺ وقال عبد الله: حدثني أبي. قال: حدثنا سليمان بن حرب. قال: حدثنا حماد بن زيد. قال: كان أيوب ربما حدث الحديث، فيرق، فيلتفت فيمتخط فيقول: ما أشد الزكام. وقال أيوب: لو علمت أن أهلي يحتاجون إلى دستجة بقل ما جلست معكم. «العلل» (٨٣٧) .

---

(١) موت الألفاظ في العربية عبد الرزاق بن فراج الصاعدي ص/٤٣٢

ﷺ وقال عبد الله: حدثني أبي قال: حدثنا سليمان بن حرب وسئل عن أيوب، مولى لمن كان؟ فقال: لعنزة. «العلل» (٨٣٨) .

ﷺ وقال عبد الله: حدثني أبي. قال: حدثنا سليمان بن حرب. قال: حدثنا حماد بن زيد. قال: قيل لأيوب: الحديث اليوم أكثر أو قبل اليوم؟ قال: الكلام اليوم أكثر، والحديث قبل اليوم كان أكثر. «العلل» (٨٣٩) .

ﷺ وقال عبد الله: حدثني أبي. قال: حدثنا سليمان بن حرب. قال: حدثنا حماد بن زيد. قال: أمرني أيوب أن أقطع له قميصا. قال: اجعله يضرب ظهر القدم، واجعل فم كمه شبرا. «العلل» (٨٤١) .

ﷺ وقال عبد الله: قال أبي: سليمأن بن المغيرة أثبت في حميد من أيوب. «العلل» (١١٣٢) .

ﷺ وقال عبد الله: حدثني أبي. قال: حدثنا مؤمل. قال: حدثنا حماد بن زيد. قال: كنت أسأل يونس، في مجلس أيوب، فيقول بيده هكذا، أي اسكت، ويضع يده على فيه. «العلل» (١١٤٥) .

ﷺ وقال عبد الله: حدثني أبي. قال: حدثنا إسماعيل بن علية. قال: رأيت أيوب،." [1]

"٧٨٣٩ - محمد بن عبد الرحمن بن المجبر (١) العمري البصري.

عن نافع، وعطاء.

قال يحيى: ليس بشئ.

وقال الفلاس: ضعيف.

وقال أبو زرعة.

واه.

وقال البخاري: سكتوا عنه.

وقال النسائي وجماعة: متروك.

حجاج بن المنهال، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن المجبر، عن نافع، عن ابن عمر - مرفوعا: اطلبوا الخير عند حسان الوجوه.

بشر بن الوليد، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن المجبر، عن ابن عجلان، عن المقبري، عن أبي هريرة - مرفوعا: شمت أخاك ثلاثا، فإن زاد فإنما هي نزلة أو زكام.

بشر، حدثنا محمد، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة - مرفوعا: لا يفتح أحد على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر.

مجبر هو ابن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب.

وهو بجيم (١) .

٧٨٤٠ - محمد بن عبد الرحمن بن بجير (٢) بن عبد الرحمن بن معاوية بن بجير ابن ريسان.

---

(١) موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله محمود محمد خليل ١٣٤/١

عن أبيه، عن مالك.

اتهمه أبو أحمد بن عدي.

وقال ابن يونس: ليس بثقة.

وقال أبو بكر الخطيب: كذاب.

ومن حديثه: عن أبيه، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر - مرفوعا: ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله تعالى الخلافة على (٣) تركته.

وبه: ما قضى الله على مؤمن من قضاء إلا بالذي هو خير.

وهذان باطلان.

قلت: روى عنه علي بن محمد البصري (٤) الواعظ، وغيره.

٧٨٤١ - محمد بن عبد الرحمن [ت] بن نبيه.

شيخ مدني.

عن ابن المنكدر.

ما روى عنه سوى عبد الله بن جعفر المخرمي.

---

(١) يعنى وهو اسم مفعول (هامش س) .

وفى ل: وهو بفتح الموحدة الثقيلة، وأصله في الاصل عبد الرحمن، وإنما قيل له المجبر، لانه وقع فتكسر فأتى به عمته حفصة فقالت: هو المجبر (٥ - ٢٤٦) .

والضبط في المشتبه أيضا.

(٢) في ل: مجبر - تحريف.

(٣) ل: في، وأشار في هامشه إلى ما أثبتناه عن س.

(٤) س: المصرى.

(*)."[١]

"والبغوي فصاحب حديث وفهم وصدق.

وشيخه فثقة، فتعين أن الحمل في هذا

الحديث على يحيى بن زكريا هذا المجهول التالف.

ثم وجدته في الأول من أمالى أبي القاسم بن (١) بشران: حدثنا أبو على بن الصواف، حدثنا محمد بن أحمد القاضي، حدثنا على بن عيسى الكراجكى، حدثنا حجين [بن] (٢) المثنى، حدثنا يحيى بن سابق، عن موسى بن عقبة، وجعفر بن

---

(١) ميزان الاعتدال الذهبي، شمس الدين ٦٢١/٣

محمد بهذا.

يحيى بن سابق.

واه سيأتي ذكره.

٩٥٠٧ - يحيى بن زكريا بن أبي الحواجب.

عن الأعمش.

قال الدارقطني: ضعيف: قلت: يحتمل أن يكون الذي قبله.

٩٥٠٨ - يحيى بن أبي زكريا الغساني الواسطي.

عن هشام بن عروة، ويونس ابن عبيد.

وعنه محمد بن حرب النشائى (٣) ، وجماعة.

قال أبو حاتم: شيخ.

وقال أبو داود: ضعيف.

وخرج له البخاري في صحيحه حديثا.

يكنى أبا مروان من طبقة زيد بن هارون.

٩٥٠٩ - يحيى بن زهدم بن الحارث الغفاري.

قال ابن حبان: روى عن أبيه نسخة موضوعة.

قلت: روى عنه محمد بن عزير الايلى، وأحمد بن علي بن الافطح.

وقال ابن عدي: هو من أهل المغرب.

حدث عنه ابنه (٤) وغيره، وأرجو أنه لا بأس به.

ابن الافطح، حدثنا يحيى بن زهدم، عن أبيه، [قال] (٥) : حدثني أبي عن أنس - مرفوعا: لا تكرهوا أربعة فإنها لاربعة: لا تكرهوا الرمد فإنه يقطع عرق العمى، ولا تكرهوا الزكام فإنه يقطع عرق الجذام، ولا تكرهوا السعال فإنه يقطع عرق الفالج، ولا تكرهوا الدماميل فإنه يقطع عرق البرص.

هذا باطل.

---

(١) ل: على موسى في جزء هاشم! (٢) ليس في س.

(٣) في التهذيب: النسائي.

(٤) في ل: عن أبيه وغيره.

(٥) ليس في س.

(*)".[١]

"فجرت بالغلام في المسجد؛ لأنه ليس لك بيت. ما حجتك في أن قذرت بالمحراب؟ قال: علمت أنه يشهد علي يوم القيامة، فأحببت أن أجعله خصمي لئلا تقبل شهادته علي. ودفع إلى القصار قميصا ليغسله، فضيقه، ورد عليه قميصا صغيرا؛ فقال: ليس هذا قميصي، قال: بلى هو قميصك ولكنه توزى وفي كل غسلة يتقلص ويقصر؛ فقال الجماز: فأحب أن تعرفني في كم غسلة يصير القميص زرا؟ . وقيل له: لم تقصر شعرك؟ قال: أليس قليل ما أجئ به كثيرا في جنب ما يعطونني. وحضر دعوة بعض الناس فجعل رب البيت يدخل ويخرج ويقول: عندنا سكباجة تطير طيرانا، عندنا قلية تطير في السماء، فلما طال ذلك على الجماز وجاع قال: يا سيدي، أحب أن تخرج لي رغيفا مقصوص الجناح إلى أن تقع ألوانك الطيارات. ونظر إلى غلام؛ فقال: هذا كان من المطففين. قيل: وكيف ذاك؟ . قال: كان إذا ناكه الواحد، وكان وقت الفراغ، فرج بين فخذيه. ووجد مع غلام في موضع خال، وقد حلا سراويلهما، فقيل له: ما تصنع؟ ، قال: نتخاير بالتكك. قال الجماز: اجتزت بباب وصاحب الدار يقاتل امرأته ويقول: لأحملن عليك اليوم مائة رجل، فجلس شيخ كان خلفي على الباب ينتظر؛ فلما طال دق الباب وقال: تريد أن تحمل على هذه القحبة أو انصرف. رأى رجل الهلال فاستحسنه؛ فقال له الجماز: وما تستحسن منه؟ فو الله إن فيه لخصالا لو كانت إحداهن في الحمار لرد بها؛ قال: وما هي؟ قال: إنه يدخل الروازن، ويمنع من الدبيب، ويدل على اللصوص، ويسخن من الماء، ويخرق الكتان، ويورث الزكام، ويحل الدين، ويزهم اللحم.." [٢]

"وتقول: تفل الرجل تفلا إذا ترك الطيب أو الاغتسال فتغيرت رائحته، وهو تفل، وامرأة تفلة ومتفال.

وأصن إذا تغيرت رائحة مغابنه ومعاطف جسمه وبه صنان بالضم.

وسهك سهكا، وصئك، إذا خبث ريح عرقه، وهو سهك، وسهك الريح.

وإنه لرجل صمير وهو اليابس اللحم على العظم تفوح منه رائحة العرق.

ويقال للعرق المنتن صماح بالضم، وهو أيضا ريح العرق المنتن يقال إنه ليتضوع صماحا.

وبخر الرجل بخرا إذا أنتن فوه، وهو أبخر، وخلف فوه خلوفا إذا تغير ريحه لصوم أو مرض، وهو خالف الفم، وبفيه خلفة بالكسر وهي اسم منه، ونوم الضحى مخلفة للفم أي داعية لتغير ريحه.

والنكهة ريح الفم ما كانت، وإنه لطيب النكهة، وخبيث النكهة، وقد نكهته بفتح الكاف وكسرها إذا شممت رائحة فمه، واستنكهته فنكه في أنفي إذا أمرته أن يتنفس لتشم رائحته ففعل.

---

(١) ميزان الاعتدال الذهبي، شمس الدين ٣٧٦/٤

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١٧٤/٣

ويقال نكه الرجل على ما لم يسم فاعله إذا تغيرت نكهته من تخمة عرضت له. وتقول زكم الرجل على ما لم يسم فاعله إذا عرض له انسداد في أنفه من رطوبة نزلية فضاق متنفسه وضعف شمه، وهو مزكوم." (١)

"وبه زكام وقد انفغم الزكام، وافتغم، أي انفرج، وخشم على المجهول أيضا إذا عرضت له سدة في أنفه من داء اعتراه، وهو مخشوم وبه خشام بالضم أيضا.

وخشم خشما إذا سقطت خياشيمه وانسد متنفسه فهو أخشم وهو الذي لا يكاد يشم شيئا ولا يجد ريح طيب ولا نتن. وإن في أنفه لسدة، وسدادا بالضم فيهما، وهو داء يسد الأنف يأخذ بالكظم ويمنع نسيم الريح، ويقال مسك كدي، وكد، أي لا رائحة له.

فصل في اللمس

تقول لمست الشيء، ومسسته، ومسته بسين واحدة مع فتح الميم وكسرها، ولامسته، وجسسته، واجتسسته، وأفضيت إليه بيدي، وباشرته بيدي.

وشيء لين الملمس، ولين المس، والممس، والممسة، والمجس، والمجسة، وهو المكان الذي تقع عليه يدك إذا لمسته.

وقد وجدت مس الشيء، وممسه، وملمسه، ومجسته، ووجدت حجمه، وحيده، وهو ملمسه، الناتئ تحت يدك.

وتقول." (٢)

"الجوع، ورأيت بني فلان يتضاغون من الجوع أي يصيحون ويتباكون.

وتقول في خلافه: قد شبع الرجل من الطعام شبعا بكسر ففتح، وأصاب شبعه، وشبع بطنه بالكسر والإسكان وهو المقدار الذي يشبعه، وهو شبعان من قوم شباع، وشباعى، وعنده شبعة من طعام بالضم أي قدر ما يشبع به مرة.

ويقال: أكل القوم حتى صدروا، وحتى هنئوا، أي حتى شبعوا، وأطعمتهم حتى أصدرتهم، وقد أصفقت لهم إصفاقا إذا جئتهم من الطعام بما يشبعهم.

وأكل فلان حتى امتلأ، وتملأ، وكشئ، وتكشأ، وانتفخ، وقد نفخه الطعام، وأثقله، وإنه ليجد نفخة بتثليث النون، وثقلة بالفتح وبفتحتين.

ويقال: تضلع من الطعام إذا امتلأ حتى تمددت أضلاعه، وقد كظه الطعام إذا ملأه حتى لا يطيق النفس، واكتظ هو، وبه كظة بالكسر.

وأصابه ملاء، وملأة بالضم فيهما، وهو ثقل يأخذ في الرأس كالزكام من امتلاء المعدة.

وإنه لرجل أكول، بطين، ومبطان، رغيب، رحيب، وهو رغيب الجوف، ورغيب البطن، ورحيبه، وإن به لبطنة بالكسر،

---

(١) نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد اليازجي، إبراهيم ١/٤٦

(٢) نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد اليازجي، إبراهيم ١/٤٧

ورغبا بالضم وبضمتين، وفي المثل البطنة تأفن الفطنة.

ورجل مبطان الضحى،." (١)

"فلما رأته الحواري كفرن به لقبح صورته وآمن بالله وكانت آسية قبل ذلك تعرض عليهن الإسلام فلا يطعنها ... مسئلة: لو حلف لا تخرج إلى العرس فخرجت له ولم تصل إليه لم يحنث لأن الغاية لم توجد بخلاف قوله إن خرجت للعرس فخرجت فإنه يحنث وإن لم تصل إليه ... موعظة: لما خلق الله العرش على ثلثمائة وستين قائمة كل قائمة قدر الدنيا بين القائمة والقائمة خمسمائة عام وله ألف ألف وستمائة ألف رأس وفي كل رأس مثلها وجوها وفي كل وجه مثلها فما في كل فم مثلها ألسنة وعلق فيها مائة ألف قنديل كل قنديل يسع الدنيا قال لم يخلق الله خلقا أعظم مني واعتز تعاظما فطرقه الله بحبة رأسها من لؤلؤة بيضاء وعيناها من ياقوتة حمراء وأسنانها من زمردة خضراء وبدنها من ذهب أحمر طولها سبعمائة ألف عام لها سبعون ألف جناح في كل جناح سبعون ألف ريشة في كل ريشة سبعون ألف وجه وفي كل وجه سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها من التسبيح بعدد قطر المطر وورق الشجر وعدد أيام الدنيا فلما رآها العرش قال يا رب لم خلقت هذه قال حتى تنسى عظمتك وتنظر إلى عظمتي ولما خلق الله تعالى الشمس خلقها على قدر الدنيا بمائة وستين مرة وهي في السماء الرابعة أيام الصيف وفي السابعة أيام الشتاء عند عرش الرحمن قاله ابن عمر رضي الله عنهما حكاه القرطبي في صورة نوح ولها محراب تحت العرش وهي مخلوقة من نوره فتسجد تحته وتسبح الله حتى تصبح فإذا أصبحت استعفت من الطلوع لأنهم يعبدونها من دون الله فيقال لها اخرجي فليس عليك من ذلك شيء فتطلع ووجهها إلى فوق وهي على عجلة من نور لها ثلثمائة وستون عروة كل عروة بيد ملك يجذبونها فإذا أراد الله أن يخوف عباده وقعت عن العجلة في بحر الفلك فيكسف بعضها أو كلها فتنادي يا عظيم العظماء الغوث فتعيدها الملائكة على العجلة بإذن الله فيسيرون بها في يوم واحد من المشرق إلى المغرب وسأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل هل زالت الشمس قال لا نعم فسأله عن ذلك فقال بين قولي لا ونعم سارت الشمس خمسمائة فرسخ ووكل بها سبعون ألف ملك يضربونها بالثلج عند طلوعها ولولا ذلك لحرقت الأرض ومن عليها فتكبرت فقهرها بالسحاب يستر ضوءها فعرفت عجزها ثم خلق القمر على قدر الدنيا بمائة وعشرين مرة قال ابن عباس رضي الله عنهما وجهه يضيء لأهل الدنيا وظهره يضيء لأهل السماء حكاه القرطبي في قوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا ثم ذكر في سورة يس أنه في غلاف من ماء فكل ليلة يظهر منه شيء حتى يتكامل بدره ثم يعود في الغلاف قليلا حتى يعود كالعرجون القديم وهو جريد النخل فيقطع الفلك في ثمان وعشرين ليلة ثم يختفي ثم يطلع هلالا وهو مخلوق من نور الكرسي وهو في سماء الدنيا وقال القزويني في عجائب المخلوقات الإكثار من النوم والجلوس في ضوء القمر يضعف البدن ويهيج الزكام والصداع وقدره أربعمائة وأربعة وأربعون ميلا وزاد غيره أن القمر يؤنس الخلان وينحل الأبدان ويبلي الكتان وله فوائد تقدم بعضها في باب

---

(١) نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد اليازجي، إبراهيم ١٢٦/١

الجمعة قال القزويني وجميع فوائد القمر من فوائد الشمس وهو يستمد النور من نورها فتكبر فابتلاه الله بالنقصان فعرف عجزه ولما خلق الله قالت أنا." (١)

"والركبتان والقدمان وفي الفلك سبعة أنجم وفي الولد سبعة ألطاف السمع والبصر والذوق والشم والنطق والعقل واللمس وحركاته كحركات الكواكب وولادته كطلوعه وموته كغروبه وهذا باعتبار العالم العلوي وأما السفلي فجسده كالأرض وعظمه كالجبال ومخه كالمعادن وعروقه كالأنهار ولحمه كالتراب وشعره كالنبات ووجهه كالمشرق وظهره كالمغرب ويمينه كالجنوب وشماله كالشمال ونفسه كالريح وكلامه كالرعد وضحكه كالبرق وبكاؤه كالمطر وغضبه كالسحاب وعرقه كالسيل ونومه كالموت وسهره كالخيال وأيام صباه كالربيع وشبابه كالصيف وكهولته كالخريف وشيخوخته كالشتاء وخلق الله الشمس ضياء والقمر نورا والليل ظلمة والهواء لطافة والجبال كثافة والماء رقة فجعل الضياء حظ الحور العين والنور حظ الملائكة والظلمة حظ الزبانية واللطافة حظ الجن والكثافة حظ التراب والرقة حظ الشياطين ثم جمع ذلك في بني آدم فجعل الضياء حظ الوجه والنور حظ العينين والظلمة حظ الشعر واللطافة حظ الروح والكثافة حظ العظم والرقة حظ الدماغ فلما جمع بين المتضادين في صورة واحدة مدح نفسه بقوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين.

فوائد لعلاج البدن: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عباد الله تداووا فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء ... الأولى: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر همه سقم بدنه ومن لاح الرجال ذهبت كرامته وسقطت مروءته لاحى أي ضارب وخاصم ... الثانية: احتجم النبي صلى الله عليه وسلم من وجع كان برأسه وكان صلى الله عليه وسلم إذا أصابه وجع الصداع خضب رأسه بالحناء وسيأتي منافع الحناء في باب العمل واجتناب الظلم ومما ينفع من الصداع بزر قطونا مع الخل يضمد به الرأس وكذلك شم المسك أو ماء الورد أو أكل الخيار أو القثاء وشمهما أو لطخ الرأس بالسدر أو الخل والنزلة ينفعها شم الكمون إذا عجن بالخل والنخالة إذا طحنت ووضعت على حجر الرحى إذا أحمي على النار ورش عليه الخل ويلتقي بخاره نفع الرأس نفعا جيدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما مررت بملأ من الملائكة ليلة المعراج إلا قالوا مر أمتك بالحجامة ولا جاءه من يشكو وجعا في رجليه إلا أمره بالحناء فيهما ... الثالثة: وجع الأذن يزيله عصارة السدب مع قشور الرمان إذا وضع على النار وقطر في الأذن أو قطر في الأذن دهن لوز مر أو عصارة النعناع مع العسل ينفع ... الرابعة: العين إذا حصل لها مرض غير الرمد يزيله الزعفران إذا خلط بلبن المرأة واكتحل به أو ضمد الجبهة بقشور البطيخ الأصفر وقشور الجوز الأخضر إذا جف سحق ووضع على مقدم الرأس قال أبو سعيد الخدري دواء العين ترك مسها ومد داوى النبي صلى الله عليه وسلم الرمد ومما يقوي البصر أكل السداب وقد تقدم في عاشوراء زيادة ... الخامسة: عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تكرهوا أربعة لأربعة لا تكرهوا الرمد فإنه يقطع عروق العمى ولا تكرهوا الزكام فإنه يقطع عروق الجذام ولا تكرهوا السعال فإنه يقطع عروق الفالج ولا تكرهوا

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ١٤٨/١

الدماميل فإنها تقطع عروق البرص وقال صلى الله عليه وسلم الشعر الذي في الأنف والأذنين أمان من الجذام وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تنتفوا الشعر الذي يكون تحت الأنف." (١)

"فتستجلب الأفكار الخفيات، فيما مضى وما هو آت، وقلة الاعتلاق، ومحل التسلية عن الأشواق، اللهم إلا شخصا قد ملك الحب قياده، فلا يلهيه شيء ولا ينسيه مراده. ثم اشتهر على ألسنتهم من لوم العذول، وسوء عقله الذي أوقعه في الفضول، وكيف أدخل نفسه بين الأحباب، حتى انتقم منه أهل الآداب، فوجهوا إليه سنان اللسان والأقلام، فامتحن طعنا بكل نثر ونظام، فقد قيل: ليس من العدل، كثرة العذل، ومن تكلم بما لا يعنيه، سمع ما لا يرضيه. ومن لم يمسك عما استغنى عنه ن الكلام، فهو أحق بالملام. ثم أحكام الزيارة، وما جاء في فضلها من اليراعة والعبارة، وتفنن العشاق في فضل زيارة الحبيب، وإيثار النفس على نفائس الطيب. قيل: كان الشافعي رحمه الله يكثر من زيارة أحمد، وكان أحمد يقل من زيارته هيبة له. فقيل للشافعي: إنك لتزوره أكثر وهو المحتاج إليك! فأنشد:

قالوا يزورك أحمد وتزوره ... قلت الفضائل لا تفارق منزله

إن زارني فبفضله أو زرته ... فلفضله فالفضل في الحالتين له

وجعل عمر بن الفارض الزيارة تفضلا من المحبوب، ومنة منه على المحب، فسبحان واهب الفضل لمن أحسن في خدمته، وقام بحقوق محبته، وطيب الحبيب، غاية لا يدركها اللبيب، وذلك قوله:

ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها ... وفي الغرب مزكوم لعاد له الشم." (٢)

"وإذا عكس هذا القبيح صار مع المليحة مليحا. لا يتأوه إذا جلده سلخ وكم له في الأطعمة من مزية لا يسمن ولا يغني من جوع إذا أكل بعدما طبخ. دم طاهر ليس بطحال ولا كبد، جامد مذاب أحبب به من ذائب وجمد. تركي أسود، وهو لعمري شيء لم يعهد. كم أوذي وصبر على الأذى، واستعمل في المأكل والمشرب وربما كان أسوأ من القذى. إذا ورد الماء وهو يروي عن الصفي غادره يروي عن ابن المنذر، ويشرب من لطافته كما قالوا في الماء العكر. مذكور في كتاب الله العزيز، ويكفيه مثل ذلك في التبريز. يصحب النافر والآنس، وهو خاتم الرحيق وفيه فليتنافس المتنافس. لا ينكر شمه ويراه المزكوم والأعشى، ومتى ناقشه الدر وقرأ للونه سورة " والضحى " تلى هو للونه " والليل إذا يغشى ". بل هو بالفضيلة أخص، حيث جاء إسمه في الكتاب والسنة بالنص. أسود تهواه البيض، وربما حملت المليحة منه بعدما تحيض. إذا شق ثوبه وتناثر أعظم به من ساقط لكل لاقط، وهو المنفرد المسجون إذا أفلت وخالط كان ألطف مخالط. ذكي لم يزل عند أهل الذكاء محفوظا، أسود الجلدة ما برح عند بيض الوجوه محفوظا. ذكره بالجميل شائع، ويدور عليه الفهر الدوران المتتابع، والجميل مع ذلك منه ضائع. يمدحه الأدباء والبلغا، وقد سود من الله عند من طغا وبغى. كثير الإنصاف، لعدم ميله إلى

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ٢/٣٠

(٢) نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان صديق حسن خان ص/١٠٣

الخلاف. تراه كبعض النسا يهوى السحاق، ويألفه ذوو الغنى كيف لا وصوته ناش عن إسحاق. إذا حبسته ألف حبسك، وإن مسيته مسك. فأكرم بك كتاب ختامه مسك، وأعظم برسالة جزالة بلاغتها يا فكري الفاتر تؤسك. أي والله.." (١)

"ومعتذر بمرض أصابه، جرعه أوصابه، ووجع طرقه، جلب أرقه، وخطيب أرتج عليه أحيانا، فقال: سيحدث الله بعد عسر يسرا وبعد عي بيانا؛ اللهم إنا نعوذ بك من فضائح الفروج إذا استغفلت أقفالها، ولم تتسم بالنجيع أغفالها، ومن معرات الأقذار، والنكول عن الأبكار، ومن النزول عن البطون والسرر، والجوارح الحسنة الغرر، قبل ثقب الدرر، ولا تجعلنا ممن يستحيي من البكر بالغداة، وتعلم منه كلال الأداة، وهو مجال فضحت فيه رجال، وفراش شكيت فيه أوجال، وأعملت رواية وارتجال، فمن قائل:

أرفعه طورا على إصبعي ... ورأسه مضطرب أسفله

كالحنش المقتول يلقى على ... عود لكي يطرح في مزبله وقائل:

عدمت من أيري قوى حسه ... يا حسرة المرء على نفسه

تراه قد مال على أصله ... كحائط خر على أسه وقائل:

أيحسدني إبليس داءين أصبحا ... برجلي وراسي دملا وزكاما

فليتهما كانا به وأزيده ... رخاوة أير لا يطيق قياما

إذا نهضت للنيك أزباب معشر ... توسد إحدى خصيتيه وناما وقائل:

أقول لأيري وهو يرقب فتكة ... به: خبت من أير وعالتك (١) داهية

إذا لم يكن للأير بخت تعذرت ... عليه وجوه النيك من كل ناحية وقائل:

تعقف فوق الخصيتين كأنه ... رشاء إلى جنب الركية ملتف

---

(١) ق: ونالتك.." (٢)

"حضرة تقلدت أعناق الرجال بقلائد نعمها، وتدبجت رياض الآمال بهواطل سحب كرمها، وطافت أفهام الطلاب بكعبة حقائقها وعلومها، وسعت أفكار بني الآداب ما بين صفا منثورها، ومروة منظومها.

لا برحت الأيام باسمة الثغر بمعاليها، والانام حالية النحر بأياديها.

وكقوله: هو صدر الدنيا، وركن العليا، وواسطة عقد ورثة الأنبياء، وواحد هذا النوع الإنساني من الأحيا.

دعوى لا يداخل بنيتها وهم، ونتيجة لا يشين مقدماتها عقم.

فإن من كان صدر بني هاشم، وشنب ثغر مجدهم الباسم، وهم وهم في الرفعة والمنعة، كأن أجل موجود، وأعظم من في الوجود.

---

(١) نظم العقيان في أعيان الأعيان السيوطي ص/٧٦

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٧٨/٦

وكقوله: قسما بمن جعل محاسن الدنيا في تلك الذات محصورة، وأسبابا العليا على ملازمة عتباتها مقصورة.

إن عقد عبوديتي لا تطاول إليه الأيام بفسخ، وعهد مودتي عهد لا تتوصل إليه الحوادث بنسخ.

وكيف يفسخ وصورته في الجنان مجلوة، أم كيف ينسخ وسورته على كل حين باللسان متلوة.

ولعمري مهما نسيت فإني لا أنسى أيامي في خدمتها، والتقاطي الدر من مذاكرتها.

وما كان بيننا من المصافاة التي أين منها مصافاة الماء مع الراح، وما يجري بيننا من المفاوضة التي هي في الحقيقة مفاوضة الورد والتفاح.

وعلى كل حال فلا عوض لنا عنها إلا ما تنقله الركبان من أخبار سلامتها، وما تودعة في صدفة آذاننا من جواهر آثار عدالتها.

لا جرم أنه كلما تعطرت مجالسنا بشيء من ذلك، دعونا الله عز وجل هنالك.

بأن يزيد با ع عدلها امتدادا، وشعاع فضلها سطوعا واشتداد.

وأن يبلغها أقصى ما تطمح إليه عين طامحة، أو تجنح نحوه نفس جانحة.

هذا والمتوقع من كرمها، كما هو المألوف من شيمها، ألا تخرجنا من ضميرها المنير، وأن تعدنا في جريدة من يلوذ بقماقها الخطير.

والله تعالى يبقى لنا تلك الحضرة، سامية الركاب، عالية القباب، في رفعة دونها قاب العقاب.

ومن شعره قوله، يخاطب بعض أحبابه:

رويدك شأن الدهر أن يتغيرا ... وشيمته إما صفا أن يكدرا

وعادته الشنعاء في الناس أنه ... إذا جاء بالبشرى تحول منذرا

فلا بؤسه يبقى وأما نعيمه ... فكالطيف إذ تلقاه في سنة الكرى.

فلا تك مسرورا إذا كان مقبلا ... ولا تك محزونا إذا هو أدبرا

فأي دجى هم دهاك ولم تجد ... صباحا له بالبشر وافاك مسفرا

وقد هزلت أيامنا فلو انها ... أتتتنا بجد كان للهزل مصدرا

منها:

وليس يعيب البدر فقدان نوره ... إذا كان بعد الفقد يظهر مقمرا

وما جعلي إن جفا الورد إذ به ... أضر بداع أن يذم ويهجرا

الجعل يتأذى برائحة الورد، وكذا **المزكوم**، والحسناء إذا ابتليت بذام، فهي كالورد مع الجعل، وصاحب **الزكام**.

ومما يلحق بهذا أن الوزغة تكره رائحة الزعفران، وتهرب منه.

وعليه بنى البتار قوله في هجاء الغندلي، وقد وصل إلى بابه، فتحجب عنه:

تحجب الغندلي عني ... فساء من فعله ضميري

ينفر من رؤيتي كأني ... مضمخ الجيب بالعبير

وله من قصيدة، يخاطب بها أيضا صديقا له:

تزول الرواسي عن مقر رسومها ... وودي على الأيام ليس يزول

ولست بمن يرضيه من أهل وده ... خفي وداد في الفؤاد دخيل

إذا لم يكن في ظاهر المرء شاهد ... على وده فالود منه عليل

أأرضى بود في الفؤاد مغيب ... وليس إلى علم الغيوب سبيل

وأقبل عن هجري اعتذارا مزيفا ... تمحلته إني إذا لجهول

لعمرك قد حركت من كان ساكتا ... وعلمتني بالعتب كيف أصول

وله من قصيدة:

فياليت شعري هل لعمرو مزية ... إذا ازداد واوا وهو في رتبة الذل

وهل شان بسم الله وهي عزيزة ... تمنعها في الخط عن ألف الوصل." (١)

"وقال عبد الله بن على الكاتب:

كشف البدر وجهه لتمام، ... فوجوه النجوم مستترات

. وكأن البدر التمام عروس، ... وكأن النجوم مستنقبات.

١٤- ذكر شيء مما قيل فيه على طريق الذم

حكى أن أعرابيا رأى رجلا يرقب الهلال. فقال له: ما ترقب فيه، وفيه عيوب لو كانت فى الحمار لرد بها؟ قال: وما هى؟ فقال: إنه يهدم العمر، ويقترب الأجل، ويحل الدين، ويقرض الكتان، ويشجب اللون، ويفسد اللحم، ويفضح الطارق، ويدل السارق.

ومن عيوبه أن الإنسان إذا نام فى ضوئه حدث فى بدنه نوع من الاسترخاء والكسل، ويهيج عليه الزكام والصداع؛ وإذا وضعت لحوم الحيوانات مكشوفة فى ضوئه، تغيرت طعومها وروائحها.

وقال ابن الرومى:

رب عرض منزه عن قبيح ... دنسته معرضات الهجاء.

لو أراد الأديب أن يهجو البد ... ر، رماه بالخطة الشنعاء.

قال: يا بدر أنت تغدر بالسا ... رى وتزرى بزورة الحسناء.

كلف فى شحوب وجهك يحكى ... نكتا فوق وجنة برصاء.

يعتريك المحاق ثم يحلي ... ك شبيه القلامة الحجناء.." (٢)

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٢٩٧/١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٥٦/١

"أحسن ما يهدى لك النسيما ... يقلبه فى ساعة سموما.

وهو على المعدود من ذنوبه ... خير من الصيف على عيوبه.

ذكر ما قيل فى فصل الشتاء

حتى إذا ما أقبل الشتاء، ... جاءتك منه غمة عمياء.

لو أنه روح، لكان فدما ... أو أنه شخص، لكان جهما.

يلقاك منه أسد يزير ... له وعيد وله تحذير.

تأتيك فى أيامه رياح ... ليس على لاعنها جناح.

حراكها ليس إلى سكون ... تضر بالأسماع والعيون.

يحدث من أفعالها **الزكام** ... هذا إذا ما فاتك الصدام.

ثم يليها مطر مداوم ... كأنه خصم لنا ملازم.

يقطعنا بعضا عن الطريق ... وعن قضاء الحق للصديق.

وربما خر عليك السقف، ... فإن عفا عنك أتاك الوكف.

وإن أردت فى النهار الشربا ... فيه، فقد قاسيت خطبا صعبا.

واحتجت أن توقد فيه نارا ... تطير نحو الحدق الشرارا.

يترك مبيض الثياب أرقطا ... يحكى السعيدى لك المنقطا.

وبعد ذا تسدد النقابا ... من خوفه وتغلق الأبوابا.

نعم، وترخى دونه الستورا ... حتى ترى صباحه ديجورا.

وإن أردت الشرب فى الظلام ... عاقك عن تناول المدام.

حسبك أن تندس فى اللحاف ... من خشية البرد على الأطراف!

ورعده يشغل عن كل عمل ... ويؤثر النوم ويستحلى الكسل.." (١)

"وقال ابن وكيع:

وخشخاش كأنا منه نفرى ... قميص زبرجد عن جسم در

كأقداح من البلور صينت ... بأغشية من الديباج خضر

وأما الكتان وما قيل فى بزره وتشبيهه

- فقال الشيخ الرئيس:

بزر الكتان حار فى الأولى، معتدل فى الرطوبة واليبوسة، وإنه مع النطرون والتين ضماد للكلف «١» والبثور اللبنية «٢» ؛ وينفع من تشنج «٣» الأظفار وتشققها وتقشرها اذا خلط بشمع وعسل؛ ودخانه ينفع من **الزكام**، وكذلك دخان الكتان؛

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٨١/١

وينفع من السعال البلغمى، وخصوصا المحمص منه؛ وهو ردىء للمعدة، عسر الهضم، ومقليه يعقل البطن؛ واذا طبخ وجلس فيه نفع من لذع يكون فى الرحم وأورام؛ وكذلك الأمعاء؛ وينفع من قروح المثانة والكلية؛ قال: وطبيخ بزر الكتان اذا حقن به مع دهن الورد عظمت منفعته فى قروح الأمعاء.

«ونبات الكتان فى غاية ما يكون من البهجة والنضارة وحسن الألوان «٤» » .

وقد وصفه الشعراء بأوصاف وشبهوه بأشياء؛ فمن ذلك قول ابن الرومى:." (١)

"وأما الجلوز وما قيل فيه

- فالجلوز، هو البندق؛ وقد سمى ابن سينا الصنوبر بالجلوز، وقال فى البندق: هو إلى حرارة ما ويبوسة قليلة «١» ، وفيه من القبض أكثر مما فى الجوز؛ وفيه نفخ، ويولد الرياح فى البطن؛ واذا قلى وأكل مع فلفل قليل أنضج **الزكام**؛ وقال إبقراط «٢» : البندق يزيد فى الدماغ، وإذا أكل بماء العسل نفع من السعال المزمن، وهو بطىء الهضم، ويهيج القىء، وينفع من النهوش وخصوصا مع التين والسذاب «٣» للدغ العقرب.

وأما ما وصفه به الشعراء وشبهوه

- فمن ذلك قول شاعر:

ولقد شربت مع الغزال مدامة ... صفراء صافية بغير مزاج

فتفضل الظبى الغرير ببندق ... شبهته ببنادق من ساج

وكسرته فرأيت صوفا أحمرا ... قد لف فيه بنادق من عاج

وقال ابن رافع:

جلوزة من كف ظبي غزل ... رمى بها نحوى كمثل جلجل

أو كرة قد ثلثت من صندل ... تكسر عن حريرة لم تغزل." (٢)

"السواد، له رائحة ذكية، ورأى بالبصرة وردة نصفها أحمر قانئ، ونصفها أبيض ناصع، وكأنها مقسومة بقلم؛ وفيه ماله وجهان: أحمر وأبيض؛ ويقال: إنه ربما وجد ورد أحد وجهى الورقة منه أحمر قانئ، والآخر أصفر، ومن ألوان الورد الأزرق، وهذا اللون يقال إنه يتحيل فيه، بأن تسقى شجرة الورد الأبيض الماء المخلوط بالنيل «١» ، فيصير الورد أزرق، وقد يتحيل على الأسود بمثل ذلك؛ والله تعالى أعلم.

ومما يدل على وجود هذه الألوان وأنها غير منكورة أن الشعراء وصفوها فى أشعارهم فذكروا الأصفر والأزرق والأسود على مانورده ان شاء الله [تعالى «٢»] بعد ذكر منافع الورد وخواصه.

قال الشيخ الرئيس أبو على بن سينا: والورد مركب من جوهر مائى وأرضى وفيه حرارة «٣» وقبض، ومرارة مع قبض،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٦/١١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٩١/١١

وقليل حلاوة، وفى مائيته انكسار حرافة «٤» بسبب الشيء الذى لأجله [حلا «٥»] ومر، وفيه لطافة تنفذ «٦» قبضه، فكثيرا ما يحدث الزكام. قال: والقوة المرة تثبت فيه مادام طريا، فاذا يبس قلت مرارته، ورطبه." (١)

"وقال ابن جريح: الميعة تسيل من شجرة تكون فى بلاد الروم تتحلب منها، ثم تؤخذ فتطبخ، وتعتصر أيضا من لحاء تلك الشجرة، فما عصر فهو الميعة السائلة وما طبخ فهو الميعة اليابسة.

وقال الشيخ الرئيس أبو على بن سينا فى الميعة- وسماها لبنى- قال:

ويقال للسائلة: عسل اللبنى والأصطرك «١» ، وهو دمعة شجرة [كالسفرجل «٢»] . قال:

وأجود أصناف الميعة السائل بنفسه، الشهدى، الصمغى، والطيب الرائحة الضارب الى الصفرة. قال: وطبع الميعة حار فى الأولى يابس فى الثانية، وله قوة منضجة، ملينة جدا، مسخنة محللة، ودخانه شبيه بدخان الكندر؛ وفيه تخدير بالطبع، ودهنه الذى يتخذ بالشأم ملين تليينا قويا؛ وينفع الصلابات فى اللحم، ويطلى به على البثور الرطبة واليابسة مع الأدهان؛ ويطلى به على الجرب الرطب واليابس؛ وهو طلاء جيد عليه؛ وهو يقوى الأعضاء وينفع تشبك المفاصل جدا شربا وطلاء؛ ورطبه ويابسه يحبس «٣» النزلة تبخيرا؛ وهو غاية للزكام؛ وفيه قوة مسبتة «٤» ، لا سيما فى دهنه؛ وينفع من السعال المزمن والبلغم ووجع الحلق ويصفى صوت الأبح مع تليين شديد؛ وهو يهضم، ويلين الطبيعة، ويدر البول والطمث إدرارا صالحا شربا واحتمالا؛ ويلين صلابة الرحم؛ واليابسة تعقل البطن؛." (٢)

"أبو الفتح على بن محمد البستى

يقول

اذا مر بى يوما ولم أتخذ يدا ... ولم أستفد علما فما ذاك من عمرى!

وقال أيضا

أنا كالورد فيه راحة قوم ... ثم فيه لآخرين زكام!

وقال أيضا

لا ترج شيئا خالصا نفعه ... فالغيث لا يخلو من العيث

وقال أيضا

ولم أر مثل الشكر جنة غارس ... ولا مثل حسن الصبر جنة لابس

وقال أيضا

ولن يشرب السم الزعاف أخو الحجى ... مدلا بدرياق لديه مجرب

وقال أيضا

ما استقامت قناة رأيي إلا ... بعد أن عوج المشيب قناتى

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١١/١٨٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١١/٣١٩

وقال أيضا

وطول جمام الماء في مستقره ... يغيره لونا وريحا ومطعما

وقال أيضا

اذا حيوان كان طعمة ضده ... توقاه كالفأر الذى يتقى الهرا

ولا شك أن المرء طعمة دهره ... فما باله يا ويحه يأمن الدهرا!

وقال أيضا

لا تحقر المرء إن رأيت به ... دمامة أو رثاثة الحلل

فالنحل لا شك في ضؤولته ... يشتار منه الفتى خير العسل." (١)

"برد حلب

يشتد برد حلب من تاسع كانون الأول ويمتد إلى ثامن يوم من آذار وعند ذلك يأخذ باضمحلال ويعتدل الوقت. وفي الكانونين تهب ريح الشمال وينجرد الشجر وكثيرا ما يجمد الماء وتصول الضواري في الصحاري وتختفي الهوام وتكثر الأمطار ويقع الصقيع ويهبط الزئبق في الظل الشمالي عن الصفر نحو خمس درجات، وربما هبط في بعض السنين إلى ما هو أدنى من ذلك ففي سنة ١٣٢٩ هجرية المصادفة ١٣٢٦ رومية هبط الزئبق في شهر كانون الثاني إلى الدرجة السابعة والعشرين تحت الصفر مستمرا ذلك نحو ثلاثين يوما، الأمر الذي لم يسمع وقوع نظيره في حلب، كما نوهنا عن ذلك في حوادث السنة المذكورة.

على أن البرد في بقية السنين مهما كان عظيما فإنه لا يزيد فيه هبوط الزئبق إلى ما دون الدرجة العاشرة تحت الصفر، وهو إذا بلغ هذه الغاية أو ما قاربها يتألم منه النحفاء والشيوخ ألما زائدا وينشأ عنه أمراض صدرية وعلل ريحية ومفاصلية، وتعظم نكايته في الأطفال، ويكثر فيه النقف والقمطلس «١» والزكام والحادر حتى يكاد لا ينجو من ذلك أحد، وأضر ما يكون في الشتاء خلواته الحارة التي يجتمع فيها الناس للسهر والسمر، فيوقدون ضمنها النار حتى تصير كأنها بيت من بيوت الحمام ثم يتنازلون الماء البارد الذي قارب الانجماد أو يخرجون إلى الهواء وقد انفتحت مسامهم، واستعدت لقبول البرد أجسامهم.

تحول العوارض الجوية في حلب

ذكر صاحب طبقات الأطباء في ترجمة الطبيب الشهير المختار بن الحسن عبدون المعروف بابن بطلان، المتوفى سنة ٤٥٨. أنه كان يعتقد أن العوارض الجوية في أصقاع حلب كانت باردة ثم تحولت إلى حرارة، مستدلا على صحة دعواه هذه بما حكاه له أشياخ أهل حلب من أن شجرة الأترج ما كانت تنبت في حلب لشدة بردها وأن الدور القديمة في حلب لم تكن تستطاع السكنى في طبقتها السفلى. وأن الباذهنجات (ملاقف الهواء) حدثت في حلب منذ زمان قريب حتى إنه لا دار إلا وفيها باذهنج بعد عدم وجودها مطلقا.." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣/١١٥

(٢) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامِل الغَزّي ١/٤١

"إدراكه يكون أحمر يضرب للسواد كالوشنة لا فرق بينهما سوى الطعم والرائحة وشكل الجوزة المنقسمة إلى فلقتين ويجمع قبل استوائه وينشر فوق أسطحة مستوية فينشق ويسود لونه ثم يدش على الأرحية ثم يخلص من قشره بالتذرية وهذا هو البن الذي يباع في جهات الدنيا وأما ما يبقى على أصوله حتى يتم استواؤه فلا يحتاج إلى الدش بل يفصل من قشره باليد وينشف كالزبيب وأهل اليمن يغلونه ويستعملون منقوعه مبردا في الصيف وهو نافع للصحة وهذا النوع يبقى في اليمن ولا يخرج منها إلى غيرها ويكون غالي القيمة وأحسن البن ما كان فيه غلظة مع الخضرة والقشر الذي تكلمنا عليه حار رطب في الأولى والشراب المصنوع منه أن يشرب صيفا يرهل البطن وشربه ينعش القلب ويزيل الثقل والفتور الحاصل في الصباح والأحسن في قلي الحب عدم الجور عليه لئلا تضيع خاصيته وشرب القهوة بعد الأكل بساعة نافع للهضم والزكام وألم الرأس وفي كل سنة يخرج من بلاد العرب ثمانون ألف طرد من البن منها إلى جدة أربعون ألف طرد والباقي إلى البصرة وغيرها والطرد ثلاثة قناطير كل قنطار مائة رطل كل رطل ألف درهم وكان دخولها في بلاد الروم ولا سيما قسطنطينية سنة ٩٦٢ وأول استكشافها سنة ٦٥٦ وأما أول استعمالها في اليمن فقد كان ابتداء القرن التاسع كما سبق ذكره. اه.

بقية آثارها

مسجد الأرمنازي وزاوية بيت خير الله ومسجد الغزولي ومسجد الدرج وسبيل تجاهه بميلة إلى الشمال وسبيل في زقاق بيت حيدر وفيها مصبنتان وخانان وأربعة مدر وفرنان وحمام سوق الغزل وكانت من أوقاف إخلاص. ومن الأسر الشهيرة في هذه المحلة أسرة آل الملاح ووجيهها بل هو أحد وجهاء حلب وعين أعيانها المحترمين محمد مرعي باشا بن صالح بن مرعي. والدور العظام في هذه المحلة هي دور هذه الأسرة. اه..." (١)

"عليهم مشقات الطريق ولا سيما على فقرائهم الذين قطعوا المسافات الطويلة مشيا على الأقدام مدة شهرين وهم حفاة عراة، الأرض وطاؤهم والسماء غطاؤهم، لم يفلت منهم من مخالب الجوع والبرد إلا من قويت بنيته وأبطأت منيته. وقد وصلوا إلى حلب كأشباح بلا أرواح، وكان أغنياؤهم ينزلون في البيوت، وفقراؤهم في القياصر والأزقة والشوارع حتى ملؤوا حلب وازدحمت بهم الجواد «١» .

وكانت الحكومة تبقي منهم الجالية في حلب أياما قليلة وتفرق عليها أقراص الخبز ثم تزجيها إلى جهات حماة أو إلى نواحي الزور والجزيرة، فيموت الكثير منهم في أثناء الطريق جوعا وعطشا وحرا وبردا وغرقا. بلاء حل بهم جناه سفهاؤهم على ضعفائهم. وكان عرب البادية يأخذون منهم الأيامى «٢» واليتيمات، ويتخذون الفتيات منهن زوجات لهم، والقاصرات خادمات وراعيات لمواشيهم، وكل واحدة منهن تدخل إلى مضاربهم يشمونها «٣» بالزرقة في وجهها ويديها تزيينا لها وتحسينا حسب أذواقهم. وكانت قافلة الجاليات منهم كلما خف منها القطين «٤» في حلب يأتي بدلها قافلة أخرى حتى ملؤوا الديار وغلت بواسطتهم الأسعار.

الجرب وحمى القملة:

وفشا في المدينة والقرى التي مروا منها في ولاية حلب داء الجرب، فأصيب به ألوف من الناس، ومرض آخر سماه الأطباء

---

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامِل الغَزّي ٢/٢٦٤

حمى القملة أو حمى التجمع وربما سموه حمى التيفويد.

وكان المصاب بهذا المرض يعتريه في أوائله شبه صداع وزكام مدة ثلاثة أيام، ثم تشتد به أعراض الحمى يوما أو يومين فيسود لسانه وشفتاه ويلعثم في كلامه، ثم يسكت ليلة أو ليلتين ويموت. وكان جهة الصحية تشدد المراقبة على المصاب بهذه العلة الوبيلة، فكانت متى أحست بوجود مريض بهذا الداء تأخذه إلى مستشفاه الخاص به فيبقى فيه إلى أن يصح." (١)

"أفد بطبعم المكدود بالهم راحة=براح وعلله بشيء من المزح

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن ... بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

وشعر أبي الفتح ينم عن تصرفه في العلم، كقوله: ؟لئن عجزت عن شكر برك قوتي=وأوى الورى عن شكر برك عاجز

فإن ثنائي واعتقادي وطاعتي ... لأفلاك ما أوليتنيه مراكز

وقاله أيضا:

إذا غدا ملك باللهو مشتغلا ... فاحكم على ملكة بالويل والحرب

أما ترى الشمس في الميزان هابطة ... لما غدا وهو برج اللهو الطرب

وقال أيضا:

شرف الوغد بوغد مثله ... مثل ما فيه زيغ وخلل

ودليل الصدق فيما قلته ... شرف المريخ في بيت زحل

وقال أيضا:

لئن كسفونا بلا علة ... وفازت قداحهم بالظفر

فقد يكسف المرء من دونه ... كما يكسف الشمس جرم القمر

وقال أيضا:

لا يغرنك أنني لين اللم؟ ... س فعزمي إذا انتضيت حسام

أنا كالورد فيه راحة قوم ... ثم للأخرين فيه زكام

وقال أيضا:

وقد يلبس المرء خز الثياب ... ومن تحتها حالة مضنية

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامِل الغَزّي ٣/٤٥٠

كمن يكتسي خده حمرة ... وعلتها ورم في الرية

وشعره في هذه الأسباب وغيرها من الأبواب، يخرج عن حد الكتاب. وله في الفن الذي كثر في أهل العصر من تجنيس الشعر كقوله:

إن أسيافنا الغضاب الدوامي ... صيرت ملكنا قرين الدوام

باقتسام الأموال من وقت سام ... واقتحام الأهوال من وقت حام

وله فيه أيضا:

إن هز أقلامه يوما ليعملها ... أنساك كل كمي هو عامله

وإن أقر على رق أنامله ... أقر بالرق كتاب الأنام له

ولأبي الفضل الميكالي في هذا النوع قوله:

أفدي غزالا حماه قصر ... كجنة قد حوت نعيما

طرقته لا أهاب سوءا ... أباحني حبه الحريما

فجاد من فيه لي براح ... شفى حريقا به مقيما

أفدي حريقا أباح ريقا ... لا بل حريما أباح ريما

قال مسلم بن عبد الله بن جندب الهذلي: خرجت أريد العقيق، ومعي زيان السواق، فلقينا نسوة لم أر أجمل منهن، فيهن امرأة فرعتهن طولا [وكمالا، وبرعتهن ظرفا وجمالا] فأنشد ريان بيني أبي، وهما:

ألا ياعباد الله هذا أخوكم ... قتيل فهل منكم له اليوم ثائر

خذوا بدمي إن مت كل خريدة ... مريضة جفن العين، والطرف ساحر

ثم قال لي: شأنك بها يا بن الكرام، فالطلاق لي لازم إن لم يكن دم أبيك في نقابها، فأقبلت علي، وقالت: أأبوك ابن جندب؟ قلت: نعم، فقالت: إن قتيلنا لا يودى، وأسيرنا لا يفدى، فاغتنم نفسك، واحتسب أباك.

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: قال رجل من [بني] فزارة لرجل من [بني] عذرة: تعدون موتكم في الحب مزية، وإنما ذلك من ضعف البنية، ووهن العقل، وعجز الروية. فقال العذري: أما إنكم لو رأيتم المحاجر البلج، ترشق بالأعين الدعج، من فوقها الحواجب الزج، والشفاه السمر، تفتر عن الثنايا الغر، كأنها سرد الدر، لجعلتموها اللات والعزى ورفضتم الإسلام وراء ظهوركم.

وقال أعرابي: دخلت بغداد فرأيت بها عيونا دعجا، وحوجب زجا، يسحبن الثياب، ويسلبن الألباب.

وقال أعرابي في امرأة ودعها:" والله ما رأيت دمعة ترقرق من عين بإثمد على ديباجة خد، أحسن من عبرة أمطرتها عينها،

فأعشب لها قلبي.

وذكر أعرابي امرأة فقال: تلك شمس باهت الأرض بها شمس سمائها، وليس لي شفيع إلى اقتضائها، ولي نفس كتوم لدائها، ولكنها تفيض على امتلائها أخذه [أبو تمام] الطائي فقال:

شكوت وما الشكوى لمثلي بعادة ... ولكن تفيض النفس عند امتلائها

ووصف أعرابي نساء فقال: ظعائن في سوالفهن طول، غير قبيحات العطول، إذا مشين انتعلن الذيول، وإذا ركبن أثقلن الحمول.

وقال أبو العباس بن الحسن العلوي:

صادتك من عين القصور ... بيض أوانس في الخدور

حور تحور إلى صبا ... ك لأعين منهن حور

وكأنما برضابه ... ن جنى الرحيق من الخمور

يصبغن تفاح الخدو ... د بماء رمان النحور

وقال بعض البغداديين:

لو ذقت صيد ظباء القصور ... لأنسيت صيد ظباء الفلاة

ظباء مراتعها في القلوب ... ومشربها من لذيذ الحياة

وقال ابن الرومي:." (١)

"وكانت الشمس ساطعة تتلألأ، وأنا مثقل بثياب الشتاء وكنت أتوقع أن يكون اليوم من أيام الريح المجنونة، فلما انتهينا إلى الصحراء، هبت الريح هبوبا لينا، ثم زفت فكانت إلى الشدة ما هي؛ ولكنها ماضية تسفي الرمل في الأعين فيأخذ في أجفاني أكال وتهييج، وليس معي شيء أتقيها به؛ غير أني شغلت فكري برؤية المقابر، وجعلتها في نفسي كالمقالة المكتوبة سطرا وراء سطر، وقلت: ههنا الحقيقة في أول تفسيرها، وغير المفهوم في الحياة يفهم هنا.

ثم رجعت مندى الجسم بالعرق وعلي نضح منه، وكان القميص من الصوف، وبصدري أثر من النزلة الشعبية، وإذا تندى الصوف وجب نزعه وإلا فهي العلة ما منها بد.

ثم لم تكن إلا ساعة حتى انخرقت الريح وجعلت تعصف وبرد الجو، فأيقنت أنه **الزكام**، وقلت في نفسي: هذا باب على حدة، والمقالة ذاهبة لا محالة، فسيتخلف الذهن ويتبلد؛ والشيطان كريم في الشر يعطي من غير أن يسأل.

وثقل ذلك علي فكان الغم به علة جديدة، بيد أني لم أزل أرجو الفرصة في أحد اليومين: السبت والأحد. وقلت: إن من البلاء الفكر في البلاء، ولعل من السلامة الثقة بالسلامة؛ فإذا نبهت العزيمة رجوت أن يتغلغل أثرها في البدن كله فيكون

---

(١) نور الطرف ونور الظرف الحُصري القيرواني ص/٣٥

علاجا في الدم يحدث به النشاط ويرهف منه الطبع وتجم عليه النفس. وفي قوة العصب كهربائية لها عملها في الجسم إذ أحسن المرء بعثها في نفسه وأحكم إفاضتها وتصريفها على طريقة رياضية؛ ولهي الدواء حين يعجز الدواء، وهي القوة حين تخذل القوة.

فاعتزمت وصممت، واحتلت على الإرادة، وتكثرت من أسباب الثقة وترصدت لها السوانح العقلية التي تسنح في النفس، وقلت لإبليس: اجهد جهدك، فما تذهب مذهبا إلا كان لي مذهب. ولكن اللعين أخطر في ذهني قول القائل يسخر فيه من ذلك الكاتب البغدادي١.

لو قيل كم خمس وخمس لاغتدى ... يوما وليلته يعد ويحسب

ويقول معضلة عجيب أمرها ... ولئن فهمت لها لأمري أعجب

---

١ قيل هذا الشعر في وصف مروان الكاتب، وهو رجل من بغداد، وكان كاتبا على الخراج فسخر منه الشاعر بهذا الأسلوب البديع.." (١)

"ألمانيا لتفاوت خلقه وعنجهيته؛ وجلست أنفس عن صدري، ثم أقبلت أسخر من إبليس ونكايته، وجعلت أتعجب مما اتفق من هذا التدبير.

وتحرك القطار وانبعث، وكان الأوروبي إلى جانبي مما يلي النافذة وقد تركها مفتوحة، فأحسست الهواء ينصب منها كالماء البارد وأنا متند بالعرق؛ وترقبت أن يغقلها الرجل فلم يفعل، فصابرته قليلا فإذا هو ساكن مطمئن يتروح بالهواء وكأنما يشربه، وتأملته فإذا شيخ في حدود الستين أو فوقها، غير أنه على بقية من قوة مصارع في اكتناز عضله واجتماع قوته ووثاقة تركيبه، فأيقنت أن الهوء من حاجته، وهممت أن أنبهه أو أقوم أنا فأغلق النافذة، ولو شئت أن أفعل ذلك فعلت، غير أن الشيطان "أخزاه الله" وسوس لي: أن هذا رجل أجنبي غربي، وأنت مصري شرقي، فلا يحسن بك أن تعلمه وتعلم الحاضرين أمامكما أنك أنت الأضعف على حين أنه هو الأسن، وكيف لا تقوم لما يقوم له وقد كنت تباكر الماء البارد في صميم الشتاء، وكنت لا تلبس في أشد أيام البرد غير ثياب الصيف، وكنت تحمل كذا وكذا ثقلا للرياضة، وتعاني كذا وكذا من ضروب القوة، وكنت تلوي بيديك عود الحديد، وكنت وكنت.

فتذممت -والله- مما خطر لي؛ وأنفت أن أنبه الرجل، ورأيت عملي هذا ضعفا وفسولة، ولم أعبأ بالهواء ولا بالعرق ولا بالنزلة الشعبية ولا بالزكام، وتركت الأوروبي وشأنه، وأقبلت على كتاب كان في يدي، وتناسيت أن هذه النافذة جهة من تدبير إبليس؛ وكان القطار مزدحما بالراجعين من المعرض الزراعي الصناعي، وبعض الناس وقوف فلا مطمع في مكان آخر.

ولبثت ساعة ونصف ساعة في تيار من هواء "فبراير" ينصب انصبابا، ويعصف عصفا، وكأني أسبح منه في نهر تحت ظلمة الليل الماطر، والناس معجبون بي وبالأوروبي، وهذا الأوروبي معجب بي أكثر منهم، وقد رأى مكاني وعرف موضعي، وكان إلى يميني مجلس بقي خاليا ولم يقدم أحد على أن يجلس فيه خوفا من الهواء ومن الرجل الأوروبي.

---

(١) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ١٦٨/٢

ثم تراءيت أنوار محطة "طنطا"، ولم يبق من هذه المحنة غير دقيقتين فوالله الذي لا يحلف بغير اسمه –عز وجل– لقد كان إبليس رقيعا جلفا باردا ثقيل المزاج؛ إذ لم أكد أتهيأ للقيام حتى رأيت الرجل الأوروبي قد مد يده فأغلق النافذة.." (١)

"مقبل إلى الجامعة إقبال المغير في غارته، فأومأت له، فعدل إليها وحياها بتحية الشياطين، ثم قال لها: ما وقوفك هنا أيتها الخبيثة؟ وكيف تركت صاحبتك التي أنت موكلة بها؟ وما عسى أن يعمل الشيطان بين الجنسين إذا لم تؤازره الشيطانة؟

قالت: إنما اجتذبتني إلى هنا رائحة عاشقين كانا في هذا الظل يواريهما عن الأعين، وما أراك إلا **مزكوما**، أفكنت في الأزهر..؟

فجعل الشيطان يتضاحك وقال: أنا مرسل من مستشفى المجانين مددا لشياطين الجامعة؛ فقد احتاجوا إلى النجدة.. ولكن أنت كيف تركت صاحبتك من أجل رائحة قبلة على خمسمائة متر؟ ما أحسبها الآن إلا جالسة تكتب في منع اختلاط الجنسين ووجوب إدخال التعليم الديني في الجامعة!

قالت الشيطانة: إن صاحبتي لأبرع مني في البراعة، وأدق في الحيلة وأهدى للمعاذير، وأنفذ إلى الغرض، ومثلها قليل هنا، ولكن قليل الشر ليس قليلا، فإنه وصلة وطريق كما تعلم؛ وما تجد الفتاة خيرا من هذا المكان ينفي عنها الريبة وهو يدنيها منها بهذا الاختلاط مع الفتيان، ويهيئ لعقلها أسبابا تكون فيها أسباب قلبها؛ وقد كنت في أوربا، أفما رأيت هناك شابا وشابة حول كتاب علم وكأنهما على زجاجة خمر؟

إن هذا العلم شيء ومخالطة الشبان شيء آخر؛ فذلك يطلق فكرها يتجاوز الحدود والاختلاط يجعل فكرها، يحصرها في حدود إحساسها؛ وأحدهما يرهف ذهنها لإدراك الأشياء، والآخر يرهف عواطفها لإدراك الرجل؛ وقد فرغ الله من خلقة الأنثى فما تخلق هنا مرة أخرى على غير الطبيعة المفطورة على الحب في صورة من صورة الممكنة، والصورة هي الشاب هنا؛ وأنا الشيطانة قد تعلمت في الجامعة أن قاعدة: "لا حياة في العلم"، هي التي تقرر في بعض الأحيان قاعدة: "لا حياة في الحب".

قال الشيطان: أنت أدري بسلطان الطبيعة في المرأة، ولكن الذي أعرفه أنا أن مفاسد أوربا تدخل إلى الشرق في أشياء كثيرة، منها الخمر والنساء والعادات والقوانين والكتب ونظام المدارس!

قالت الشيطانة: وإن سلطان الطبيعة في المرأة يبحث دائما عن رعيته ما لم يكبح ويرد عن البحث؛ إذ هو لا يتحقق أنه سلطان إلا بنفاذ حكمه وجواز أمره؛ ومن رعيته نظرات الإعجاب، وكلمات الثناء، وعبارات الإغراء، وعواطف الميل، ومعاني الخضوع؛ ورب كلمة من الرجل للمرأة لا يكون فيها شيء ويكون الرجل." (٢)

"الإمام، وهو إذ ذاك مدرس المدرسة السيفية، فقرأت عليه من أول كتاب " الوجيز " للغزالي إلى الإقرار.

وعلى الجملة فقد خرجنا عما نحن بصدده بسبب اتصال الكلام.

---

(١) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ٢/١٧٠

(٢) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ٣/١٤٥

وكان القاضي أبو المحاسن المذكور بيده حل الأمور وعقدها، لم يكن لأحد معه في الدولة كلام، وكان سلطانها الملك العزيز أبا المظفر محمد بن الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين، وهو صغر السن، تحت حجر الطواشي شهاب الدين أبي سعيد طغرل، وهو أتابكه ومتولي تدبير الدولة بإشارة القاضي أبي المحاسن لا يخرج عنهما شيء من الأمور.

وكان للفقهاء في أيامه حرمة تامة ورعاية كبيرة خصوصا جماعة مدرسته فإنهم كانوا يحضرون مجالس السلطان ويفطرون في شهر رمضان على سماطه، وكنا نسمع عليه الحديث ونتردد إليه في داره فقد كانت له قبة تختص به، وهي شتوية لا يجلس في الصيف والشتاء إلا فيها، لأن الهرم كان قد أثر فيه حتى صار كفرخ الطائر من الضعف، لا يقدر على الحركة للصلاة وغيرها إلا بمشقة عظيمة؛ وكانت النزلات تعتريه في دماغه فلا يفارق تلك القبة، وفي الشتاء يكون عنده منقل كبير عليه من الفحم والنار شيء كثير، ومع هذا كله فلا يزال **مزكوما** وعليه الفرجية البرطاسي (١) والثياب الكثيرة، وتحته الطراحة الوثيرة فوق البسط ذوات الخمائل الثخينة، بحيث إنا كنا نجد عنده الحر والكرب، وهو لا يشعر به لكثرة استيلاء البرودة عليه من الضعف. وكان لا يخرج لصلاة الجمعة إلا في شدة القيظ، وإذا قام إلى الصلاة بعد الجهد يكاد يسقط، ولقد كنت أنظر إلى ساقيه إذا وقف للصلاة وكأنهما عودان رقيقان لا لحم عليهما. وكان عقيب صلاة الجمعة يسمع المصلون عنده الحديث عليه، وكان يعجبه ذلك. وكان حسن المحاضرة جميل المذاكرة، والأدب غالب عليه، وكان كثيرا ما ينشد في مجالسه:

إن السلامة من ليلى وجارتها ... أن لا تمر على حال بناديها

---

(١) نسبة إلى برطاس شمالي بحر قزوين.." (١)

"(حراكها ليس إلى سكون ... تضر بالأسماع والعيون)

(يحدث من أفعالها **الزكام** ... هذا إذا ما فاتك الصدام)

(ثم يليها مطر مداوم ... كأنه خصم لنا ملازم)

(يقطعنا بغضا عن الطريق ... وعن قضاء الحق للصديق)

(وربما خر عليك السقف ... وإن عفا عنك أتاك الوكف)

(هذا وكم فيه من المغارم ... وكثرة الإنفاق للدراهم)

(في ملبس يدفع شر برده ... يكف عنا منه غرب حده)

(ملابس تعيي الجليد حملا ... كأنما يحمل منها ثقلا)

(يحكي بها المنحوف أصحاب السمن ... لكن تراه سمنا غير حسن)

(فإن أردت بالنهار الشربا ... فيه فقد قاسيت خطبا صعبا)

(واحتجت أن توقد فيه النارا ... تطير نحو الحدق الشرارا)

(تترك مبيض الثياب أرقطا ... تحكي السعيدي لك المنقطا)

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٩١/٧

(وبعد ذا تسدد الثقابا ... من خوفه وتغلق الأبوابا)

(نعم وترخي نحوه الستورا ... حتى ترى صاحبه ديجورا)

(فحسن لون الراح فيه لا يرى ... لأنه صار سواء والدجى)

(تشرب فيه إن شربت الخمرا ... ليس لأن تلهو أو تسرا)

(لكن لتحمي خضر الأعضاء ... فشربها ضرب من الدواء)

(وإن أردت الشرب في الظلام ... عاقك عن تناول المدام)

(حسبك أن تندس في اللحاف ... وخشية البرد على الأطراف)." [1]

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ١/٤٤٤